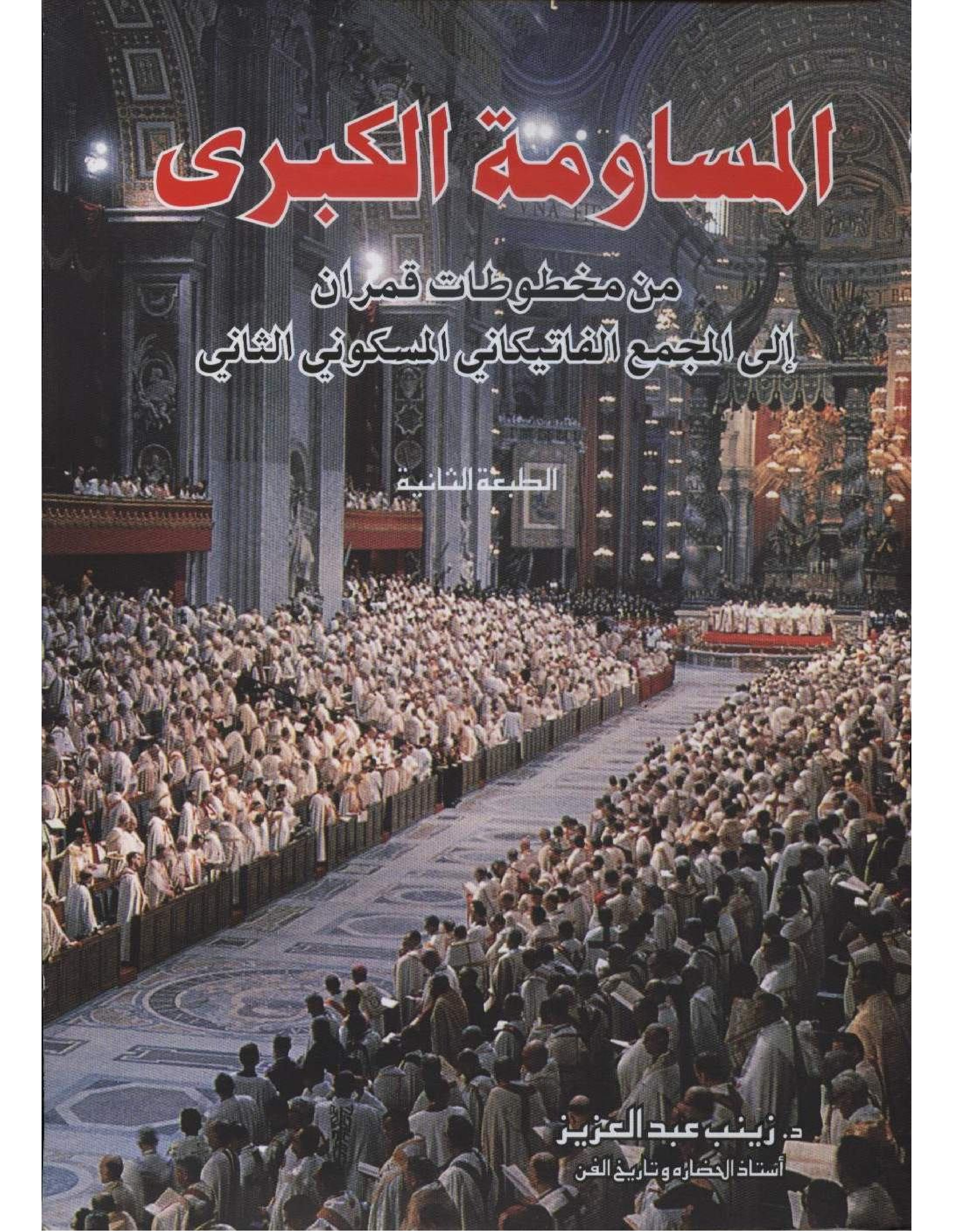

المساومة الكبرى
من مخطوطات قمران
إلى المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني
الطبعة الثانية
د. زينب عبد العزيز
أستاذ الحضاره و تاريخ الفن

الى أحمد الخطاب
.. وإعجاب، دائم دفاعا عن الإسلام
زينب عبد العزيز
٢٠٠٩/٨/١٤

المساومة الكبرى

من مخطوطات قمران
إلى المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني

د. زينب عبد العزيز
أستاذ الحضارة وتاريخ الفن

٢٠٠٨

إهداء

إلى الشباب.. الذي يتواصل فيه حب المعرفة والكشف عن الحقيقة، أيا كانت مرارتها.. فالقدرة على خلق الزيف قد تخطت القدرة على اكتشافه..



المقدمــة

قد يبدو الجمع بين مفردات هذا العنوان غريباً، فالسّوم لغة هو عرض السلعة على البيع، والمغالاة في رفع أو خفض ثمنها. وقد تصل المساومة في بعض الحالات إلى درجة الإبتزاز، أي نزعه وأخذه بجفاء وقهر - وفقاً للسلعة المتساوم عليها فكل ما يباع ويشترى يدخل مجال التجارة والمتاجرة وقد تكون السلعة مادية أو فكرية، وقد تكون معنوية، لكنها تظل سلعة طالما دخلت ساحة المساومة.

ومخطوطات قمران هي الوثائق الدينية والتاريخية التي تم العثور عليها (صدفة) سنة ١٩٤٨ . وقيل آنذاك إن بها من المعلومات في نصوصها ما يطيح بأركان المسيحية الحالية. وقد تعرضت هذه المخطوطات لما يمكن أن نطلق عليه مغامرات العصابات السينمائية لما اعتراها من تعتيم وإثارة أو تكتم ففيما بين العثور عليها ونشر محتوياتها فترة صمت امتدت لأكثر من ثلاثين عاماً.

أما مجمع الفاتيكان الثاني أو المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥) فهو يمثل نقطة فارقة في تاريخ الكنيسة عامة والكنيسة الكاثوليكية بخاصة، حيث إنها الكنيسة الأم من جهة، والقوة المحركة للأحداث السياسية . ويمثل هذا المجمع المسكوني، أي

العالمي، نقطة فارقة لكل ما تمخض عنه من أحداث وقرارات كادت تصدع جدرانه إذ انقسم عدد من قادته احتجاجاً، وحُرم وجُرد من مهامه الكنيسية والوظيفية، بينما انزوى البعض الآخر في استكانة راضخة أو تسلل خارجًا بهدوء فيما يطلقون عليه النزيف الصامت للكنيسة..

وإذا ما قمنا باختصار قرارات ذلك المجمع، رغم تعدد وثائقه وتنوعها فلا يمكن اختصار قرارين أساسيين هما : تبرئة اليهود من دم المسيح وتنصير العالم. ونقطة الربط هنا، بين المجمع ومخطوطات قمران هي تاريخ سنة ١٩٤٨ . فاللافت للنظر هو انه في ١٤ مايو ١٩٤٨ قد تم الإعلان عن العثور على مخطوطات قمران، وفي نفس ذلك اليوم ١٤مايو ١٩٤٨ قد تم فيه الإعلان عن قيام «دولة إسرائيل» - كما يطلقون عليها . أي إضفاء شرعية على ما لا شرعية له - وهذه قضية لا تدخل في نطاق البحث إلا من بعيد.

فلا يبقى من قراريّ المجمع الفاتيكاني إلا ذلك القرار الذي تم الإعلان عنه بصورة ملتوية أولاً، بمعنى «توصيل الإنجيل لكافة البشر»، ثم أعلن البابا يوحنا بولس الثاني صراحة حين طالب سنة ١٩٨٢ بضرورة تنصير العالم. وهي الحملة المتزايدة الإيقاع والتي لم يعد أحد يغفلها خاصة بعدما يطلق عليه: «مسرحية الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١»!.

وبما أننا في فترة «ضرورة فرض» هذا التنصير بأي وسيلة وبأي ثمن، فقد آثرت دراسة هذا الدين اعتماداً على نشر من وثائق

وأبحاث في نفس ذلك الغرب المسيحي، وكثير منها بأقلام كنسيين، إضافة إلى ما قاله السيد المسيح: «فتشوا الكتب.. وهي التي تشهد لي» (يوحنا ٥:٣٩).

وقد اعتمدت على الكتاب المقدس بعامة، وعلى العهد الجديد بخاصة، في طبعات ١٦٧١ و١٩٦٦ و١٩٨٨ . وذلك لاختلاف النص من طبعة لأخرى - حتى وإن كان مجرد إضافة أو حذف أداة تعريف، وما أكثر ما يتبدل من معنى من مجرد هذا التغيير.

وكل ما أود التأكيد عليه هو أنه ما من إنسان منا يولد وقد اختار بلده وأسرته وديانته، وإنما نولد جميعاً في محيط لا دخل لنا به. وكل منا يكبر وينمو متشرباً عادات وتقاليد بلده وأسرته، مؤمناً بذلك الدين الذي شب عليه. إلا أن مجريات الأحداث ومعايشتها توجه الإنسان إلى البحث والدراسة والمقارنة.. وهنا يأتي دور الاختيار الذي يتعين على كل امرءٍ القيام به. فاعتناق الدين بالوراثة شيء، واعتناقه عن علم ويقين ثابت شيء آخر - فالكفر والإيمان هي قضية خاصة بضمير كل إنسان..

لذلك فتشت الكتب، وخرجت بما شَهِدَتْ به.

ويتكون البحث من نقاط متتالية، ندرس خلالها كيف كانت نظرة من كتبوا عن المسيحية من المؤرخين القدامى، وفي عصر التنوير، ثم المعاصرون، وكيف كانت النظرة النقدية لها واحدة لم تتغير منذ البداية - وإن كانت قد ازدادت عمقاً وخطورة مع اكتشاف المخطوطات الجديدة سواء في منطقة قمران بالبحر الميت، أو في نجع حمادي بصعيد مصر.

ثم نلقي بنظرة أكثر تفحصاً للأناجيل بعامة، ومنها إلى العقائد المسيحية وكيفية تكوينها، ومنها إلى أهم ركيزتين للمسيحية الحالية وهما: بعث يسوع ومحاكمته، وقد آثرنا وضع زعم بعثه قبل المحاكمة التي تكشف يقيناً بناء على الدراسات الحديثة أنهم ما قتلوه وما صلبوه - وهي القضية التي تلغي بجرة قلم كل ما بُني عليها.

بعد ذلك نعرض لمخطوطات قمران لنوضح جزءاً مما اعتراها من مغامرات وتحكم من جانب المؤسسة الفاتيكانية والمؤسسة الكنسية بعامة، ومنها إلى مجمع الفاتيكان الثاني وتبرئته لليهود والكشف عن خيوط تلك المساومة الكبرى التي تمت وأدت إلى ذلك القرار بتبرئة اليهود رغم مخالفة ذلك للنصوص الإنجيلية والكنسية.

ونتناول في الخاتمة وعبر جولة هذه النقاط المتتالية ما تؤدي إليه من كشف للحقائق.. فحينما تتعلق المساومة بالدين تتلاحق علامات الاستفهام..

الدكتورة زينب عبدالعزيز

المؤرخون القدامى

(أ) المؤرخون اليهـــــود

- فيلون السكندري
- فيلافيوس چوزيف
- چوست من طبرية

(ب) المؤرخون الوثنيون

- بيلاطس
- سويتونيوس
- تاسيتوس
- سينيكا

(جـ) المؤرخون اليونان

- بلوتارك
- بليني القديم
- أپوللونيوس من طوانة
- سيلس (القرن الثاني)
- پورفير

(د) الامبراطور

- چوليان

المؤرخون القدامى

أ - المؤرخون اليهود:

فيلون السكندري (١٣-٢٠ ق.م - ٥٤م) Philon d'Alexandrie

فيلسوف ومثقف، ولد أيام هيرود الأكبر. وتوفي عام ٥٤م، أي أنه فرضاً يُعد معاصراً تماماً ليسوع. وهو شديد الإلمام بكل ما يتعلق باليهود، وتتضمن أعماله ٥٧ عملاً، منها كتاب بعنوان «عصر بيلاطس»، وهو كتاب لو استطاع أن يضمنه شيئاً عن يسوع المسيح لوجد عشرات الإمكانيات. لكنه لم يذكر يسوع مطلقاً.

ويُعد فيلون من كبار مثقفي عصره وأنه شديد الأمانة الموضوعية ومشهود له بأنه لا يغفل كبيرة ولا صغيرة في الموضوع الذي يتناوله. وذلك ما اتبعه في كل كتاباته المتعلقة بالطوائف الدينية المتعددة. لذلك لا يملك المرء إلا أن يتساءل: لماذا لم يذكر شيئاً عن يسوع وحوارييه، خاصة وأن شعبية يسوع - وفقاً للوثائق الرسمية - كانت تفوق الآفاق، وأنها تعدت سوريا، وأنهم أحضروا له كل المرضى ليشفيهم، ولا يذكر شيئاً عن آلاف الأشخاص الذين اتبعوه وأطعمهم بمضاعفة الخبز والسمك.. خاصة لا يذكر فيلون شيئاً عن عملية «صلب» المسيح ولا عن تلك القيامة المتفردة بين الأموات، أو عن أولئك الموتى الذين عادوا إلى الحياة وراحوا يتجولون في المدينة! وكلها أحداث لا يمكن لمؤرخ بمثل دقة فيلون أن يغفلها أو ألا يذكر عنها شيئاً.

بل المعروف أن فيلون كان من الشجاعة بحيث أنه سافر إلى روما لمقابلة الإمبراطور الروماني كاليجولا دفاعاً عن اليهود ضحايا الاضطهاد الدامي سنة ٣٩ في الإسكندرية. فاستقبله كاليجولا لكنه لم يستجب لمطلبه.. وبعد عودته إلى الإسكندرية راح يواصل كتابة أعماله التي لا يرد بها أي ذكر ليسوع أو لجماعة المسيحيين السكندريين ومنهم المدعو أبوللونيوس الطواني، الذي يقال عنه إنه كان منافساً أو شبيهاً ليسوع الرسول.

وكان فيلون تلميذاً لأفلاطون، صاحب نظرية «اللوجس» أو «الكلمة» وما أكثر ما كتبه عنها وعن العلاقة بين الله العالِمْ بكل شيء وبين تلك الدنيا بنواقصها. وسرعان ما جعل من «الكلمة» كائناً مستقلاً قد خلق كل شيء لأنه يحتوي على الصفات الإلهية، وكل المخلوقات نتجت عنه وهو غير مخلوق ومنبثق من الله ذاته.. وما أشبه ذلك ببداية إنجيل يوحنا الذي يبدأ بعبارة: «في البدء كانت الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» (١:١).

أي أن فكرة «الكلمـة» كـانت واردة في الفكر الفلسـفي ولم يضف إليـهـا إلا عـبـارة «التجسد» التي أضيفت في القرن الثاني.

والأكثر من ذلك أن القس الإيطالي ليوجي كاتشيولي الذي خرج عن سلك الرهبنة، وهو من مـواليـد عـام ١٩٣٤م، يؤكـد في كـتـابه المعنون: «مـهـزأة المسـيح»، أن فـيلون السكندري كان ينتمي إلى جماعة الأسينيين، ورغمها **«لا يذكر أبداً أي شيء عن يسوع أو المسيحيين، بل على العكس تماماً، نراه يستبعدهم من أعماله المكتوبة فيما بين سنة ٥٠ و٦٠م، ويتحدث عن (لوغوس) لا يزال سوف يأتي روحياً، وبذلك فهو ينكر أي مجيء ليسوع في شكل مادي»** (صفحة ١٠٩).

فلافيوس جوزيف (حوالي ٣٧م - ١٠٠) Flavius Joseph

وُلد جوزيف عام ٣٧م من أسرة يهودية ميسورة الحال وتم تعيينه حاكماً على الجليل في بداية ثورة ٦٦. وقد تولى قيادة المحاربين ضد الرومان. ثم اعتقله الامبراطور فسبازيان وسرعان ما انقلب موقف فلافيوس جوزيف، إنقاذاً لحياته، ليصبح متعاوناً بحماس مع الرومان. الأمر الذي سمح له بالحصول على الجنسية الرومانية. إلا أن ذلك لا يمنع من أنه من كبار مؤرخي عصره. ومن أهم مؤلفاته: **«حرب اليهود ضد الرومان»** من سبعة مجلدات، و**«الآثار اليهودية»** أو **«التاريخ القديم لليهود»** من عشرين مجلداً، إضافة إلى مؤلف **«ضد أبيون»** من جزئين وسيرته الذاتية.

وفي كل هذا الكم المستفيض خاصة في كتابه آثار اليهود، وقد ضمنها منذ عصر سفر التكوين حتى حرب اليهود مع الرومان سنة ٦٦م، لا يوجد سوى فقرة من بضعة أسطر تقول:

«وفي نفس العصر أتى يسوع، أنه رجل عاقل، إذا ما كان يجب أن نطلق عليه رجلاً. لأنه كان صانع معجزات وسيد الرجال الذين يتلقون عنه الحقيقة بسعادة. وقد جذب إليه العديد من اليهود والهللينيين. أنه كان المسيح. وعندما حكم عليه بيلاطس بالصلب بناء على وشاية من مواطنينا الأوائل، لم يكف الذين كانوا يحبونه عن الإعجاب به لأنه ظهر لهم بعد ثلاثة أيام. لقد قام، إذ كان الأنبياء القدامى قد أعلنوا ذلك وآلاف الأشياء الأخرى بشأنه. والجماعة التي يطلق عليها المسيحيين لم تختف بعد»!

ولو كانت هذه الفقرة نصاً أصلياً لكانت حاسمة، إلا أن كافة العلماء يجمعون على أنها إضافة تحريفية لاحقة. فهي، من ناحية، لم تكن موجودة في أقدم نسخة من «آثار

اليهود»، تلك التي كان يمتلكها أوريجين في مطلع القرن الثالث والذي كان يؤكد أن فلافيوس جزويف كان يرفض «الاعتقاد بالمسيح» ومن المعروف أن فلافيوس جوزيف كان شديد التمسك باليهودية الفاريسية، وهو ما يبدو في كل أعماله، خاصة في سيرته الذاتية وفي الكتاب الهجومي الذي ألفه «ضد أبيون».

ويؤكد الأب جيلييه أمين مكتبة سانت جنفييف ومترجم أعمال فلافيوس جوزيف سنة ١٧٥٦: «**أن التناقضات والتحريف يتولد أمامي في كل خطوة. أنني مضطر إلى القول بأن كتاباته قد تم تعديلها بحيث أصبح يتناقض مع نفسه، وأخشى من تكرار ذلك القول وأثره غير الحميد على أعماله**».

ويوضح روجيه بترينييه (Roger Peytrignet) إن «**المسيحيين قد استولوا على أعمال جوزيف، إذ أن مواطنيه قد تباعدوا عنه، لانضمامه إلى صفوف الرومان، وراحوا يحرفونها وفقاً لهواهم**» («**يسوع المسيح أسطورة أم شخص تاريخي**» صفحة ٢٩).

ويؤكد كل من ألفاريك وكوشو، في كتاب لهما حول «**مشكلة يسوع وأصول المسيحية**» استحالة أن ينطق فلافيوس جوزيف بمثل هذا القول «**لأنه لو كان قد قاله حقاً لكان مسيحياً. إلا أنه كان شديد التعلق بيهوديته الفاريسية، وهو ما نطالعه في مؤلفاته اللاحقة**».

وإجماع آخر من كافة الباحثين على أن تلك الفقرة أضيفت بفعل فاعل يوضح أن الجزء الذي أضيفت فيه لا يتفق وسياق الكلام، حيث إن جوزيف كان يتحدث عن المصائب التي لحقت بمواطنيه أيام بيلاطس. وأنه إذا ما حذفت تلك الفقرة فإن سياق الكلام يتواصل بموضوعية واضحة!

أما أندريه فوتييه (André Vautier)، فيوضح في كتابه عن «**لغز يسوع**» أن فلافيوس جوزيف قد كتب عدة ترجمات «لحرب اليهود» وأن النص الآرامي له يرجع إلى عام ٧٥م. والنص اليوناني إلى ٧٩م. وأن هذه الترجمة اليونانية لا تتضمن أية إشارة إلى يسوع إلا أن الأبحاث قد دلت على أن الجزء الأول والأجزاء من ثلاثة إلى سبعة رائعة الصياغة والمضمون الدقيق، إلا أن الجزء الثاني الذي يقص الأحداث التي تتوافق والفترة التي عاش فيها يسوع رديئة الصياغة وغير متناسقة المضمون. وذلك دليل قاطع على أن هذا الجزء قد تم التلاعب فيه بأيدي النسّاخ المسيحيون. وهنا يوضح: «يجب علينا ألا ننسى أن القساوسة وحدهم هم الذين كانوا يجيدون القراءة والكتابة، وأن الأجزاء المتعلقة بيسوع وبيوحنا المعمدان قد قاموا بإلغائها من النسخ التي عملوها للنص اليوناني».

لذلك يؤكد أندريه فوتييه بإصرار واضح: «ان كتاب (**حرب اليهود**) والجزء الثامن عشر من كتاب «**التاريخ القديم لليهود**» اللذان يتناولان أحداث القرن الأول الميلادي «**تتضمن آثاراً شديدة الوضوح للتغيير والتبديل، والنصوص المدسوسة، والنصوص المحذوفة**».

ويشير فوتييه في الفصل الثالث من كتابه إلى أن مقدمة كتاب «**حرب اليهود ضد الرومان**»: «**النص اليوناني يتضمن ملخصاً لما سوف يتناوله الكتاب، وفي هذه المقدمة، فإن الكتاب في وضعه الراهن، ينتقل فجأة من حكم الامبراطور أغسطس إلى السنة الثانية عشرة من حكم الامبراطور نيرون**»!.

أي أنها فجوة تشتمل على حوال ستين عاماً «ومن اللافت للنظر أن هذه الفجوة هي الفترة التي تحتوي على نشاطات كل من يوحنا المعمدان، ويسوع الناصري، وبولس الطرسوسي».

ومن الواضح أنه لا يمكن لواحد في مثل دقة فلافيوس جوزيف أن يقفز متغاضياً عن مثل هذه الحقبة بكل ما بها من أحداث مصيرية. وهنا لا يمكن لأي دارس أمين إلا أن يشير بأصابع الاتهام إلى الأيادي العابثة في الكنيسة التي من الواضح أنها قامت، منذ لحظاتها الأولى، على عبثيات الغش والتحريف والتزوير.

لذلك يقول لويجي كاتشيولي: «إن الكنيسة قد حرفت الفقرات الواردة في مؤلفات فلافيوس جوزيف، واختلقت حريق روما الذي نسبته إلى نيرون حتى يمكن اعتبار الضحايا أو شهداء الأسينيين أنهم شهداء المسيحيين والعديد من الأكاذيب التي لا يكفي مجلداً لاستيعابها، إنها أكاذيب ما أن يكتشفها القارئ حتى تؤدي إلى نتيجة عكسية لما أراده المزيفون. وتكفي الإشارة إلى كم التحريف الذي قام به يوسبيوس، أسقف القيصرية (٣١٤ - ٣٤٠)، والذي يطلق عليه المؤرخون لقب «المزوِّر»، لنرى ما الذي قام به المسيحيون لمواجهة نقص الوثائق ولمحاولة إثبات الوجود التاريخي للشبح الذي أطلقوا عليه اسم يسوع» («**مهزأة المسيح**»، صفحة ١١١).

ويورد العالم القس السابق جي فو (Guy Fau) في كتابه المعنون «خرافة يسوع المسيح» «أن النصوص المتعلقة بيسوع المسيح ظهرت لأول مرة في القرن الرابع في أعمال يوسبيوس ولم تكن قد وُجدت بعد في كتاب «**الآثار العبرانية**» في عهد أوريجين (١٨٥ - ٢٥٤)، بما أنه هو بنفسه يؤكد في كتابه المعنون «**ضد سلسيوس**» أن فلافيوس جوزيف لم يتحدث أبداً عن يسوع يُدعى المسيح. **أن التزوير لشديد الوضوح لدرجة أن الكنيسة نفسها لم تعد تدافع عن تلك الفترة المدسوسة في أعمال فلافيوس جوزيف**».

جوست من طبرية: Juste de Tibériade

يعد جوست الطبري، أو من مدينة طبرية، مؤرخاً معاصراً لفلافيوس جوزيف ومنافساً له.. وقد كتب هو أيضاً كتاب بعنوان «**تاريخ اليهود**» وقد اختفى هذا الكتاب من الوجود حالياً وإن كان قد ظل حتى القرن التاسع. ونعلم من فوسيوس، بطريارك القسطنطينية أنه لم يذكر يسوع بكلمة واحدة، إذ دون في يومياته قائلاً: «**جوست لا يقول شيئاً عن مجيء المسيح ولا عن وقائع حياته ولا عن المعجزات التي قام بها**».

وهنا يؤكد روبير بترينييه: «إذا كانت قد تمت محاكمة يسوع بالظروف الوارد ذكرها في الأناجيل، لاضطر الحاكم أن يكتب تقريراً رسمياً إلى رئيسه وفقاً لما تقتضيه القواعد المتبعة ولكان قد تم حفظه في الأرشيف الامبراطوري. ويزعم الفيلسوف القديس جوستان (القرن الثاني الميلادي) أنه قد شاهد هذا المحضر شخصياً وكان أول من رآه، ولابد من وجوده في أرشيف الدولة، ولابد من أن يكون محتواه موافقاً تماماً لكل ما ورد بالأناجيل»!

إلا أن مثل هذا التأكيد الصادر عن أحد القديسين المشهود لهم بالولاء للكنيسة لدرجة أنها قامت بإضفاء صفة القداسة عليهم، هل يمكن أن تؤخذ في الاعتبار؟! فالمعروف أنها أحرقت كل من عارضها وقامت بإضفاء صفة القداسة على الذين تعاونوا معها في أغراضها.

التلمود

التلمود كلمة عبرية تعني «التعاليم». وهو يتضمن التعليمات والتعليقات المتعلقة بنصوص التوراة أو العهد القديم. ويعد التلمود تكملة للشرع المكتوب وتقنيناً للشرع الشفهي مؤكداً العقيدة التوراتية «للشعب المختار».

وقد تمت صياغة الجزء العقائدي فيه في القرن الثالث الميلادي بحيث يؤكد سيادة الدين اليهودي. ويزخر التلمود بالاتهامات ضد المسيحيين، الأمر الذي أدى إلى إدانته رسمياً في الغرب في القرون الوسطى.

ومن الصور الساخرة التي يحتوي عليها تريقة لاذعة ضد الأناجيل وضد من يطلقون عليه: «الابن المزعوم لله، غير الطاهر المولد، إذ أن والدته عاهرة يهودية اسمها مريم وجندي روماني من جنود الاحتلال اسمه بانتيرة». ويصف التلمود المعجزات التي قام

بها المسيح «بأعمال من السحر مأخوذة من عبادة الشياطين ولذلك حكم عليه بالموت لمحاولته إغراء الشعب اليهودي وحثه على الثورة».

ووفقاً للتلمود فإن المسيح لم يصلب وإنما تم رجمه ثم عُلق على شجرة. ويورد بيير دي جرانميزون (Pierre de Grandmaison) في كتابه عن «**يسوع المسيح**» نصاً آخر يقول: «وأخيراً تمت محاكمته في ليدّا واتهامه بالسحر والإرتداد. وقد وُضع على عمود التشهيد طوال الأربعين يوماً التي سبقت موته، وكان المنادي يعلن بصوت عال: هذا الشخص سيرجم لأنه مارس السحر وأضل إسرائيل. وأي شخص يعرف شيئاً لتبرأته ليتقدم بشهادته ويعلنها. لكن أحداً لم يتقدم وتم إعدامه يوم الاستعداد لعيد الفصح. ويقول آخرون أنه تم رجمه»!

وهنا لابد من الإشارة إلى موقف اليهود من المسيحية، فعلى الرغم من كل ما قدمه الفاتيكان من تنازلات تخرجه تماماً عن نصوص الأناجيل وعقائد المسيحيين بتبرأة اليهود من دم المسيح في مجمع الفاتيكان الثاني، وذلك رغم ٣٥ إشارة في إنجيل يوحنا وحده تتهم اليهود بقتل المسيح، فإن اليهود لم يغيروا من موقفهم ولا من نصوصهم التي تتهم مولد السيد المسيح بالسفاح والعياذ بالله.

المشناه:

والمشناه هي مجموعة من ٦٣ بحثاً لليهودية وتعليق على التوارة وتدوين للشرع الشفهي وتمثل القاعدة الأساسية للتلمود إضافة إلى تعليقين آخرين. وقد عثر هيلل (Hillel) البابلي، وهو أحد علماء الحخامات، على نسخة من المشناه سنة ٤٠ ق.م، في منطقة طبرية قرب بحر الجليل حيث دارت أحداث حياة يسوع. ومع ذلك فلا تتضمن المشناه أي شيء مطللقاً عن يسوع أو الحواريين رغم إنها تتناول كل «الهرطقات» التي تعرضت للمحكمة العليا اليهودية منذ ٤٠ ق.م حتى حوالي سنة ٢٣٧م.

وتعد المشناه بمثابة أو هي أشبه ما تكون بيوميات لأعمال المعبد اليهودي وتاريخ الفاريسيين الذين تم اتهامهم بقتل يسوع - كما يقولون - فكيف لم يحاول أي حخام أن يستبعد مثل هذه التهمة؟ أنه صمت يفسره بعض العلماء الحداث على أن يسوع قد وجد قبل التاريخ الذي بدأ فيه تدوين المشناه.

(ب) المؤرخون الوثنيون:

هناك ظاهرة لافتة للنظر وهي أنه ما من واحدٍ من الكتّاب اللاتين أو اليونان، في القرن الأول الميلادي، قد ذكر اسم يسوع. وإن كان هذا الصمت له مغزاه أو حتى إن لم يدل على شيء في حد ذلك، لكن، كيف لهم ألا يلحظوا وجود المسيحيين الأوائل أو لم يتحدثوا عنهم على الإطلاق. فما من واحد منهم قد ذكر مثلاً تلك الظلمات التي حطت على المدينة وخيمت على كل شيء عند وفاة يسوع. بل لم يشر أي واحد منهم حتى إلى احتمال حدوث كسوف للشمس ولو جزئياً! وما من واحد منهم قد لاحظ ذلك النجم اللامع الذي أرشد خطى ملوك الأعاجم، بل ولم يلحظه أي عالم فلك أو أي مراقب حتى للسماء.

ويتحدث المؤرخ السوري لوسيان أنه سمع، قبل وفاته، سنة ١٩٠م، عن ساحر أدخل طقساً جديداً قائماً على الأسرار الخفية في فلسطين وأنه قد صلب. وفي روايته المعنونة «موت بريجينوس» تكلم عن ذلك الطقس الجديد قائلاً: «وكانوا يعبدون مُغالطهم المصلوب». ويقول روبير بترينييه إن هذه العبارة لها أهميتها بالفعل «لأن المسيحية في البداية تم تقديمها على إنها عبادة ذات أسرار».

ومن الغريب أن لوسيان السوري، حتى أواخر القرن الثاني، لم يكن قد سمع شيئاً لا عن صلب المسيح ولا عن الأناجيل، وذلك رغم قربه من تلك المنطقة التي توصف بأنها مهد المسيحية، خاصة وأنه كان يسخر من كل العبادات.

كما أن المؤرخين اللاتين لا يذكروا شيئاً عن مذبحة آلاف الأطفال الأبرياء التي أمر بها الملك هيرود. ويعجب الباحثون من صمت المؤرخين فيما يتعلق بقيام الأموات وتجولهم في شوارع المدينة بأكفانهم.. ومثل هذه الأحداث لو كانت قد وقعت فعلاً للفتت نظر أي مؤرخ من المؤرخين الذين عاصروها أو أتوا في القرن التالي لها.

بيلاطس:

إذا كان القديس جوستان قد زعم، في منتصف القرن الثاني، أنه قد اطلع على التقرير الذي رفعه بيلاطس إلى رئيسه، فهو لم يقرأه بالفعل وإنما افترض وجوده فحسب ضمن أوراق الدولة ومستنداتها. وإن كان ترتوليان، وهو يعد أول الكتاب المسيحيين باللغة اللاتينية، قد راح يكرر قول القديس جوستان، فإن وقائع التاريخ تناقض هذه العبارة.

ففي مطلع القرن الرابع قام الامبراطور ماكسيما دايا بنشر وتوزيع «أعمال بيلاطس». وقد وصفها المؤرخ يوسبيوس بأنها «مليئة بالشتائم ضد المسيح» لذلك قال إنها من النصوص المحتجبة، أو التي يجب أن تحجب لسبب فاصل: إنها تتحدث عن صلب المسيح في السنة السابقة من حكم تيبريوس، أي في سنة ٢١، في حين أن بيلاطس قد عين حاكماً على فلسطين في سنة ٢٦».

وفيما بعد، قام المسيحيون بإعادة نشر «أعمال بيلاطس» حيث نراه يتولى الدفاع عن يسوع المسيح! وكان هذا الكتاب يحتل الصدارة في آداب القرون الوسطى، وقد ضُم بعد ذلك إلى إنجيل نيكوميد. ويوضح روجيه بترينييه أنه ما من مؤرخ في يومنا هذا يعتبر هذا النص نصاً أصلياً وأن الجميع يعتبرونه من الروايات، مؤكداً: «وفي نهاية القول، إننا لا نمتلك أية وثيقة رسمية ولا أي تقرير رسمي أو شهادة رسمية حول يسوع من روما الوثنية».

سويتونيوس: (حوالي ٦٩ - حوالي ١٢٦) Suétone

عاش سويتونيوس في الفترة ما بين ٦٩ و١٢٦م، وكتب سيرة أثنى عشر امبراطوراً رومانياً، من يوليوس قيصر، المتوفى ٤٤ق.م، حتى دومشيان المتوفى سنة ٩٦م. وهو معاصر تاسيتس وصديق للفيلسوف بليني الأصغر. وقد شغل منصب سكرتيراً للامبراطور سبتكيوس كلاروس وكان مسؤولاً عن الأرشيف الامبراطوري.

وتأتي سيرته للامبراطور يبريوس، المولد سنة ٤٢ ق.م والمتوفى سنة ٣٧م فرضاً مواكبة لحياة يسوع، إلا أنه من الصعب أن نجد بها أية إشارة إليه أو إلى أي من تفاصيل حياته. أما في سيرته عن كلوديوس، المولود سنة ١٠م والمتوفى سنة ٥٤م، فيؤكد سويتون أنه في بداية حكمه «قد طرد اليهود من روما لأنهم كثيراً ما كانوا يثيرون القلاقل بقيادة المحرض كرستوس (impulsore Chrestos)». وقد تمت هذه الواقعة سنة ٤١م. أما سويتون فقد كتب هذه الأسطر حوالي سنة ١٢٠م، وهو تاريخ جد بعيد عن الأحداث المذكورة.

والغريب في الأمر أن كلا من فيلون أو فلافيوس جوزيف لم يذكرا شيئاً حول هذا الموضوع، بل على العكس من ذلك، فإن جوزيف يتحدث عن كلوديوس على أنه حاكم متفهم لعادات وتقاليد اليهود.

وهنا لابد من وقفة تتعلق باسم كرستوس Chrestos والتفرقة بينه وبين اسم Chris-tos. فهذا الأخير يعني المدهون بالزيت أو المسيح، أما الأول فهو اسم شائع ويعني باليونانية «الطيب» أو «الأفضل». وكان شديد الانتشار بين العبيد ولدى اليهود. وقد

أشار الباحث لينك إلى أن اسم كرستوس قد ورد أكثر من ثمانين مرة في النصوص اللاتينية.

ويورد ديون كاسيوس، على عكس سويتون، «أن اليهود كانوا من الكثرة في روما بحيث يصعب طردهم دون إثارة القلاقل، قائلاً إن كلوديوس لم يطردهم وإنما اعترض على اجتماعاتهم التي ينص عليها شرعهم». وبناء على ذلك يرى روبير بترينييه أنه وحتى وإن قام الامبراطور بطرد بعض اليهود، فلم يكن بينهم مسيحياً واحداً في روما حتى سنة ٤١م، مثلما لم يكن هناك أي مسيحي في مدينة بومباي (الإيطالية) سنة ٧٩م.

لذلك يقول «لو افترضنا جدلاً أن كرستوس سويتون هو يسوع المسيح، فإن يسوع لم يمت أيام تيبريوس. والاعتماد على نص سويتون لإثبات تاريخية يسوع يعد بمثابة أضحوكة».

أما ميشيل كوكيه (Michel Coquet) فيوضح أن اسم كرستوس (Chrestos) كان موجوداً منذ القرن الخامس قبل الميلاد وقد استخدمه كل من اشيليوس وهيرودوت وغيرهما. وهو اسم يقابل اسم سوتير باليونانية ويعني منقذ.

تاسيتوس: (٥٥- ١٢٠) Tacite

تاسيتوس مؤرخ لاتيني عاش فيما بين عامي ٥٥ و١٢٠م، وقد اشتهر بجمال لغته الأدبية. وفي «الحوليات» التي كتبها يتعرض إلى شائعات تتهم نيرون بإشعال حرائق روما عام ٦٤م والتي قام الامبراطور باتهام المسيحيين بإشعالها. ويقول تاسيتوس: «إن اسم المسيحيين مشتق من المسيح الذي حكم عليه بالموت أيام حكم تيبريوس من الحاكم بيلاطس البنطي».

ويوضح ميشيل كوكيه أن هذا النص يرجع إلى القرن الحادي عشر ولم يُعرف إلا سنة ١٤٢٩م ودخل مكتبة مديتشي سنة ١٤٤٤: «وبعد الأبحاث الجادة التي أجريت عليه لمعرفة أصالة الوثيقة أجمع العلماء أن هذه الفقرة الخاصة بالمسيح مزيفة ودخيلة على النص الأصلي». وتشير الأصابع إلى أن بودج (Podge)، وكان سكرتيراً لعدد من الباباوات هو الذي دس هذه الجملة.

ويسخر ميشيل كوكيه قائلاً: «نتمنى للمسيحيين أن يُعد هذا النص من النصوص

الممنوعة عن التداول لأنه وإن كان قد تحدث عن موت المسيح إلا أنه لا يقول شيئاً عن بعثه: وبالنسبة للعقيدة المسيحية فإن الحدثين، الموت والبعث، لا انفصام بينهما. وبما أن تاسيتوس استبعد قيام يسوع وأورد ببساطة خبر موته فذلك راجع إلى أن كل إنسان يموت.. وفي النهاية، إن هذا النص الذي ينكر البعث أو القيام لا يمكنه إثبات وفاة المسيح»!

وأياً كان الأمر فقد كتب تاسيتوس حولياته حوالي سنة ١١٧، وكان عدد المسيحيين قد تزايد في روما وبدأت حياة يسوع تنتشر بينهم. وإذا ما كان قد كتب هذه الجملة فعلاً فيمكن أن يكون قد استقاها من المسيحيين أنفسهم. وما أكثر ما كانوا يروجونه. وكان سِلْسَسْ Celsus يؤكد «أنهم قد غيروا وبدّلوا في نصوص الأناجيل وفقاً لهواهم، ثلاث أو أربع مرات أو أكثر في النصوص البدائية لاستبعاد ما كان يُعترض عليه».

سينيكا: (٤ ق.م - ٦٥م) Sénéque

يعد سينيكا من فلاسفة القرن الأول، وقد عاش فيما بين ٤ ق.م و٦٥، أي في الفترة الشديدة القرب ببداية المسيحية، فلم يذكر شيئاً عن يسوع. ولم يتورع القديس جيروم أن يجعل منه واحداً من أباء الكنيسة، وقد قامت الأيادي العابثة بملء هذه الفجوة باختلاق مراسلات بين سينيك والقديس بولس. لكن سرعان ما تكشفت عمليات التزوير لتدين هذه الخدعة بأنها أحط تزوير يدين مصداقية تلك الأيادي.

(جـ) المؤرخون اليونان:

بلوتارك: (٥٠ - ١٢٥م) Plutarque

يعد بلوتارك، المؤرخ اليوناني الذي عاش فيما بين عامي ٥٠ و١٢٥م، مؤلف «مشاهير الرجال» إلا أنه لا يقول شيئاً عن يسوع. وعلى الرغم من أسفاره المتعددة في أثينا وروما والإسكندرية مجاوراً لليهود، فلم يلحظ وجود المسيحيين ولم يتحدث إلا عن اليهود وأحوالهم.



بليني القديم (٢٣ - ٧٩م) Pline L'Ancien

عاش بليني القديم فيما بين ٢٣ و٧٩م وكان من علماء الطبيعة إضافة إلى كونه أديباً وهو عم بليني الصغير. فقد ذهب إلى فلسطين حوالي عام ٦٠م مع الجيش الروماني.

ولم تكن الأحداث قد خبأت فرضاً حول حياة يسوع ومعجزاته، بل كان من الممكن أن يقابل أي فرد من الذين عاصروه، لكن في كل مؤلفاته التي يبلغ عددها مائة وخمسون مجلداً فهو لا يذكر كلمة واحدة عن يسوع وأحداثه.

أبوللونيوس من طوانه (توفي عام ٩٧) Apollonius de Tyane (طوانه بين قونية وطرسوس)

لا نعرف الكثير عن شخصية أبوللونيوس الطواني الذي يقال إنه عاش في أواخر القرن الأول الميلادي. إلا أنه كشخصية أسطورية قد لعب دوراً عظيم الأثر في الصراع ضد المسيحية في أواخر العصور القديمة، لأن الناس كانوا يطلقون عليه أنه المسيح - خاصة وأنه كان موجوداً في نفس الفترة التي عاش فيها السيد المسيح.

وفي مطلع القرن الثالث، حينما قام الأديب فيلوسترات Philostrate بكتابة تاريخ حياة «**أبوللونيوس الطواني**»، لم يشك في النجاح الذي كان سيلاقيه بطله ولا المعنى الذي اكتسبه بشدة الشبه بينه وبين يسوع المسيح. فقد كان يحاول التعبير من خلاله عن الإنسان الحكيم المثالي، عن ذلك الإنسان الإلهي، المتقشف، الصامت، والذي كان يعلم الناس أن «تمجيد الله العلي لا يكون بالأضاحي الدامية وإنما بنقاء القلب، كما كان معروفاً عنه أنه يفهم لغة الطيور، ملمّ بلغات الكون، عليم بأغوار القلوب والنبوءات وشفاء الناس».

وظل الشعب حتى أواخر القرن الثالث يؤمن بأنه كان المسيح، حتى في بيزنطة المسيحية نفسها، كانوا يتبركون بتعاويز حامية منسوبة إليه.

ويؤكد إيمانويل إيفسينج (Emmanuel Evsing) في كتابه المعنون: «**من سيد العدالة إلى يسوع أو التاريخ الذي تم تحريفه**» (١٩٧٩)، «أنه لا يمكن لأي شيء إثبات أنه لا توجد تداخلات شديدة الوضوح بين الاثنين» (صفحة ٥٩) بل يؤكد في الفصل الأول من كتابه أن يسوع عبارة عن خليط من وقائع حياة سيد العدالة لدى الاسينيين، ويسوع، وابوللونيوس الطواني».

ويضيف بعد ذلك قائلاً: «إن كافة الاستشهادات التي استعانت بها الكنيسة من سفر أشعياء لتنسج بها قصة يسوع نبؤات بصيغة الماضي، أي أنها وقعت وتمت، فكيف يمكنها أن تتنبئ عن المستقبل؟».

سيلس (القرن الثاني) Celse

يُعد كتاب «الخطاب الحق» الذي كتبه المفكر سيلس حوالي عام ١٧٨م. النقد المنهجي الوحيد للمسيحية الوليدة في عصر الوثنية. ولا يعرف الكثير عن حياته إلا أنه قد سافر إلى كل من فلسطين وفينقيا ومصر. وقد أهدى له الفيلسوف اليوناني لوسيان دي ساموزات (١٢٥ - ١٩٢) بحثه حول «ألِكسندر الأبونوطيقي» عام ١٨٠م، قائلاً: «إلى سيلس، إلى زميلي وصديقي الذي أُعجب به لحكمته، وحبه للحق، ودماثة خلقه، وصفاء حياته، وتفانيه تجاه كل من يعرفهم».

و«**الخطاب الحق**» هجوم موضوعي شديد الدقة ضد المسيحية، بلا تعصب ولا إجحاف، بل شديد الأمانة والإخلاص. فمن خلال تحليل منطقي الوضوح يبرز سيلس كل تناقضات ذلك الدين الجديد، وكلها تناقضات سوف يتناولها العلماء ورجال الدين المنشقين عن الكنيسة في هجومهم عليها ابتداء من القرن السادس عشر، مع ما عُرف باسم بداية عصر التنوير.

ولا يعني ذلك أن سيلس كان ملحداً. بل على العكس من ذلك لقد كان شديد الإيمان بالله، بإله خالق الكون وكل الخلائق، إله ليس كمثله شيء. وكان أكثر ما يهتم به هو سلامة الدولة، ومن أهم ما كان يتبنيه آنذاك أن «أي انتصار للمسيحية سيؤدي حتماً إلى انهيار في الوطنية».

ونطالع في موسوعة أونيفرساليس الفرنسية أن كتاب «**الخطاب الحق**» قد ضاع تماماً، وهو ما يُفهم منه أنه من النصوص التي أبادتها الأدياي العابثة في الكنيسة الوليدة آنذاك. إلا أنه قد أمكن استعادة تكوينه من الرد المطول والقائم على الشرح والتبرير الذي كتبه أوريجون، حوالي عام ٢٤٨م، والذي كان يستشهد جزءاً جزءاً من كتاب سيلس ليرد عليه.

وتقول الموسوعة «أن نقد سيلس شديد القوة عميق الفهم، وإن كان أسلوبه يصل أحياناً إلى درجة من الحدة. وكان سيلس يرى أن تعاليم المسيحيين ليست إلا حماقات ولا أخلاقيات وأن أصل مذهبهم همجي ولا يأتي بأي جديد فكل ما تتكون منه المسيحية موجود في الديانات الوثنية التي تتفوق عليها بالعمق الزمني. ونصوص الأناجيل عبارة عن أساطير فظة ولا أساس لها من الصحة مثال الحمل العذري، والمعجزات التي ليست سوى ألاعيب من السحر، وقصة البعث التي لم تشهدها سوى امرأة مشكوك في ذمتها، وتجسد الله في شكل إنسان هي خرافة بحتة ولا يقبلها عاقل،

إذ أن عملية التجسد هذه تقتضي تغييراً في الله الذي ليس كمثله شيء. كما كان سيلس ينتقد عملية العفو التي يقوم بها المسيح والقساوسة من بعده».

وقد كان سيلس يرى أن المسيحية تمثل خطراً على أمن الدولة من حيث إن المسيحيين عبارة عن شذرمة من الثوريين المتعصبين الذين يعيشون على هامش الدولة ويحيكون أساطير عقيدتهم في الخفاء، بل كان يرى المسيحية كنوع من الإنحراف الذي لا أساس ولا سند تاريخي له. وبعد ستين عاماً من تداول كتاب «**الخطاب الحق**» وزيادة انتشاره، طلب القس إمبرواز من الفيلسوف أوريجون (Origéne) أن يفند دعواه بالتفصيل. وأتى رد أوريجون بعنوان «**ضد سيلس**» في ثمانية مجلدات. وبفضل هذه المجلدات الثمانية عرف العالم ما كتبه سيلس من نقد شديد للمسيحية الناشئة آنذاك، بعد أن أبادته الكنيسة.

ومما انتقده سيلس في تلك المسيحية الناشئة ما يلي:

● في الآونة الأخيرة عثر المسيحيون بين اليهود على موسى جديد أغراهم أكثر من الأول. ويقولون عنه إنه ابن الله وأنه مؤلف عقيدتهم الجديدة. وقد جمع من حوله وبلا اختيار شذرمة من البسطاء الذين لا خلق ولا خلاق لهم، أفظاظ عادة ما يمثلون تلك الفئة الملتفة حول الدجالين والمحتالين، بحيث إن أولئك الذين تقبلوا هذه العقيدة يكشفون عن مدى الثقة التي يمكن أن نضعها فيها.

● أي إله وأي ابن إله ذلك الذي لم يستطع أبوه أن ينقذه من أكثر أنواع العذاب فضيحة، بل ولم يتمكن من إنقاذ نفسه!

● إذا كان عيسى يود حقاً الإفصاح عن صفته كإله فكان يتعين عليه أن يظهر نفسه لأعدائه (بعد بعثه)، وللحاكم الذي أدانه، وأن يظهر نفسه للجميع، لأنه إذا ما كان قد اجتاز تجربة الموت، إضافة إلى كونه ربنا كما تزعمون، فما كان يجب عليه أن يخشى أحداً، لأنه على ما يبدو لم يبعث لكي يخفي شخصيته!

● إن من تطلقون عليه اسم يسوع، لم يكن إلا رئيساً لعصابة من قطاع الطرق والمتسكعين، ولم تكن المعجزات التي تنسبونها إليه إلا ظواهر تتم بناء على معرفة بعض أنواع السحر والخدع الغيبية. والحقيقة هي أن كل هذه ا لوقائع المزعومة ليست سوى أساطير صنعتموها بأنفسكم دون حتى أن تنجحوا في إضفاء مسحة من المصداقية عليها. والجميع يعلمون أن ما كتبتموه هو نتيجة للتعديلات التي تمت بعد الانتقادات التي وجهت إليكم.

● ترى ما هو الغرض من تجسد الله ونزوله على الأرض كما تزعمون؟ أهو بهدف أن يعرف ما يدور بين الناس؟ لكن، أليس الله عليماً بكل شيء؟ أم أنه بعلمه كل شيء فإن قدرته الإلهية محدودة ولا يمكنه إصلاح أي شيء إن لم ينزل بنفسه أو أن يرسل مندوباً عنه؟!

● هل يمكن لأي جسد بعد أن يتحلل أن يعود إلى حالته الأولى؟ وإذ تخرسهم الإجابة، لا يجد المسيحيون ما يقولونه سوى أن كل شيء ممكن بالنسبة لله. لكن الله الحق لا يمكنه أن يفعل شيئاً مخزياً ولا أن يطلب شيئاً منافياً للطبيعة.

وإذا ما كان النقد الذي يوجهه سيلس للمسيحيين أو للمسيحية يدخل إجمالاً في دائرة النقد إلا أن هناك فقرة تستوجب التوقف والدراسة لأهميتها بالنسبة لحياة يسوع. وفيها يوجه سيلس الكلام إلى يسوع مباشرة قائلاً: «لقد بدأت بأن اختلقت لنفسك نسباً مجيداً بزعم أنك ولدت من عذراء. وفي الواقع أن أصلك من كوخ متواضع في اليهودية، وابن ريفية مسكينة كانت تقتات من عملها. وقد وقعت في الزنا مع جندي روماني اسمه بانتيرا، وقد طردها زوجها النجار (...) وسافرت إلى مصر حيث رحت تعمل بساعديك بالأجر، وهناك قد تعلمت بعضاً من تلك الألعاب السحرية التي يجيدها المصريون، ثم عدت إلى بلدك مزهواً بالأعمال السحرية التي تجيدها وأعلنت نفسك إلهاً».

وبغض الطرف عما في هذا النص من تجريح بالسيدة مريم - وإن كان لا يزال الاتهام وارداً بالأناجيل، فإن ما يستوقف الانتباه هنا هو ذهاب يسوع إلى مصر وبقائه فيها فترة طويلة وتعلمه الأعمال الخارقة التي كان يجيدها العديد من الكهنة المصريين القدماء. إنها نقطة جديرة بالبحث والدراسة خاصة أن حياة يسوع من سن الثانية عشرة حتى سن الثلاثين في غموض مطلق ولا أحد يعلم عنها أي شيء.

وفي كتاب للعالم الفرنسي لويس روجييه (Louis Rougier) بعنوان «**الخطاب الحق ضد المسيحيين**»، يشير إلى ظاهرة لافتة للنظر حول أصول المسيحية الأولى والاهتمام الذي يكاد لا يذكر الذي أثارته دعاية الديانة الجديدة في المجتمع الوثني حتى النصف الثاني من القرن الميلادي الثاني. موضحاً كيف أن اسم المسيح قد تسلل خلسة في التاريخ العلماني، بأبجدية خطأ في الكتاب الذي ألفه سويتون عن «حياة اثنا عشر قيصراً»، حيث يقول المؤلف بمناسبة أحد أفعال كلوديوس: «لقد طرد من روما كل اليهود الذين كانوا في هيجان شعبي متواصل بسبب تحريض واحد اسمه كرستوس (Chrestus)».

وبعد ذلك بقليل، أيام نيرون، يورد كاتب حولياته عبارة: «أنه قد تم فرض عقاب على المسيحيين، تلك الفئة من الرجال الذين يتبعون شعوذة ديانه مؤذية». ثم يوضح لويس روجييه أن تاسيتوس وهو يكتب بعد ذلك بنصف قرن عن الأحداث التي يرويها وقبل سويتون، يعلن أن نيرون، لكي يحد من الشائعات التي كانت تتهمه بحريق روما سنة ٦٤م، قدم بعض المتهمين إلى المحاكمة ممن كان يطلق عليهم العوام عبارة «مسيحيون».

ويشير روجييه إلى أن تاسيتوس يقدم المسيحيين في كتاباته على إنها فئة من أحط الطبقات وهم «مكروهون لرجسهم (Flagitio)، ومضطهدون لأنهم كانوا يعترفون بذلك، والبعض الآخر لأنهم كانوا مقتنعين بعدائهم للجنس البشري».

ومن الناحية التاريخية، فإن خطاب بليني، أيام كان حاكماً لبلدة بيتاني، والذي أرسله إلى الامبراطور تراجان سنة ١١٢م، يعد أقدم وثيقة في النصوص العامة والمتعلقة بالمسيحيين، وهي في نفس الوقت الشهادة الأقل غموضاً عن النقص الشديد في المعلومات، في مطلع القرن الثاني، وسط الطبقات المثقفة فيما يتعلق بموضوع الطائفة الجديدة.

ويقول روجييه، «على الرغم من أهميته الكبيرة، فإن كتاب سيلس قد مر وكأن أحداً لم يلحظه، فالمسيحيون في أواخر القرن الثاني ومطلع القرن الثالث لا يتحدثون عنه أبداً. وعندما قام قسطنطين صبيحة مجمع نيقية سنة ٣٢٥، ثم بعد ذلك بعام تقريباً، قرر هدم المعابد الوثنية. وفي سنة ٤٩٩، عندما قام الامبراطور المسيحي تيودوز الثاني ومن بعده فالنتينيان الثالث بإصدار أمر «بهدم كل ما كان يمكنه إثارة الغضب الإلهي ويجرح النفوس»، لم يذكر كتاب سيلس مع أعمال بورفير وآريوس، ويمكننا تخمين أن النص الأصلي كان قد ضاع منذ فترة طويلة» (صفحة ٣١).

ثم يشير إلى أن أوريجون قد كتب فيما بين ٢٤٦ و٢٤٩ ثمانية كتب لتفنيد الكتب الأربعة التي كانت تتضمن النص الأصلي الذي كتبه سيلس. وبفضل ردود أوريجون، يقول روجييه: «أصبحنا بذلك نمتلك ٩ على ١٠ من المادة الأصلية و٧ على ١٠ من كلمات الكتاب الذي خطه سيلس. وبفضل ذلك الرد وحده أمكننا استعادة النص الأصلي للكتاب».. ويورد روجييه مائة وستة عشر بنداً من البنود التي تمثل إدانة سيلس للمسيحية والمسيحيين.

ومما قاله سيلس في مقدمة كتابه، ويرد تحت البند رقم ٤ من كتاب روجييه: (...) «إن الذين يؤمنون بشيء دون أن يتفحصوه، ويؤمنوا بكل ما يقال لهم، أشبه ما يكونوا

بأولئك البؤساء الذين يقعون فريسة الدجالين، والذين ينساقون خلف كهنة الإله ميثرا أو سبازيوس وعبدة هيكانت أو الآلهة الأخرى المشابهة، برؤوس تترنح من هوسهم واحتيالهم. ونفس الشيء بالنسبة للمسيحيين، فما من واحد منهم يريد تقديم الأسباب التي دعتهم إلى ما تبنوه أو يسمعوا أي شيء. فهم يرددون جيمعاً وكأنهم على اتفاق: «لا تبحثوا شيئاً، عليكم بالإيمان، إن إيمانكم وحده هو الذي سينقذكم» (صفحة ٣٨).

پورفير (٢٣٤ - حوالي ٣١٠) Porphyre

لعب پورفير دورًا هامًا في تطور الفكر في أواخر العصور القديمة وطوال العصور الوسطى، وعمله الضخم ترك أثرًا واضحًا بين العديد من المؤلفين اليونانيين واللاتين والعرب. إذ يتضمن كشف أعماله ٧٧ عنوانًا تمتد أبحاثه خلالها إلى أهم الميادين التي شغلت عصره وهي القواعد اللغوية، وعلم البلاغة وعلم الفلك والرياضيات، والأساطير، والدين، وتاريخ الفلسفة، وعلم الأخلاق، والفيزياء، وما وراء الطبيعية، إضافة إلى قيامه بنشر أعمال أستاذه أفلوطين.

ومما يؤسف له أن معظم أعماله قد «ضاعت» لأنه قد كتب بحثًا بعنوان: «**ضد المسيحيين**». - وهو نفس العنوان الذي كان قد استخدمه سيلس فقد «قام كل من قسطنطين وفالنتينيان، وتيودوز بحرق كل الكتابات التي يمكنها «أن تثير غضب الرب أو جرح شعور الأرواح» (روجيه بيترينييه، صفحة ١٧٥). وقد هنأ الأب أغسطين السلطات التي تصدت لحماية أعماله التي تمجد في المسيحية. أما جريجوار الأعظم فقد أمر بحرق المكتبة العامة وأمر بهدم كل الكتب غير الدينية، والمقصود بها الكتب التي تهاجم المسيحية.

ويقول پيير هادوت (P. Hadot) في كتابه عن «**پورفير وفيلتورينوس**»: «إذا كانت المسيحية، مثلها مثل اليهودية، ديانة تراثية لشعب معيّن، لأفرد لها پورفير مكانًا واسعًا في أعماله المتعلقة بالدين، لأنه يرى أنها تفتقر إلى أي أساس تاريخي، ومع ذلك تزعم المسيحية بأنها ديانة عالمية ومطلقة، ومن ناحية أخرى أنها تتضمن مفاهيم عبثية ولا عقلانية بالنسبة لله. لذلك فهو يدينها من وجهة نظر الديانات المعينة ومن وجهة نظر التصعيد الفلسفي».

ويقول هادوت في عرضه لكتاب پورفير والوارد في موسوعة أونيفرساليس الفرنسية (مجلد ١٨ صفحة ٧٤١)، «إن الديانة المسيحية ليست قائمة على أي أساس تاريخي،

وتحاول أن تجد لنفسها جذورًا في التراث اليهودي، إلا أن المسيحيين لا يكفون عن الاستحواذ على تاريخ الشعب اليهودي والذي لا يحترم حتى تراثه القومي. ولا يوجد مطلقًا ما يبرر هذا الاستحواذ: فالكتابات اليهودية لا شأن لها بالكتابات المسيحية. ومن ناحية أخرى، لا يبقى أي شيء من كتابات موسى فقد احترقت كل أعماله مع المعبد (٥٥٠ق.م). وما بقي باسمه قد تم تأليفه بعد أكثر من ألف عام، ومن كتبه هو الكاهن عزرا. وكذلك كتاب دانيال، فهو ليس من زمن سيرس. أنها نبؤات كتبت بعد الأحداث في وقت انطيوقس إبيڤان». ومن هنا نرى كيف كان پورفير سباقًا فيما توصل إليه على مدرسة النقد التاريخي للنصوص المقدسة.

كما كان ينتقد «**أن الأصول التراثية المسيحية لا قيمة تاريخية لها لأن القصص الإنجيلية مليئة بالمتناقضات وبعدم التوافق. وقد قام الحواريون بتحريف تعاليم يسوع. وبالتالي فالمسيحية لا تمتلك أصالة تراثها**». ومن ناحية ثانية ينتقد پورفير الفكرة التي لدى المسيحيين عن الله قائلاً: «إن إلههم في نظرهم عبارة عن طاغية له نزوات متقلبة وغير متوقعة وقد قام وسوف يقوم بأعمال عشوائية تمامًا ومنها: خلقه العالم في لحظة ما، واختيار الشعب اليهودي، وفكرة التجسد، والبعث، وأخيرًا هدم العالم الذي قام هو بخلقه.. ثم يقول المسيحيون إن «الله قادر على كل شيء»، إلا أنه لا يستطيع أن يجعلني أقتنع بأن اثنين زائد اثنين يساوي مائتين وليس أربعة!».

لذلك يتحفظ پورفير على ما طالعه في الأناجيل وينتقدها إجمالاً قائلاً: «**إن كتبة الأناجيل هم مؤلفو الأشياء التي يحكونها عن يسوع وليسوا مؤرخيها**». وكانت عباراته هذه وكل ما ورد في كتابه «ضد المسيحيين» كافيًا ليقوم الإمبراطور الروماني تيودوز (٣٧٩ – ٣٩٥) بإصدار قانون «يعاقب بالموت كل من يمتلك كتبًا من أعمال پورفير»!

ومما قاله پورفير حول عملية صلب يسوع: «من الواضح أن هذه القصة الملفّقة إما إنها خاصة بأكثر من مصلوب، أو أنها تتعلق بشخص لا يعرف ولا يفهم من حوله أي شيء عنه. وبما أن هؤلاء القوم، كتبة الأناجيل، قد عجزوا عن قول حقيقة كيف مات ولم يكتبوا سوى اختلاقات، فذلك يعني أن كل ما كتبوه لا يوجد فيه أي شيء يستحق ثقتنا» «**يسوع ضد يسوع**» (صفحة ٩٢).

(د) - الإمبراطور چوليان (٣٣١ - ٣٦٣) L'Empereur Julien

أو چوليان المرتد:

لقد امتد حكم الإمبراطور چوليان ٢٢ شهرًا من ٣٦١ إلى ٣٦٣، حاول خلالها تغيير نسق الدولة تغييرًا جذريًا. فقد حاول الابتعاد عن الاستبداد البيروقراطي والعودة إلى بساطة الأباطرة القدامى ووقف عملية تنصير الإمبراطورية، تلك العملية التي كان قد بدأها قسطنطين وأولاده، والعودة إلى الديانة الوثنية.

كان چوليان ابن شقيق قسطنطين الذي عند وفاته قام أبناؤه الثلاثة باغتيال جميع أفراد هذا الفرع من الأسرة. ولم ينج سوى چوليان وشقيقه جالوس لصغر سنهما، وفُرض عليهما الدخول في سلك الرهبنة، وكان چوليان في السادسة من العمر عندما شاهد هذه المجزرة بعينيه.. ولعل كثرة ما رآه وعاصره من استبداد رجال الدين المسيحي وجرائمهم هو الذي دفعه عام ٣٥١ إلى الارتداد عن المسيحية والعودة إلى الوثنية.

وإذا ما تأملنا تاريخ ميلاده ووفاته، نرى أنه قد ولد بعد أن قامت الأيادي العابثة في المؤسسة الكنيسية بتأليه السيد المسيح بستة أعوام، وتوفي مقتولاً قبل انعقاد مجمع القسطنطينية الذي تم فيه اختلاق بدعة الثالوث بثمانية عشر عامًا. أي أنه عاش ومات في فترة من أكثر الفترات شراسة للكنيسة التي كانت تسعى بكل الوسائل لاستتباب عقائدها.

وما أن تولى چوليان الحكم حتى بدأ باستبعاد الفاسدين من الوظائف العامة وأضعف شوكة البوليس السياسي وخفض الضرائب وأعاد التسامح الديني وفتح المعابد الوثنية وألغى امتيازات رجال الدين المسيحي. وقد أصبح عداءه للمسيحيين من الصرامة بحيث استبعدهم من كافة الوظائف العامة ومنعهم من ممارسة مهنة التعليم، فما كان من رجال الكنيسة إلا أن رتبوا اغتياله في إحدى المعارك الحربية التي خاضها ضد الفرس، فقام حارسه الشخصي بتنفيذ عملية اغتياله.

ومن أهم سمات الإمبراطور چوليان اهتمامه بالثقافة والفلسفة، ومن أشهر مؤلفاته كتاب عنوان: «**خطاب الإمبراطور چوليان ضد طائفة الجليليين**». والواضح من العنوان أنه على الرغم من استحواذ المسيحيين على منافذ السلطة إلا أنهم كانوا حتى أيام الإمبراطور چوليان عبارة عن مجرد «طائفة» من منطقة الجليل.

واحتفاظ التاريخ بالصفة التي فرضتها عليه الكنيسة: چوليان المرتد، لأكبر دليل على

جبروت القهر والدسائس التي كانت تمارسها المؤسسة الكنسية ولا تزال.. فقد قامت بحرق كل ما كان يدينها أو يتعارض معها أو يفضح مخططاتها في كتابات چوليان. ولو لم يقم الأسقف سيريل - بعد أربعين عامًا - بالرد على كتاب چوليان، والاستشهاد بالكثير من أجزائه لما بقي منه أي أثر في يومنا هذا.

وقد قام المركيز دارجنس (١٧٠٤ - ١٧٧١) D'Argens بترجمة ما تبقى من خطاب الإمبراطور چوليان، بناء على طلب الإمبراطور فريدريك الأعظم إمبراطور بروسيا، وذلك سنة ١٧٦٨.

ومما قاله الإمبراطور چوليان في خطابه ضد المسيحيين النقاط التالية:

● أيها الجليليون، إذا كان الله يريد ألا يُعبد سواه، وهي أولى الوصايا، لماذا تعبدون ذلك الابن المزعوم الذي فرضتموه عليه؟ (...).

● لا يمكن القول بوضوح أكثر أن يسوع كان مجرد إنسان.. وقد تجرأتوا عليه بالتدريج: فجعلتوه ممسوحًا، ثم مسيحًا، ثم ابن الله، ثم الله! وهكذا استتب لكم كل شيء.. إن الخطوة الأولى عادة ما تكون مفزعة، أما الخطوة الأخيرة فلا تكلف شيئًا (...).

● أيها الجليليون، لقد انشققتم عنا وانتقلتم كالهاربين من الخدمة إلى مصاف اليهود. وياليتكم التزمتم بتعاليمهم واكتفيتم بإله واحد ولم تتساقوا إلى عبادة مجرد إنسان بسيط كما تفعلون اليوم (...) لقد تصرفتم كمصاصي الدماء أخذتم الدم الفاسد وتركتم الأكثر نقاءً. لم تبحثوا عما هو طيب لدى اليهود وإنما انصب كل اهتمامكم إلى تقليد طابعهم السيئ وغضبهم العارم: فمثلهم تمامًا تقومون بهدم المعابد والمذابح، وتقومون بذبح المسيحيين الذين تطلقون عليهم اسم الهراطقة لأن لهم عقائد تختلف عن عقائدكم حول ذلك اليهودي الذي قتله اليهود، علمًا بأن العقائد التي تساندونها فهي مجرد هراء وتخاريف قمتم بتأليفها، لأنه لا المسيح ولا بولس قد قالوا شيئًا حول هذا الموضوع، والسبب بسيط، إذ أنهما لم يتخيلا أنكم سوف تصلون إلى هذه الدرجة من السلطة التي وصلتم إليها.

● يسوع الذي تبشرون به أيها الجليليون كان من رعايا قيصر، وسوف أدلل لكم على ذلك، ألا تقولون إنه هو وأمه وأبيه قد دخلوا ضمن تعداد سيرينيوس؟ (ومن الواضح أن باقي النص قد تم حذفه حتى من كتاب الأسقف سيريل الذي كان يفند اتهاماته).. لأن ڤاروس Varus هو الذي كان يحكم سوريا آنذاك وليس سيرينيوس.

● إن ارتيادكم مدارس معلمينا وفلاسفتنا تجعل أي فرد منكم من أصل مشرّف يتخلى فورًا عن عقائدكم المتعصبة (...).

● أنكم تهدمون ديانات كل الأمم الأخرى خاصة الذين يتمسكون بعبادة إله واحد. وقد تخليتم عن عقائدكم القديمة لتختاروا بين كل العقائد ما يناسب كل الحقراء من كافة الشعوب أمثالكم وأمثال أصحاب الحانات وجامعو الضرائب والمهرجون وأشباههم (...).

● لقد نسبتم إلى عيسى بن مريم بلا أي أساس من الصحة أقوال موسى الخاصة بيسوع حين قال: «يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من أخوتك، مثلي، له تسمعون» (تثنية ١٨: ١٥) (...) إنكم تبدلون وتحرفون في الآيات وفقًا لهواكم. ولا يوجد هنا شيء يتعلق بيسوع فلم يكن من سلالة يهوذا بما أنكم لا تريدونه أن يكون ابن يوسف النجار، وتصرون على أن الروح القدس هو الذي أنجبه! وقد حاولتم إيجاد نسب له من يهوذا لكنكم فشلتم فأناجيلكم تتناقض ومتى ولوقا يتعارضان في شجرة النسب التي يوردانها. وحتى إذا افترضنا جدلاً أن يسوع أمير من سلالة يهوذا، فذلك لا يعني أنه «إله من إله» كما تزعمون، وكل ما هو وارد في سفر العدد متعلق بداوود وسلالته لأن داود كان ابن يسىّ (...).

إذا كانت الكلمة هي الله، منبثقة من الله كما تقولون، وأنه من نفس كيان الله، كيف إذن تطلقون على مريم أم الله؟ وكيف لها أن تلد إلهًا وهي بشر مثلنا؟!.

● لقد حاولت أن أوضح لكم أنكم بعد أن انسلختم عنا وقبلتم دين اليهود ثم تخليتم عن كل شعائرهم (...) وقمتم بتأليف نوع جديد من الأضاحي ولستم بحاجة إلى القدس، لماذا لا تذبحون الأضاحي مثل اليهود الذين انشققتم عنهم؟!

● أنكم من قلة العقل بحيث لا تتبعون حتى التعاليم التي أتى بها الحواريون، إذ أن أول خليفة لهم قد غيرها وبدّلها بلا تورع أو حياء.. فلا بولس ولا متى ولا لوقا أو مرقس قد جرؤ أحدهما على قول أن يسوع هو الله. (ومن الواضح هنا أنه حتى القرن الرابع لم يكن تأليه المسيح قد أُدخل على نصوص الأناجيل)! لكن عندما علم يوحنا أنه في بعض اليونان وإيطاليا كثير من أفراد الشعب قد سقطوا في هذا الخطأ (أي أنهم راحوا يؤلّهون أو يقبلون تأليه المسيح الذي تم سنة ٣٢٥) تجرأ يوحنا إلى درجة القول بأن يسوع هو الله. وراح يكتب أن الكلمة تجسدت وسكنت فينا. لكنه لم يجرؤ على تفسير بأي وسيلة لأنه لم يذكر عبارة يسوع أو المسيح حينما يتكلم عن الله والكلمة. أنه يحاول أن يخدعنا بصورة ملتوية غير واضحة وبالتدريج! (...).

● أن يوحنا يعتبر أول مؤلف للشر ومنبع الأخطاء الجديدة التي أقمتموها بإضافة العديد من الإضافات الأخرى إلى بدعة اليهودي المتوفى الذي تعبدونه (...).



● ألم يأمر يسوع قائلاً: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمّل» (متى: ٥:١٧) وبعدها بقليل يضيف قائلاً: «فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السماوات» (٥:١٩). وبما أن يسوع قد أمر تحديدًا بالالتزام بالشرع وأنه حدد العقوبات بمخالفته وتعليم سواه، وها أنتم أيها الجليليون وقد نقضتم كل بنود الشرع، أي حجة يمكنكم تقديمها تبريرًا لذلك؟ فلا يوجد سوى أحد أمرين: إما يسوع يكذب ولا يقول الحق، وإما إنكم مخالفون للشرع غدّارون».

ويورد الباحث لويس برنار (L.Bernard) في كتابه عن «أپوللونيوس الطواني ويسوع» (١٩٧٧) توضيحًا لوفاة الإمبراطور چوليان، إذ يقول: «إن الإمبراطور چوليان، الذي ألصق به المسيحيون عبارة «المرتد»، في القرن الرابع، قد توفي في الحرب إذ قتله أحد جنود الفرس، وليس خيال يسوع كما يزعم المسيحيون الذين وضعوا على لسانه أنه قال وهو يحتضر «لقد انتصرت أيها الجليلي».. لكن المنتصر دائمًا ما يعيد كتابة التاريخ وفقًا لهواه، وعلينا أن نتذكر دومًا أنه طوال القرون الوسطى، كان الرهبان وحدهم هم حفظة التراث اليوناني - الروماني الذي أنقذوه وهم يبدّلون ويعدّلون فيه (صفحة ١٧).

ويا لها من صورة مريرة مهينة تلك التي تصاحب تكوين الديانة المسيحية منذ نشأتها..

مؤرخو عصر التنوير

- المركيز دارچنس
- القس چان ميلييه
- البارون هولباخ
- اللورد بولينبروك
- اللاهوتي ثيرو
- فولتير
- ريشارد سيمون
- القس إرنست رينان

مؤرخو عصر التنوير

المركيز دارجنس (١٧٠٤ - ١٧٧١) M.D'Argens

لقد ضمّن المركيز دارجنس ترجمته لخطاب الامبراطور چوليان ضد المسيحيين مقدمة مقتضبة والعديد من الهوامش التفسيرية. وقد آثرنا تقديمها على حدة وعدم إدخالها في نص الامبراطور چوليان للفارق الزمني بين الإثنين، فالخطاب مكتوب في القرن الرابع الميلادي وترجمته والتعليق عليه تمت في القرن السابع عشر. ومما قاله في المقدمة موجهًا كلامه للامبراطور فريدريك الأعظم: «يجب ألا ننسى أبدًا أن هؤلاء المسيحيين هم الذين ذبحوا كل عائلة ديوكلسيان وجاليريوس وماكسيم، وذلك ما أن أعلن قنسطنطين قبوله لدينهم. ولن نكف أبدًا عن تكرار مئات المرات أن الدماء قد سالت بغزارة وتدفقت بأيديهم، منذ قرابة أربعة عشر قرنًا (...) إن رجال الدين اليونان هم المؤسسون الحقيقيون للمسيحية، فقد قاموا بتطبيق فكرة «اللوجس (الكلمة) وأساطير أنصاف الآلهة التي خلقها الإله الأعظم على يسوع والملائكة».

ومما كتبه المركيز دارجنس تعليقًا على نص الخطاب طوال الترجمة نورد ما يلي:

● **من الواضح أنه حتى عهد الأسقف الجامح أطنازيوس (٢٩٥ - ٣٧٣) لم يكن أحد يعترف بأن المسيح هو الله. وأن عبارة «ابن الله» كانت تعني قديماً الإشارة إلى «إنسان متعلق بشرع الله» وذلك مثلما كانت عبارة «ابن بليال» تعني إنسان فاسق ومنحرف.**

● أن يسوع كان إنسانًا نبيًا وقد تجرأوا عليه بالتدريج: فجعلوه ممسوحًا، ثم مسيحًا، ثم ابن الله، ثم الله نفسه. وهكذا استتب لهم كل شيء. إن الخطوة الأولى عادة ما تفزع، أما الخطوة الأخيرة فلا تكلف شيئًا!

● إن قصة موسى منقولة كلمة كلمة تقريبًا عن أسطورة الإله باخوس القديمة والتي كانوا يطلقون عليها ميسم أو موسم الذي تم إنقاذه من المياه. وهذه الأسطورة التي كانوا يتغنون بها في اليونان في زمن أورفيوس قد قام بتسجيلها نونوس الشاعر اليوناني القديم.

● إن فلافيوس جوزيف الذي جمع كل ما أمكنه أن يعثر عليه عند المؤلفين المصريين القدماء ليكتب تاريخ جنس اليهود، لم يعثر على أي فقرة لها علاقة من قريب أو بعيد بالمعجزات المزعومة لموسى. وهي معجزات كان يجب أن تكون على الأقل حديث الساعة

لدى المصريين القدماء والدول المجاورة بل لاهيرودوت الذي خص كتابًا بأسره لتاريخ مصر القديمة، ولا ديو دور الصقلي يتحدثان عن أية معجزة من تلك المعجزات المثيرة للسخرية المنسوبة لموسى.

● إن المؤلف الفنيقي سانشونياتون لم يذكر كلمة عن موسى، وإن كان فعل لتغنى بها يوسبيوس. ولو كان موسى مؤلف الأسفار الخمسة قد وُجد فعلاً، فذلك يعني أن أحد أمرين: إما أن موسى كاذب أو إن إرميا وعاموس وإسطفانوس تلميذ يسوع وأعمال الرسل كلهم كاذبون!

● منذ أن ابتدع المسيحيون الروح القدس راحوا يؤكدون أنه ملهم نصوصهم، وذلك يعني أن روحهم القدس هذا يكذب ويتناقض! فما على أي إنسان عاقل إلا أن يتأمل الأخطاء البشعة في الجغرافيا والتأريخ وأسماء المدن التي لم تكن موجودة آنذاك والتعاليم المسداة للملوك أيام لم يكن هناك أي ملوك، وخاصة ما هو وارد في سفر التكوين.. وسوف يدرك أن هذه النصوص قد تم اختلاقها بعد أن أصبح لليهود عاصمة بزمن بعيد.

● لم يكن اليهود يعرفون شيئًا عن خلود الروح قبل أفلاطون، ولم يقرّوا بها إلا بعد أن درسوها في الإسكندرية أيام البطالسة، وإن كانت جماعة الصدوقيين ترفضها، وجماعة الفاريسيين قد شوهوها بفكرة الحلول. ولا أثر لها في الأسفار المنسوبة لموسى.

● إن اليونان والرومان لم يؤمنوا بأساطيرهم، أما المسيحيون فقد قبلوا الأوضاع وبصورة ما غير مفهومة كل أساطير اليهود والمسيحيين تحولت إلى ديانة اليهود والمسيحيين (...) وأول ما يفعلونه بأطفالنا هو تعليمهم هذه الخرافات ويالكم من حقراء! كان الأجدر بكم أن تعلمونهم حب الله الواحد الأحد، وفي الواقع، إن أردتم تربية أطفالكم تربية صالحة امنعوهم من قراءة الكتاب المقدس.

● لقد كانت الشيع المسيحية متعددة منذ أيام يسوع، وكل منها تتهم الأخرى بالهرطقة وكل منها حاولت اغتيال الأخرى! أيتها الطبيعة، أيتها الفلسفة الحكيمة أضيئي عقول هؤلاء البؤساء وهذبي من طباعهم البشعة وحوّلي هذه الوحوش الجارحة إلى بشر!.

● إن المسيحيين جعلوا ميلاد يسوع أيام كيرينيوس والي سوريا، كما يقول لوقا (٢:٢) ولا يوجد ما هو أكثر خطأ من ذلك، فالثابت في كل الوثائق التاريخية أن ڤاروس هو الذي كان والي سوريا آنذاك، وأن كيرينيوس لم يحتل هذا المنصب إلا بعد مولد يسوع بعشر سنوات، وهو ما يثبت كذبهم.

● إن الرومان كانوا يجهلون تلك الأناجيل لقرابة ثلاثمائة عام، فلم يرد ذكرها في أي نص من نصوص المؤرخين الرومان. وقد كان آنذاك عددها أربعة وخمسين إنجيلاً بين الفرق المسيحية المتعددة.

● إن الوصية الشهيرة التي ينسبها يوحنا لعيسى قائلاً: «وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضًا» (١٣:٣٤)، هذه الوصية جد قديمة إذ أنها واردة في سفر اللاويين: «تحب قريبك كنفسك» (١٣:١٨).

● إن اليهود ظلوا دائماً غارقين في غياهب الجهل المدقع حتى القرن التاسع الميلادي، عندما تعلموا شيئاً من مدارس المسلمين العرب. بل لقد كانوا يجهلون كلمة هندسة وفلك، إذ لا نجدها في كتبهم السابقة لذلك التاريخ. ولقد كانوا يعرفون الموسيقى، لكن بصورة ارتجالية، كانوا يجهلون فن تدوينها. كما كانوا يجهلون التشريح وعلم الجراحة والفيزياء، ولم يكن لديهم أطباء بمعنى الكلمة. كانت كل معلوماتهم قاصرة على تضميد الجراح بالخل أو الزيت.

● من أبشع ما نطالعه تزويج المسيح للكنيسة، ومن الواضح أن مهرها كان عبارة عن دماء الشعوب التي ذبحوها لفرض عقائدهم.

● أن العقائد المسيحية ليست مناقضة تماماً لعقائد اليهود، بل هي مناقضة لعقائد يسوع وتعاليمه، ولا يوجد ما هو أبعد من المسيح إلا المسيحية. إن يسوع كان مختونًا وقد التزم بالشرع الموسوي، ولم يأكل الخنزير أبدًا، ولم يقل كلمة عن بدعة الثالوث، ولا كلمة واحدة عن الخطيئة الأولى، ولم يقم قداسًا، بل إن عبارة الأسرار أو الأسرار السبعة غير واردة لا في الأسفار الخمسة لموسى ولا في الأناجيل، فلقد بدّل المسيحيون الدين المسيحي من قرن إلى قرن، بل الغريب أن المسلمين أقرب من دين يسوع من المسيحيين! فالمسلمون يختتنون مثله، ولا يأكلون الخنزير مثله، ويؤمنون بإله واحد مثله، ولم يبتدعوا أسراراً سبعة. وإذا ما عاد يسوع إلى الدنيا ودخل كاتدرائية روما بكل ما بها من زخارف ورسوم مذهبة وتماثيل وسمع أصوات مائتين من الخصاة أو شاهد من يرتدي تاج مركب من ثلاثة تيجان يتحكم في الناس والملوك فهل سيتعرّف على الدين الذي أتي به؟!

● إن المسيح قد تعمد على أيدي يوحنا المعمدان لكنه لم يقم بتعميد أي إنسان. ومن الغريب أن المسيحيين يضفون أهمية عظمى على ذلك العميد، ومن الغريب أن السرقة والقتل، وقتل الأب أو القريب كل ذلك يغفره ثالوثهم المقدس.

● إن الإنسان ليعجب من جرأة المسيحيين الأوائل الذين كانوا يحرّفون كل أجزاء الكتب اليهودية القديمة ليأتوا بتنبؤات حول يسوع.

● الأب ميلييه من الرعاة الصالحين فقد اعتذر لله وهو يحتضر لأنه كان يقوم بتعليم المسيحية، ولاشك أن وصيته التي أعيد طبعها عدة مرات تفوق وصية يعقوب بكثير.

● لا نملك سوى الأسف لضياع ذلك الكتاب الذي يشير إليه الامبراطور چوليان والذي ينتقد فيه الكثير من تناقضات الأناجيل، كما ينتقد أولئك الوحوش الذين يضطهدون الناس ويلقون بهم إلى الجلادين، ويكبلونهم بالحديد، ويلقون بهم أحياء وسط النيران المشتعلة لأن جريمتهم الوحيدة هي أنهم لا يؤمنون بالخرافات والأكاذيب التي يفرضونها عليهم.

● إن رأي علماء اللاهوت الذين يستبعدون به الآيات التي تشير بوضوح لا لبس فيه إلى إخوة يسوع ناجم عن فكرتهم الضيقة بأن والدة يسوع كفّت عن أن تكون عذراء وأنجبت غيره. إن هذه النقطة مسار جدل محتدم هذه الأيام، لذلك فرضوا فكرة «الحمل بلا دنس» التي كان الحواريون يجهلونها، وكانت مجهولة أيضًا طوال القرون العشرة الأولى، وقد فندها القديس توما بشدة.

● لا يوجد ما هو أكثر خطورة بالنسبة للحقيقة من إسناد كتابة التاريخ لمتعصبين أو لأشخاص مغرضين لصالح فئة معينة. فالرهبان القدامى والحداث قد أغرقوا العالم بأساطير وبمعجزات ساخرة قادرة على طمس معالم الحقائق، فلقد افتروا على أعظم الرجال حينما لم يقبلوا ديانتهم، وقاموا بإضفاء القدسية على جرائم الأمراء الذين قاموا بحمايتهم، إن ذلك يعني تغيير ذاكرة التاريخ عن طريق سلسلة ممتدة من الأكاذيب.

القس چان ميلييه (١٦٧٨ - ١٧٣٣) Jean Meslier

ولد چان ميلييه في منطقة أردين بشمال شرق فرنسا على الحدود البلجيكية، وأتم دراسته في المعهد الديني بمدينة ريمس، وتم تعيينه قسا عام ١٦٨٨. وقد مارس مهام وظيفته حتى وفاته بلا معوقات تذكر، وترك عدة مؤلفات تمت طباعتها بعد رحيله، ومنها مذكرات معروفة بعنوان: «**وصية ميلييه**»، و«**خطابات إلى قساوسة المناطق المجاورة**»، و«**ضد القس فينيلون**» الذي كان يُعد من الدعامات المساندة للكنيسة في القرن السابع عشر.

وبعد مضي عامين على وفاة ميلييه قام فولتير بنشر مختصر للوصية في سبعين صفحة فالنص الأصلي يقع في ٣٦٦ صفحة. إلا أن البلاط في روما قام في ١٧٦٥/٢/٨ بوضع

هذا الموجز في «الأندكس» – قائمة الكتب الممنوعة التي تحرمها لجنة محاكم التفتيش. ثم تحايل فولتير بإعادة نشره ضمن كتابه الأخير المعنون «**إنجيل العقل**».

ويُعد ميلييه واحداً من الذين عاصروا ما يطلق عليه فترة «أزمة الضمير» أو «أزمة الإيمان» أو «أزمة المعتقد»، تلك الأزمة العارمة التي اجتاحت أوروبا في بداية عصر التنوير الذي تولد كنتيجة حتمية لعصر الظلمات الذي امتد ألف عام تقريبًا والذي لم يكن يحق لأحد فيه أن يتعلم القراءة والكتابة إلا رجال الكنيسة. وما يحكي عن الأب ميلييه وهو يحتضر أنه طلب المغفرة من الله قائلاً: «أرجو من الله أن يغفر لي لأني أضعت عمري في تعليم المسيحية للناس»!.

ويتناول القس چان ميلييه انتقاد الكتاب المقدس بعهديه بأسلوب صريح بلا مواربة وبمنطق شديد الوضوح. وينهي دراسته للعهد القديم موضحًا أن كل الوعود التي يتضمنها لم تتم، «وأن بضعة الانتصارات التي حققها اليهود على الشعوب الفقيرة التي نهبوها، لا وزن لها، وأن ذلك لم يمنع الرومان من استبعادهم وهدم مملكتهم واقتلاع وطنهم، بل ولا يزال حتى يومنا هذا يُنظر إليهم على أنهم أحط شعوب الأرض وأكثرهم خسة، وأن العهد الأزلي المزعوم لم يتحقق بل لقد تم طردهم من الدويلة الصغيرة التي زعموا زوراً أن الله قد وهبها لهم. وحيث أن كل ذلك لم يتحقق منه أي شيء فهذا أكبر دليل على أن كل هذه النبؤات زائفة وأن كل تلك الكتب التي يزعمون قدسيتها أو يدعون أن الله هو مؤلفها، ليست في الواقع سوى طبقات متراكمة من الأكاذيب والإدعاءات».

ويبدأ انتقاده للعهد الجديد مشيرًا إلى كل تلك الفرق التي انقسمت إليها المسيحية قائلاً: «ولا يوجد أي واحد من عبدة المسيح، أياً كانت الطائفة التي ينتمي إليها، يمكن أن يقدم أدلة واضحة أن دينه منزّل حقًا. والدليل على ذلك أنه منذ العديد من القرون وهم يتصارعون ضد بعضهم بعضًا لدرجة الاضطهاد بالنار وإراقة الدماء من أجل حفاظ كل منهم برأيه. ولم يستطع أي فريق منهم إقناع الفرق الأخرى بأية أدلة صادقة، ولا يمكن أن يكون الوضع كما هو عليه لو كانت لديهم حقائق واضحة».

ثم يتناول فكرة الإيمان الذي تفرضها الكنيسة قائلاً: «كل دين يتخذ الغموض والأسرار أساسًا له ويتخذ أفكاراً كلها أخطاء كمبدأ لعقيدته ويكون سببًا في معارك ضارية وانقسامات بين البشر لا يمكن أن يكون ديناً حقيقيًا». وأول ما ينتقده بإسهاب ما يطلقون عليه الإيمان بمعنى «الإيمان الأعمى الذي يتم فرضه على أنه بداية الخلاص وأساسه» (مثلما هو وارد في مجمع ترانت الدورة السادسة الفصل الثامن).

وبعد استعراض المعجزات الواردة بالعهد الجديد يتساءل ميلييه: «هل يمكن لأي إنسان عاقل أو لم يفقد صوابه أن يقر بأن ما وعد به يسوع قد تحقق أو أنه حتى قد خلّص العالم من الخطايا؟! هل توجد نبوءة أكثر كذبًا من هذه؟ أليس القرن الذي نعيشه أكبر دليل على زيفها؟!» ويسخر الأب ميلييه من أولئك القسس الغارقين لا في عماهم المطلق فحسب، ولكن في محاولاتهم الدائبة لإقناع الاتباع بحقيقة ذلك الدين: «فلا توجد طائفة واحدة ولا كنيسة واحدة من كل الطوائف، والكنائس التي انقسمت إليها المسيحية إلا وكانت مليئة بالأخطاء وغارقة في الخطايا، وخاصة الطائفة أو الكنيسة الرومية، وإن كانت تزعم أنها أقدسهم وأطهرهم».. ثم يؤكد بعد ذلك: «أنها قد وقعت في الخطأ منذ زمن بعيد، بل إنها قد وُلدت فيه، ونمت وترعرت فيه، والآن إنها غارقة في كل الأخطاء التي هي عكس تعاليم وأقوال يسوع، لأنها قد ألغت الشرع اليهودي الذي كان يسوع يتمسك به والذي قال إنه أتى ليكمل ولم يأت لينقض الناموس. بل إن الكنيسة قد وقعت في نفس الوثنية التي حاربتها بعبادتها آلهة ثلاثة وتقوم بأكل لحمها وشرب دمها»!

ثم ينتقل لمصداقية الأناجيل موضحاً أنه من عادة مَن كانوا يكتبونها أن يبدّلوا أو يعدّلوا ويضيفوا ويستبعدوا وفقًا لهواهم ولخدمة أهدافهم قائلاً: «وهو ما لا يمكن لعبدة المسيح أن ينكروه، بما أن هناك العديد من كبار الشخصيات التي أقرت بما قامت به من إضافات وحذف وتزوير في مختلف العصور، في تلك النصوص التي يعتبرونها مقدسة. ألم يقل قديسهم چيروم، العالم الكنسي الكبير عندهم، في عدة أماكن من المقدمات التي يكتبها للأعمال التي يقوم بها، أنها فاسدة ومزورة، وأنها كانت في عصره بين أيدي العديد من الأشخاص التي كانت تضيف إليها وتحذف منها ما يحلو لهم بحيث أنه قال: إن نسخ الأناجيل تختلف عن بعضها بقدر عددها. انظروا إلى المقدمات التي كتبها إلى پولان، ومقدمته حول يسوع، ومقدمته إلى غلياط، وعن أيوب وخاصة مقدمته للعهد الجديد الذي عمله موجهًا إياها إلى البابا دماز، وللمزامير، وبولس أو أوتيخي إلخ...».

ثم ينتقل إلى ما فعلته كل فرقة بالفرق الأخرى موضحًا «أن كل كتب شرع موسى التي أمكن العثور عليها أيام انتياخي (Antiochus) قد تم حرقها. والتلمود الذي كان يعتبره اليهود ككتاب مقدس ويضم كل قوانينهم الإلهية (...) ينظر إليه المسيحيون على أنه كتاب مليء بالتهيؤات والأساطير والتضليل وعدم الرحمة. وفي سنة ١٥٥٩ قاموا بأمر من محاكم التفتيش في روما بحرق مائة وعشرين نسخة من التلمود كانت في إحدى مكتبات مدينة كريمونا».

«والفاريسيين، الذين كانوا طائفة زائعة الصيت بين اليهود لم تكن تقبل إلا أسفار موسى الخمسة وتستبعد كل الأنبياء. ومن بين المسيحيين، كان مارسيون وأتباعه يرفضون أسفار موسى والأنبياء ويدخلون كتابات أخرى تتمشى مع الموضة. وكاربوكرات وأتباعه كانوا يقومون بنفس الشيء ويرفضون العهد القديم برمته ويتمسكون بأن يسوع المسيح كان إنساناً مثله مثل باقي البشر، وأتباع مارسيون والقادة من الحكام كانوا لا يقرون العهد القديم على أنه سيئ ويرفضون الغالب الأعم من الأناجيل الأربعة وكذلك رسائل القديس بولس».

و«الأبيونيين لم يعتمدوا صحيحًا إلا إنجيل متى واستبعدوا الثلاثة الآخر ومعها رسائل بولس. وكان اتباع مارسيون يطبعون إنجيلاً باسم ماتياس ليؤكدوا عقيدتهم وأتباع الرسل كانوا يدخلون نصوصًا أخرى ليثبتوا أخطاءهم. ومن أجل ذلك كانوا يستعينون ببعض أعمال يسندونها إلى القديس اندرواس والقديس توما».

«واتباع ماني كتبوا إنجيلا على هواهم ورفضوا كتابات الأنبياء والحواريين، وأتباع إتساي كانوا يرتلون كتابًا يقولون عنه إنهم تلقوه من السماء ويجزءون الكتابات الأخرى على هواهم. ونفس أورچين بكل جلالة قدره لم يكف عن تحريف النصوص كان يختلق ما يحلو له منها وبذلك كان يخالف معنى كتابات الأنبياء والحواريين، بل لقد قام بتحريف أحد أهم نقاط العقيدة. وكتبه الآن قد تم تشويهها وتحريفها ولم تعد إلا قطع تمت حياكتها ولملمتها بأيدي من أتوا من بعده وهي تعج بالأغلاط والأخطاء الواضحة».

«والوافدين حديثًا ينسبون إلى سيرنتوس كتابة إنجيل يوحنا وسفر الرؤيا لذلك كانوا يستبعدونها. والهراطقة من القرون القريبة منا استبعدوا العديد من الكتب والأسفار التي يعتبرها كاثوليك روما مقدسة».. وبعد سرد العديد من الكتب المرفوضة من كل طائفة يؤكد الأب ميلييه: «إن كل ذلك الخلط يؤكد أنه لا يوجد أي أساس يتعلق بالسلطة التي يفرضونها لتلك النصوص، وأن المتحكمين فيها يقرون بأنه لم يكن هناك ما يمكن تثبيتها سوى الإيمان بها. والإيمان الأعمى الذي يفرضونه لا يمكنه إضفاء أية مصداقية لهذه الكتب».

وبعد سرد المزيد من الأمثلة والتعليقات يوضح الأب ميليه قائلاً: «والأمر الذي يثبت أيضًا أن هذه الكتب لا يمكن أن تكون نتيجة وحي إلهي، فبخلاف إنحطاط وفظاظة الأسلوب، فإن عدم اتباع أي نظام أو ترتيب في سياق أحداث معينة، والتي هي في حد ذاتها غير ملائمة، لا نرى أي توافق بين المؤلفين بل إنهم يتناقضون في العديد من المسائل، بل لم تكن لديهم أية ملكة طبيعية أو موهبة لكتابة هذه القصص بصورة جيدة».

وخلال العديد من الصفحات يقدم بعض النماذج من المتناقضات الواردة بالأناجيل ومنها ما يتعلق بنسب يسوع، ومكان ميلاده، وهروب العائلة المقدسة إلى مصر الذي يفنده لوقا (٢: ٢١ - ٤١)، ومدينة الناصرة التي لم تكن موجودة آنذاك، ووحشية هيرود التي لم يتحدث عنها أي مؤرخ قائلاً: «من الواضح أن رحلة المجوس الذين انقادوا في الطريق بنجمة، وقتل الأطفال الصغار، وهروب العائلة المقدسة إلى مصر ليست إلا أكاذيب منافية للعقل: فلا يمكن أن نصدق أن المؤرخ جوزيفس، الذي لام كل مساوئ الملك هيرود، كان سيسكت عن مثل هذا الفعل البشع السواد لو كان ما يقوله ذلك الإنجيلي حقاً».

ثم يواصل عرضه لنماذج المتناقضات ويعرض ما يتعلق بطول مدة عمل يسوع الجماهيري فوفقاً للأناجيل الثلاثة «لا يمكن لهذه الفترة أن تمتد أكثر من ثلاثة أشهر منذ تعميده حتى وفاته، بافتراض أنه كان في الثلاثين من عمره عندما عمده يوحنا، أنه قد ولد في ١٢/٢٥ كما يقول لوقا. فمنذ ذلك التعميد، الذي حدث في العام الخامس عشر من حكم تيبريوس قيصر، والسنة التي كان فيها حنان وقيافا من كبار الكهان، حتى عيد الفصح التالي والذي وقع في شهر مارس، لم تكن المدة إلا حوالي ثلاثة أشهر، ووفقاً لما تقوله الأناجيل الثلاثة الأولى أنه صلب عشية أول عيد الفصح التالي بعد تعميده وفي المرة الأولى التي ذهب فيها إلى القدس مع تلاميذه، لأن كل ما يقولونه عن تعميده وسفرياته ومعجزاته وتنبؤاته وموته وآلامه لابد وأن يقع بالضرورة في نفس ذلك العام الذي تم فيه تعميده بما أن الأناجيل لا تذكر أي سنة تالية، وواضح من سياق الكلام أن كل الأحداث والتي قام بها جميعها بعد التعميد على التوالي وفي وقت جد قصير، والذي لا نرى أي فترة توقف فيه إلا مدة الأيام الستة قبل تجليه والذي لا يقال إنه عمل أي شيء خلالها».

ويخرج من ذلك العرض بأن المدة هي ثلاثة أشهر تقريبًا، وإذا طرح منها الأربعين يومًا وأربعين ليلة التي قضاها في الصحراء بعد تعميده فذلك يعني أن حياته العامة لم تمتد إلا ستة أسابيع، ووفقاً لما يقوله يوحنا فإنها امتدت ثلاث سنوات وثلاثة أشهر لأن يوحنا يوضح أنه ذهب ثلاث أو أربع مرات إلى القدس لعيد الفصح. وهنا يعلق قائلاً: «إذا كان حقاً أنه ذهب ثلاث أو أربع مرات إلى القدس كما يقول يوحنا فغير صحيح أنه لم يعش سوى ثلاثة أشهر بعد تعميده وأنه صلب في المرة الأولى التي ذهب فيها إلى القدس. وإذا قلنا إن الأناجيل الثلاثة الأولى لا تتحدث إلا عن سنة واحدة لكنهم لا يحددون

بوضوح السنوات الأخرى التي انقضت فأيًا كان الأمر هناك خلط في سرد الأحداث الأمر الذي يؤكد أنها لم تكن ملهمة من الله».

وفيما هو يواصل سرد التناقضات يتوقف عند العشاء الأخير موضحًا أن الأناجيل الثلاثة تقول إنه أقام خلاله سر الإفخارستيا بأكل جسده وشرب دمه.. ومن الغريب الذي يلاحظه أن يوحنا لا يذكر هذا السر الأساسي الذي يعتبر أهم الأسرار السبعة التي تقوم عليها الكنيسة، بل يقول يوحنا إنه بعد العشاء الأخير قام بغسل أقدام الحواريين وطالبهم بعمل نفس الشيء وألقى عليهم خطابًا مطولاً. إلا أن الأناجيل الثلاثة لا تذكر شيئًا عن غسل الأقدام ولا عن ذلك الخطاب المطول. بل تقول إنه بعد العشاء الأخير ذهب مع حوارييه إلى جبل الزيتون حيث ترك نفسه للحزن وراح يصلي بينما نام الحواريون!.

كما يوضح اختلاف الأناجيل وتناقضها حول تحديد موعد أو يوم العشاء الأخير، فمن ناحية يقولون إنه كان عشية عيد الفصح، ومن ناحية أخرى يقولون إنه صُلب صباح اليوم التالي حوالي الساعة ١٢ ظهرًا بعد أن حاكمه اليهود طوال الليل. ويوضح ميليه أنه «وفقًا لكلامهم فإن اليوم التالي للعشاء لا يمكن أن يكون عشية عيد الفصح، وأنه إذا ما كان قد مات عشية عيد الفصح ظهرًا فلم يكن ذلك اليوم أبداً مساء عشية ذلك العيد الذي تم فيه العشاء الأخير والخطأ شديد الوضوح».

ثم تناول التناقض الموجود حول النساء اللائي تبعنه وأسماءهن وعددهن الذي يختلف في كل رواية، والتناقض الموجود حول المكان الذي ظهر فيه «لأن متى يقول ظهر على جبل في الجليل، ومرقس يقول عندما كان الحواريون يأكلون، ويقول لوقا إنه أخذهم خارج القدس وسار بهم حتى بيت عانيا وتركهم ليصعد إلى السماء، بينما يقول يوحنا أن ذلك قد تم في مدينة القدس في بيت كانوا قد أغلقوا أبوابه بإحكام.. أي أنه قد اخترق الجدران وذلك لا يمكن حدوثه إلا إذا كان روحًا أثيرية كالهواء، الأمر الذي ينفي عملية البعث تمامًا».

ولم يغفل الأب ميلييه التناقضات الواردة حتى فيما يتعلق بقصة صعوده إلى السماء «لأن لوقا ومرقس يقولان إنه صعد إلى السماء في حضور ١١ من الحواريين، لكن لا متى ولا يوحنا يذكران ذلك الصعود المزعوم».. بل والأكثر من ذلك أن متى يشهد بوضوح أن يسوع لم يصعد إلى السماء بما أنه يقول أن يسوع قد أكد للحواريين أنه سيظل وسيبقى دائمًا معهم حتى نهاية الدهر.. ثم يضيف ميلييه قائلاً: «غير أن لوقا

يناقض نفسه حول هذا الموضوع لأنه يقول في إنجيله (٢٤: ٥٠) أنه صعد إلى السماء أمام حوارييه في بيت عانيا وكذلك في أعمال الرسل التي من المفترض أنه هو الذي كتبها، يقول إنه حدث الصعود وهو على جبل الزيتون، بل ويناقض نفسه أيضًا حول نفس الحدث لأنه يقول في إنجيله أنه صعد إلى السماء في نفس اليوم الذي بُعث فيه حيًا أو في الليلة التالية، بينما يقول في أعمال الرسل أن ذلك قد وقع بعد ٤٠ يومًا من البعث! الأمر الذي لا يستقيم بأي حال من الأحوال».

ويختتم الأب ميلييه هذا الفصل الخاص بالتناقضات قائلاً: «سأسكت عن العديد من المتناقضات الأخرى، فما ذكرته منها يكفي ليوضح أن هذه الكتب لم تأت بإلهام إلهي مطلقًا، بل ولا حتى من أية حكمة إنسانية، وبالتالي فهي غير جديرة بأن نؤمن بها».

ثم ينتقل إلى الفصل التالي ليتناول المعجزات الواردة في الأناجيل، ويوضح الأب جان ميلييه أن العديد من الحكماء أو المعالجين أو حتى الحواريين كانوا يقومون بها، فإن كان المسيح قد أحيا الموتى فالوثنيين أيضًا قاموا بذلك من قبله: أن أتالي ابن الإله عطارد أخذ عن والده سلطة أن يعيش ويموت ويُبعث وقتما يشاء، وكان على دراية بكل ما يدور في العالم من حوله أو في العالم الآخر. وإن إسكولاب ابن أبوللو كان قد أحيا عددًا من الموتى ومن بينهم هيبوليت ابن تزيه بعد توسلات ديانا وصلواتها، وأن هيرقل قد أحيا أيضًا ألسِستْ زوجة أدميت ملك تيسالي ليعيدها إلى زوجها.

وإذا قال الحواريون «أن يسوع قد وُلد من عذراء دون أن يمسها أي إنسان، فالوثنيين أيضًا قالوا من قبلهم أن رومولوس وريموس مؤسسي روما قد وُلدوا بمعجزة من عذراء فستالية (كاهنة في روما القديمة)، وكان اسمها إيليا.. بل قالوا إن الآلهة مارس وآرج وڤولكانوس وغيرها قد ولدتهم الآلهة جينون دون أن يمسسها رجل، وهكذا طوال الفصل يحاول الأب ميلييه إثبات أن المعجزات الواردة في الأناجيل كان لها ما يماثلها في التراث الشعبي لدى الوثنيين - مع فارق بسيط أنهم كانوا يتعاملون معها على أنها أساطير وليست حقائق يجب الإيمان بها..

وفي الفصل السادس والأخير من تلك الوصية والمعنون: «أخطاء العقيدة والأخلاق المسيحية»، والذي يتناول فيه مختلف نقاط العقيدة وتعاليم الأخلاق وفقًا لها، يقول الأب ميلييه «إن الديانة المسيحية الرومية والرسولية تعلّم وتفرض على الأتباع الإيمان بأنه لا يوجد سوى إله واحد لكنه في نفس الوقت ثلاث شخصيات إلهية وكل واحدة منها إله حقيقي: وهو ما يُعد عبثًا حقيقيًا لأنه إذا كانت هناك ثلاثة آلهة فمن الخطأ

القول بأنهم إله واحد لأنه من غير المعقول أن يكون الواحد ثلاثة والثلاثة واحد». وبعد توضيح لا معقولية ما تفرضه الكنيسة ينتقد قولها «بأن الأب قد انجب الابن، وأن هاتين الشخصيتين قد أنجبتا معًا ما يطلقون عليه الروح القدس، وأن هذه الشخصيات الإلهية لا تتبع إحداها الأخرى وليست أي واحدة منها أقدم من الأخرى. إن ذلك هو العبث بعينه بما أنه لا يمكن لشيء أن يتلقى كيانه من شيء آخر أو لا حتى يمكنه أن يعطي كينونة الآخر. فإذا كانت الشخصيتان الثانية والثالثة الإلهيتان قد حصلتا على كينونتهما من الشخصية الأولى فذلك يعني بالقطع أن الشخصية الأولى قد وُجدت قبلهما، بما أن ما هو غير موجود لا يمكنه أن يوجد شيئًا. ووفقًا لما يقوله الكنسيون فإن الشخصية الثانية والثالثة قد نجمتا عن الأولى، فذلك يعني أن لهما بداية ونهاية في الوجود، وأن الشخصية الأولى لم يكن لها بداية وأنها لم تولد..

«والكنسيون الذين يدركون تماماً عبثية مثل هذا القول عن بدعة الثالوث، ولا يمكنهم تبريره بأي كلام منطقي، فهم لا مخرج لهم من هذا المأزق إلا أن يطلبوا من الأتباع أن يغمضوا أعين العقل والمنطق الإنساني بورع وتواضع، وأن يعبدوا هذه الطلاسم دون محاولة فهمها، وأن يؤمنوا بلا تبصّر بما لا يمكن الإيمان به»!.

ويختتم الأب ميلييه هذا الفصل الأخير من وصيته التي بلغ عدد صفحاتها ٣٦٦ صفحة صاغها بمثل هذا الوضوح والمنطق، قائلاً: لابد وأن يكون المرء مصابًا بعماء غريب لكي يساند مثل هذه المسائل البائسة والقائمة على غير أساس من الصحة وعلى تعصب مريب (...) إلا أن الدم البشري لا يزال يسيل منذ أيام قسطنطين من أجل استتباب هذه الخدع البشعة. أن الكنيسة الرومية، واليونانية، والبروتستانتية وغيرها تمثل كمّا من المعارك التي لا جدوى منها، وكمّا من الطموحات اللئيمة التي اجتاحت أوروبا وأفريقيا وآسيا، وأضيفوا يا أصدقائي إلى كم البشر الذين ذبحتهم هذه المعارك عدد الرهبان والراهبات الذين أصابهم العقم بسببها، وانظروا كم ضاع من خلق الله، وسترون أن الديانة المسيحية قد أبادت نصف الجنس البشري»!..

البارون هولباخ (١٧٢٣ - ١٧٨٩) Le Baron d'Holbach

يعد پول هنري ديترش، المعروف باسم البارون هولباخ، من أبرز علماء وفلاسفة عصر التنوير الفرنسي، وواحدًا من الذين ساهموا بالعديد من الأبحاث العلمية في موسوعة ديدرو، التي كانت تعد آنذاك أهم آلة حربية واجهت عصر الظلمات الكنسي

الذي امتد بجبروت لا مثيل له لمدة ألف عام تقريباً - حارمًا أجيالاً وشعوباً بأسرها من تعلم القراءة والكتابة.

وللبارون هولباخ العديد من المؤلفات التي هاجم فيها المسيحية وما تم اكتشافه فيها من تحـريف وتزوير في الوثائق والمخطوطات. ومن أهم مـؤلفـاته في هذا المجـال: «**انكشاف المسيـحيـة**» (١٧٦١)، و«**العدوى المقدسة**» (١٧٦٧)، و«**علم اللاهوت المتجول**» (١٧٦٧)، و«**عقلية رجال اللاهوت**» (١٧٦٧)، و«**التاريخ النقدي ليسوع المسيح**» (١٧٧٠) الذي قال فيه:

«إن الإنجيل ليس إلا رواية شرقية مقرفة لأي إنسان سَويّ، ويبدو أنه قد كتب من أجل الجهلاء، والأغبياء، من أجل عامة قاع المجتمع، وهي الطبقة الوحيدة التي يمكنهم إغراؤها»!

كما ساهم بالعديد من المقالات في نفس موضوع الزيف والتزييف الكنسي عبر التاريخ، ومنها المقالة المنشورة كخاتمة ملحقة بكتاب الإمبراطور چوليان في الطبعة الصادرة عام ١٧٦٨. وهذا نصها:

«إن الإمبراطور الذي يستعد لمحاربة الفرس بالسيف لا وقت عنده لاستخدام ريشته لنقد كل العقائد التي اخترعها المسيحيون قبله بحوالي مائة أو مائتي عام. وكلها عقائد لم يذكرها يسوع أبدًا، عقائد تراكمت على بعضها بوقاحة تجعل المرء يقشعر وبعبثية مضحكة».

«فلو أن الله قد أمد في عمر هذا الرجل العظيم (الإمبراطور چوليان) لأرسل في استجماع كل نصوص التحريف والغش التي صنعها المسيحيون في ظلماتهم وأخفوها عن أعين الحكّام الرومان لمدة قرنين، ولفضح أمام أعين الجميع كل الأكاذيب التي تحتوي عليها، مثلما نقوم بتقديم الإزميل والشاكوش للمزيفين الذين استخدموها في صك عملاتهم المزوّرة»!

«بل قام باستخراج وصية الإثنى عشر بطرياركًا التي تم تأليفها في القرن الأول، ليفضح ذلك الكتاب الساخر الذي يزعمون فيه أن يعقوب قد تنبأ بعيسى المسيح»!

«بل لقام بعرض وفضح روايات هيچيزيب ومارسيل وعوبدياس حيث نرى سمعان باريونا وقد أطلقوا عليه بطرس متجهًا إلى روما مع الساحر الآخر المدعو سمعان، يتناقشون ويتبارون أمام نيرون حول من منهما سيقوم بمعجزات أكثر من الثاني! فقد قام أحدهما بمحاولة إحياء أحد أقرباء نيرون بينما فشل الثاني، وبمحاولة الطير في الهواء بينما انكسرت ساقي الآخر بعد أن حيتهم كلابهم التي كانت تجيد اللاتينية»!

«ولقام بفضح الرسائل المزورة التي أرسلها بيلاطس، والرسائل المزورة التي تبادلها يسوع المسيح مع أبجار ملك أديسة، في وقت لم يكن هناك ملوك في أديسة، والرسائل المزورة التي أرسلها بولس إلى سينيكا وسينيكا إلى بولس. والتعاليم الرسولية أو البابوية التي تنص على أنه عند إقامة وليمة لابد من تقديم نصيبين إلى الشماس وأربعة أنصبة إلى الأسقف لأن الأسقف أعلى شأنًا من الإمبراطور»!

«إن هذه الحقارات التي لم أذكر عشرها، لجعلت الذين يفكرون يشعرون بالإهانة والاحتقار، لانكشاف عقلية طائفة الجليليين الذين بدأوا بالغش والتزوير وانتهوا إلى الطغيان».

«ترى ما الذي كان سيقوله لو أنه أطلع على ٥٤ إنجيلاً وكل ما بها من خرافات لإله تجسد بشرًا ليذهب ويحضر حفل عرس عند الوثنيين ويغيّر لهم الماء إلى نبيذ تكريمًا لمدعوين غارقين في السكر، إله تجسد بشرًا ليلعن شجرة تين وهو يقر في نفس الوقت أنه ليس موسم التين! وإله تجسد بشرًا ليبعث الشيطان في قطيع من ألفين من الخنازير وذلك في بلد لم يكن به خنزيرًا واحدًا في أي وقت؛ إله يقوم الشيطان باستدراجه أعلى المعبد وأعلى الجبل حيث يرى ممالك الأرض؛ إله يتبدّل شكله ليلاً وهذا التبدّل قائم على حصوله على رداء أبيض ويتحدث مع كل من موسى وإيليا اللذان يأتيان لزيارته؛ إله مشرّع لم يكتب كلمة واحدة؛ إله يتم شنقه علنًا ويبعث سرًا؛ إله يتنبأ بأنه سوف يعود في نفس ذلك الجيل الذي يتحدث إليه، بعظمة كبرى وسط السحاب ولم يظهر للآن وسط السحاب كما وعد؛ وجماهير غفيرة من الموتى الذين يبعثون ويتجولون في مدينة القدس عند وفاة ذلك الإله، دون أن يحاط أي حاكم روماني بإحدى هذه المغامرات وذلك في زمن كان فيه مجلس شيوخ روما هو المتحكم في منطقة اليهودية وكان يحاط علمًا بكل صغيرة وكبيرة بشتى الوسائل عن طريق الولاة المسؤولين عن المنطقة. ويا لها من معجزات كان يتعيّن أن تشغل بال الأرض بأسرها إلا أن نفس اسم الإنجيل ظل الرومان لا يعرفونه لأكثر من قرنين!

«حقًا، لو أن الإمبراطور چوليان امتد به العمر لجمع كل هذه الخرافات العبثية وجعل منها صورة لافتة يبيد بها تلك الطائفة المتعصبة، ولكان قد أوضح كيف توصلوا بالتدريج إلى تلك الدرجة من العماء والوقاحة، وكيف تراكمت الكتب على الكتب، والقصص على القصص، والأكاذيب الجريئة على الأكاذيب العبثية. ولأوضح حقًا كيف نمت المسيحية على أكتاف الأفلاطونية وكيف وصلت إلى إغراء عقول الجماهير بفضل

ألاعيب أكثر إحكامًا من غيرها. وكيف أن القَسَمْ بعدم الإفصاح عن ذلك السر (سر الإنتماء إلى المسيحية) للحكومة قد ساعد على إيجاد حزب أو دولة داخل الدولة.

«إن التاريخ الدقيق لتعصب المسيحيين الأوائل وعمليات الغش التي قاموا بها ويطلقون عليها «الغش الورع» ولقاءاتهم السرية وأطماعهم، كل ذلك تناوله اللورد بولينبروك Bolingbroke في كتابه المعنون **«الفحص المهم»**.

«إنني أدعو بحماس كل الذين يريدون الفهم أن يقرأوا ذلك الكتاب الممتاز، كما ندعوهم إلى ألا يعبدوا سوى الله الواحد الأحد، قلبًا وقالبًا، وأن يلقوا تحت أقدامهم كل تلك الخرافات التي يثقلون بها علينا.

«إن من يتأمل الوضع ملياً سيرى أن الهدف وراء كل هذه الخدع الهدف منها إثراء طبقة رجال الدين على حسابنا وإقامة عرش التعصب والأطماع على جهلنا بهم. لقد استخدموا الغش والخداع والأكاذيب والسجون والتعذيب والتكبيل بالحديد وحرق الناس أحياء لمدة ستة عشر قرنًا، وذلك لكي يحصل ذلك القسّ على دخل سنوي مقداره أربعين ألف دوكًا، ولكي يقيم أي أسقف قداسًا مرة في العام باللاتينية التي لا يفقهها، ثم يتوجه بعد ذلك ليسكر مع عشيقته، أو ليقوم أسقف روما بسرقة عرش القياصرة، لكي لا يحكم الملوك إلا تحت إمرة أحد الفسقة الزناة من أمثال البابا إسكندر الرابع الذي لا يتورع عن استخدام السم للتخلص من خصومه، أو واحدًا من أمثال الماجن البابا ليون العاشر، أو أحد مشاهير القتلة من أمثال البابا يوليوس الثاني.

«لقد حان الوقت لتحطيم ذلك العبء المشين الذي فرضه الغباء على رؤوسنا فلننفض بعقل وبكل قوة هذه الأكاذيب، إذ حان الوقت لنفرض الصمت على هؤلاء المتعصبين الذين لا يكفون عن فرض دجلهم المهين، ونفرض عليهم ألا يقوموا إلا بتعليم الأخلاق التي أملاها الله وليس العقائد الوقحة التي بنوها بأيديهم. لقد حان الوقت لمواساة الأرض من تلك الوحوش الضارية المتخفية في زي الرهبان وغطوها بالدماء.. لقد حان الوقت لنسمع صوت الطبيعة التي تصرخ منذ العديد من القرون: لا تضطهدوا أطفالي من أجل خرافات.. فلقد حان الوقت لنخدم الله دون أن نهينه».

(وارد في الملحق «بخطاب الإمبراطور چوليان ضد المسيحيين» صفحة ١٦٩ - ١٧٥).

اللورد هنري بولينبروك (١٦٧٨ - ١٧٥١) Lord Henry Bolingbroke

كان اللورد هنري بولينبروك رجلاً سياسيًا له ثقله ورئيسًا لوزراء بريطانيا فيما بين ١٧١٤ - ١٧١٥. وكان مولعًا بالفلسفة وبالتوحيد الحق، وصديقًا لكل من پوپ وسويفت. كما كان لكتاباته أثرها على كل من فولتير وروسو. ومن أشهر ما كتبه ضد المسيحيين الأوائل وكل ما قاموا به من تحريف وتزوير ومؤامرات ودسائس ضمنها كتاباً بعنوان **«الفحص المهم»**.

وعن بولس الرسول، الذي يعتبره اللورد بولينبروك من أكبر المحتالين الذين عرفهم التاريخ، كتب قائلاً:

«عندما انتشر الجليليون الأوائل بين شعب اليونان والرومان، وجدوا تلك الشعوب غارقة في مختلف العبثيات التي يمكنها الدخول في العقول الجاهلة، المحبة للأساطير والآلهة المتخفية في الثيران والأحصنة والبجع، لإغراء النساء والفتيات. وكان الحكام والمواطنون الأساسيون لا يقرّون مثل هذه الخزعبلات. لكن الدرجات الدنيا من الشعب كانت تتغذى بتلك الروايات، وهم السوقة من اليهود الذين يتحدثون إلى السوقة من الوثنيين. أكاد أرى فيهم اتباع فوكس لدينا، يتشاجرون ضد أتباع براون. لم يكن من الصعب على بعض المسوسين اليهود أن يقوموا بإقناع بعض الحمقى الذين يؤمنون بتهيؤاتهم، وإقناعهم بتهيؤات لا تقل عنها حماقة. فجاذبية ما هو جديد تشد ضعاف النفوس الذين ملّوا من خرافاتهم القديمة ويجرون خلف مغالطات جديدة، مثل غوغاء مهرجان برتلمي، الذين ضجروا قرفًا من مسرحية هزلية قديمة من كثرة سماعها، راحت تبحث عن هزلية جديدة.

«وإذا ما صدّقنا كتب عبدة المسيح، فإن بطرس بن چون كان في چوبا لدى سمعان الدّباغ في كوخ حقير، حيث الخياطة دوركا.

«راجع فصل كتاب لوسيان المعنون «**فيلوباتريس**» والذي يتحدث فيه عن ذلك الجليلي الأصلع الرأس، ذو الأنف الكبير، الذي صعد إلى السماء الثالثة، انظر كيف ينتقد جمعية من المسيحيين حيث كان وسطهم، إن الكلفانيين في اسكتلندا لدينا، ومتسولو القديس ميدار في باريس هم تحديداً نفس الشيء. شرذمة من أشباه العراه، بنظرات فظة، وخطوات رعناء، يتنهدون ويلتوون وهم يقسمون بالابن المنبثق من الأب، ويتنبؤون بآلاف المصائب للإمبراطورية، ويكيلون الشتائم للإمبراطور. هكذا كان المسيحيون الأوائل.

«وما كان يدفع هذه الطائفة بهذا الحماس هو ذلك المدعو بولس بأنفه الضخم ورأسه الأصلع الذي كان لوسيان يسخر منه. ويبدو لي أنه يكفي مطالعة كتابات هذا البولس لنرى كم كان لوسيان محقاً. ويا له من هراء وليس ذلك الذي كان يكتبه لمجتمع المسيحيين الذي كان يتكون في روما وسط طبقة من المعدمين اليهود! (ثم يذكر بعض الآيات دون أن يعطي مرجعها لذلك نترجمها عفويًا: «الختان مفيد لكم إذا راعيتم الشرع، لكن إذانقضتم الشرع فختانكم لن يفيدكم.. هل نهدم الشرع بالإيمان؟ حاش لله! لكننا نقيم الإيمان.. إذا كانت أعمال إبراهام قد برأته، فعليه أن يتفاخر، لكن ليس أمام الله» إن هذا البولس حينما يتحدث بهذا الشكل فهو يتحدث قطعًا كيهودي وليس كمسيحي.

ورسالته الأولى إلى أهل كورنثوس «آباءنا قد تم تعميدهم في موسى في البر والبحر»! ألم يكن الكاردينال بمبو (Bembo) على حق حينما كان يصف هذه الرسائل بالهراء وينصح بعدم قراءتها؟!»

«ما الذي يمكننا قوله عن شخص يقول لأهل تسالونيكي: «لا أسمح قط للنساء بالتحدث في الكنائس»، ونراه في نفس الخطاب يعلن أنه يمكنهن التحدث والتنبؤ بعد ارتداء الحجاب!

«هل يدل شجاره مع باقي الحواريين على أنه شخص عاقل ومعتدل؟ ألا يدل كل كلامه على أنه رجل متعصب التحيّز؟.. يقول إنه مسيحي ويعلّم المسيحية ثم يذهب سبعة أيام متتالية إلى معبد القدس بناء على نصيحة يعقوب، حتى لا يعتبرونه مسيحيًا. يكتب قائلاً لأهل غلاطية: «أقول لكم، أنا بولس، أنه إذا اختتنتم فلن يفيدكم يسوع المسيح في شيء». ثم يقوم يختن تلميذه تيموثاوس الذي يقول عنه اليهود إنه ولد من أب يوناني وأم عاهرة. لاشك أنه دخيل بين الحواريين، ويتباهى أمام أهل كورنثوس بأنه حواري مثله مثل الحواريين الآخرين: «ألست حواري؟ ألم أرى سيدنا يسوع المسيح؟ ألستم من صنعي؟ إذا لم أكن حواري في نظر الآخرين، فعلى الأقل أنا كذلك في نظركم. ألا يحق لنا أن نأكل على حسابكم؟ أليست لنا الإمكانية في أن نصطحب معنا امرأة تكون أختنا، أو إن أردنا، أخت تكون زوجتنا، أو كما يفعل الحواريون الآخر وأخوة ربنا؟ (ويقصد المسيح)؟ من ذا الذي يذهب إلى الحرب على نفقاته» إلخ...

«ويا لها من أمور في هذه الفقرة! حق أن يعيش الشخص على نفقات من قام بإخضاعهم تحت سيطرته، حق أن يقوم بتغريمهم نفقات الزوجة أو الأخت، ثم الدليل القاطع بأن يسوع كان له أخوة، ويقين أن مريم قد وضعت أكثر من مرة».

«كما أود أن أعرف عن من يتحدث في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس في الإصحاح الثاني: «أنهم حواريون مزيفون.. وما يجرأون على عمله أجرؤعليه أيضًا هل هم يهود؟ أنا أيضًا يهودي؛ هل هم من سلالة إبراهام؟ أنا أيضًا. هل هم كهّان ليسوع المسيح؟ وإذا ما اتهموني بالصفاقة. فيمكن أن اتهمهم أكثر مما يقولون. لقد عملت أكثر منهم، وقد استُدعيت أمام القانون، وتم سجني أكثر منهم. وتلقيت ٣٢ ضربة سوط، وضرب العصى ثلاث مرات، ورجمت مرة، وظللت طوال يوم وليلة في قاع البحر».

«ها هو ذا ذلك البولس الذي ظل أربع وعشرين ساعة في قاع البحر دون أن يغرق، أنه ثلث مغامرة يونس. لكن، ألا يعرب هنا عن غيرته الحقيرة من بطرس وباقي الحواريين، ويحاول التفوق عليهم لأنه تم استدعاؤه أمام القانون وضرب بالسوط أكثر منهم؟».

«ألا يبدو حب السيطرة الجامح في كل وقاحته حينما يقول إلى نفس أهل كورنثوس: «أني أتي إليكم لثالث مرة، وسأحكم على كل شيء بشاهدين أو ثلاثة، ولن أغفر لأي واحد من الذين أخطأوا ولا حتى الآخرين».

«إلى أي حمقي وإلى أي قلوب مخبولة من الشعب يكتب هكذا كسيد مستبد؟ إلى أولئك الذين جرؤ أن يقول لهم إنه صعد إلى السماء الثالثة؟! يا له من جبان مخادع صفيق! أين هي تلك السماء الثالثة التي سافرت إليها؟ هل هي في الزهراء أم في زحل؟».

«وما هو أصل ذلك البولس الذي يثير مثل هذه الضجة والذي يذكر اسمه عشوائيًا؟ يقول إنه مواطن روماني. أجثر على التأكيد بأنه كاذب بصفاقة. فما من يهودي أصبح مواطنًا رومانيًا إلا في عهد دسيوس وآل فيليب (أي في منتصف القرن الثالث)، ويزعم أنه من طرسوس، وطرسوس لم تصبح مستعمرة رومانية أو مدينة رومانية إلا بعد حياة بولس بمائة عام. ويزعم أنه من جيسكالا، على حد قول القديس جيروم، وهذه القرية الصغيرة كانت في الجليل، ولم يحدث أبدًا أن كان للجليليين شرف أن يكونوا مواطنون رومان.

«يقول أنه نشأ عند أقدام جماليل، وذلك يعني أنه كان خادمًا لجماليل.

«إننا نلمح أثرًا لهذه المغامرة في الكتاب القديم الذي يتضمن تاريخ ثيكلا (Thécle). وليس من الغريب أن تقوم ابنة جماليل برفض مثل هذا التابع الأصلع الحقير، الذي كانت حاجباه تلتقيان فوق أنفه الضخم والذي كانت سيقانه معوجة: إن أعمال ثيكلا

تصفه بهذا الشكل. وإذا تم ازدرائه من جماليل ومن ابنته، كما كان يستحق، فقد انضم إلى الطائفة الوليدة لكل من سيفاس ويعقوب ومتّى وبرنابا ليغرس القلاقل لدى اليهود.

«وما أن يكون للمرء ذرة من العقل سندرك سبب ارتداد ذلك اليهودي المسكين، وأنها أمر طبيعي أكثر مما ينسبون له. كيف يمكن أن نقتنع بأن نورًا من السماء قد أسقطه عن جواده في قلب الظهيرة، وأن صوتًا من السماء قد خاطبه وأن الله قد قال له: شاؤل، شاؤل، لماذا تضطهدني؟ ألا نحمرّ خجلاً من مثل هذا العته؟!.

«إذا ما كان الله أراد أن يحمي أتباع يسوع من الاضطهاد، ألم يكن من الأجدر أن يخاطب أحد أمراء الأمة بدلاً من أن يخاطب خادم جماليل؟ هل قلل ذلك من اضطهادهم منذ أن سقط شاؤل عن جواده؟ ما معنى هذه المعجزة الساخرة؟

«أقسم بالسموات والأرض أنه لم توجد خرافة أكثر جنونًا، ولا أكثر تعصبًا، ولا أكثر قرفًا وجديرة بالجذع والاحتقار من ذلك المدعو بولس».

(وارد في كتاب الإمبراطور چوليان، هامش رقم ١٦، صفحات ٤٩ – ٥٥).

اللاهوتي ثيرو (١٧٦٥) Théro

في خطاب للاهوتي ثيرو مرسل للاهوتي آخر وطبع في أمستردام عام ١٧٦٥، كتب قائلاً: «سألني عمدة المدينة أمس لماذا قام يسوع بمعجزاته في الجليل! فأجبته مازحًا ليتم تنصير هولندا! فأجابني لماذاإذن لم يتنصر الهولنديون إلا بعد ثمانية قرون؟ لماذا لم يقم يسوع شخصيًا بتعليم ذلك الدين؟ إنها معجزات قائمة على الإيمان بالخطيئة الأولى، ويسوع لم يقم بأية إشارة إلى الخطيئة الأولى؛ وقائمة على الاعتقاد بأن الله قد تجسد بشرًا، ويسوع لم يقل أبدًا أنه كان الله وكان بشرًا في آن واحد؛ وقائمة على أن يسوع كانت له طبيعتان؛ وفي الواقع أنه لم يقل أبدًا أنه ذو طبيعتان؛ وقائمة على الاعتقاد أنه ولد من عذراء، وهو لم يقل أبدًا أنه ولد من عذراء: بل على العكس من ذلك كان ينادي والدته قائلاً: يا امرأة! ألم يقل لها: «يا امرأة هل يوجد شيء بيني وبينك»؟! وقائمة على الاعتقاد أن الله من سلالة داوود، واتضح أنه لا علاقة له بداوود؛ وقائمة على الاعتقاد بالنسب الوارد وعملوا له نسبين في غاية التناقض.

«إن ذلك الدين قائم أيضًا على بعض الطقوس التي لم يقل عنها أي كلمة. ومن الواضح من الأناجيل أن يسوع ولد يهوديًا، وعاش يهوديًا، ومات يهوديًا، وأنني لمندهش أنك لست يهوديًا! لقد قام بتنفيذ كافة التعاليم اليهودية، فلماذا تنبذونها؟

«بل لقد وضعوا على لسانه في أحد الأناجيل: «ما جئت لأنقض الناموس وإنما جئت لأكمّل». فهل معنى التكملة أن نبغض ونبتعد عن كافة الطقوس؟ أنك لست مختونًا وتأكل الخنزير والأرنب البري ونقانق دم الخنزير المطبوخ. ففي أي مكان في الإنجيل سمح لك يسوع بأكلها؟ أنكم تعملون وتؤمنون بكل ما هو غير وارد في الأناجيل. فكيف تقولون إنها تمثل القانون المتبع؟! أن حواريي يسوع كانوا يتبعون الشرع اليهودي مثله. وكل من بطرس ويوحنا صعدا إلى المعبد في الساعة التاسعة (أعمال الرسل). ثم ذهب بولس بعد ذلك يبشر باليهودية في المعبد لمدة ثمانية أيام بناء على نصيحة يعقوب. وقال للوالي فستس أنا فريسي. وما من حواري قال: «أغفلوا شرع موسى». لماذا تخلى المسيحيون إذن كلية عن ذلك الشرع؟.

«كيف يمكن لله أن يأتي على الأرض ليموت بأكبر أحط الوسائل، ولم يعرب عن رغبته وإنما ترك هذه المهمة إلى المجامع التي لم تجتمع إلا بعد ذلك بعدة قرون لتتناقض، وتلقى باللعنة والحرمان على بعضها بعضًا، وجعلوا الجنود والجلادون يسيلون الدماء ببشاعة؟

«هل يعقل أن يأتي الله على الأرض، ويولد من عذراء، ويمكث ٣٣ سنة، ثم يموت على أداة العبيد ليعلمنا ديانة جديدة؟! والأدهى من ذلك أنه لم يقل لنا عنها أي شيء! أنه لم يعلمنا ولا عقيدة واحدة من عقائدها! ولم يأمرنا بأي طقس من طقوسها، فكل شيء يتم ويستتب ويتهدم ويتجدد مع الزمن في نيقية، وخلقيدونيا، وأفسوس، وإنطاقيا، والقسطنطينية وسط المكائد والدسائس الصاخبة والعداوات الشرسة! وفي الواقع لم تناقش العقائد الجديدة بما لها وما عليها إلا بالأسلحة المرفوعة في الأيدي.

«وحينما كان الله على الأرض احتفل بعيد الفصح بأكل خروف مطبوخ بالخس، ونصف أوروما منذ ثمانية قرون تحتفل بعيد الفصح بأكل يسوع المسيح شخصيًا بلحمه ودمه. ولقد أدت المعارك الناجمة عن هذه الكيفية للاحتفال بعيد الفصح إلى إسالة الدماء أكثر مما أسالته الحروب بين النمسا وفرنسا، أو بين الجولف والجيبلان، أو بين ذوي الأردية البيضاء والحمراء، وإذا ما انكست الحقول بالجثث أثناء هذه الحروب فإن المدن قد رشقت بالمقاصل أيام السلم. يبدو أن الفريسيين حينما قتلوا إله المسيحيين قد علّموا أتباعه كيف يقتلون بعضهم بعضًا بالسيف وبالمقصلة وعلى العجلة أو حرقًا بالنار، وسواء أكانوا مضطهدون أو مضطهدين، شهداء أم جلادون، على التوالي، أغبياء، وثائرين، فهم يقتلون ويموتون لأسباب يسخر منها الرهبان والقساوسة وهم يدفنون الموتى ويقبضون الأموال نقداً من الأحياء»!.

(وارد في الهامش رقم ٦٧ من كتاب (خطاب الإمبراطور چوليان إلى المسيحيين» صفحات ١٣٨ - ١٤١).

فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨): Voltaire

امتدت حياة فرانسوا ماري آروية المعروف باسم فولتير ٨٤ عامًا مليئة بالأعمال والإبداع حتى صبغ العصر باسمه وأصبح القرن الثامن عشر، في مجال الفكر والأدب يعرف باسم «عصر فولتير» وهو لا يزال حيًا. وقد كتب في كل المجالات تقريبًا. إلا أنه كان شغوفًا بالدين، والتاريخ والعدل، وهي المجالات الثلاثة التي انعكس فيها الشعور الديني في القرن الثامن عشر. قد وصل عداؤه للكنيسة ولرجال الدين لدرجة أنه أعلن قائلاً: «إنني لست مسيحيًا لكي أحب الله بصورة أفضل»! كان يعلم أنه لابد من نزع ممارسة السلطة عن الكنيسة وإبعادها عن السيطرة على عقول البشر، «وقد أثبتت الأيام أنه كان على حق»، فقد كره القس على أنه «رجل مسيل للدماء» قائلاً: «لنسحق ما هو مشين من حياتنا»، ويقصد بها الكنيسة. وكان يرفض تأليه المسيح رفضًا قاطعًا، كما كان يعتبر فكرة «التجسد» (أي تجسد الله بشرًا) فكرة كافرة تمس الذات الإلهية، ويعتبر الصليب جنونًا.

وقد جاهد وظل يجاهد طوال حياته من أجل العدل وانتزاع القضاء من الوشحية والظلم اللاإنساني، لذلك حارب الممارسات البشعة لمحاكم التفتيش واستخدام التعذيب في الاستجواب وأدان العجلة (التي كان يشدون عليها من يعذبونه ليعترف) وأدان المحارق التي كانت تشعلها الكنيسة ورجالها للسيطرة على المواطنين.

وتتضمن مؤلفاته ٨٤ عملاً عدا مرسلاته ١٩ جزءًا، وعدد من المجلدات لمجرد ملاحظاته الهامشية -وكلها ملاحظات ثاقبة. ومن أشهر مؤلفاته الشاملة في مجال النقد «**القاموس الفلسفي**» حيث ضمنه العديد من الموضوعات النقدية للمسيحية وإذا ما كان قد انساق لضغوط البابا آنذاك وكتب مسرحية «**محمد أو المحتال**» فقد تراجع عنها معترفًا بأنها كانت بإلحاح من البابا، أما آخر مؤلفاته فكانت بعنوان: «إنجيل العقل» وهو عبارة عن عدة موضوعات كلها متعلقة بنقده للكنيسة والمسيحية، وأول موضوع بهذا الكتاب كان التلخيص الذي عمله لوصية الأب چان ميليه التي كانت الكنيسة قد صادرتها. وبذلك أصبح للوصية صورتان في الإخراج: التلخيص الذي قام به فولتير، والطبعة الكاملة التي صدرت بعد ذلك، وتحت عنوان: «**الكتاب الديني للرجل الشريف**» كتب يقول:

«إنني هنا محاط بمسيحيين أرمن يقولون إنه من المحرّم أكل الأرنب، ويونانيين يؤكدون أن الروح القدس لا ينبثق مطلقًا من الابن، ونستوريين ينكرون أن تكون مريم أم

الله،ومع بعض اللاتين الذين يتباهون بأن المسيحيين في الغرب يفكرون بطريقة مختلفة عن مسيحيي أمريكا وآسيا وأفريقيا. وأعرف أن هناك خمس أو ست طوائف مسيحية في أوروبا تلعن كل منها الأخرى وتحرّمها، بينما المسلمون الذين يحيطونني ينظرون بعين ملؤها الاحتقار والهول إلى كل هؤلاء المسيحيين، ومع ذلك يتحملوننا بينهم! (صفحة ٧٧ - ٧٨).

ومع شدة إطلاعه وبحثه في التراث كتب يقول: «من اللافت للنظر أن چوزيف المؤرخ المعاصر ليسوع لم يكتب أي شيء عنه. إنه يهودي ولا يقول شيئًا عن ذلك اليهودي المولود لدى يهود!» (صفحة ٧٩). ولا يمكننا تحديد هل الفقرة الشهيرة ذات العشرة أسطر والمدسوسة في أعمال چوزيف هل أضيفت بعد أيام فولتير أم أن فولتير قد اطّلع على نسخة لم يكن أضيف إليها ذلك التحريف المفضوح علميًا»؟

ويقول فولتير بعد ذلك بقليل: «كم يثقلني عدم التأكد في البحث الهام الذي أقوم به لأعرف من يجب عليّ أن أعبد وفيما يجب عليّ أن أؤمن؟! أنني أقرأ في نصوص الأناجيل ولا أجد في أي مكان بها أن يسوع، الذي جعلوه إلهًا، قد أطلق على نفسه قط أنه إله، بل على العكس أنه يقول إن أباه أكبر منه، وأن الأب وحده يعلم ما يجهله الابن (...) ويقول تحديدًا بإلحاح أنه في الجيل القادم سينزل ابن الإنسان من السحاب! فما معنى ابن الإنسان؟ وكيف ينزل من السحاب؟ هل تحققت هذه النبوءة؟!» (صفحة ٨١).
ثم يواصل قائلاً:

«إنني لم أجد أي أثر للمسيحية في تاريخ المسيح: فالأناجيل الأربعة التي بقيت لنا تتعارض في الكثير من الوقائع، ومع ذلك فهي تجمع جميعها على أن يسوع قد خضع لشرع موسى منذ مولده حتى وفاته. وأن كل تلاميذه كانوا يواظبون على الذهاب إلى معبد اليهود ويطالبون بإصلاح، لكنهم لم يعلنوا أبدًا عن ديانة مختلفة. أن المسيحيين لم ينفصلوا عن اليهود إلا بعد ذلك بكثير (...) وإن كان يسوع قد أراد إقامة كنيسة مسيحية لماذا لم يقم بتعليم شرعها؟ أما كان قد قام بنفسه لإقرار كل طقوسها؟ أما كان قد قام بالإعلان عن الأسرار السبعة التي لا يقول عنها أي شيء؟ أما كان قد قال أنا الله مولود وليس مصنوع وأن الروح القدس ينبثق من أبي دون أن يولد، وأن لي إرادتين في شخص واحد، وأن أمي هي أم الله؟ وعلى العكس من ذلك كله نراه يقول لأمه يا امرأة، ما يوجد بيني وبينك؟ ولم يقم بإقرار أية عقيدة ولا أي طقس ولا أية هيكلة كنسية، ومن الواضح إذن أنه ليس هو الذي عمل دينه!» (صفحة ٨٣ - ٨٤).

ويواصل فولتير متسائلاً: «وما كان هدف ونهاية كل هذا التضليل الفظ؟ السيطرة على العقول، وسب مصداقية الأغبياء، وسرقة ممتلكاتهم لإقامة القصور على أنقاض أكواخ الفقراء، وإصدار الأوامر بغرور وقح بينما يقومون بالوعظ بضرورة التواضع، وأن يكون تحت أمرتهم جنودًا أكثر من القساوسة، وأن يقوموا بإصدار أحكام الموت من قصورهم الفخمة على المعدم الذي تجرأ برفع بصره أو صوته ضد هذا البذخ الذي يغص فيه المضللين الذين سمنوا بدماء البؤساء. اقرأوا فقط تاريخ الكنيسة المسيحية وسوف ترتعدون من الرعب والهلع وتبكون على الجنس البشري» (صفحة ٨٤).

ثم يثير فولتير قضية التناقضات وصياغة الأناجيل بعد التواريخ التي تقوم الكنيسة بفرضها خاصة واقعة زكريا بن براخ الذي «قتل بين المعبد والمذبح» الواردة في إنجيل متى - وهو ما حدث فعلاً وثابت تاريخيًا - مما يثبت أن هذا الإنجيل قد كتب في عهد طيطس وبعد هدم المعبد (...) إن الروح بحاجة إلى هذا الغذاء (ويقصد الدين)، لكن لماذا تحويله إلى سموم؟ لماذا كتم الحقائق البسيطة في تل من الأكاذيب الكريهة؟ لماذا مساندة هذه الأكاذيب وفرضها بالحديد والنار؟ يا لها من بشاعة جهنمية!.. نعم، لابد للإنسان من دين، لكن يجب أن يكون نقيًا، منطقيًا، وعالميًا، يجب أن يكون واضحًا كالشمس التي هي لكل البشر وليس قاصرًا على بضعة مقاطعات» (صفحة ٨٦).

وينهي فولتير هذا الحوار الدائر بين أحد «الرهبان اليونانيين والرجال الطيبين» وهو عنوان هذا النص، قائلاً على لسان الراهب: «إنني أكره الاضطهاد، والقهر والقمع مثلك تماماً وبفضل السماء حمدًا لله قد سبق وقلت لك أن الأتراك الذين أعيش بينهم في سلام، لا يضطهدون أحدًا». فأجابه الرجل الطيب قائلاً: «ليت كل شعوب أوروبا تتبع مثال الأتراك» (صفحة ٩١) (ملحوظة: كلمة الأتراك في القرن الثامن عشر كانت تستخدم في الأدب الفرنسي إشارة إلى المسلمين).

وتحت عنوان «موعظة الخمسين» كتب فولتير في (صفحة ٩٥) من هذا العمل الذي يمثل آخر ما كتبه في حياته، قائلاً: «لنقم بنقد العهد القديم الذي يتخذه المسيحيون أساسًا لديانتهم: أيمكنني أن أعيد ما قرأته دون أن أتقيأ مما يأمر به الله نبيه حزقيال؟ لابد من ذلك. إن الله يأمره أن يأكل خبزًا مصنوعًا من الشعير ومطبوخًا «بالبراز». هل يمكن تصديق أنه حتى أقذر متسول في أيامنا لا يمكنه تصور مثل هذه الحثالة؟! نعم يا إخوتي، إن النبي حزقيال أكل الخبز وعليه البراز الآدمي. وعند شكوته من أن هذا الطعام يسبب له القرف، قام الله من باب المصالحة والتوفيق وسمح له بأن

يضيف على ذلك الخبز من روث البقر. هذا مجرد نموذج، مجرد ملمح من كنيسة يسوع المسيح، (...) أقرأ سفر حزقيال الإصحاح ٢٣ لتعجب (...) كيف تبحث الشابة أهوليبة عن القيام بالجماع مع «الذين عورتهم كعورة الحمير ومنيهم كمني الخيل» (آية: ٢٠)!

وهنا لابد لنا من وقفة نوضح فيها أن حتى هذه الآيات قد تم تحريفها، فالآيات التي يأمر فيها الرب حزقيال بأكل البراز الآدمي قد تحولت في طبعة ١٩٦٦ إلى تحريف طفيف بوضع نقطة بعد كلمة الشعير وحذف حرف الألف بعد الراء لتصبح «الشعير على الخرء الذي يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم»! وبإضافة حرف جر «على» يتحول المعنى من أكل الغائط إلى الطبخ عليه - أي أنه يستخدم كوقود!!

ويسخر فولتير من كم الأخطاء والتناقضات الواردة في الأناجيل طوال عشر صفحات ثم يوجز قوله موضحًا: «إن كتبة الأناجيل يتناقضون حول مدة حياة يسوع، وحول ما كان يبشر به، وحول يوم العشاء الأخير، ويوم وفاته، وحول عدد مرات ظهوره بعد وفاته، وفي كلمة واحدة: إنهم يختلفون حول كل الوقائع. لقد كان هناك تسعة وثمانين إنجيلاً كتبها المسيحيون في القرن الأول والثاني وكانت جميعها تتناقض بل وأكثر من ذلك. وأخيرًا اختاروا تلك الأربعة التي بقيت» (صفحة ١١٥)..

ومن أكثر الأمور التي انتقدها فولتير ظهور الشيطان في الأناجيل الأربعة المتواترة واختطافه يسوع، علمًا بأن الشيطان لا يظهر في العهد القديم، قائلاً: «ويقوم الشيطان باختطاف الله على جبل في الصحراء، ويعرض عليه كل ممالك الأرض، فما هو ذلك الجبل الذي نكشف من عليه كل البلاد؟!».

وفي نهاية البحث يوضح فولتير قائلاً: «إن طائفة هذا اليسوع ظلت مختفية بينما تعصبها يتزايد، فلم يجرؤا في البداية أن يجعلوا من هذا الإنسان إلهًا. لكن سرعان ما تشجعوا ولا أعرف كيف تم إدخال ميتافيزيقا أفلاطون مع طائفة الناصرة. فجعلوا من يسوع «اللوغس» (الكلمة)، كلمة الله، ثم جعلوه مشاركًا الله في الجوهر، بعد أن كان أبيه. ثم ابتدعوا الثالوث، ولكي يضفوا مصداقية قاموا بتزوير وتحريف الأنجايل الأولى. فأضافوا فقرة تتعلق بهذا الثالوث (يقصد نهاية الإنجيل متى ٢٨: ١٩ لأن فولتير يعلم تمامًا أن بدعة الثالوث تم اختلاقها في أواخر القرن الرابع، فكيف توجد في إنجيل يقولون إنه مكتوب فيما بين ٥٠ و٧٠م؟!). وكذلك قاموا بتزوير المؤرخ جوزيف ليجعلوه يقول كلمة عن يسوع على الرغم من أن جوزيف مؤرخ شديد الجدية لكي يقوم بالإشارة إلى مثل هذا الرجل. بل لقد تمادوا في تزويرهم لدرجة إلصاق بعض الآيات

باسم العرافات. وفي كلمة واحدة لا توجد أية حيلة ماكرة،. أو غش، أو تضليل لم يقم أهل الناصرة باستخدامه في كتاباتهم.

«وبعد ثلاثمائة عام وصلوا وتمكنوا من جعل هذا اليسوع أنه الله، ولم يكتفوا بهذا السب، وتمادوا أكثر في هوسهم ليضعوا هذا الإله في قطعة عجين، ومحو الخبز، وبينما يتم أكل إلاههم من تلك الفئران، وبينما يقومون بهضمه ويخرجونه في غائطهم، ويصروّن على أنه لا يوجد أي خبز في قطعة المناولة، وأن الله وحده هو الذي يوجد مكان الخبز الذي يؤكل، بناء على صوت رجل ما» (صفحة ١١٨).

وفي البحث الأخير الذي يحمل نفس عنوان الكتاب «إنجيل العقل»، ويقول فولتير في صحفة ١٣٦: «كل الكتب المقدسة وكتب الآباء قد خضعت إلى أخطاء لا حصر لها من الذين كانوا ينقلونها، وقد ارتأى بعضهم من قبيل عزرا والقديس چيروم أن يعيدوا صياغتها في أزمنة مختلفة، ولا يزال البنديكتيون يجرؤن حتى يومنا هذا أن يعطونا طبعات للآباء شديدة الاختلاف عن الطبعات الأولى».

وفي الجزء الخامس من هذا البحث يوضح فولتير: «أن الدين الحقيقي ليس بحاجة إلى أدلة زائفة، لأن الله ثابت وكل ما هو متغير متقلب لا يمكن أن يتناسب معه، إن الديانة المسيحية قد غيّرت مرارًا عبادتها وشكلها لكي يجرؤ أحد على قول إنها موحاه أو منزّلة (...) لأن الشرط الأساسي، أو بالأحرى، الطابع الأصيل للديانة الحقيقية هو ألا تعطينا أي فكرة خاطئة عن الله، وهذا الشرط مفتقد كليةً في الديانة المسيحية» (صفحة ١٣٧).

ثم يصف فولتير تصوره لله وكيف أنه يراه واحدًا ثابتًا لا يتغير ولا يعرف التقلبات البشرية التي يضفونها عليه، ولا يندم على عمله كما يقولون (تكوين إصحاح ٦) مضيفاً: «إننا نتساءل لماذا رؤساء الكنائس وآباء هذا العصر يوعظون بحماس لا يكل عن احتقار الثروات بينما هم يبحثون عنها حثيثًا وبنهم شرس؟! (...) كما نتساءل أيضًا لماذا يقوم الكردينالات والأساقفة الذين هم رؤساء الكنيسة، بالتمتع بمثل هذه السلطة ويعيشون في مثل هذا البذخ والعظمة (...) ونتساءل أيضًا، كيف يمكن أن نعقل تبشيرهم علنًا بالأسرار التي كانوا يخفونها قديمًا؟

من المؤكد أنهم لم يبدأوا في الكشف عن أسرار الديانة المسيحية التي كانوا يخفونها قديمًا إلا حينما أصبح في مقدورهم فرضها بالقوة (...) ثم، من يمكنه أن يؤكد لي أن الأناجيل قد أملاها الروح القدس؟ إن يسوع لم يتركها لنا ولم يعلق على أي إصحاح من العهد الجديد طوال حياته؟ على الأقل محمد قد أتي بالقرآن». (صفحة ١٤٧).

وفي الجزء الأخير من البحث يقول فولتير: «عندما نتأمل تصرف يسوع، لا يمكن أن نقتنع بأنه كان ما يريدوننا أن نؤمن به، يقول إنه أتى ليعلمنا ولينقذنا، ومع ذلك فهو لم يقم بهذا ولا ذاك (...) أن يسوع المسيح لم يقل ولا كلمة من هذا ولم يشر أبدًا إى معجزة مولده، ولم يتحدث أبدًا عن الثالوث، ولا عن الأسرار السبعة أو عن الخطيئة الأولى: وهي النقاط الأساسية للديانة المسيحية. ولنقل بصدق: من المؤكد أن يسوع المسيح لم يعلّم البشر ما يقولونه، وأن رحلته هي أكثر كل الرحلات وهمية، بل وأقلها نفعاً» (صفحة ١٥٧).

«إن كل مجمع مسكوني يأتي لنا بعقيدة جديدة، وذلك يعني أن يسوع المسيح لم يتم عمله. لا، لا يمكن القول بأن كل هذه المتناقضات والمخالفات من صنع الله. فكيف يمكن ليسوع أن يكون وسيطاً بين الله والبشر، وهو فرضًا إله مثله مثل أبيه، ولا يمكن أن يكون وسيطًا مع الله بما أن ذلك يعني أنه سيتوسط لنفسه عند نفسه» (صفحة ١٦٠).

ويختتم قائلاً: «**يا لها من مسرحية هزلية تلك التي يقصونها عن حياة يسوع المسيح وعن وفاته، وعن بعثه أوصعوده!**».

ريشار سيمون (١٦٣٨ - ١٧١٢) Richard Simon

ولد ريشار سيمون في مدينة دييب الفرنسية الساحلية حيث درس بها في مدارس اللاهوت ثم واصل دراسته في السوربورن قسم الدراسات الدينية واللغات الشرقية. وعيّن قسا وبدأ نشاطه الأدبي بدراسات نقدية متعددة شديدة الدقة، حول عقيدة الإفخارستيا، وعن «أتباع الكنيسة الشرقية» (١٦٧٢) التي زودها بمائتي صفحة من الهوامش العلمية التي تتجلى فيها براعته المنهجية العلمية.

ثم قام بعمل «**التاريخ النقدي للعهد القديم**»، من ثلاثة أجزاء، تضمن تحليلاً شديد العمق لكل الذين ترجموا أو علقوا على العهد القديم، وهو ما أثار غضب الكاثوليك والبروتستانت على السواء، فقد أفزعهم مستوى هذا النقد العلمي الذي أقل ما يقوم به هو هدم أعمالهم التبريرية. وقبل أن تنتهي طباعة الكتاب، كان الأسقف بوسويه Bos-suet قد قرأ الفهرس، ورأى «أن موسى لا يمكن أن يكون هو مؤلف الكتب المسندة إليه» وهي الأسفار الخمسة! فهرع الأسقف إلى رئيس القضاة، وما هي إلا أسابيع حتى كان قد تم الإستيلاء على الكتاب ومنع من النشر، وتم رفت ريشار سيمون من المعهد ومن ممارسة مهامه الدينية، فانسحب إلى ضيعته وقام بإعداد طبعة جديدة سرًا وزودها

بالكثير من التفاصيل في مقدمتها، وتمت طباعته في هولندا. وبذلك بدأ ما عرف بالنشاط الأدبي السري في فرنسا كنوع أو كوسيلة للتحايل على الرقابة الكنسية وغيرها.

وفي خلال أربع سنوات قام بكتابة ثلاثة من أهم كتبه هي: «**التاريخ النقدي للعهد القديم**» (طبع في روتردام سنة ١٦٨٩)، و«**التاريخ النقدي لترجمات العهد الجديد**» (١٦٨٩) ومن أهم ما أشار إليه عمليات التحريف التي تمت بناء على التلاعب في الترجمات من الأصول سواء العبرية أو اليونانية، وكمّ التناقضات الواردة بالأناجيل والتي تدين عملية أنها مقدسة أو منزلة. وإذا ما وضعنا هذا النوع من النقد الذي يعد اليوم مسألة دارجة، في إطاره الزماني في القرن السابع عشر لأدركنا قيمة وجرأة ذلك العمل الذي قام به الأب ريشار سيمون. كما كتب «**التاريخ النقدي لأهم المعلقين على العهد الجديد**» (١٦٨٩ و١٦٩٣)، وهو ما أدى إلى مناقشات محتدة مع الكنيسة والكنسيين، وتبعه بكتابه: «**ملاحظات جديدة حول نص وترجمات العهد الجديد**» (١٦٩٥). والعنوان وحده يكشف مدى الاختلافات الواردة بحيث تطلبت بحثاً بهذه القوة والصرامة.

ثم قام بعد ذلك بعمل ترجمة للعهد الجديد بعنوان: «العهد الجديد لربنا يسوع المسيح، مترجم عن الطبعة اللاتينية القديمة، ومزود بملاحظات» من أربعة أجزاء (١٧٠٢)، وهي الترجمة التي استعان فيها بترجمة القديس جيروم وكشف ماتم فيها من تلاعب وتحريف يأتي هنا كنوع من التأكيد للذي قاله القديس جيروم في مقدمته لهذه الأناجيل التي كتبها باسم البابا داماز Damase، والتي أوضح فيها عمليات التغيير والتبديل التي اضطر إلى عملها ليخرج الأناجيل الأربعة وفقًا لطلب البابا.

إلا أن الأسقف بوسويه قد علم بهذه الترجمة التي قام بها ريشار سيمون وهاجمها بعنف ومنعها من التداول لاختلافها الواضح عن النص الرسمي المتداول.

ولم يتوقف الأب ريشار سيمون وواصل مسيرته في كشف عمليات التحريف المتعددة سواء في النصوص المفترضة كأصول أو في الترجمات التي بنيت عليها، أو للأعمال التفسيرية والتبريرية التي لاحظها من خلال دراسته المتعمقة في كل من اللاهوت واللغات الشرقية. وتضم مؤلفاته في هذه المرحلة: «**تاريخ دخل الكيان الكنسي**» (١٦٨٤) الذي أوضح فيه البذخ الفاحش لكبار رجال الكنيسة وكيفية استيلائها على دخول لا حصر لها عن طريق الغش والتحايل على الأتباع وكتاب «**التاريخ النقدي لتصديق**

الإيمان وعادات بلدان المشرق» (١٦٨٤)، و«**مصاعب لغوية مرفوعة للأب بوهور حول ترجمته الفرنسية للأناجيل الأربعة**» (١٦٩٧)، و«**خطابات نقدية**» ضمنها مشاعره حول العديد من الأعمال الدينية (١٦٩٩).

ولقد تعرض ريشار سيمون إلى هجوم عنيف بقيادة الأسقف بوسويه الذي نجح في منع ترجمته للعهد الجديد بقرارين صدرا عام ١٧٠٢ و١٧٠٣، ولم يكتف بذلك المنع وإنما قام بكتابة «دفاع عن التراث الكنسي» حيث راح يكيل فيه الهجوم الشديد ضد ريشار سيمون.

وأهم ما يميّز أعمال ريشار سيمون، أنه قد استطاع أن يجمع الاعتراضات التي كانت تلوح في الجو أو في الخفاء حول النصوص المقدسة بأنواعها، وراح يتناولها بالتحليل العلمي والتاريخي الدقيق. وبذلك يعد أول من أرسى قواعد ما يعرف في الدراسات الفرنسية بعلم «النقد العلمي الديني» - وإن كان هناك من سبقوه على الطريق من أمثال هوبس (Hobbes) ولابيرير (La Peyrére) أو سپينوزا (Spinoza) الذين تناولوا مصداقية نصوص الكتاب المقدس بالتحليل العقلاني. إلا أن ما من أحد منهم قد توصل إلى الأسلوب العلمي الشديد الصرامة والوضوح مثل ريشار سيمون.

ويقول چون وودبريدج (John Woodbridge) في كتابه عن ريشار سيمون ونقد الكتاب المقدس الصادر سنة ١٩٨٩: «إن ريشار سيمون قد علّمنا سنة ١٦٧٨ في كتابه عن «**التاريخ النقدي للعهد القديم**» أن موسى ليس هو من كتب البنتاتوك (أي الأسفار الخمسة الأولى)، لذلك لم تتورع العقول المتحفزة إلى إدانته لإدراكها أي خطر يمثله هذا المساس بقدسية ظلت السلطة الكنيسة تفرضها لمدة قرون». وارد في: (**القرن العظيم والكتاب المقدس**).

أما البروتستانتي جون إيفلين John Evelyn فيضيف قائلاً في نفس هذا الكتاب الجماعي: «لابد من الاعتراف بأن الكنيسة تدافع عن وجودها من خلال تلك النصوص. والعهد القديم لم يعد مشرّفا منذ أكثر من مائة عام، ولم يعد يحق له أن يفخر بكونه أقدم كتاب عرفته الإنسانية. أنه بالنسبة لنا عبارة عن إعادة صياغة لنصوص منطقة ما بين النهرين، وقد خلطوها بشرع حاولت السلطات الفارسية أن تمتلك مضمونها بعد نفي اليهود في بابل. فنصوص منطقة اليهودية تفيد الحاجة المزدوجة لسلطات الاحتلال وتعطش الشعب إلى هوية ما بعد كل المحن التي عانى منها وبعد هدم معبد سليمان».

وبعد رحيل ريشار سيمون خبا هذا التيار العلمي النقدي للنصوص الدينية فقد ازدادت القبضة الحديدية، وكان على هذا المجال البحثي أن ينتظر قدوم القرن التاسع عشر لتتم إعادة اكتشاف أعماله وتتواصل المسيرة الوعرة التي بدأها بصلابة راسخة واستمرت في تزايد متفاوت الحدة حتى يومنا هذا.

القس إرنست رينان (١٨٢٣ - ١٨٩٢) Ernest Renan

يمكن القول بأن القس السابق إرنست رينان يلخص بأعماله المتنوعة تطلع القرن التاسع عشر الفرنسي. فقد تناول التاريخ والأخلاق والفلسفة والنقد الأدبي والنقد الديني، وتأمل حول السياسة وإصلاح التعليم، إلا أن أهم ما يعرف له من إسهام هو كتابه المتعدد الأجزاء والمعنون: «**تاريخ أصول المسيحية**» (٧ أجزاء).

بدأ رينان حياته وقد تصور أن المجال الكنسي هو طريقه، إلا أن الدراسات الدينية التي خاضها لكي تؤهله لهذا المجال قد اقنعته بهشاشة البنيان المسيحي فقطع صلته بالمجال الكنسي وتفرغ للدراسة والكتابة. وقد وصل إلى درجة رئاسة «الكوليج دي فرانس» وهي من كبرى المؤسسات العلمية الفرنسية. إلا أن الاضطهاد الذي عانى منه من قبل الكاثوليك وملاحقتهم له أجبرته على التخلي عن منصبه!

وأهم ما يميز أبحاث آرنست رينان هو أنه قام، لأول مرة في فرنسا، بنزع صفة القداسة عن الأبحاث الإنجيلية ليقيم منهجًا علميًا قائم على التفسير العلماني، وإن كانت أول محاضرة ألقاها قد صدمت الرأي العام إذ تحدث عن يسوع كإنسان لا مثيل له - كإنسان وليس كإله، وما إن صدر أول جزء من كتابه الموسوعي حول «**تاريخ أصول المسيحية**» وكان بعنوان «**حياة يسوع**» (١٨٦٣) حتى زادت الحرب ضده. إلا أن نجاح هذا الجزء الأول كان مدويًا. إذ تناول حياة يسوع في الإطار التاريخي مستبعدًا جهاز الإيمان الكنسي، ليتغنى بالعلم والتقدم العلمي في العصر الحديث على أنه - في نظره - يمثل ديانة جديدة قادرة على تنظيم الإنسانية عقلانيًا.

ويوضح رينان أنه في كثير من المدن الهامة، أيام المسيحية الأولى، كانت هناك أسقفيتان: واحدة خاصة بالمسيحيين من أصل يهودي، والأخرى للذين هم من أصل وثني. ويقول إن النوع الثاني الخاص بالذين هم من أصل وثني قد أقامه بولس، وذلك نقلاً عن المؤرخ القديم ايبفانوس. ثم يؤكد رينان أنه في القرنين الثالث والرابع الميلاديين قد أفرضوا في هذا التقسيم للخروج من المأزق كلما أرادت الكنيسة أن توجد لنفسها

تسلسلاً متنظمًا من الأساقفة لإثبات شرعيتها في التراث. ومن هنا أصبح تدليس بعض الكنائس الكبرى جزء من الواقع المعاش.

ويوضح أنه قد تفاقم الوضع عندما أضيف إلى مشكلة الأصل، مشكلة اللغة مثلما حدث في انطاقيا حيث كان فريقًا يتحدث اليونانية والآخر السريانية.

لذلك كان يوجد بانطاقيا أسقفية ترجع إلى بطرس وأخرى ترجع إلى بولس. وينتقد رينان تلك القوائم المفتعلة «بغية إيجاد تسلسل مزعوم لكل أسقفية، فقد كانوا يحرّفون التواريخ حتى تتوافق مع أحد الحواريين»!

وعند حديثه عن المسيحية الأولى في مصر، يؤكد القس السابق إرنست رينان قائلاً: «إن مصر كانت دائمًا متأخرة عن ركب المسيحية، وأنها قد تلقت التعاليم الأولى للعقيدة أيام فلافيوس. إن التراث الذي يزعم أن مرقس قد بشر في مدينة الإسكندرية يعد من الاختراعات المتأخرة التي تحاول الكنائس الكبرى أن تبحث لنفسها عن نسب رسولي ممتد. فكلنا نعلم تمامًا الخطوط العامة لحياة القديس مرقس، وأنه قد اتجه إلى روما وليس إلى الإسكندرية فعندما راحت كل الكنائس الكبرى تزعم أن لها مؤسس رسولي، قامت كنيسة الإسكندرية، وكانت قد كبرت بدورها، فأرادت أن تتزود بأصالة لا تمتلكها، وكان مرقس الوحيد تقريبًا بين الشخصيات التاريخية الرسولية الذي لم يكن أحد قد تبناه بعد. وفي واقع الأمر، إن غياب اسم الكنيسة المصرية من نصوص «أعمال الرسل» ومن رسائل القديس بولس يرجع إلى أن مصر كان بها نوعًا من المسيحية الأولى، أو هي «ما قبل المسيحية»، التي جعلتها منغلقة تماماً للمسيحية بمعنى الكلمة. كان لديها فيلون السكندري، والزهاد اليهود، أي أنه كان لديها من المذاهب الشبيهة بتلك التي تتشكل في اليهودية والجليل بحيث أنها بدت وكأنها ليست بحاجة إلى الالتفات بأذن صاغية إلى المسيحية. وفيما بعد قيل أن الزهاد اليهود لم يكونوا سوى مسيحيون من أتباع القديس مرقس وأن فيلون قد كتب عنهم. وكانت تلك هلوسة حقيقية أوتحريفًا صارخًا، إذ أن فيلون السكندري قد مات منذ زمن بعيد، قبل ذلك التاريخ الذي يزعمون فيه أن القديس مرقس قد بشر في الإسكندرية؟! (**«تاريخ أصول المسيحية»** المجلد الخامس، صفحات ١٥٦ - ١٥٨).

الأمر الذي يكشف عن أن هذه المؤسسة الكنسية قائمة في كل خطاها على دعائم جد واهية لكي لا نقول كاذبة.

المعاصرون

- تنوع المسيحية
- صياغة الأناجيل
- التعليقات على الأناجيل
- حول أصول المسيحية
- اتهامات ضد المؤسسة الكنسية
- مشكلة يسوع
- «لو كان المسيح الله»..

المعاصرون

تنوع المسيحية

من الصعب أن نتصور ظاهرة دينية أكثر اختلافًا وتضاربًا من المسيحية الحالية، فقد انقسمت الفروع الأساسية المعروفة إلى أكثر من عشرين ألف طائفة، بحيث يتساءل المرء هل من الصواب أن نطلق عليها مسمى «المسيحية» أم «المسيحيات»؟!

وليست هذه الظاهرة وليدة اليوم أو وليدة العصور الحديثة، وإنما هي آفة مرتبطة بها منذ أيامها الأولى. ففي القرن الثاني والثالث كان هناك مسيحيون يؤمنون بإله واحد، وآخرون يصرّون على أنهما اثنين، وآخرون يؤكدون أنهم ثلاثة. بل كان هناك من يراهم ٣٦٥ إلهًا. وفي القرن الثاني والثالث أيضًا كان بعض المسيحيين يرون أن الله هو خالق الكون، وآخرون يرون أن ثمة إله جاهل، أقل من الله، هو الذي خلقه. كما كان بينهم من يتصور أنها غلطة كونية قام بها أحد الآلهة الأشرار ليوقع بالبشر ويخضعهم للآلام.. وفي القرن الثاني والثالث أيضًا كان هناك من المسيحيين من يؤمنون بأن العهد القديم كتبه إله حقيقي، وآخرون يرون أن إله اليهود هو الذي كتبه، وهو ليس بإله حقيقي، وفريق ثالث يرى أنه من وحي إله البشر.. بينما كان آخرون يؤكدون أنها كتب لا تمت إلى الإلهام بصلة.

وفي القرنين الثاني والثالث أيضًا، كان هناك بعض المسيحيين الذين يؤمنون بأن يسوع إله وإنسان في آن واحد، وآخرون يصرون على أنه إله تمامًا لأنه من المحال الجمع بين الصفتين، بينما فريق ثالث يصر على أن يسوع إنسان وقد تبناه الله ليكون ابنه، لكنه ليس مثل الله. وفريق آخر من المسيحيين يقول إن يسوع المسيح مكون من شيئين: يسوع عبارة عن إنسان، والمسيح عبارة عن إله قد تجسد في يسوع ثم خرج منه قبل لحظة وفاته. أي أنه تجسد فيه ليلهم أعماله لكنه انفصل عنه لكي لا يعيش آلامه..

وفي نفس القرنين، الثاني والثالث، كان هناك من المسيحيين من يؤمن بأن يسوع قد مات من أجل خلاص العالم. بينما آخرون يرون أنه لا علاقة لخلاص العالم بوفاته، وفريق ثالث يؤكد أن يسوع لم يمت!.

وهنا يتبادر إلى الزهن سؤال بإلحاح: لم كل هذه الاختلافات التي لا يمكن الجمع بينها؟ ولماذا لم يقرأ كل هؤلاء المسيحيون العهد الجديد ليتبيّنوا الحق من الباطل؟!

والإجابة جد بسيطة وهي: أن الأناجيل المعتمدة، المعروفة باسم العهد الجديد لم يكن قد تم جمعها بعد في صورتها الحالية، وإنما كانت هناك عشرات أخرى من الأناجيل ومن أعمال الرسل ومن الرسائل ومن أسفار الرؤيا تؤكد جميعها أن الذين كتبوها هم الحواريون الذين عاصروا يسوع وأحاطوا به - وكانت كل تلك النصوص تعد نصوصاً مقدسة، تقدسها فرقًا مختلفة من المسيحيين.

أما الأناجيل الأربعة التي تم اختيارها لتكوّن العهد الجديد الحالي فقد كتبها أناس مجهولون، وبعد ذلك بكثير أطلقت عليها الأسماء التي هي معروفة بها الآن. ومن بين السبعين نصًا التي كانت جميعها تنسب إلى الحواريين وتعد نصوصًا مقدسة وملهمة، لم يحتفظ «القانون» الكنسي إلا بسبع وعشرين نصًا ما بين أناجيل ورسائل ورؤيا يوحنا. ونفس هذه الأناجيل المعتمدة ظلت لمدة طويلة لا يُنظر إليها على أنها منزّلة - تلك الصفة التي أضيفت إليها عبر معارك طويلة دامية.

ومن بين الأناجيل التي كانت متداولة في تلك القرون الأولى والتي كان يبجلها بعض المسيحيين، إنجيل سمعان/ بطرس، وآخر باسم فيليب، وآخر باسم مريم المجدلية التي يقول إنجيل فيليب إنها كانت زوجة يسوع ورفيقة مشواره، وإنجيل آخر باسم ديديم/ يهوذا/ توما توأم السيد المسيح - كما يقولون، كما كانت هناك الكثير من النصوص المعروفة باسم «أعمال الرسل»، ومنها أعمال باسم بطرس،، وباسم يوحنا، وأعمال أخرى لبولس، وأعمال باسم ثكلا رفيقة بولس في فترة من فترات حياته وتلميذته، كما كانت هناك في تلك القرون الأولى العديد من الرسائل، ومنها ثلاثين رسالة باسم بولس، ورسائل باسم سمعان/ بطرس موجهة إلى يعقوب شقيق السيد المسيح ورئيس كنيسة القدس، ورسائل باسم برنابا - ذلك الحواري الذي اختاره الروح القدس مع بولس لتبشير الوثنيين، وقامت الكنيسة باستبعاد كتاباته وكادت تمحو اسمه من الوجود لأنه يخالف ما نسجته من تحريف ويرفض صلب يسوع.. بل كانت هناك رؤيا أخرى غير رؤيا يوحنا، مثل سفر الرؤيا الذي كتبه سمعان/ بطرس، وكتاب الراعي هرماس الملئ بالرؤيا الأخروية.

فعلى أي أساس تم اختيار أو استبعاد هذه الأناجيل؟ وتأتي الإجابة بأنه تم اختيار تلك النصوص التي تعبّر عن وجهة نظر الكنيسة..

أما عملية نسخ الأناجيل فهي تمثل نقطة هامة في مجال ما بها من تحريف إضافة إلى الأهواء والتيارات المتحكمة. فعملية النسخ لم تتم بالصورة التي قد يتصورها القارئ الحديث من حيث الدقة أو الإمكانيات، لكنها كانت تتسم أساسًا وفقًا للأغراض والأهواء

العقائدية من جهة، ووفقًا لمستوى الناسخ نفسه. وهنا يؤكد بارت إرمان (Bart Ehrman) رئيس قسم الدراسات الدينية بجامعة كارولينا: «**أن النسّاخ الأوائل لم تكن لديهم دراية ولا تدريب للقيام بهذه المهمة، لذلك قاموا بالعديد من الأخطاء. وبعد ذلك تم نقل هذه الأخطاء عن طريق النسّاخ الجدد الذين لم يكن بين أيديهم سوى نسخ مليئة بالأخطاء. وظل الحال كذلك حتى العصور الوسطى**» (**مسيحيات ضاعت**، صفحة ٤٩).

لذلك يؤكد في نفس الصفحة قائلاً: «**ما من نسخة من النسخ الأصلية لكتاب العهد الجديد قد نجت، وما من نسخة من النسخ الأولى بل ولا نسخة واحدة من النسخ المنسوخة أصلاً. فأقدم ما وصلنا من نسخ من كتب العهد الجديد يرجع إلى القرن الرابع تقريبًا - أي بعد ثلاثمائة عام من إنتاج النسخ الأصلية.. ثلاثمائة عام قام خلالها كتبة من مختلف العقليات والكفاءات بنقل النصوص الأصلية والغلط في نقلها**».

الأمر الذي جعله يؤكد، عند تناوله موضوع «الأصول الإنجيلية، وترسانة تحريفها»، في الفصل العاشر من هذا الكتاب، قال مؤكدًا: «**إننا لا نمتلك أية أصول لأي كتاب من الكتب التي تكون العهد الجديد، بل ولا أي نص مسيحي أصلي. أن كل ما لدينا هي نسخ منقولة عن الأصل، أو - إن أردنا الدقة، لدينا نسخ منقولة من نسخ النسخ المنقولة عن الأصل. وأكثر هذه النصوص بعيدة مئات السنين عن النص الأصلي**» (صفحة ٢١٧).. وبعدها عن النص الأصلي يعني بعدها عن الأحداث وعن الحقائق - إن كانت هناك ثمة حقائق.

صياغة الأناجيل:

لقد بدأ نقد «النصوص المقدسة» منذ عصر النهضة مع بداية انتشار التعليم، ومع بداية الإطلاع على المخطوطات القديمة اليونانية ومقارنتها بالترجمات اللاتينية وغيرها.

وهو ما سمح للباحثين في القرن السادس عشر بكشف الاختلافات الواردة في كل النصوص التي تراكمت في القرون الوسطى. وقام العديد من الباحثين بعمل ترجمة جديدة، وهي الفترة التي تمثل بداية ذلك الشرح الممتد عبر القرون التالية وحتى يومنا هذا.

وفي أواخر القرن السابع عشر ومطلع الثامن عشر، اتسع مجال المقارنة من مراجعة الترجمة بين اللغات، إلى مراجعة نفس الحدث وكيفية التعبير عنه. ومنها ما كتبه سْبينوزا (Spinoza) تحت عنوان: «**التاريخ النقدي للعهد القديم**» (١٦٧٨)، وما كتبه الأب ريشار سيمون بعد أن أجبر على الرحيل من فرنسا إلى هولندا: «**التاريخ النقدي لنص العهد الجديد**» (١٦٨٩).

إلا أن ما يمكن أن يطلق عليه النقد العلمي اللغوي فيرجع إلى جريسباخ (Griesbach) الذي قام بعمل تلخيص لأهم المآخذ عام ١٧٧٤، وإلى ريماروس (Reimarus) الذي صدر كتابه في نفس عام ١٧٧٤ في ألمانيا. فقد أوضح جريسباخ أن إنجيل كل من لوقا ومرقس ينقلان تقريبًا إنجيل متى رغم الاختلافات بينها وأنه لا يمكن اعتبارها شهادات تاريخية مؤثوق بها. وذلك لأنها تنقل ثلاثتها من أصل واحد يطلق عليه كويللي (Quelle) بالألمانية وتعني «الأصل» ويختتصرونها بحرف Q. كما أوضح أن هذا الأصل لا يتضمن قصة صلب يسوع. الأمر الذي يؤكد أنها أضيفت بعد ذلك! وقام بإدانة الأناجيل إجمالاً.

أما ريماروس، فقد أوضح أن الحواريين قد قاموا بتحويل رسالة يسوع إلى فئات عقائدية وأنهم قاموا بسرقة جسده لفرض عقيدة البعث.

وامتد البحث حول الأصول الإنجيلية في القرن التاسع عشر ليكشف عن أن الأناجيل قد تمت كتابتها وفقًا للأغراض العقائدية التي كانت تصيغها الكنيسة عبر مشوارها. وهو ما نجم عن كتاب الأب إرنست رينان (Ernest Renan) الفرنسي سنة ١٨٦٣، وكتابه عن «**حياة يسوع**»، والكتاب الأكثر منهجية للأب ألفريد لوازي (A.Loisy) وكتابه المعنون: «**الإنجيل والكنيسة**» (١٩٠٢) الذي أثار ضده زوبعة صارخة لم تهدأ إلا بإقالته من منصبه الكنسي والجامعي.

ومع بداية القرن العشرين تزايدت الأبحاث لتتناول العهد القديم. وخاصة ذلك التيار الذي أطلق عليه هدم العقيدة من الداخل، فأكثر الذين أسهموا فيه كنسيين، وأهمها أعمال رودلف بولتمان (R.Bultman) (١٨٨٤ - ١٩٧٦) الذي أثبت علميًا وتاريخيًا ولغويًا استحالة كتابة قصة يسوع بناء على النصوص الموجودة لكل ما بها من مآخذ متعددة المجالات.



وبذلك بدأ الحديث عن يسوع التاريخي ويسوع الكنيسة أو وفقًا للإيمان، وقد أصبح الفصل بين الإثنين لا رجعة فيه. وتحول «يسوع التاريخي» بعد عيد الفصح إلى «مسيح الإيمان».

ومن خلال ذلك الكم من الأعمال يمكن وصف محاولات البحث عن يسوع الحقيقي أنها أشبه ما تكون بالبحث عن إبرة في كومة من التبن، من كثرة ما لحق بالنصوص والأحداث من تغيير وتطاحن بين العلماء. فكلما أتى العلم الصادق بخطوة إلى الأمام في الكشف عن عمليات التحريف، استكتبت الكنيسة فرقها من العلماء التابعين لها للتصدي لما يتم الكشف عنه من حقائق.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين، وخاصة من السبعينات والثمانينات منه، بدأت موجة جديدة للبحث عن يسوع من خلال ارتباطه باليهودية. وهو ما يسود الأبحاث الجارية حتى في الولايات المتحدة الأمريكية. ومن الواضح أن هذا الخط قد بدأ بعد الكشف عن مخطوطات قمران وما واكبها من مغامرات النشر أو الترجمة.

وبما أن النسخ اليدوي ظل هو الوسيلة الوحيدة حتى اختراع المطبعة فإن هذه الإمكانية قد سمحت بإيجاد مئات الآلاف من نقاط الاختلاف والتناقض الناجم عن السهو أو العمد في النقل من نسخة إلى أخرى. والمعروف أن عدد نسخ الكتاب المقدس يصل تقريبًا إلى خمسة آلاف نسخة يدوية، ويرجع أقدمها إلى القرن الثاني، إضافة إلى خمس أو ست نسخ كاملة للعهدين من القرن والرابع والخامس.

التعليقات على الأناجيل:

لاشك في أن المتناقضات ولا مصداقية وعدم توافق الأحداث التي تغص بها نصوص العهد الجديد تثير لدى القارئ مشكلة كيفية تكوينها. وما يجمع عليه العلماء اليوم، وأيًا كانت اتجاهاتهم، أن هذه النصوص لا تمثل شهادة تاريخية للأحداث المعاصرة ليسوع، ولعل ذلك يرجع إلى أن تلاميذه وأتباعه كانوا مقتنعين بقرب نهاية العالم «قبل انقضاء ذلك الجيل». ومن البديهي أنه عندما يكون المرء ينتظر أو يتوقع نهاية العالم، لا يفكر في كتابة مذكرات أو ما يماثلها. من ناحية أخرى، فإن الأناجيل المتواترة تتحدث عن بؤس اليهودية وما أصابها من خراب، وعن هدم المعبد الذي تم سنة ٧٠م، وهذا يعني بالقطع أنها كتبت بعد هذا التاريخ.

ومع اختفاء الجيل الأول من المسيحيين، بدا من الطبيعي أن يتم تثبيت ما كانوا يقصونه شفاهة عن حياة يسوع، مع كل ما تتضمنه مصداقية رواية الأحداث شفاهة من إضافات وتغيير ولو من باب إضفاء بعض الحليات.

وإن كان بعض الباحثين يرجع تكوين الأناجيل في أواخر القرن الأول، فالإجماع حاليًا يشير إلى سنة ١٧٠م وذلك للتصدي للإنجيل الذي كتبه مارسيون حوالي عام ١٤٤، والذي كان قد ضمنه أفكارًا غنوصية مستوحاة من الثنائية الإيرانية القديمة. واختيار الأناجيل الأربعة الحالية من بين ذلك الكم الذي كان منتشرًا آنذاك كان نتيجة اتفاق توفيقي بين روما وكنائس آسيا، وأنه قد تم، كما يوضحه الأب ألفريد لوازي (Alfred Loisy) في كتابه عن «**مولد المسيحية**»، خلال المناقشات التي كانت دائرة عن عيد

الفصح بين بوليكارب (Polycarpe) في أزمير، والبابا أنيست في روما سنة ١٦٠م. وتمت مراجعة هذه الأناجيل الأربعة من وجهة نظر تخالف مارسيون حتى وإن كان على حساب إمكانية الوقوع في تناقضات داخلية في نفس الإنجيل الواحد، وليس بين الأناجيل الأربعة فحسب، وهو ما سيصبح معروف باسم قانون موراتوري حوالي سنة ١٨٠م.

ولم تستتب الصياغة الأولى للأناجيل رسميًا إلا في القرن الرابع. وأنه حتى آخر القرن الثاني كان ثيوفيل الإنطاقي يعتبر أن العهد القديم وحده هو الذي يمثل النصوص الرسمية للكنيسة، وأقدم المخطوطات اليونانية الموجودة هي مخطوطة سيناء (Sinaiticus) ومخطوطة الفاتيكان (Vaticanus) وترجعان للقرن الرابع. وهناك حوالي ٢٠٠ مخطوطة تتراوح كتابتها ما بين القرن الخامس والعاشر، هي مكتوبة بالأحرف اليونانية الكبيرة أما المخطوطات المكتوبة بالأحرف اليونانية العادية أو الصغيرة فيصل عددها إلى حوالى أربعة آلاف.

ويشير لويس روچييه (L.Rougier) إلى أن هذا الكم من النصوص وترجماتها إلى عدة لغات «**يمثل كما لا حصر له من الأخطاء والاختلافات، ومنها الناجم عن خطأ من يقومون بالنقل، أو من يقومون بالترجمة، وإلى استشهادات تمت عن الذاكرة، وإلى إضافات وزيادات لمحاولة التوفيق، وإضافات أخرى بغية محاربة هذه الهرطقة أو تلك، أو للرد على أية اعتراضات، والمؤلفون القدامى يوردون تعليقات لها مغزاها حول هذا الموضوع**» (صفحة ٢٤٩)، ونورد منها بعض الاستشهادات مثال:

وها هو دنيس الكورنثي حوالي سنة ١٦٠ - ١٧٠ يعلن قائلاً: «**ووفقًا لما طلبه مني الإخوة، فقد كتبت لهم رسائل، وقد قام البعض بإدخال العبارات الخاطئة عليها، وهؤلاء الأشرار تنتظرهم لعنة، فقد بدّلوا وأضافوا وفقًا لهواهم، لذلك لا يجب أن ندهش إن قام البعض بتغيير النصوص المقدسة لربنا، بما أنهم قاموا بذلك في كتاباتي وهي أقل شأنًا ولا تضاهيها**».

و في عام ١٨٠ تقريبًا كتب سيلس في خطابه «**ضد المسيحيين**» متحدثًا عن الأناجيل: «والحق هو أن كل تلك الوقائع ليست إلا أساطير اختلقتموها لكي تتمكنوا من إضفاء مسحة من الصدق على أكاذيبكم، وإن كان من الواضح أن عدداً منكم أشبه بمن لعبت الخمر برؤوسهم ويتناحرون، فقد مدّوا أيديهم على النص الأصلي للأناجيل وعدلوها ثلاث أو أربع مرات وفقًا لهواهم حتى يفندوا ما يتم الاعتراض عليه».

وكان إيريني في أواخر القرن الثاني يتوسل إلى الذين يقومون بعملية النقل شاكيًا «من يقومون بترجمة نص ويتصورون أنهم أكثر نباهة من الحواريين، فيقومون

بتصحيحه»! وحوالي سنة ٢٠٠ كتب ترتوليان (Tertullien) وهو أول واحد من الآباء الذين كتبوا باللاتينية: «إن الهرطقة ترفض بعض النصوص، وما تقبله منها لا تأخذه كاملاً، أنها تبدله سواء بالحذف أو بالإضافة لتجعله يتفق مع منهجها». والمضحك أن نفس ترتوليان هذا قد تحول إلى هرطقي وكان يقوم بعملية التعديل والتبديل التي يشكو منها!.

ونفس الشكوى ترد لدى كليمون السكندري ولدى أوريجين، إذ يقول: «**من الواضح حاليًا أن الفرق يتزايد لدى من يقومون بالنقل سواء بسبب الإهمال أو الجرأة الخبيثة على التصويب بالإضافة أو الحذف العشوائي**».

ولعل القديس جيروم في القرن الرابع هو خير من يوضح الموقف حين يشكو من التحريف والتبديل والتزييف، إلا أنه سرعان ما أصبح هو أيضًا يقوم به بناء على أمر من البابا داماز (Damase). فمع تزايد عدد الأناجيل وتضاربها شيعًا، طلب منه البابا «أن يستعين بكل هذه الأناجيل القديمة ليعمل نصوصاً جديدة وأن يقوم بنفسه بانتقاء ما يتفق والحقيقة اليونانية».

ويتساءل القديس چيروم عما إذا كان لن يتهمه العلماء والجهلاء بانتهاك حرمة النصوص إذا ما تجرأ وقام بالإضافات والتغييرات وتشذيبات الكتب القديمة؟ ثم يضيف قائلاً: «**إذا ما كان المطلوب مني أن نثق في النصوص اللاتينية فليقولوا لي أيّهم، لأن الاختلافات بها بعدد النسخ الموجودة، وإذا ما كان علينا أن نطلب الحقيقة مما هو وارد في أغلبيتها، فلماذا لا نرجع إلى النص اليوناني الأصلي ونصوّب فيه الترجمات الخاطئة والتعديلات الأخطر الناجمة عن الجهل المفترض، والإضافات أو التغييرات التي اقترفها الناسخون النعسون؟**».

وأول ما فكر فيه القديس چيروم كعمل أساس لاستعادة النص الأصلي هو محاولة التوفيق بين النصوص، وهنا يقول: «بالفعل، إن الأخطاء تغص في مخطوطاتنا واستقرت بها، فنرى في نفس الموضوع الواحد، إنجيل أطول من الآخر، والآخر، بعد أن رأوه شديد القصر قد عانى من الإضافات. أو حتى عندما يكون المعنى واحدًا، لكن العبارات تختلفَ، فإن ذلك الشخص عندما يقرأ أولا أحد الأناجيل الأربعة وارتأى من الصالح أن يصوّب الأناجيل الأخرى بناء على الأول فينتج عن ذلك أن كل النصوص لدينا مختلطة، وأنه يوجد لدى مرقس كمّ مما لدى لوقا ومتى، ولدى متى كم مما لدى لوقا ويوحنا وهكذا». (وراد في المقدمة التي كتبها للأناجيل التي وضع نصها بأمر من البابا داماز

في أواخر القرن الرابع الميلادي، والنسخة موجودة في المكتبة العامة الفرنسية فرانسوا ميتران تحت رقم (C-244(1) T1 11.1-A)! فكيف يمكن اعتبار هذه النصوص منزّلة بعد أن أصابها كل هذا التبديل والتعديل والنص الكامل في ملاحق الكتاب.

ولاشك في أن تلك الاختلافات التي لاحظ القديس چيروم وجودها ترجع أساسًا إلى الضرورة التي وجد فيها الآباء أنفسهم مضطرون لمراجعة نصوص العهد الجديد والتوفيق بينها وبين اللاهوت اليهودي المسيحي من جهة، واللاهوت البولسي من جهة أخرى. الأمر الذي نجم عنه ذلك الخلط الذي لا يمكن إغفاله، ومن نفس محاولة التوفيق بين اللاهوت المتضارب لكنيسة المختونين وكنيسة الوثنيين - وكان بولس قد قام بإلغاء الختان الذي أراده الله عهداً أبدياً ليضع فرض المعمودية بدلاً عنه من أجل تسهيل عملية التنصير. وهنا يقول الأب الفريد لوزاي: «إن كل شيء يبدو كما لو أن أعمال الرسل كانت تتضمن نصًا منسوبًا إلى لوقا تلميذ بولس، وقام أحد تلامذة بطرس بتصويبه، كما يبدو أن إنجيل مرقس يخفي في طياته إنجيل بطرسي قام بتصويبه أحد تلامذة بولس»!

وفيما يتعلق بعمليات التوفيق التي رأيناها للتو، يقول هوبير پرنو (Hubert Pernot) في بحث بعنوان: «**تحريف الأناجيل**» (١٩٤٠): «إن القديس چيروم تصور أنه بإمكانه أن يقوم بتقليل التناقضات إلى أقصى حد باتباعه نصًا قريبًا من النص الذي وصلنا. إلا إن هذا النص نفسه يغص بالمتناقضات. فما من سطر واحد من طبعاتنا لا يبدو أو لا تشهد مخطوطاتها بالرغبة في عمل توافق ما بين الأناجيل المتواترة. إن الفقرات التي تم فيها نقل أجزاء من يوحنا أو بالعكس ليست نادرة هي أيضًا. وعمليات التوفيق هذه كانت تتعلق أحيانًا بكلمة، وأحيانًا بجزء من جملة أو فقرة بأسرها. لقد حاولوا القيام بعملية تسوية بينها فملأوا الفراغات. وبذلك قد تضاعف حجم أحد هذه النصوص ثلاث مرات». وبعد بضعة صفحات يضيف قائلاً:

«عندما نقوم بدراسة نص الأناجيل الذي وصلنا، يخيل إلينا أنهم حاولوا استبعاد البعوضة وابتلعوا الجمَالَ.. إن النص الذي وصلنا يعد من أكثر من النصوص التي تم تغييرها وابتعادها عن الأصل. فقد عانى هذا الأصل من الإضافات والتعديلات المتعددة من قِبَلَ أشخاص لم يكن يعنيهم الحفاظ عليها بقدر ما كان يعنيهم إخضاعها لبعض وجهات النظر».

ويؤكد لويس روچييه في كتابه عن كيفية «**تكوين العقائد المسيحية**»: «إنه تم تثبيت

نص العهد الجديد في الربع الأخير من القرن الثاني، فقد تعرضت النصوص إلى العديد من المخاطر ومنها: إهمال الناسخين، وخبث الهراطقة، وحماس الأتقياء الأصوليون، إضافة إلى التعديلات التي تمت من التوافق بينها أو بناء على المفسرين. فكلما تطورت المعتقدات الإيمانية كانت نفس الكلمات ومعانيها تتغير. وبذلك أصبحت هناك طبقات متراكمة من محاولات التصويب والتعديل أدت إلى زيادة حجم النصوص الأصلية التي كانت شديدة البدائية. وبذلك فإن من صاغوا الأناجيل كانوا يعملون اعتماداً على نصوص غير أصلية». وهو ما يقوله لوقا في مطلع إنجيله:

«**إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدّامًا للكلمة، رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به**» (لوقا ١: ١-٤).

وأول ما نخرج به من هذا النص أن من كتب الإنجيل المعروف باسم لوقا يعتبر المسألة «تأليف قصة» حول تلك «الأمور المتيقنة» بناء على ما رواه من تناقلوها. لذلك رأى ذلك الشخص، وهو هنا يقينًا ليس لوقا الحواري الذي صاحب يسوع، رأى أن يقوم هو أيضًا بتأليف قصة في هذه الأمور.. أي أن مسألة نصوص هذه الأناجيل هي قصص وروايات لا علاقة لها بالنص بالمنزّل.

والدليل على ذلك أن قصة ظهور يسوع بعد بعثه، كما يقولون، وهي واردة في إنجيل مرقس (١٦:٩-٣٠) غير واردة في النص الذي يعتبر أصل الأصول سواء أكان النص السينوي أو النص الفاتيكاني، الأمر الذي يؤكد أنه إضافة على حد قول لويس روجييه (صفحة ٢٥٢)، الذي يضرب العديد من النماذج.

أما الباحث بارت إرمان (Bart Ehrman) رئيس قسم الدراسات الدينية في جامعة كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة، ويعتبرونه حجة في دراسات الكنيسة في عصورها الأولى وفي حياة يسوع، فهو يورد في كتابه المعنون: «المسيحيات الضائعة» الصادر سنة ٢٠٠٣، صورة في صحفة ٢١٨ من المخطوط الفاتيكاني للكتاب المقدس، وهذا هو نص التعليق الذي تحتها وهي موجودة في الملاحق:

«الإصحاح الأول من سفر العبرانيين في واحدة من أحسن المخطوطات التي نجت للعهد التجديد المعروفة باسم «كودكس فاتيكانوس» (Codex Vaticanus). ويلاحظ فيها الملحوظة المكتوبة بين أول عمودين. **فقد قام أحد المصححين بمحو كلمة من الآية**

الثالثة وكتب كلمة أخرى مكانها، ثم أتى مصحح آخر ومسح التصحيح وأعاد الكلمة الأولى الأصلية، وكتب ملاحظة على الهامش ينتقد فيها هذا التغيير الأول. ومعنى الملاحظة المكتوبة: «أيها الوغد الأحمق، اترك القراءة القديمة، لا تغيرها»! ونصها:

"Fool and knave, leave the old reading, don't change it!"

ويقول بارت إرمان في صفحة ٢٧١ في محاولة لإعطاء القارئ فكرة عن أصول الأناجيل والكتب المقدسة موضحًا: «ليست لدينا أية «أصول» لأي إصحاح من الإصحاحات التي يضمها العهد الجديد، أو تحديدًا ولا لأي إصحاح مسيحي. إن كل ما لدينا هي نصوص منقولة عن الأصل. أو لنكون أكثر دقة، إنها نسخ منسوخة عن نسخ لنسخ منسوخة عن الأصل. وكل هذه النصوص تبعد مئات السنين عن النصوص الأصلية»!.

ويواصل بارت إرمان حديثه عن هذه المخطوطات موضحًا أن عددها قد بلغ حوالي ٥٤٠٠ نسخة يونانية للعهد الجديد، تتفاوت أجزاؤها من حجم الكف إلى نسخ تضم السبعة وعشرين سفرًا بأسرها. وكلها ترجع إلى ما بين القرن الثاني والقرن الخامس عشر عند اختراع المطبعة. ثم يحدد قائلاً: «واللافت للنظر أنه عندما نقارن هذه النسخ، باستثناء القطع الصغيرة الحجم، لا نجد نسختان تتطابقان. ولا يوجد تفسير لذلك إلا شيء واحد هو أن الكتبة الذين نقلوها قد غيروها. ولا يعلم أحد كم عدد مرات تغييرها، ولم يستطع أحد أن يحصي عدد الأخطاء والمتناقضات الواردة، وإن كان البعض يقول إنها حوالي ٢٠٠٠٠٠ ويرى آخرون أنها أكثر من ٣٠٠٠٠٠، ولعله من الأبسط أن نقول للتعبير عن هذه الاختلافات، أن عددها أكثر يقينًا من عدد كلمات العهد الجديد»! (صفحة ٢١٩).

أما في صفحة ٢٤٥ من نفس الكتاب، فتوجد صورة لمخطوطة أخرى هي «كودكس سينايتيكس» (Codex Sinaiticus) أي أقدم مخطوطة رسمية كاملة للعهد القديم والتي كان قد عثر عليها في سيناء. وهذا نص التعليق المصاحب لها: «كودكس سيناء، أقدم مخطوط كامل للعهد الجديد. وهذا المخطوط الذي يرجع إلى القرن الرابع يتضمن إصحاح الراعي هيرماس وإنجيل برنابا (والصورة لأول صفحة منه)، وهي إصحاحات كانت تمثل جزءًا من العهد الجديد لمدة عدة قرون». والمعروف أن الكنيسة قد استبعدت النصين لغرض ما، والصورة موجودة في الملاحق.

لذلك يؤكد هوبر پرنو: «أن الأناجيل تشهد بأن ما أجرى بها من تغيير في مساحات كبيرة منها، كانت كلها تغييرات عمدّية مقصودة». وهو ما يصل إليه - على حد قول لويس روچييه، «كل كاتب إكليروسي، أو علماء مدنيين، أو مؤمنون أو غير مؤمنين، فالجميع يصل إلى نفس النتيجة: أن الأناجيل ليست نصوصًا تاريخية منزّلة، وإنّما أعمال تعليمية». فهي ليست تاريخية موثقة بالمفهوم الحديث للكلمة، وإنما - على حد قول بونسيرفن (J.Bonsirven)، «**أنها مكتوبة من أجل تجنيد أتباع جدد، ومن أجل التصدي للهرطقات، والهرطقة هي كل ما هو مخالف لتعاليم المؤسسة الكنسية، ومن أجل بلبلة اليهود المتعصبون ومن أجل الطقوس واحتياجاتها**».

ويتساءل أكثر من باحث لماذا اختفت أناجيل بعينها ولا نعرف عنها إلا من أصداء كتابات أخرى؟ أو لم يبق منها إلا أجزاء متفرقة - ومنها «إنجيل العبرانيين» وكان يعتبر قديمًا الإنجيل الأصلي لمتّى، وكان مستخدمًا حتى مطلع القرن الثاني: «وإنجيل النصارة» وكان سائدًا حتى أواخر القرن الأول لدى مسيحي سوريا، و«إنجيل الإثنى عشرة» كما كان يطلق عليه أوريچين، و«إنجيل مارسيون» ومن المعروف أن أتباع مارسيون قد انتشروا في كافة الأرجاء التي عرفتها المسيحية الأولى. واستبعادها لا يعني سوى شيء واحد، هو: إنها كانت خطرة ومخالفة لرؤية المؤسسة الكنسية التي لجأت إلى الحذف والإضافات والتغيير والتبديل ومحاولات التوفيق إضافة إلى أخطاء الناسخين ولبس المترجمين، وإضافة إلى عملية الرقابة الشديدة التي فرضتها بعد تنصير الامبراطور قسطنطين واستحواذها على السلطة المدنية. والمعروف أن عملية الرقابة هذه قد طالت النصوص الدينية كما طالت النصوص المدنية التي كانت تخالفها أو تفضحها وتكشف عن أفعالها.

وذلك هو ما حدث مع أهم أعمال خصوم المسيحية من أمثال سيلس وبورفير، والامبراطور چوليان، وپيروكلس - وهي أسماء مذكورة على سبيل المثال لا الحصر، ولم يبق من أعمالهم إلا ما نطالعه في ردود آباء الكنيسة. وقد أصدر الإمبراطور تيودوزيوس سنة ٣٩٨ قرارًا ينص على: «تطبق عقوبة الموت على كل من يمتلك أي عمل من أعمال الهراطقة».

وفي سنة ٤٤٧ أصدر البابا ليون في مرسوم له يقول: «يجب ملاحظة عدم إبقاء الكتب المزيفة والتي تخالف العقيدة الصادقة، وألا يقرأها الكاثوليك، وتقع هذه المراقبة على عاتق حماس القساوسة، وحتى الكتب المحتجبة (الأبوكريفا) (ونعني التي حجبتها



الكنيسة لعدم صلاحيتها وعدم تمشيها مع رؤيتها)، وهذه الكتب حتى وإن كانت تحت غطاء اسم أحد الحواريين، فهي تحتوي على العديد من الأخطاء ولذلك لا يجب منعها فحسب وإنما يجب استبعادها تمامًا أو حرقها».

وفي ١٧ فبراير ٤٤٩، صدر مرسوم باسم كل من الامبراطور تيودور الأصغر وفالنتينيان الثالث، امبراطور الغرب ينص على ما يلي: «نستصدر قرارًا بأن الكتب التي نشرها پورفير، والمؤلفون الذين على شاكلته، ضد العبادة المسيحية، فيجب حرقها أينما وجدت. لأنه من الضروري أن هذه الكتابات التي قد تثير غضب الله وغضب المؤمنين، لا يجب أن تصل قط إلى أيدي الأوفياء» (والصورة في الملاحق).

وما أكثر المؤرخين والباحثين الذين يوردون كشوفًا من صفحات لأسماء الأعمال التي تم استبعادها أو حرقها.. الأمر الذي يوضح إلى أي مدى وصل حد التلاعب لا بالنصوص الإنجيلية أو الدينية فحسب، وإنما بالنصوص التاريخية والفكرية والفلسفية والاجتماعية التي تكشف هذه التجاوزات أو تدينها. وهو ما يؤدي بنا إلى النقطة التالية والمكملة لهذا الجانب التاريخي الوثائقي: الأناجيل وقضية الوحي والتنزيل. فلم يعد من الممكن حاليًا وبعد كل ما تكشف نتيجة الأبحاث العلمية والتاريخية واللغوية اعتبار هذه النصوص منزّلة.

حول أصول المسيحية:

في بحث بعنوان: «**حول تاريخية يسوع المسيح المزعومة**» يقول ميشيل أردوان (Michel Ardouin) في المقدمة أنه «قد تمت كتابة كم لا حصر له من الكتب في جميع أنحاء العالم حول الظاهرة الدينية للعقيدة اليهودية - المسيحية للديانة المسيحية، وحول مؤسسها الأسطوري، ورسالته، وتأثيره على حضارة الغرب وثقافته. وقد تمت كتابة مجلدات بأثرها أو كمّ لا حصر له لبحث شخصية وتاريخية يسوع، الشخصية الرئيسية للديانات المسيحية الغربية. وقد جاهد العديد من الباحثين - رغم العدد الضئيل أو الضحل من المعلومات - وأضافوا بعض التفاصيل لاختلاق ما يشبه السيرة الذاتية الخيالية أو المفترضة لمساندة إيمانهم أو للتعبير عن يسوع أكثر إنسانية، للبحث عن ذلك الإنسان الذي أصبح الله».

وقد كان فلاسفة عصر التنوير أكثر حدة ونقدًا لذلك النقص الشديد في الوثائق الأصلية، وخاصة فولتير الذي عبر عن ذلك بصورة لاذعة في **القاموس الفلسفي** تحت

اسم «**المسيحية**». ولاشك في أن إسهام الباحثين الألمان وخاصة علماء اللغويات في القرن التاسع عشر من ريماروس (Reimarus) إلى رودلف بولتمان (R.Bultman) قد أوضحوا بصورة قاطعة «أن القيمة التاريخية للأناجيل جد ضحلة، وأنها مجرد أقاصيص ورعة، كتبها بعض المؤمنين لنشر مفاهيمهم الأخلاقية».

وفي القرن التاسع عشر أيضًا قام الفيلسوف الألماني لودفيچ فيورباخ (L.Feuerbach) بعمل تحليل نفسي للديانة المسيحية وأوضح فيه أولى النظريات المادية. ففي كتابه الأساسي، المعنون «**جوهر المسيحية**» (١٨٤١)، أوضح أن الدين يمثل حاجة نفسية ما، وبما أن الاهتمام الأول للإنسان هو الأنا، وبالتالي فإن عبادة الله هي في الواقع عبادة للأنا الأمثل». وبغض النظر عن هذه الشطحات فإننا نوردها لنوضح إلى أي مدى وصل التأكد من عدم وجود أية أصول مقنعة للديانة المسيحية، مما أدى إلى البحث عن هوية في مجالات نفسية.

وهناك داود فريدريخ شتراوس (D.F.Strauss) وكتابه الضخم المكون من جزئين، وكل واحد منهما في حوالي ٧٠٠ صفحة، وعنوانه: «**حياة يسوع أو الفحص النقدي لتاريخه**» (١٨٦٤)، ورودلف بولتمان وكتابه المعنون: «**تاريخ التراث المتواتر**» (١٩٧٣)، وأرنست رينان (E.Renan) وكتابه الموسوعي المكوّن من ثمانية أجزاء: «**تاريخ أصول المسيحية**» (١٨٩٨) والذي يضم كتابه الشهير عن «**حياة يسوع**» في المجلد الأول، وكتاب رودلف أوجشتاين (R.Augstein) المعنون: «**يسوع ابن الإنسان**» (١٩٧٥).

ويتميز هذا الكتاب الأخير بأنه يثير العديد من القضايا الحقيقية الهامة والتي يتفاداها العديد من الناس، حيث يسأل: «**بأي حق تختلق الكنائس المسيحية يسوعًا ربما لم يوجد أصلاً في التاريخ، وعقائد لم يقم بتعليمها، وقدرة فائقة ربما لم يتصور هو إمكانية وجودها، وإضفاء صفة إليهة لم يقل هو عنها أي شيء؟**» وبعد الإشارة إلى العديد من التناقضات الواردة بالأناجيل والتي لا تغفلها عين، يوضح فيما يتعلق بتاريخية يسوع المسيح، أنه لولا بولس لما استمرت المسيحية التي لم توجد أصلاً أيام يسوع.

ومن أهم الجوانب التي يكشفها أوجشتاين ذلك النفوذ الكنسي لرجال فرضوا أنفسهم على المجتمع الدولي على غير أساس سوى السعي وراء السلطة والاستحواذ عليها بأي ثمن، موضحًا: «أن هذه المسائل تهمنا طالما الكنائس لا تكف عن التدخل في حياتنا اليومية باسم السلطة الإلهية، فالطلاق ومنع الحمل، والإجهاض، وعقوبة الموت،



والموت الرحيم، والحرب الذرية، كلها قضايا حيوية تحاول هي فرض حلول لها بموجب سلطة مطلقة لإله أصبح اليوم مشكوك في مصداقيته بل نفس هؤلاء رجال الدين أول من يعلم ذلك». الأمر الذي يفسر تلك العبارة التي أوردها في صفحة ١٠ على لسان البابا بولس السادس، الذي شغل منصب البابوية فيما بين ١٩٦٣ و١٩٧٨، وعاصر نهاية أعمال مجمع الفاتيكان الثاني الذي انتهى عام ١٩٦٥، وقد قال بولس السادس هذا: «إن الله لم يسلّم النصوص المقدسة إلى المثقفين لكي يفتوا فيها وإنما سلمها لكنيسته (...) والمؤسسة الكنسية لا يمكنها أن تستمر إن لم تؤكد حقها في أن تفرض نظامها على البشر: وكيف يمكنها ذلك إن لم يكن عن طريق سلطة عليها إلهية؟».

ولاشك في أن كل ما تخشاه هذه المؤسسة الكنسية هو المساس بهذا الحق المزعوم الذي أوجدته لنفسها لتمارس سلطتها على المجتمعات من المهد إلى اللحد. ويجيب المؤلف قائلاً: «**إن الشيء الوحيد الذي لا وجود له هو ذلك التصريح الإلهي الذي «تسلمته» الكنيسة لتقوم بتطبيقه**»!.

وعلى الرغم من ذلك الكم المتواصل الذي يحاول الكشف عن حقيقة تكوين المسيحية، فإن الجمهور العريض يعاني من جهل وتعتيم متعمد لا يمكن إغفاله، وهو ما يؤكده ميشيل أردوان قائلاً: «إن الجمهور العريض من الناس يعاني من نقص حاد في الثقافة والمعلومات حول الموضوعات الإسطورية أو الخرافية والدينية المكونة للمسيحية. فأغلب الناس تعاني من الجهل التام في هذه الموضوعات. فلا يزال رجال الكنيسة يعلّمون مثلاً في العديد من المدارس، أن يسوع المسيح كان شخصًا تاريخيًا حقيقيًا، وأن الخلاف الوحيد المثار حوله هو كيفية تقبله: هل هو ابن الله، الله، نبي أو مسيح؟ في حين أن الخلاف الدائر حاليًا أبعد ما يكون عن هذه التساؤلات. فأهم ما يعنينا اليوم هو معرفة ما إذا كان يسوع قد وُجد فعلاً»!.

وفي الثمانينيات من القرن العشرين، احتد النقاش ثانية وخاصة في البلدان الإنجلوساكسونية بظهور كتابين للباحث ج.أ. ويلز (G.A.Wells) وهما: «**هل وُجد يسوع؟**» و«**الأدلة التاريخية في مسألة يسوع**» حيث يثبت ويلز فيهما أن شخصية يسوع كما تقدمها الكنيسة لا سند تاريخي لها. وسرعان ما استكتبت الكنيسة كالمعتاد أحد أتباعها «المخلصين» ليرد وينفي ما بهذين الكتابين. وانبرى يان ويلصن (Jan Wilson) بإصدار كتاب «يسوع: الأدلة» ليحاول إثبات أن يسوع قد وُجد فعلاً. وقد ضمّن كتابه هذا فصلاً بعنوان: «هل يسوع وُجد فحسب؟» وهو ما يثير الريبة من مجرد كتابته فإن كانت

تاريخية يسوع الإله الذي تجسد بشرا ليفدي البشر من الخطيئة قد وُجد فعلاً لما احتاجت المؤسسة الكنسية إلى كل ما قامت به من قمع وغش ولا تزال.

وعلى الرغم من أن هذه المناقشات الهامة لا تحظى بالقدر الكافي من الإعلام، إلا أن العدد يتزايد بين الباحثين الذين يؤكدون أن شخصية يسوع تتفق تمامًا والعديد من الأساطير القائلة بتجسد الإله، ومنها اليونانية والرومانية والمصرية والسومرية والفنيقية والهندية، وكلها كانت تعاش كأساطير وليس كواقع، وما يتزايد التأكيد عليه هو «أن القصص الإنجيلية لا يمكنها بحال من الأحوال أن تحتسب كوقائع تاريخية بابن النجار أو بالثائر اليهودي الذي عاش من ألفين سنة». ويقول آخر، «إن ما تم إثباته منذ عدة قرون هو أن شخصية يسوع كما هي واردة بالأناجيل قد تمت صياغتها من مختلف القصص والوقائع التلفيقية ولا تتفق مع أي وجود تاريخي لمثل هذه الشخصية».

وهو ما راح يؤكده ألبرت تشرشوارد (Albert Churchward) قائلاً منذ مطلع القرن العشرين: «إن الأناجيل المعتمدة تبدو كمجموعة من التأكيدات المأخوذة من الأساطير الأخروية المصرية القديمة» (**أصل وتطور الديانة المسيحية، صفحة ٣٩٤**). أما جوزيف ويليس (J.Wheless) فيؤكد في كتابه المعنون: «**التحريف في المسيحية**» «**أن الأناجيل هي كلها عبارة عن تحريف كهنوتي لاحق على الأقل بأكثر من مائة عام من التواريخ المذكورة أو المزعومة لها**». وفي كتابه الصادر عام ١٩٦١ بعنوان «السر التاريخي لحياة يسوع» يخرج ألبرت شفايتسر (A.Schweitzer) من بحثه مؤكدًا «**استحالة أن يعقل المرء واقع يسوع التاريخي كما تقدمه الأناجيل: أنه تحريف صارخ للتراث تم فرضه في القرن الثاني الميلادي بالعديد من العقائد المفروضة بالقوة**».

ولقد رأينا في هذا البحث، في الجزء المعنون: «المؤرخون القدامى»، كيف كانت عملية تحريف النصوص منتشرة بصورة جامحة في القرن الأول والثاني الميلاديين بحيث قام الذين يكشفون عن هذا التحريف والتلاعب بالحقائق باختلاق عبارة «التحريف الورع»! وهو نفس ما تقره الموسوعات الكبرى من قبيل موسوعة أونيڤرساليس الفرنسية، أو «الموسوعة الكاثوليكية» الأمريكية، بل هناك عددًا ممن يطلق عليهم لقب كبار آباء الكنيسة، من قبل يوسبيوس، أو أوسيب القيصري، والقديس إيريني، أو القديس چيروم الذين اعترفوا بأقلامهم أو اعترف عليهم معاصريهم «بأنهم كذبة مفترون قد دأبوا على صياغة خيالاتهم الشخصية حول ذلك «الرب» وما قاله وفعله أثناء «إقامته» بين البشر» (ميشيل أردوان).

وها هو القديس أغسطين يقول عن القديس چيروم، الذي «فبرك العهد الجديد معبّرًا: «إنني غاضب من أن مثل هذا الرجل العظيم قد جعل نفسه سيد الكذب: (Patronem mendacii) (**القاموس الفلسفي، فولتير صفحة ١٢١**).

وتأكيد حقيقة أن يسوع المسيح ليس إلا أسطورة تم نسجها عبر المجامع على مر التاريخ لانخرج بها من أعمال من تطلق عليهم الكنيسة بالمنشقين أو الملاحدة، والذين قد نبذتهم أو قتلتهم لاعتراضهم على أباء الكنيسة الذين يخدعون الشعوب بأساطيرهم فحسب، وإنما نجدها أيضًا في كتابات المسيحيين أنفسهم والذين يكشفون باستمرار عن معرفتهم بأن قصة يسوع المسيح ليست سوى أسطورة تم نسجها على قصص متعلقة بالآلهة الأكثر قدمًا والتي كانت منتشرة في العالم آنذاك. فها هو البابا ليون العاشر (١٤٧٥ - ١٥٢١) المشهور بتجاوزاته الدينية لصالح أقاربه والذي كان سببًا في اندلاع أزمة صكوك الغفران سنة ١٥١٧، وهي الإيصالات التي كانت تقدمها الكنيسة للأتباع مقابل الأموال التي يدفعونها لها لكي تخفض من خطاياهم وتغفر لهم.. وهو نفس البابا الذي أدان مارتن لوثر بسبب محاربته لصكوك الغفران وتقديمه خمس وتسعين مأخذًا ومخالفة تقترفها الكنيسة. وقد أعلن هذا البابا بحكم منصبه الرفيع ودرايته بخبايا الأمور الكنسية، قائلاً: «**كم من مكسب أتت لنا به أسطورة المسيح من زمان**» (القاموس الفلسفي لڤولتير، عن لسان پيك دي لاميراندول) **ووارد أيضًا في الموسوعة البريطانية الطبعة الرابعة عشرة المجلد التاسع عشر صفحة ٢١٧، وإن لم تكن المقولة حقيقية لما أوردتها مثل هذه الموسوعة العالمية.**

وتورد موسوعة «**الأساطير والأسرار**» عن لسان الأب تيلر (Taylor) نفس العبارة بشيء من التغيير: «**من المعروف تمامًا، من أزمنة جد بعيدة، كم أفادتنا أسطورة يسوع**». وقد اعترف البابا بولس الثالث (١٤٦٨ - ١٥٤٩) وهو الذي دعا مجمع ترانت إلى الانعقاد، قائلاً إلى الدوق منذوزا (Mendoza) سفير أسبانيا في روما آنذاك، أنه «عندما لم يتمكن من العثور على أية أدلة على الحقيقة التاريخية ليسوع المسيح في الأسطورة المسيحية، اضطر إلى البت في الأمر وإضافة إله شمس أسطوري آخر». وكلها اعترافات واردة في كتب روبير أمبلان (Robert Ambelain)، ومنها «يسوع والسر القاتل لجنود هيكل الرب» و«أسرار الجلجلة الرهيبة» (١٩٧٢)، وروبير أمبلان عضو في أكاديمية التاريخ الفرنسية، وقام بأبحاث متأنية طويلة قبل أن يتوصل إلى يسوع شديد الاختلاف عن ذلك الذي يقدمه بولس «وشركاه».

أما الباحث إدوار دوجاردان (Edouard Dujardin) فيؤكد في أبحاثه التاريخية أن وجود يسوع أبعد ما يكون عن ذلك الذي تشير إليه الرسائل الخاصة ببولس. لذلك يؤكد قائلاً: «إن النصوص البولسية لا تشير في أي مكان بها إلى بيلاطس البنطي، ولا إلى قيافا، ولا إلى المحكمة العليا اليهودية، ولا إلى هيرودس، ولا يهوذا، وإلى تلك النسوة «المقدسة» ولا إلى أي شخصية من الشخصيات الوارد اسمها أثناء محاكمة يسوع وآلامه الواردة في الأناجيل، وهو لا يشير خاصة من قريب أو بعيد عن ذكر آلامه وصلبه» (**قصة قديمة للرب يسوع**) صفة ٣٣.

ويوضح ميشيل أردوان في بحثه الصادر سنة ٢٠٠٠، قائلاً: «إن الخلط موجود في كل هذه النصوص، فعلى مر القرون قام بعض المنتحلين المسيحيون بمحاولة خلط وإدماج كل الأساطير وقصص الحكايات الخرافية والعقائد أو أجزاء من الحكم التي يمكنهم العثور عليها في العديد من الديانات ذات الأسرار والفلسفات الموجودة آنذاك، وبذلك فقد زوروا، وحرفوا النصوص، وبدّلوها وأعادوا صياغتها لعدة قرون، ثم قام القديس چيروم بإعادة صياغتها عند ترجمتها إلى اللاتينية في النص المعروف باسم «الفولجات» (Vulgate) ولا يزالون يعيدون صياغة وتفسير هذه النصوص للآن. فمن العبث إقامة دين على مثل هذه المؤلفات المشكوك في أصالتها التاريخية».

أما روچيه بترينييه (R.Peytrignet) رجل الدين السابق، فيؤكد أنه: «**على الرغم من تأكيدات الكنيسة، فما من إنجيل واحد قد تمت صياغته قبل سنة ١٥٠م. ونعيد التأكيد: لا يوجد أي نص يذكر حياة يسوع قبل سنة ١٥٠م. وبالعكس، فإن المؤشرات عديدة التي تؤكد صياغة الأناجيل بعد ذلك التاريخ (...) ولقد صيغت بعد وقوع الأحداث التي ترويها. وما من إنجيل واحد مكتوب بقلم الأسماء التي هي معروفة بها، وما من مؤلف واحد من بينهم كان شاهداً على الأحداث. بل والأدهى من ذلك، أنها كتبت جميعها بعيداً عن الأماكن التي وقعت بها هذه الأحداث، وعلى الأقل إثنان منهما أصلهما رومانيان (...) وما نخرج به من كل هذا أن القيمة التاريخية للأناجيل شبه منعدمة» (يسوع المسيح أسطورة أم شخصية تاريخية؟» صفحة ٨٦).**

وفيما يتعلق بالمخطوطات ذاتها فيقول بترينييه: «يجب أن نلاحظ أن قِدَمْ النص لا يثبت مصداقيته: لأن الكذب لا يتحول إلى حقيقة بالأقدمية» (ص٩٤).

ويبدأ جوزيف ويليس الفصل الثالث من كتابه عن «**التحريف في المسيحية**» قائلاً: «لا يوجد أي شيء يحتاج إلى الكذب سوى كذبة.. إلى ذلك الحد يمكن اعتبار أن أصول

الديانة المسيحية يغلفها الظلام نتيجة لقصر تيه من الخلط والتناقضات والتحريف في نصوصها الأولى، بحيث من المستحيل أن نستخرج خيطًا من الحقيقة التاريخية، بأي درجة من درجات الثقة، من هذا التشابك الأشعث» ص٩١.

وتحت عنوان «تحريف في الأناجيل المحرّفة»، كتب يقول: «كون الأناجيل الأربعة كما رأيناهم، عبارة عن كتابات متأخرة، ناجمة بأسماء الحواريين بعد أكثر من قرن على وفاتهم، وهم بالتالي عبارة عن تزوير، فهو أمر ثابت حاليًا دون أدنى شك، وكونها ليست حتى كما رآها وعرفها الأسقف إيريني، بأن كل واحد منها بقلم شخص واحد، فهو أمر تم إثباته بصورة قاطعة: إن هذه الأناجيل الأربعة عبارة عن تراكمات خرقاء قام بها العديد من الأشخاص في فترات زمانية مختلفة كما هو واضح على سطحها وهي بذلك عبارة عن تسلسل من التحريف داخل التحريف» (صفحة ٢٠١) والمتحدث هنا رجل قانون وعضو دائم بكلية الحقوق الأمريكية.

ويؤكد ألبرت شفايتسر (A.Schweitzer) في خاتمه كتابه المعنون: «البحث عن يسوع التاريخي» قائلاً: «لا يوجد أي شيء أكثر سلبية من نتائج الدراسة النقدية لحاية يسوع. لأن يسوع الناصرة الذي ظهر على أنه المسيح، الذي بشر بملكوت الله، والذي أسس ملكوت الله على الأرض، ومات ليعطي عمله آخر تتويج له، لم يكن له أي وجود. أنه شكل قام بتصميمه بعض المتحكمين بعقولهم، وأمده بعض الليبراليين فحسب، وإنما تساقط فتاتا، تشققت وتحللت بسبب المشاكل التاريخية المحددة التي لاحت على السطح في تتابع متواصل» (صفحة ٤٩٦).

ولا ندري كيف يمكن للأتباع أو حتى لأي قارئ لهذه الأناجيل، أن يحترم ما بها من قصص على أنها منزلة، أو أن «الله هو مؤلفها» إن لم تكن مساحة الجهل بالحقائق جد شاسعة، كما يؤكد ذلك الباحث روبرت فانك (R.Funk) الذي ترأس «ندوة عيسي» التي أقيمت في التسعينات من القرن الماضي **وأثبت المشاركون فيها أن ٨٢٪ على الأقل من الكلام المنسوب ليسوع لم يقل منه شيئاً وإنما هي إضافات وُضعت على لسانه.**

اتهامات ضد المؤسسة الكنسية

وكل الأبحاث السابقة والعديد غيرها جعلت دانييل ماسي (D.Massé) يقول: «إن الكنيسة تحاول إقناع الناس وتؤكد كذبًا أن الأناجيل الأربعة قد صيغت وظهرت في القرن الأول، وكذلك باقي نصوص العهد الجديد، في حين أنه بخلاف سفر الرؤيا،

المكتوب عام ٧٨٢ روماني، والإنجيل الرابع الذي صيغ في منتصف القرن الثاني تقريبًا، لم تكن لديها أية نصوص أخرى.. لقد ظلت الكنيسة تفرض كعقيدة، منذ القرن الأول، أن المسيحية هي نتاج ما صنعته خمسة أو ستة قرون، لذلك لم يمكنها أن تترك أعمالاً تثبت أن المسيحيين حتى القرن الثاني لم يكن لديها سوى سفر الرؤيا (المجلد الثالث: لغز يسوع، ١٩٢٦).

ودانييل ماسي من الذين يتبنون فكرة أن سفر الرؤيا هو النص الذي كتبه يسوع، وظل شبه سائد حتى القرن الثاني، وأن الأناجيل الأخرى قد صيغت من القرن الثالث حتى القرن السادس، لذلك يؤكد صراحة وبإصرار: «أن المسيح قد كتب نصًا. لقد كتب سفر الرؤيا. وهو ما أقرته الكنيسة بعد تردد لتضعه بين أعمال يوحنا، لكي لا يعلم أحد تلك الحقيقة».

بل لقد أوضح دانييل ماسي كيف أن الأيادي الكنسية العابثة امتدت حتى إلى نصوص الأدباء اليونان والرومان لتبدل وتحرف ما لا يروقها أو ما قد يكشف عن حقيقتها. وأنهم حتى القرن الرابع كانوا ينتظرون تحقيق تلك الرؤيا وهدم حضارة روما والإنسانية حتى يعود المسيح ليحكم ألف عام. لذلك عندما هجم برابرة بلاد الغال عاونوهم وأرشدوهم إلى الطرق وفتحوا لهم الأبواب حتى ينجحوا في مهمتهم.

ويرى أندرية فوتييه أن سفر الرؤيا قد تحقق بتحطيم الحضارة الرومانية القديمة وبالسيطرة على العالم الذي هزموه.

ويختتم دانييل ماسي المجلد الثالث من ثلاثيته حول «**لغز يسوع**» قائلاً: «إن المسيحيين، الذين يزعمون أن عقائدهم راسخة ثابتة، يرتجفون من الأبحاث العقلانية المنطقية التي تستند إلى الوثائق الدامغة أن تهزمهم أو تدفعهم إلى الانهيار. فالمسيحية هي - ومهما جاهد الذين اخترعوها للتعتيم على حقيقتها - هي نتاج تاريخي وعبارة عن طبقات متراكمة من الأكاذيب والفريات، فكل تلك الأساطير المتهودة والتي صيغت من أجل الطبقات الدنيا من «الشعب الذي يريد أن يُخدع» - على حد قول البابا ليون الثالث عشر، هي نتاج جهود طويلة ممتدة عبر القرون. ورغمها، وعلى حد قول ريمي دي جورمون في كتابه المعنون: «**طريق المخمل**»، إن كل الجهود التي بذلها الأوروبيون ليؤقلموا العقائد المسيحية على كياناتهم قد فشلت، فالمؤسسة الكنيسة تتذرع اليوم بإدعاء العظمة المعنوية، إذ فشلت في تحقيق حلمها الأخروي، وتجاهد للسيطرة على العالم بتواطؤ الحكومات والطبقات الحاكمة، ولا تأخذ في الاعتبار تقدم الوعي الذي بدأ يسري بين الاتباع ليتحرروا من طغيانها.

لذلك يختتم دانييل ماسي ثلاثيته قائلاً: «إن اليهودية والمسيحية قد كانا عدوتا العلم والجمال باعتبارهما من أعمال الشيطان. لقد أسقطوا التماثيل وحطموا رخامها وهدموا المعابد وكحتوا المخطوطات ليتلاعبوا ويحرّفوا أعمال الفكر الإنساني الخالدة من أمثال أشيل وسوفوكليس وفيلمون، وغيرهم ليضعوا بدلاً عنها أشعار هزيلة لا نعرف من ذهن أي راهب قد انبثقت. وهدموا التجارة على الأرض وفي البحر وأوقفوا التبادلات بين الشعوب، وأحرقوا المكتبات بوحشية انتقامية ضارية، ليمحوا نتاج الفكر الإنساني واسمى ما يملكه البشر».

مشكلة يسوع

في محاضرة ألقاها بروسبير ألفاريك (Prosper Alfaric)، الأستاذ بجامعة ستراسبورج والرئيس المؤسس لجمعية إرنست رينان (E.Renan)، بدأ بعرض المشكلة من أول جملة قائلاً:

«توجد اليوم مشكلة خاصة بيسوع وتطرح بصورة حادة في نظر التاريخ فهو شديد الاختلاف عما كان يقدم على نطاق علم اللاهوت، ولقد تشاجر علماء اللاهوت كثيرًا في القرن الأولى حول مسألة أو معرفة إلى أي مدى يسوع ابن مريم، يساهم في الألوهية. أما اليوم فالمؤرخين يتساءلون إلى أي مدى المسيح، ابن الله، قد شارك طبيعة البشر، بل لنقوله باختصار: إن كان قد وجُد فعلاً؟! وأود أن أوضح هنا كيف قام النقد الحديث بحل هذه المشكلة في اتجاه يتزايد في الابتعاد عن التراث الأصولي للكنيسة. وسوف استشهد أولاً بثلاثة علماء بصفة خاصة، هم: أرنست رينان، وألفريد لوازي (A.Loisy) وشارل جينيوبير (Ch. Guignebert)، الذين بدأوا حياتهم في أحضان الكاثوليكية ونشأوا في رحاب الكنيسة واعتادوا احترام الأناجيل وتبجيلها، إلى أن أدت بهم دراستهم إلى أن ينبذونها بصورة متزايدة الوضوح وعدم تقبل تلك النصوص التي غذّت عقول المؤمنين لمدة ثمانية عشر قرنًا».

(**أحاديث الأربعاء** لجمعية أرنست رينان، دورة المحاضرات الخاصة بمشكلة يسوع، رقم ٢١، في ١٩٣٢/٣/٥).

وقد تم طبع هذه المحاضرة مع تلك التي ألقاها بول - لويس كوشو (P.L. Couchoud) وألبير بابيه (A.Bayet) في كتاب بعنوان: «**مشكلة يسوع وأصول المسيحية**» (١٩٣٢).

وقد رأينا أنه بخلاف الأناجيل، المليئة بالمتناقضات، لا يوجد أي شيء عن يسوع.

فيسوع لم يكتب أي شيء، ولم يكتب عنه أي شخص من معاصريه، وهم الذين كان بوسعهم أن يقولوا شيئًا. وهو ما بدأ المؤرخون ملاحظته بصورة متزايدة. وأدركوا أنه على قرابة ثلاثين شخصًا كان يمكنهم أن يتحدثوا عنه، فإن الصمت المطبق هو ما تركوه.

إلا أن صمت فيلون السكندري له أهمية حاسمة لأنه وُلد قبل يسوع وتوفى بعده. أي أنه كان أكثر المعاصرين له ولم يقل عنه شيئًا رغم اتساع علمه واهتمامه بالدين والفلسفة. وما يقوله معظم الباحثين حاليًا هو: لو كان يسوع كما تقدمه الكنيسة قد وجُد فعلاً لما أهمل فيلون عن ذكره خاصة أن كل تعاليم فيلون أقرب ما تكون للمسيحية لدرجة أن البعض عده من آباء الكنيسة وهو يهودي الأصل والعقيدة. وقد حاول الربط بين اليهودية والهللينية، وأرسى فلسفة أفلاطونية لمعنى «الكلمة» الشديدة الشبه بما يقوله إنجيل يوحنا عن «اللوغس»، ويُرجع البعض إلى أن مصدر هذه العقيدة واضح الشبه والمصدر! فقد أجرى فيلون نفس التطور بالنسبة لليهودية، ونفس الطفرة الهللينية والأفلاطونية، وهو ما حاولت الأناجيل القيام به خاصة الإنجيل الرابع. ومع ذلك لم يذكر يسوع بكلمة وهو ما لا تفسير له من الناحية التاريخية.

الأمر الذي أدى بالبابا بيوس الثاني عشر أن يقول: عندما تناول الحديث في أحد المؤتمرات الدولية للمؤرخين، المنعقد في روما سنة ١٩٩٥، وأن يكرر أن مسألة وجود يسوع بالنسبة للكاثوليك ترجع إلى الإيمان وليس إلى العلم!

لو كان المسيح الله

ويقول الكاتب روبرت انجرصول (R. Ingersol) في أواخر القرن التاسع عشر عن تأليه المسيح: «لو كان المسيح بالفعل هو الله، لعرف كل المستقبل، ولكان منكشفًا أمامه كبانوراما للتاريخ كما سيقع. ولعرف كيف سيتم تحريف كلماته. ولعرف كم من الجرائم، والأهوال، والفضائح ستقترف باسمه. ولعرف كم سترتفع ألسنة اللهب النهمة لتلتهم عدد لا يحصى من الضحايا. ولعرف أن آلاف وآلاف من الرجال الشجعان والنساء سيئنون في غياهب السجون بعد أن أنهكهم التعذيب. ولعرف أن كنيسته ستخترع وستستخدم أدوات التعذيب، وأن أتباعه سيلجأون إلى السياط والحطب للحرق، والسلاسل ومنصبة التعذيب، ولرأى الطوائف الجاهلة تعلن الحرب فيما بينها. ولرأى آلاف المقاصل وهي تقطر بدماء خيرة الناس. ولسمع أصوات احتضار من أبيضت



وجوههم من الآلام ولسمع صحيات وبكاء وصراخ الذين يتراصون على بعضهم معذبون. ولعرف أنه سيتم التعليق على كلماته بالسيوف لتقرأ على أضواء المحارق.

«لو كان المسيح الله لعرف التحريف والأكاذيب التي سيفعلها ويقولها اللئام، ولرأى كل الحروب التي سيخوضونها، ولعرف أن فوق كل هذه الحقول المغطاة بالموتى، وكل أقبية السجون، وكل آلات التعذيب، وكل المحارق وكل أحكام الإعدام سترفرف عليها راية الصليب وهي تقطر دماً لمدة ألف عام.

«ولعرف أن اللؤم والنفاق سيتم تتويجه وإضفاء صفة القداسة عليه وأن القسوة وسرعة التصديق ستقود العالم، ولعرف أن الحرية ستموت على الأرض، ولعرف أنه باسمه يقوم البابوات والملوك بفرض العبودية على أجسام وأرواح البشر، ولعرف أنهم سيضطهدون ويهدمون المكتشفين والمفكرين والمخترعين، ولعرف أن كنيسته ستطفئ نور العقل وتترك العالم بلا نجمة واحدة.

«ولعرف أن أتباعه سيفقأون عيون الرجال، ويسلخونهم أحياء ويقطعون ألسنتهم ويبحثون عن كافة مواضع الألم. ولعرف أن أتباعه سيبيعون لحوم البشر باسمه، وأنهم سيسرقون الأطفال ويبيعونها مقابل الذهب».

«ومع ذلك، فقد مات مطبق الشفتين».

«لماذا لم يقل شيئًا؟ لماذا لم يقل لتلاميذه، ومن خلالهم، إلى العالم: لا يجب أن تحرقوا وتسجنوا وتعذبوا باسمي. لا يجب أن تضطهدوا قريبكم.. «لماذا لم يقل صراحة أنا ابن الله أو أنا الله؟ لماذا لم يقم بتفسير الثالوث؟ لماذا لم يقل أي أنواع التعميد يروقه؟ لماذا لم يكتب عقيدة الإيمان؟ لماذا لم يحطم سلاسل العبيد؟ لماذا لم يقل لو كان العهد القديم موحى أو لا من الله؟ لماذا لم يكتب العهد الجديد بنفسه؟ لماذا ترك كليماته للجهل، واللؤم، والمجاذفة؟ لماذا لم يقل أي شيء إيجابي محدد أو مقنع عن العالم الآخر؟ لماذا لم يغير موجة الأمل الضئيل في الجنة إلى معرفة حقيقية بالعالم الآخر؟ لماذا لم يقل لنا شيئًا عن حقوق الإنسان، وعن حرية الأديان أو العقل؟

«لماذا ذهب صامتًا إلى الموت، تاركًا العالم للبؤس والشك؟»

«سأقول لكم لماذا: لأنه كان إنسانًا، ولا يعرف شيئًا»!

(«عن الأناجيل» ١٨٩٤).



الأساطير والمسيحية

- تقديم
- الأساطير الأساسية
- الأساطير الثلاث المكونة للمسيحية

الأساطير والمسيحية

تقديم

لقد انتشرت المسيحية بين الوثنيين الذين كانوا يؤمنون بكل الآلهة ولم يكن لديهم صعوبة في تقبل آلهة جديدة معها. بل كانوا يألفون فكرة الميلاد العذري وفكرة نزول الآلهة على الأرض في شكل آدمي. وهو ما نطالعه في أعمال الرسل حينما قام بولس بشفاء رجل عاجز الرجلين فأمره بالنهوض، فوثب الرجل وصار يمشي. ويقول النص: «فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم بلغة ليكأونية قائلين إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا. فكانوا يدعون برنابازفس (Zeus) وبولس هرمس (Hermés) إذ كان هو المتقدم في الكلام» (اع ١٤: ١١-١٢).

وما أكثر هذه الآيات الكاشفة للمناخ الذي انغرست فيه المسيحية فنطالع بعد الآية السابقة: «فأتى كاهن زفس الذي كان قدّام المدينة بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع وكان يريد أن يذبح. فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزّقا ثيابهما واندفعا إلى الجمع صارخين، وقائلين: أيها الرجال لماذا تفعلون هذا. نحن أيضًا بشر تحت آلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها» (اع ١٤: ١٣-١٦).

ونخرج من هذه الآيات برؤية عامة عن العادات السائدة في الوثنية آنذاك وعن كيفية صنع التحول بالتبشير لفرض عقائد جديدة. فحتى ذلك الوقت لم يكن من السائد أو المعروف حتى أن يسوع «خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها» وإنما الله.

كما أن تجسد الآلهة في شكل آدمي عن طريق عذراء كان من الأساطير الشهيرة والمستقرة في الوثنية، وكذلك موتها وبعثها وتنقلها بين السماء والأرض. ويعد ما نطالعه في سفر حزقيال حينما أطلعه الرب على رجسات بيت يهوذا مثالاً واضحًا. فقد رأى «النسوة جالسات يبكين على تموز» (حزقيال ٨:١٤)، وفي نفس الإصحاح: «وخمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو الشرق»(٨:١٦).

وتموز كان إله الإنبات والمعروف أنه يموت في الشتاء ويبعث في الربيع وهناك شهر في التقويم العبري باسم تموز. وكانت هذه الفكرة شائعة في كل الحضارات القديمة في مصر (أوزيريس) وآشور وفلسطين واليونان والعديد من البلدان الوثنية. وكانت أسطورة تموز من أشهر الأساطير المتبعة من اليهود الوثنيين والمرأة التي كانت تبكي على تموز

المشار إليها في سفر حزقيال كانت تبكي وفاته السنوية: والآن أصبحوا يبكون على يسوع المسيح ويفرحون كل عام ببعثه في عيد الفصح. وهو عيد مرتبط بأعياد أدونيس وأتيس وديونيزيوس، وكلها آلهة تموت وتبعث في كل عام.

ويقول جوزيف ويليس (J. Wheless) إن هذه الأساطير أشبه ما تكون بموت وبعث يسوع المسيح، الإله المسيحي، ويعد بعث يسوع حجر الزاوية للديانة المسيحية. وهو ما نطالعه أيضًا عند راي وودسيلرز (R.W.Sellars) في كتابه المعنون: «**الخطوة القادمة في الدين**» والذي سيشهد فيه بالعديد من الأجزاء من الموسوعة الكاثوليكية الصادرة ١٩٠٧. ويقول سيلرز:

«إن عبادات أورفيوس في اليونان، وإيزيس وأوزيريس في مصر، وأتيس وأدونيس في سوريا - وكانت فلسطين جزءا منها، واحتفالات ميثرا، كانت تدور جميعها حول فكرة معاني سرية الخلاص - فالإله يموت ويبعث، والإلهة العذراء تنجب ولدًا، وأعضاء الطائفة يأكلون من لحم آلهتهم ليكتسبوا قوة من الطعام المقدس. وكان آباء الكنيسة مدركين للشبه بين هذه العبادات وما كونّوه محاولين شرح ذلك بأن الشيطان قد قلّد الطقوس المسيحية! وكانت فكرة موت الإله المنقذ وبعثه شديدة الانتشار في طرسوس، بلد بولس: وكانت احتفالات أتيس تقام على مشارف الربيع ويسبقها صيام ومراثي، ثم يتبعها البعث ويقوم الإله المبعوث فيمنح أمل الخلاص لأعضاء الطائفة. وينتهي الاحتفال بالبهجة والطعام» (صفحة ٢٣-٢٤).

الأساطير الأساسية:

من خلال العديد من الأبحاث التي تتناول الأساطير المؤسسة للكيان الكنسي، خاصة أعمال كل من چيرالدماسي وألفن بويدكوهن من قبله، فيوضحون أن قصة يسوع قد أخذت العديد من العناصر الواردة في مجال الأساطير الشاسع الذي وُجد قبل المسيحية بآلاف السنين. ومن أهم الآلهة التي صُلبت أو أعدمت وكانت سبّاقة على الأسطورة المسيحية نجد: الإله عداد الأشوري، وزيوس في اليونان، وبعل في فنيقية، وبوذا في الهند، وأوزوريس في مصر القديمة، وكريشنا في الهند، ومترا في فارس، وتموز في سوريا ومن أهم المقارنات التي ترد، ذلك التشابه بين يسوع وهذه الآلهة:



بوذا:

ولد من العذراء مايا وكانت تعد ملكة السماء، وكان من أصل ملكي، ويقوم بالمعجزات والعجايب ويشفي المرضى، وقد أطعم خمسمائة رجل من سلة صغيرة من الخبز، ومشى على سطح الماء، ودهس ثعبانًا، وألغى الوثنية، وكان «يبذر الكلمات» ويبشر بإقامة ملكوت العدل، ومن تعاليمه التبتل، والرأفة، والتسامح، وحب المساواة للجميع. وقد تحوّلت هيئته على الجبل، وصلب تكفيرًا عن الذنوب، وتعذب ثلاثة أيام في الجحيم ثم بُعث، ويعتبرونه الراعي، الصالح، والنجار، واللانهائي والأبدي، وأطلقوا عليه منقذ العالم ونور العالم.

الإله حوريس المصري القديم:

والتشابه بين يسوع وحورس أكثر وضوحًا خاصة مسألة الخلط أو التداخل بين حوريس وأوزوريس خاصة عند قوله: «أنا وأبي واحد» ومن المعروف أن حوريس قبل يسوع بآلاف السنين. ومن أوجه الشبه أيضًا: حورس مولود يوم ٢٥ ديسمبر من إيزيس -المحبوبة، وأعلن عن مولده بنجمة وكان ثلاثة حكماء في انتظاره، وكان يعلّم الأطفال في المعبد وتم تعميده في سن الثلاثين، وله أثنى عشر حواريًا، وصنع المعجزات، وسار على سطح الماء، وتحولت هيئته على الجبل، ودُفن وبُعث، وكانوا يطلقون عليه: الطريق، والحق، والنور، والمسيح، ومسيح الله، وابن الإنسان، والراعي الصالح، وحَمَل الله، وكان صيادًا ومرتبطًا بالحمَلْ، والسمك، واسمه حوريس الابن الأبدي للإله تباح، الأب، واسمه أيضًا كِرِسْتْ (Krst) وتعني الممسوح.

كرشنا:

ويكشف جيرالد ماسي عن أكثر من مائة تشابه بين يسوع وكرشنا، الذي أعتقد العديد من أتباعه أيضًا أنه قد وجد فعلاً، ومن أوجه الشبه هذه: مولد كريشنا من العذراء ديفاكي، وكان والده نجارًا، وانتظرت الملائكة مولده وزاره الرعاه المحملون بالهدايا والبخور، ومن أسمائه إله الرعاه، واضطهده أحد الطغاه الذي أمر بقتل آلاف الأطفال، وكان من أصل ملكي، وتم تعميده في نهر الجانج، وقام بالمعجزات وبعث الموتى وشفاء المرضى بالجزام، والصم والعميان، وكان كريشنا يستخدم الأمثال لتعليم الشعب

الرحمة والحب، وكان فقيرًا يحب الفقراء، وتحولت هيئته أمام تلاميذه، وفي بعض الروايات مات على شجرة أو مصلوبًا بين لصين. وبُعث من بين الموتى وصعد إلى السماء، ويعتبرونه الفادي، والابن البكر، والكلمة العالمية والأقنوم الثاني للثالوث!

مثرا، الإله الشمس في بلاد فارس:

وأسطورة مثرا تسبق يسوع بما لا يقل عن ستة قرون. ووفقًا للباحث جوزيف ويليس، القاضي، فإن عبادة مثرا كانت من أشهر العبادات التي سبقت المسيحية وأكثرها شيوعًا بين الوثنيين، ويشترك مثرا مع يسوع في النقاط التالية: وُلد الإله مثرا في ٢٥ ديسمبر ويطلقون عليه الراعي الصالح، والطريق، والحق، والنور، كما يعتبرونه الفادي، والمنقذ، والمسيح، وأحيانًا يشبهونه بالحَمَل، وكان يومه يوم الأحد «يوم الرب»، وذلك قبل انبثاق المسيحية بقرون، وكان عيده في نفس اليوم الذي يقام فيه عيد الفصح الذي يوافق بعثه، وله اثنى عشر تلميذًا، ويقوم بالمعجزات، وتم دفنه وبُعث في اليوم الثالث، وكانوا يحتفلون ببعثه كل عام، وكانت ديانته تتضمن «افخارستيا» أو «عشاء الرب».

الإله پرومثيوس في اليونان:

يؤكد بعض العلماء أن أصل الإله پرومثيوس مصري قديم، وإن كانت مأساته قد جرت في جبال القوقاز ويتشابه پرومثيوس مع يسوع في أنه نزل من السماء كإله ليتجسد بشراً لينقذ الإنسانية، وأنه صُلب وتعذب وبُعث في اليوم الثالث، وكانوا يطلقون عليه «الكلمة»، ويؤكد التراث أنه صلب على صخرة وإن كانت بعض المراجع تؤكد أنه صُلب على شجرة وأن المسيحيين قد بدّلوا النصوص لمحو التشابه كما فعلوا مع العديد من النصوص.

والسبب في تشابه كل هذه الأساطير هو أنها قائمة على حركة الشمس في السماء وإمكانية ملاحظة الأبراج الإثنى عشر حول الأرض. ومعظم البشر الآلهة الذين تم صلبهم عادة ما يحتفلون بعيدهم في ٢٥ ديسمبر، ذلك قد لاحظوا أن الشمس لها دورة سنوية وأنها تتجه للجنوب حتى يوم ٢١ أو ٢٢ ديسمبر، وهو مدار الشتاء، ثم تكف عن الحركة لمدة ثلاثة أيام، ثم تبدأ في العودة من جديد ناحية الشمال، وفي فترة السكون هذه كان القدماء يطلقون عليها أن شمس الله قد ماتت لمدة ثلاثة أيام قبل أن تبعث في الخامس والعشرين من ديسمبر. وهو ما يوضحه چوردن ماكسويل (Jordan Maxwell)

في كتابه المعنون: **الكتاب الذي لا تريد كنيستكم أن تقرأوه: العقائد الوثنية والمسيحية**»، ثم يتناول أهم صفات الإله الشمس في هذه الأساطير:

- الشمس تموت لمدة ثلاثة أيام ابتداءً من ٢٢ ديسمبر، عند مدار الشتاء. وتتوقف عن الحركة ثم تبعث في ٢٥ ديسمبر مع بداية حركتها للشمال.
- في بعض الثقافات كان التقويم يبدأ أساسًا في برج العذراء، ومنها أتت فكرة مولد الشمس من عذراء.
- أن الشمس «نور العالم».
- الشمس «تأتي على السحاب وكل عين تراها».
- إشراقة الشمس صباحًا هي «منقذ البشرية».
- الشمس محاطة «بتاج من الشوك» أو بهالة.
- اتباع الشمس إثنى عشر شهرًا والإثنى عشر برجًا.
- الشمس تدخل كل برج بزاوية ٣٠ درجة وبالتالي فإن الإله الشمس يبدأ حكمه في «سن» الثلاثين.

وعلى عكس ما يتخيله العديد من الناس، فإن القدماء لم يكونوا من الجهل والفكر الخرافي بحيث يتصورون آلهتهم على أنهم أشخاص حقيقيون فمن الواضح أن هذه المعلومة التي تفترض جهل وضيق أفق القدامى كانت من الأفكار التي تم ترويجها ليثبتوا أن العالم بحاجة إلى «نور يسوع» وأسطورته. فقد كان القدامى يدركون أن آلهتهم ذوي طبيعة مرتبطة بالفلك والمناخ. وكان كل من أفلاطون وسقراط وأرسطو يعرفون تمامًا أن زيوس أب وإله السماء الذي أتى إليه اليونان كان أصله من الهند ومن مصر القديمة. ولم يكن شخصًا حقيقيًا على الرغم من أن اليونانيين كانوا قد أشاروا إلى وجود كهف لميلاد زيوس وآخر لوفاته.

كما يشير العلماء إلى أن التشابه غير قاصر على الأساطير فحسب، وإنما يمتد إلى الأسماء والألقاب وأسماء المدن والقديسيين. وليس بغريب وجود إثنى عشر باترياركا، واثنى عشر حواريًا، وإثنى عشر برجًا أو شهرًا وكلها تفاصيل وتشابهات أوضحها العلماء بصورة قاطعة، فعلى حد قول بربارا ووكر (B.Walker): «إن جهود المثقفين المضنية لاستبعاد آثار الوثنية من الأناجيل، للعثور على شخصية يسوع التاريخية، أسفرت عن أنها عملية ميئوس منها كالبحث عن نواة البصلة»، ومن الثابت أن البصلة لا نواة لها.

ونحن هنا لا نقر فكرة عدم وجود يسوع تاريخيًا حاشا لله لإلتزامنا بالقرآن الكريم الذي لا يعتبره نبيًا من الأنبياء فحسب، وإنما إيمان المسلم لا يكتمل إلا لو آمن به وبمن سبقه من الأنبياء. لكننا نعرض لما وصل إليه بعض العلماء في الغرب المسيحي، ومنهم من كبار رجال الدين، وذلك من كثرة ما وجدوه من خلط وتحريف حتى نبذوا تلك العقيدة برمتها. لذلك نعرض الاتجاه الآخر الذي يمثله چيرالد ماسيّ عند قوله:

«إن مسيح الأناجيل ليس بأي حال من الأحوال شخصية تاريخية أو نموذج أعلى للإنسانية، وأنه تعذب وحاول وفشل في إنقاذ العالم بموته. من المحال إثبات هذه الشخصية حتى وإن كان محتالاً، لأنه في هذه الحالة ستكون شهادة الأساطير الفلكية وعلم الغنوصية إدعاءً. إن المسيح صورة شعبية لم يوجد أبدًا، إنها صورة من أصل وثني، وصورة كانت في الأصل حَمَل، ثم سمكة، صورة شخص مكون من عدة آلهة مختلفة» ونلاحظ هنا أن ماسي يتحدث عن المسيح وليس عن يسوع. فالحقيقة التي توصل إليها تيار ثالث من العلماء هي الفصل بين المسيح ويسوع، على أساس أن المسيح يمثل الجانب الأسطوري الذي تم فرضه - بدليل إن بولس لا يذكر شيئًا عن يسوع ومولده العذري وإنما يتناول الجانب الأسطوري الروحي المنسوج من الأفكار السائدة والعقائد الممارسة آنذاك. أما يسوع فيمثل الإنسان بكل ما تمت إضافته من تفاصيل وأن نفس شخصية يسوع كما هي واردة في الأناجيل شخصية مركبة التناقض تتراوح ما بين الإنسان، والنبي، والبطل الثوري الذي يسعى لتحرير البلاد من الاحتلال الروماني.

إلا أن هناك من الوقائع التاريخية التي يصعب إغفالها أو إغفال وقعها على مجريات الأحداث والأبحاث. وذلك مثال مدينة الناصرة فما توصل إليه البحث العلمي أن مدينة الناصرة لم تكن موجودة عندما وصلت جيوش الصليبيين إلى المنطقة عام ١٠٩٠ وأن فرسان المعبد هم الذين شيدوها في القرن الثالث عشر هي وكل ما يتعلق بتاريخ مولد يسوع كما أن إنجيل متى يقول إنها بجوار بحيرة (١٣:١٤) أما إنجيل لوقا فيقول إنها ليست بعيدة عن الجبل (٢٩:٤).

وفي ٢٢ ديسمبر ١٩٩٣ اعترف البابا يوحنا بولس الثاني بأن ٢٥ ديسمبر كان عيدًا وثنيًا وأعلن قائلاً: «عند الوثنيين القدامى كانوا يحتفلون بعيد الشمس التي لا تقهر في ذلك التاريخ الذي يتوافق مع مدار الشتاء، فبدا من الطبيعي والمنطقي بالنسبة للمسيحيين أن يبدّلوا هذا العيد ويحتفلوا بالشمس الوحيدة الحقيقية: يسوع المسيح».

الأساطير الثلاث المكونة للمسيحية:

ويعد القس ألفريدلوزاي (١٨٥٧ - ١٩٤٠) واحدًا من أهم الذين تصدوا للعبث الذي تقوده الأيادي المتحكمة في المؤسسة الكنسية. وكان يشغل منصب أستاذ اللاهوت في المعهد الكاثوليكي بباريس. وقد قامت الكنيسة بحرمانه عام ١٩٠٨ لأفكاره المنتمية لتيار الحداثة، وفي كتاب عن «**أصول المسيحية**» راح يوضح الأساطير المؤسسة للديانة المسيحية، ويمكن اختصارها فيما يلي:

١ - أساطير متعلقة بنشأة الكون:

وهي أساطير تصف نشأة العالم وخلق الحيوانات والبشر، وهي الصورة التي استقرت لقرابة ثمانية عشر قرنًا في ذهن الأتباع، على أنها ذات أصل إلهي أو أن الله هو الذي أملاها. ويوضح الأب لوازي قائلاً: «ونحن نعلم جميعًا زيف هذه الحقيقة علميًا وما هي النصوص ذات الطابع الأسطوري التي كونتها والتي تهدم بالتالي فكرة الخطيئة الأصلية».

ولم يكن القس لوازي هو أول من يرفض أو يكشف عن زيف مقولة تلك الخطيئة فقد سبقه إلى ذلك كل من صمويل ريماروس وچوهان إيدلمان - وقد دفعا ثمن حرية التعبير بالفصل من الجامعة اللاهوتية بألمانيا.

٢ - أساطير متعلقة بالمسيح أو «كريستولوچية»:

وهي أساطير يمثل فيها يسوع المسيح المنقذ الدور الأساسي في المسيحية إلا أن الأمر يتعلق بشخصية ملتبسة غامضة. ويقول لوازي تحديدًا: «فإذا كانت ملامحه تستمد ظاهريًا جزءاً من اسمه من الكتابات اليهودية، فإن سماته المميزة مستقاة مباشرة من الأساطير التراثية الهللينية الرومانية. فقد اكتست شخصية يسوع تدريجيًا مختلف أنواع الأردية منذ البداية حتى أيام قسطنطين ومنذ اختراع عملية صلبه في مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١ الذي تم نشر وثائقه مع وثائق مجمع خلقيدونيا عام ٤٥١».

ويوضح الأب لوازي كيف زاد تدعيم الطبيعة الأسطورية للعقيدة المسيحية باختلاق ميلاد المنقذ الذي سيتم خلطه بعودة الشمس إلى مدارها في ٢٥ ديسمبر وهو «يوم الشمس الجديد» ويعني néos hélios التي أعطت كلمة Noël بالفرنسية. وقد تم هذا الاستيلاء على الأسطورة الوثنية لأول مرة في ٢٥ ديسمبر عام ٣٣٥ حيث تم الإعلان عن أن يسوع هو شمس العدالة وسوف نتناول هذه النقطة على حدة.

٣ - أساطير متعلقة بالأخرويات:

وهذه الأساطير ليست متعلقة بنهاية العالم فحسب - بما أن ذلك متوقع عمليًا بعد ثلاثة مليارات ونصف المليار من الأعوام.. أما بالنسبة للمسيحيين فإن نهاية العالم هذه سوف تسبقها عودة جديدة للمنقذ يسوع المسيح، الذي سيقيم حكمًا من السعادة للنخبة المختارة لفترة ألف عام تقريبًا، قبل أن يحاكم الأحياء والأموات وقبل أن يفتح أبواب مملكته السماوية لأتباعه!..

ويسخر المؤلف من هذه الأسطورة قائلاً إنها تطرح العديد من الاستفسارات: ترى هل سيتعين عليه أن يتجسد ثانية من خلال عذراء بلا دنس؟ وهل ذلك الميلاد الجديد سيكون في بيت لحم أم في مكان آخر؟ وهل سيكون هناك هيرود جديد ليحاول قتله؟ بل هل ستكفي ألف عام من السعادة لتجعل الناس ينسون كل ما عانوه من ظلم وقهر ودماء مسفوكة لاستتباب هذه العقيدة؟!

الأناجيل

- تقديم
- كتبة الأناجيل
- التناقض في الأناجيل
- وقفة حول تناقض النصوص

الأناجيل

تقديم:

في العدد رقم ١٣٧ من مجلة «عالم الكتاب المقدس» سبتمبر- أكتوبر ٢٠٠١، والذي يتصدر غلافها الموضوع الرئيسي المعنون: «من كتب الكتاب المقدس؟» نطالع في المقال الذي كتبه چوزيف موان (J.Moingt) الأستاذ المتفرغ بكليات الچيزويت بباريس، ومؤلف كتاب: «**الرجل الذي كان قادمًا من الله**»، نطالع الفقرات التالية:

«لا يمكن إلا لمؤمن بالتراث الإنجيلي أن يؤكد أن الكتاب المقدس هو كتاب أوحاه الله، ولا يمكن إلا لمسيحي أن يقوم بضم العهد الجديد للعهد القديم وكأنهما كتابًا واحدًا، وأن العهد الجديد يكمّل وحيه، رافضًا أن يضم إليها أية كتابات بعد الأصول المسيحية لسبب أنه سوف يهدم وحدة ذلك الكتاب بكسر نهايته»!

و«أن العقيدة المسيحية تقول أكثر من ذلك، مع العلم بأن الله قد أراد أن تكتب كلماته، وأن يكون هذا الكتاب بذلك الشكل الذي هو عليه ليتم توصيله للناس أجمع لكل الزمان، الأمر الذي يمثل صعوبتان لفهم ذلك».

«وهو أولاً أن الكتاب المقدس ليس كتابًا بالمعنى المفهوم وإنما مكتبة بأسرها، مجموعة متعددة من الكتب والأنواع الأدبية المختلفة، بلغات مختلفة، ويمتد تأليفه على عشرات القرون وأنه قد تم تجميع كتبه في شكل كتاب مقدس بالتدريج وابتداء من مراكز صياغة ونشر متعددة ومن أجل أغراض سياسية ودينية متنوعة. ثانيًا كل كتاب من هذه الكتب لم يتم تأليفه دفعة واحدة، بقلم نفس الكاتب وحده، وإنما صيغ كل كتاب منها اعتمادًا على العديد من التُرث الشفهية المتناثرة وكتابات جزئية متفرقة ناجمة عن مصادر شتى بعد أن تمت إعادة كتابتها وصياغتها وتعديلها وتبديلها على فترات طويلة قبل أن تصل إلى ما هي عليه».

ولا نعتقد أن وضوح هذا النص بحاجة إلى تعليق..

ورغمها، أو مع العلم بأن البدايات المزعومة لهذا العهد القديم ترجع إلى ٣٥٠٠ عام، فإن هناك شيئاً مؤكدًا لا خلاف عليه وهو: أن المخطوطات الباقية هنا وهناك في العالم سواء في كمبريدج أو القدس أو جنيف فهي ليست إلا مخطوطات منقولة عن نصوص منقولة، وباستثناء النص السينوي (نسبة إلى سيناء) والنص الفاتيكاني، وكلاهما يرجع إلى سنة ٣٥٠م ومكتوبان باللغة اليونانية، فإن أقدم النسخ المنقولة للكتاب المقدس ترجع إلى حوالي سنة ١٠٠٠ ميلادية، وذلك مثال نص الأنبياء الذي عثر عليه في القاهرة

ويرجع إلى سنة ٨٩٥م، أو النص العبراني البابلي الذي يرجع إلى سنة ٩١٦م. وأقدم نسخة كاملة للكتاب المقدس وهو النص الموجود في مدينة لنينجراد، يرجع إلى سنة ١٠٠٨م. وحتى يومنا هذا لا يوجد نص كامل بالعبرية للعهد القديم إلا ذلك الذي صِيغَ في القرن العاشر الميلادي.

وفي القرون الوسطى فإن النص الوحيد المعروف والمعمول به هو ذلك النص الذي صاغه وعدّله وبدّله القديس چيروم (٣٣١-٤٢٠) بأمر من البابا داماز. وقد صاغه باللغة اللاتينية، وهو الأصل الأساسي للعهد الجديد والمعروف باسم «الڤولجات»، وظل هو النص الوحيد المتداول لمدة ألف عام تقريبًا، تلك الأعوام المعروفة باسم عصر الظلمات، لما كانت المؤسسة الكنسية تفرضه على الأتباع من قهر وتعتيم - فقد كان محرّم عليهم قراءة ذلك الكتاب المقدس أو مناقشة أي معطى وارد به وإلا عوقب بالموت أو بالاتهام بالكفر وما يتبعه من عقوبة.

ولم يتحرر الكتاب المقدس من عمليات النقل وكل مآخذها من أخطاء إملائية إلى تغيير وتبديل - نسبيًا، إلا بظهور مطبعة جوتنبرج سنة ١٤٥٠ وتمت طباعة أول نسخة للكتاب المقدس بالفرنسية سنة ١٥٣٠ عن نص الفولجات، أي عن ذلك النص القائم على التحريف والتبديل الرسمي والمأخوذ عن نصوص هي في الأصل منقولة ومحرّفة عن نصوص أخرى - وهو ما يقوله القديس چيروم في المقدمة التي تصدرت ترجمتها اللاتينية والمهداة إلى البابا داماز الذي أمر بعمل التزوير الرسمي، ونصها بالملاحق.

والنص الذي أخذ عنه القديس چيروم هو نص الترجمة السبعينية المكتوبة باللغة اليونانية للعهد القديم، وكانت قد صيغت قبل الميلاد من أجل يهود الإسكندرية الذين بعدوا عن لغتهم اليهودية وطلب بطليموس الثاني أن تتم لهم هذه الترجمة التي تغص بالأخطاء عند نقلها ذاكرة عن النص العبري!

ويؤكد ويلبرفورس (Wilberforce) كبير الشمامسة أن النصوص الأصلية للأناجيل قد تم تعديلها بقرار بعد مجمع نيقية الأول، موضحًا: «إن كثيرًا من الناس لا يعلمون أنه بعد مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥م، أن نصوص العهد الجديد قد تم تعديلها بصورة واضحة. ويورد العالم نستلة (Nestlé) في مقدمة كتابه المعنون: «نقد نص الإنجيل اليوناني» أنه كان آنذاك مثقفون يدعون «المصححون»، قامت السلطات الكنسية الكاثوليكية بتعيينهم وأعطتهم أمراً بتصويب النصوص المقدسة وفقًا لما سوف يعتبرونه الأصول».

بل لقد نصح بعض الكرادلة البابا يوليوس الثالث (١٥٥٠/٧/٧ - ١٥٥٥/٣/٢٣) كيفية الحفاظ على السلطان الكنسي قائلين:

«يجب أن تظل اللغة اللاتينية وحدها هي لغة الأناجيل وألا يسمح بترجمتها إلى اللغات الحديثة إلا في البلدان الخاضعة لسيطرتنا. والقدر القليل الذي يقرأ في القداس كافي ويجب أن نمنع أي أحد من قراءة المزيد. وطالما اكتفى الشعب بذلك القدر القليل، فإن مصالحكم سوف تزدهر، لكن طالما حاول قراءة المزيد فإن مصالحكم سوف تعاني. فهذا الكتاب، دونا عن أي كتاب آخر، هو الذي سيجلب علينا العصيان والعواصف التي قد تأتي على كياننا. إذ لو تفحص أي شخص بعناية تعاليم الكتاب المقدس وقارن التواريخ مع تواريخ كنيستنا سيكتشف بسرعة التناقضات ويرى بوضوح أن تعاليمنا عادة ما تبعد عن تعاليم الكتاب المقدس، بل كثيرًا ما تتعارض معها. وإذا أدرك الشعب ذلك فسوف يعمل بلا هوادة على كشف كل شيء، وعندئذ سنصبح موضع سخرية وكراهية العالم (...) لذلك من المهم إبعاد الكتاب المقدس عن أيدي الشعب بأكبر حرص ممكن حتى لا نثير الصخب».

الأمر الذي يوضح إلى أي مدى ظلت المؤسسة الكنسية تبعد كتابها عن أيدي القراء والعلماء، وقد استمر ذلك الحجب حتى عصر التنوير، ذلك العصر الذي بدأ بإحداث شرخ لا يزال يتواصل ويتسع..

ونعود إلى عمليات صياغة وإعادة صياغة النصوص «المقدسة».

أما القس ج. ج. أوزلي (G.J.Ouseley) فيقول في كتابه المعنون: «**إنجيل الإثنى عشر**» عن هؤلاء المصححون: «إن المصححين قد حذفوا بعناية من الأناجيل بعض التعليمات التي لم يكن في نيتهم الالتزام بها، ومنها تحريم أكل اللحم وكل ما كان يمكنه أن يخدم هذه الفكرة ومنها التدخلات المتعددة ليسوع من أجل حماية الحيوانات من تعسف البشر».

وإن دل هذا النص عن شيء، فهو يدل عن أن الجماعة الأولى من المسيحيين كانوا من الإسينيين، فهم الذين كانوا نباتيون ويمتنعون عن أكل اللحوم.. ومن الواضح أن هناك العديد من الأدلة على أن العقائد الأولى للمسيحية لم تتغير جذريًا فحسب في مجمع نيقية الأول وغيره، وإنما تم إضافة غيرها وفقًا للأهواء.

وقد كان أول فعل لآباء الكنيسة الكاثوليكية آنذاك وبعد أن قاموا بخلق ديانة كاثوليكية مؤسستية، هو حرق كافة الكتب التي يمكنها الكشف عن أفعالهم أو إثبات

الدليل عليها، مدركين أن هذه الكتب تمثل تهديدًا حيويًا على استمرار عمليات التزوير والتحريف، لذلك قام أعضاء الإكليروس بحرق ذلك الكم الرهيب من الكتب والمكتبات، بما في ذلك مكتبة الإسكندرية وكتبها الأربعمائة ألف التي تم حرقها بأمر من ثيودوز، عندما قام بعض الكاثوليك بتدمير السيرابيوم حيث كانت وجدت به المخطوطات والأختام، وتم ذلك سنة ٣٨٩م أي بعد ٦٤ عامًا من مجمع نيقية الأول.

ويؤكد العالم نستلة (Nestlé) أن «كل رجل إنجيلي يعلم تمامًا أنه قبل التاريخ الذي أعلن فيه قسطنطين المسيحية ديانة رسمية للدولة الرومانية، خضعت الأناجيل ثانية لتعديلات جديدة في صياغتها حتى تتوافق والقرارات الجديدة وحتى تتم إعادة تنظيم ما تم اعتباره على مر العصور متعلقاً بالعقائد بصورة مختلفة. وكان يقوم بهذه الأعمال مثقفون أطلق عليهم اسم «المصححون»، تم اختيارهم أثناء مجمع نيقية وأغدقوا عليهم العطايا مع وضعهم تحت مراقبة وإشراف رجال الأكليروس وكان يستعان بهم خاصة للقيام بالتعديلات الهامة حول المسائل الإيمانية عقب المجامع أو اللجان التالية لها، لتفادي عدم التوافق الناجم في النصوص وبين القرارات الجديدة أو السابقة».

كتبة الأناجيل:

أوضحنا أن النص المعروف بالسبعينية، أي ترجمة العهد القديم إلى اللغة اليونانية هو النص الذي تم الاعتماد عليه كأصل لنصوص العهد الجديد إضافة إلى عشرات الأناجيل التي كانت متداولة آنذاك - بغض الطرف عما يتضمنها من أخطاء ترجمة وتحريف عن النص العبري القديم. وهذه الترجمة السبعينية، نسبة إلى الاثنين وسبعين كاتبًا الذين قاموا بتدوينها هي النص «الرسمي» أو المصدر الأساسي للنصوص المسيحية التي كتبت بعد ذلك لا بأقلام الحواريين اليهود - وكانوا أميّون من العمال والفلاحين، وإنما كتبها آباء يونانيون مسيحيون، وثنيون سابقون، بعيدًا عن الأراضي المقدسة التي ولد بها يسوع.



فالمعروف أن يسوع كان يهوديًا، وكذلك حواريوه كانوا من اليهود، وهو مالا تريدنا المؤسسة الكنسية أن نقتنع به. إلا أن تحليل النصوص يكشف عن شيء مغاير تمامًا، إذ هناك دائمًا إشارة إلى اليهود وكأنهم شعب آخر لا ينتمي إليهم كتبة الأناجيل، وكلها عبارات تكشف عن إن هؤلاء الكتبة لم يكونوا من اليهود. وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

يقول متى: «فشاع هذا القول **عند اليهود** إلى هذا اليوم» (١٥:٢٨)- وهو ما يكشف عن أن هناك مسافة زمانية واضحة بين الوقائع وكتابتها، ما يكشف عن أن الكاتب غير يهودي وإلا قال «عندنا» وليس «عند اليهود».. ونطالع في إنجيل مرقس: «لأن الفريسيين وكل اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون متمسكين بتقليد الشيوخ» (٣:٧)، وما من يهودي سيقوم بشرح أبجدية عادات اليهود ليهودي آخر. ويقول إنجيل لوقا عند تحدثه عن يوسف الذي أخذ جسد يسوع لدفنه قائلاً: «..وهو من الرامة مدينة لليهود» (٥١:٢٣). فما من مصري سيقول لمصري آخر: فلان من طنطا مدينة للمصريين! فما من مصري بحاجة إلى هذا التعريف، وكذلك ما من يهودي بحاجة إلى أن يقال له إن الرامة مدينة اليهود.

ويذخر إنجيل يوحنا بمثل هذه «الهفوات» الكاشفة عن أن كتبة الأناجيل ليسوا من اليهود وإنما من اليونانيين. ومنها: «وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هنا حسب تطهير اليهود..» (٦:٢)؛ أو «وكان فصح اليهود قريبًا» (١٣:٢) أو «كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديمس رئيساً لليهود» (١:٣)، «وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير» (٢٥:٣)، والمفترض أن يوحنا يهودي وتلاميذه يهود فما معنى الإشارة إلى أن الذين يناقشونهم من اليهود؟! وأيضًا: «ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه» (١٦:٥)، أو «وكان الفصح عيد اليهود قريبًا» (٤:٦)- وقد سبق ليوحنا أن استخدم نفس العبارة في الإصحاح الثاني عندما كتب قائلاً: «وكان فصح اليهود قريبًا فصعد يسوع إلى أورشليم» (١٣:٢) - أي أنها ليست زلة قلم أو لسان وإنما كشف لحقيقة، ومنها أيضًا: «وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه» (١:٧)، و«كان عيد اليهود عيد المظال قريبًا» (٢:٧). وفي الإصحاح الحادي عشر نطالع: «قال له التلاميذ يا معلم الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك وتذهب أيضًا إلى هناك» (٨:١١)!

وبخلاف أن هذه الآية تكشف عن الفارق بين جنسية كاتب الإنجيل واليهود، فإنها تكشف أن القتل عند اليهود وفي أيام يسوع كان بالرجم وليس بالصلب..

وكل هذه الآيات والعديد غيرها تثبت أنه ما من يهودي وما من أحد من الحواريين قد كتب هذه الأناجيل، وأنها قد صيغت بأقلام أناس يتحدثون اليونانية لا يعرفون عادات اليهود وتقاليدهم. لذلك يؤكد جوزيف ويليس والعديد من الباحثين «أن كتبة هذه الأناجيل هم وثنيون سابقون وقد أصبحوا قساوسة متحمسين لبيع «النبأ السعيد» للجهلاء من الوثنيين المتعلقون بالأوهام» (التحريف في المسيحية، صفحة ١٨٦).

بل لقد أثبتت الأبحاث أن هذه الأناجيل المعتمدة تحديدًا لم تكتب إلا بعد قرن وأكثر من الأحداث تقريبًا، وأنه عندما كتب الإنجيل وفقًا للوقا نراه يبدأ قائلاً: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا أيضًا إذ تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به» (١:١-٤).

ومن الواضح أولاً أنه كان هناك العديد من الأناجيل في الأمور التي تسلموها من المعنيين بخدمة الكلمة، أي أن هناك مسافة زمانية لا يمكن إغفالها، وأن هذه النصوص عبارة عن مجرد «تأليف قصة» جديدة في الأمور التي يقال إنها متيقنة!

ونطالع في مجلة «**إكسبريس**» الفرنسية، العدد رقم ٢٨٤١ الصادر في ١٥-٢٠٠٥/١٢/٢١ والذي يضم ملزمة بأسرها تحت عنوان صادر على الغلاف يقول: «الصواب والخطأ في الكتاب المقدس». ومما ورد بهذه الملزمة:

«أن الأصل الذي يعتمدون عليه هو السبعينية وهي ترجمة من العبرية إلى اليونانية وثبت أن بها مآخذ واضحة بُني عليها كثير من العقائد المسيحية ومنها الحمل العذري إذ تحولت عبارة «امرأة شابة» عند الترجمة إلى «عذراء» وهو ما سمح للكنيسة بتأكيد بدعة عذرية مريم ثم عذريتها الدائمة قبل وأثناء وبعد الوضع.. كما أثبتت مخطوطات قمران أن المسيحية استقت الكثير من الثقافة العبرية القديمة، وتشير هذه المخطوطات إلى أن أحد أبناء الله سيحكم إلى آخر الزمان كما تشير إلى كلمة «مسيح» (Messie) وهذه الكلمة لم تكن معروفة في العهد القديم وإنما كانت كلمة (Oint) المدهون أو الممسوح بزيت هي المستخدمة.. وتؤكد الاكتشافات الحديثة أن الكتاب المقدس لم ينزّل من السماء وإنما كتبه البشر على مدى ألف عام أو أكثر. إلا أن ذلك لا يقلل من قيمته المقدسة ولا من جماله الملهم»!!

وبغض الطرف عن تلك الجملة الأخيرة التي من الواضح أنها وُضعت كنوع من تطييب الخاطر. فإننا لم نستشهد بهذه المجلة الرسمية في فرنسا إلا لتوضيح أن كل هذه المعلومات التي نتناولها أصبحت في عتاد المعلومات العامة المتفق عليها حاليًا.

وتقول الموسوعة الكاثوليكية عن الأسفار الخمسة لموسى: «من الحق أن يقال إن الأسفار الخمسة التي تم إسنادها طويلاً لموسى تعد الآن في نظر الأغلبية غير الكاثوليكية وفي نظر عدد متزايد من العلماء الكاثوليك أنها عبارة عن نقل من أربعة مصادر مختلفة وُضعت معا بعد الأسر مباشرة (...) وأنه كان ينظر لنص الترجمة

السبعينية على أنه نص يجب ألا يُقرأ بسبب التصرف الواضح في الترجمة وبسبب التحريف الذي أدخل عليه، بحيث إنه في القرن الثاني الميلادي قامت الكنيسة باستبعاده (...) ولقد كانت الكنيسة قد تبنت الترجمة السبعينية كنص أساسي لها، وهو نص يختلف عن النص العبري لا من حيث إضافة العديد من الإصحاحات والفقرات فحسب، ولكن بسبب العديد من التلاعب في النصوص الراجع أساسًا إلى الوسيلة الفاسدة في كتابة الإصحاحات القديمة، وإلى الجثارة الآثمة للمصححين - على حد قول أوريجينس الذين قاموا بالتصويب والإضافات والحذف، إضافة إلى الأخطاء في الترجمة، خاصة لاعتمادهم على نص عبري مختلف عن النص الذي كان وُضع في جامنيا والذي كان الحاخامات اليهود يعتمدونه» (صفحات ٦٢٢ و٦٢٥، ٣٤٦).

ومن أهم هذه الأخطاء كما أشرنا سالفًا عبارة «الحمل العذري» التي بنت عليها الكنيسة تلك العقيدة التي يفندها العلم، وكان القديس چيروم يعلم بهذا الخطأ وهو يقوم بترجمة النص عن اليونانية إلى اللاتينية لكنه قد تركه عمداً. وليست هذه الحقيقة بمجهولة فقد لامه العديد من النقاد آنذاك لتركه هذا الخطأ، ومنهم چوفيانوس (Juvianos)، فأجابه چيروم قائلاً: أعلم أن اليهود اعتادوا أن يواجهونا بالاعتراض على ترجمة كلمة Almah وأنها لا تعني «عذراء» وإنما «امرأة شابة» وأعلم أن العذراء تقال Bethulah وأن المرأة الشابة ليست Almah وإنما Naatah!» (**وارد في التحريف في المسيحية** صفحة ٦٤ عن: (Jerome, Adv.Juvianum, I.32, N& NPF. VI.370)

وقد ترك چيروم هذا الخطأ في الترجمة على أنها «كذبة ورعة من أجل مجد الله» كما يقولون، ومثلما سبق لبولس الرسول، أن قال إنه: «يكذب لمجد الله»!.

إن التناقضات في الأناجيل المتواترة أو المعتمدة جد كثيرة وخطيرة بمعنى أنها تطيح بمصداقية هذه النصوص إطاحة تامة فهي تناقضات عقائدية، ومن الهراء القول بأنها لا تتعلق إلا ببعض التفاصيل - كما يزعمون حاليًا. أو أنها تتفق حول الأساس، لأن الحرية التي يتصرف بها من كتبها جد مقلقة فيما يتعلق بتثبيت التراث ومصداقيته، فالدراسة المتأنية لنصوص الأناجيل تكشف عن أنها عمل روائي من نسج الخيال - ولا أدل على ذلك من تلك المشاهد التي توردها عن يسوع بينما يكون وحده أو مع شخص آخر، فمن ذا الذي سمعه أو شاهده أو من ذا الذي سمعهما أو شاهدهما ليدوّن ما يفرضونه على أنها حقائق؟!.



لذلك يقـول جـوزيف ويليس البـاحث والقـاضي الذي ترأس العـديد من المناصب القانونية في الولايات المتحدة: «إن أهم الحقائق المسيحية الحاليه المزعوم أنها تنزيل من الله ويسوع والحواريين، هي عبارة عن سرقات وتحريف من نصوص يهودية محرّفة، هي نفسها منقولة عن الديانات الفارسية - الإيرانية، وكانت تمثل أرضية جاهزة لتركيب أسطورة يسوع عليها في اللاوعي الشعبي لدى جهلاء اليهود واليونان (...) لذلك نؤكد أن أصول المسيحية مغلفة بالتعتيم نتيجة لذلك الخلط الشبيه بقصر التيه، وكل ما بها من تناقضات وتحريف في نصوصها الأولى يجعل من المحال فك تلك الخيوط المتداخلة للتوصل بأي درجة من الثقة إلى مجرد خيط تاريخي صادق» (التحريف في المسيحية، صفحة ٩٠-٩١).

وعندما تمت كتابة نصوص الرسائل وأعمال الرسل الثلاثة والعشرين لم يكن هناك أي حرف من الأناجيل المعتمدة مكتوبًا لأن هذه الأعمال والرسائل لا تذكر الأناجيل لأنها كتبت بعدها.

ويقول الأسقف تنّونم (Tannunum) الذي توفي حوالي سنة ٥٦٩م والذي تقول عنه الموسوعة الكاثوليكية وعن أعماله أنها ذات قيمة تاريخية كبرى، ويقول تنونم: «في أيام رئاسة ميسالا، أيام الامبراطور أناستازيوس قد تم تصويب وتعديل الأناجيل التي كان قد كتبها أولئك الحمقى» (وارد في Chronica p89-90).

الأمر الذي يكشف عن أن عمليات التعديل والتبديل كانت متواصلة وفقًا للأحداث السياسية والاجتماعية. ونطالع في الموسوعة الكاثوليكية «أنه أيام البابا سكستس الخامس (SixtusV) (١٥٨٥ - ١٥٩٠) وأيام كليمنت الثامن (١٥٩٢ - ١٦٠٥) وصلت الفولجات إلى شكلها الحالي بعد سنوات من المراجعة والتغيير» (مجلد ٧ صفحة ٧٦٩). وهذه الفولجات التي ظلت تتغير وتتعدّل حتى آخر القرن السادس عشر، وانتقدها العديد من رجال الدين على أنها محرّفة ببشاعة، كان قد أضفى عليها صفة التنزيل الإلهي في مجمع ترانت سنة ١٥٤٦ مع فرض اللعنة على كل من يتجرأ ويسأل عن مصداقية أي شيء بها!.

وبعد أن تم فرض الفولجات كنص منزّل عبثت بها الأيادي كما رأينا للتو، ففي سنة ١٩٠٢ قام البابا ليون الثالث عشر بتكوين لجنة من الكرادلة باسم «اللجنة الإنجيلية البابوية» لمراجعة هذا النص «المنزّل»!

وفي سنة ١٩٠٧ قامت اللجنة بموافقة البابا بدعوة رهبانية البنديكتين بإجراء مجموعة من التعديلات في النص اللاتيني استعدادًا لإصدار طبعة جديدة منقحة.

وبسبب كل هذا التلاعب في النصوص حتى بعد فرضها كنصوص منزّلة، يقول العلماء والباحثون: لا يمكننا الوثوق في المؤرخين الأساسيين لفترة آباء الكنيسة لأن وثائقها عبارة عن تحريف في تحريف. ولأنهم كانوا جميعًا وثنيون ودجالون (**التحريف في المسيحية**، صفحة ١٢٣).

ويقول الباحث أندريه پول، وهو من كبار المدافعين عن المسيحية، يقول عن مولد يسوع إن الكتبة استعانوا بالقصص الواردة في سفر ميخا (٥:٢) وتمت إعادة النظر فيه وتغييره وتوسيعه بالإضافات لتوضيح أن يسوع مولود في بيت لحم من سلالة داود وتنطبق عليه النبوءات الواردة في الأنبياء وأنه المسيح المنتظر» (**قراءات إنجيلية** صفحات ١٣٣-١٣٧) وهو ما جعل چاك دوكين، المؤرخ المسيحي، يقول: «إن ميلاد يسوع في بيت لحم غير معترف به كحدث تاريخي من كل المؤرخين» (**يسوع** صفحة ٥٦).

وفي كتابه المعنون: «**البحث عن شخصية يسوع**» يقول جيزاڤيرمس: «إن الفصل الواحد والعشرين من إنجيل يوحنا تمت إضافته بقلم شخص آخر ليوهم بأن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الذي كان يسوع يحبه، وبالتالي يتم اعتباره تلقائيًا أنه يوحنا الصياد ابن زبدي من الجليل»، والثابت علميًا أن الإنجيل المعروف باسم يوحنا قد تمت كتابته سنة ١٥٠ تقريبًا. مما يؤكد أن كاتبه ليس يوحنا المعاصر ليسوع.

وقد كانت اليهود منقسمة إلى فرق متعددة وخلط وتضارب أدى إلى صراعات محتدة. ففرق الأبيونيين في القرن الأول للميلاد كانت تصدق بإنجيل متى وحده وهو مخالف تمامًا لإنجيل متى الحالي الذي ظهر بعد قسطنطين. وفرق المارسيونيين كانت تأخذ بإنجيل لوقا وحده وكانت نسخة مخالفة للنسخة الحالية.

ونطالع في رسالة بولس إلى أهل غلاطية قوله: «إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحوّلوا إنجيل المسيح. ولكن أن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناتيما. كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضًا: إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أنا ثيما» (١:٦-٩).

والقارئ يعجب من تكرار كلمة «أنا ثيما» في نص عربي ومقابلها موجود وهو «محروم» أي يحرم ويطرد من الجماعة المسيحية ومن الكنيسة، ويقولون اليوم «مشلوح». وقد تم تغييرها وكتابة الكلمة اللاتينية/ اليونانية لاستبعاد شكلاً عملية القهر التي تم بها غرس المسيحية. وكذلك كلمة «يحوّلوا» كانت أصلاً «يبدلوا» في طبعات قديمة وفي غيرها «يحرفوا». وفي ترجمة الجزويت «يقلبوا».



وأيا كان التفاوت بين العبارات فالواضح أنه في عهد بولس كان هناك من يدعون إلى إنجيل آخر غيرإنجيل بوليس الذي لا نعرف عنه شيئًا حاليًا. وكان هناك - كما يقول - رسل كذبة (كورنثيوس ١١:١٣). أما برنابا فيقول إن بولس بشَّر بتعليم آخر غير تعليم المسيح. والدليل على ذلك واضح من نفس أقوال بولس في رسالته إلى أهل غلاطية حيث يواصل قائلاً: «وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان. لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلمته، بل بإعلان يسوع المسيح» (١:١١).

ترى كيف ومتى تلقى بولس الإنجيل من يسوع المسيح وهو لم يلقاه، وكل معرفته به الرواية المشكوك في مصداقيتها من جميع الباحثين حاليًا والمعروفة باسم «في الطريق إلى دمشق».. ففي طريقه إلى دمشق يقول بولس، الذي كان يضطهد كنيسة الله بإفراط ويتلفها، أن يسوع ظهر له على الطريق وأنّبه على اضطهاد المسيحيين. فسقط بولس من شدة الضوء لدرجة أنه في رواية فقد البصر وفي رواية أخرى فقد السمع. فكيف يمكنه وهو في هذه الحالة وفي تلك اللحظات الخاطفة أن يكون قد تسلم نص إنجيل بأسره من يسوع؟! بل والواضح من الأناجيل - رغم التعتيم، أن بولس تشاجر أو كان كثير الشجار مع الحواريين وخاصم بطرس وأصبح الناس يتبعون كل واحد منهم وتفرقوا شيعًا.. خاصة بعد الحرب التي دارت بين الدولة الرومانية وبين اليهود وتولى طيطس فتح أورشليم سنة ٧٠م وهدم المعبد وتفرق اليهود في كل واد..

وترجع الحكمة في اختيار أو في وجود أربعة أناجيل رسمية فقط دون تلك العشرات التي تم استبعادها في أواخر القرن الرابع الميلادي عندما قام القديس چيروم بكتابتها، إلى ما يورده المؤرخ سليمان ريناخ (Salomon Reinach) (١٨٥٨ - ١٩٣٢) في كتابه المعنون: «**أورفيوس، التاريخ العام للديانات**» (مجلدان، ١٩٠٩) قائلاً: «إن السبب الحقيقي في اختيار الأربعة يرجع إلى الفرق الأساسية التي انقسمت إليها المسيحية ورغبت كل كنيسة منها أن يكون لها إنجيلها فاختارت كنيسة القدس إنجيل متى، واختارت روما إنجيل مرقس، واختارت انطاقيا إنجيل لوقا، واختارت أفسوس إنجيل يوحنا» (صفحة ٢١٧)، وذلك لكي تقول كل كنيسة منها أنها تعتمد على إنجيل أصلي وعلى تعاليم «كتابه» الأصلي!.

لذلك ينتهي الإجماع العام إلى أنه من المحال كتابة حياة يسوع بصورة أمينة تاريخيًا إذ أن كافة الوثائق الرسمية قد تمّ حرقها أو استبعادها ولا يبقى أمامنا سوى الأناجيل المعتمدة من الكنيسة الرومية في القرون الأولى. وقد تواصلت مخططاتها من الإبادة

والتعتيم حتى استقرت في دويلة الفاتيكان التي تعد كل تطلعاتها سياسية أساسًا، من أجل الحفاظ على كيانها الذي نسجته بالتحريف وفرضته بالسلاح والنار عبر المجامع على مر العصور. فكيان المؤسسة الكنسية لا أساس ولا سند تاريخي له إلا ما قامت هذه الطبقة من القساوسة باختلاقه من أجل السيطرة على الشعوب.

وعبارة من قبيل: «إن هذه الوثائق معظمها مزورّة أو محرّفة وفقًا لأهداف آباء الكنيسة وليس وفقًا للحقيقة» والتي كتبها القس الكاثوليكي ميشيل كوكيه (**في كشف القناع عن أسطورة يسوع**) تعد من العبارات التي يكاد لا يخلو منها مرجع من المراجع التي دأبت على دراسة المسيحية الحالية منذ عصر التنوير وتتزايد بصورة لافتة للنظر في العقود الأخيرة.

لذلك كتب بيير حادوت في كتابه عن «پورفير وفيكتورينوس» قائلاً: «إن المسيحية تفتقر إلى أي أساس أو سند تاريخي ومع ذلك تزعم أن تكون ديانة عالمية، ومن ناحية أخرى أنها تتضمن مفهومًا عبثيًا وغير منطقي عن الله لذلك هي مدانة من حيث وجهة نظر الديانات المميزة ومن حيث فكرة التصعيد الفلسفية».

«إن الديانة المسيحية لاسند تاريخي لها رغم زعمها امتداد جذورها في التراث اليهودي، إلا أن المسيحيين لا يفعلون سوى الاستحواذ على تاريخ الشعب اليهودي الذي لا يحترمون أو يلتزمون بتراثه القومي، ولا يوجد ما يبرر هذا الاستحواذ والنصوص اليهودية لا علاقة لها بالمسيحية. وأيًا كان الأمر، فإنه لم يتبق شيئًا من أعمال موسى التي احترقت جميعها مع العبد (سنة ٧٠م) وما هو موجود باسمه تم تأليفه بعد ألف عام تقريبًا من وفاته، والكاهن عزرا هو الذي كتبه.. لذلك نجزم بأن التراث المسيحي الصرف لا قيمة تاريخية له مثله مثل التراث اليهودي. فالنصوص الإنجيلية مليئة بالمتناقضات واللامعقول. وقد قام الحواريون بتحريف تعاليم يسوع من بعده، وبذلك فإن المسيحية لا يمكنها الاعتماد على أصالة أو مصداقية التراث الذي صنعته».

وبعد أن قام المجمع التريدنتي سنة ١٥٤٧ بفرض نص العهد الجديد والقديم على أنه نص منزل «مؤلفه هو الله»، قام مجمع الفاتيكان الأول، المنعقد في عامي ١٨٦٩ - ١٨٧٠ بإعلان أن الكتاب المقدس بعهديه «كتب بإلهام من الروح القدس، وأن مؤلفها هو الله، وإنها قد أعطيت هكذا للكنسية»!

أما مجمع الفاتيكان الثاني المنتهي سنة ١٩٦٥ والذي انعقد بعد المجمع الأول بحوالي ٩٠ عامًا، فكان من أهم ما ناقشه تلك الدراسات النقدية التي أطاحت بمصداقية الكتاب

المقدس بعامة وبالعهد الجديد منه بخاصة. وبعد مداولات ودراسات ممتدة للنصوص تمت صياغة خمسة نماذج للنص المقترح وتم قبول صيغة منها بأغلبية ٢٣٤٤ صوتًا مؤيدًا و٦ أصوات معارضة. ويقول النص: «إن هذه الكتب وإن كانت تتضمن الناقص والباطل، فهي مع ذلك شهادات لعلم تربية إلهي حقيقي»! ويقول النص بالفرنسية:

“Ces Iivres, bien qu’ils contiennent de l’imparfait et du caduc, sont pourtant les témoins d’une véritable pédagogie”

وهو المجمع الذي قام بتبرئة اليهود من دم المسيح، في الوثيقة المعنونة «في زماننا هذا» الذي تم الاحتفال عام ٢٠٠٥ بمرور أربعين عامًا على إصدارها، ووعد البابا يوحنا بولس الثاني بموجبها بتعديل سبعين آية في الأناجيل تتهم اليهود صراحة بقتل يسوع وبالتالي لم تعد تتمشى مع قرار تبرأتهم!

بقيت الإشارة إلى ما يُعرف بالأناجيل «الأبوكريفا» أو تلك التي استبعدتها المؤسسة الكنسية لأن محتواها لا يتمشى مع ما نسجته لخط سير العقيدة كما أرادتها. وقد تزايدت الأناجيل اعتبارًا من القرن الثاني وتزايدت حتى القرن الخامس، ومنها ما كتب حتى القرن العاشر. وكلمة أبوكريفا تعني تحديدًا: نص أدانته الكنيسة، وبالتالي لابد من استبعاده ولا يجوز للأتباع الإطلاع عليه، وهو ما قاله المؤرخ روفين في القرن الرابع الميلادي.

ولم تكن هذه الأناجيل مستبعدة من كافة الكنائس بل كانت هناك فرق تعتد بها إلا أن البابوات وآباء الكنيسة رأوا أنه من الأفضل تحذير الأتباع من قراءتها. وفي سنة ٣٩٧م قام مجمع كارتاج بعمل كشف بالأناجيل المعتمدة وإصحاحاتها وأمر باستبعاد الباقي.

وفي القرن السادس «قالوا إن البابا القديس جيلاز، الذي ترأس الكنيسة من ٤٩١ إلى ٤٩٦ قد أصدر قرارًا شهيرًا حول النصوص المقدسة وما يجب قراءته وما يجب استبعاده ويعد هذا القرار كشفًا سباقًا لما عُرف بالإندكس فيما بعد»، أي الكتب المحرّمة والتي يعاقب من يطلع عليها (فرانسوا آميو F.Amiot: الأناجيل المستبعدة، صفحة ١١).



ويقول الكاتب أنه تم استبعادها «لأسباب عقائدية معينة، فإنجيل بطرس حتى وإن كان صادرًا عن رئيس الحواريين إلا أنه كان مليئًا بالأخطاء التاريخية إذ يقول إن هيرودس الروماني هو الذي حكم على يسوع بالموت (وليس اليهود) وهو ما ترفضه الكنيسة. كما كان هذا الإنجيل تشوبه الغنوصية وأتباع الدوستية الذين ينكرون أن يسوع قد صلب ومات مصلوبًا» (صفحة ١٢).

وعلى الرغم من استبعاد الكنيسة لهذه الأناجيل، والكثير منها بأسماء الحواريين، مثل برنابا الذي كان قد اختاره الروح القدس، وفيليب وتوما.. إلخ إلا أن ذلك لم يمنع المؤسسة الكنسية من الاستعانة ببعض ما جاء بهذه الأناجيل المستبعدة من أجل استكمال معالم ما نسجته. وذلك مثال تفاصيل مزود المسيح، وتاريخ ١٦ أغسطس كعيد ميلاد القديس يواكيم أبو مريم، و٢٦ يوليو عيد ميلاد القديسة آن أم مريم ولا وجود لإسميهما في الأناجيل المعتمدة.

وكذلك تقديم مريم إلى المعبد يوم ٢١ نوفمبر، وكذلك عيد القديس أندراوس في ٣٠ نوفمبر، شقيق بطرس الذي قامت الكنيسة على أكتافه ومع ذلك تم استبعاد إنجيليه!

وتفاصيل ما يطلق عليه مسيرة طريق الآلام، وكلها تفاصيل غير واردة في الأناجيل الرسمية، ويجهل الأتباع أصلها أو من أين استقوها. لذلك يقول أميو: «حتى وإن كنا لا نقدر هذه الأناجيل حق تقديرها إلا أن ذلك لا يمنع من أنها لعبت دورًا لا يستهان به في تكوين رهافة تطور المسيحية» (صفحة ٢٤)!.

وأيًا كان موقف المؤسسة الكنسية من الأناجيل المحتجبة - بعدما أخذت منها ما يناسبها أو ما يدعم روايتها، فإن أهم النقاط التي ترد في هذه الأناجيل أنه لا يرد بها عملية محاكمة وصلب يسوع وتوجد نسخة من إنجيل غير كامل باليونانية يقال إنها ترجمة لنص سابق يطلق عليها الديدكية، ويوجد اختصار لهذا النص باللاتينية ويطلق عليه «دوكترينا» أي العقيدة ولا يرد بهما أي ذكر لعملية الصلب. ويقول الباحث جيرار ميساديه (G.Messadié) في الجزء الثاني من كتابه المعنون: «الرجل الذي أصبح الله» إن آلام المسيح غير واردة في الأصل الأساسي المعروف باسم «كويللي» (Quelle) المنبع بالألمانية ويختصرونها بحرف Q وتعني «الأصل».

وإنجيل توما هو الوحيد الذي يشير إلى وجود يسوع في الهند في نفس الوقت مع توما الذي ذهب إليها للتبشير. ولا يزال حتى يومنا هذا قبر معروف أنه قبر يسوع في بلدة سري نكر (Srinagar). أما تاريخ موسهيم، المؤرخ البروتستانتي فيقول: «العديد من فرق النصارى كانت ترفض حصول الصلب رفضًا قاطعًا لأنهم يعدونه إهانة لشرف المسيح والبعض الآخر استنادًا إلى الأدلة التاريخية».

وبخلاف رفض عملية تأليه يسوع ثم جعله واحدًا من أعضاء الثالوث ثم جعله الله - وهي البدع التي أدت إلى انقسام الكنيسة الأولى انقسامًا عقائديًا، فإن بعض هذه الأناجيل المستبعدة ومنها إنجيل فيليب يؤكد أنه كان متزوجًا من مريم المجدلية وقد تم

استبعاد هذا الإنجيل لأنه يتنافى مع عملية التأليه المزعومة. والمعروف أن القاعدة عند اليهود كانت الزواج، إلا عند الأسينيين الذين ترفض الكنيسة انتماء يسوع إليهم ولو لم يكن متزوجًا لكان لابد من أن تكون هناك إشارة توضح هذه المخالفة للشرع اليهودي وسببها.

وقد كتب چان فيللاني (Jean Villani) عن البابا بونيفاس الثامن أنه قال: لا أهتم بالحياة الأخرى قدر اهتمامي بحبة فاصوليا. فالبشر لهم روح مثلها مثل روح الحيوانات وكلاهما تتساويان في فكرة الخلود. إن الإنجيل يعلّم من الأكاذيب أكثر مما يعلّم من الحقائق: فظهور العذراء محال وتجسد ابن الله مثير للسخرية. وعقيدة التحوّل الفعلي للقربان إلى لحم ودم المسيح عبارة عن جنون. إن كمية المبالغ التي جلبتها القصة الخرافية للمسيح للقساوسة لا يمكن حصرها. إن الديانات قد خلقها أناس طموحين لاستغفال البشر. وعلى رجال الإكليروس أن يتحدثوا كالشعب، لكنهم لا يؤمنون بنفس العقيدة ولا بنفس الإيمان. ولا توجد خطيئة في الاستمتاع بفتاة أو بفتى أكثر من فرك الكفين! ويتعيّن علينا أن نبيع في الكنيسة كل ما يرغب المغفلون في شرائه» (نقلا عن رنيه ثيريفايز (R.Thirifays)).

التناقض في الأناجيل:

النقض لغة هو إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء. وفي الصحاح: النقض بقض البناء والحبل والعهد، وضده الإبرام، نقضه ينقضه نقضًا وانتقض وتناقض.

والنقض: اسم البناء والمنقوض إذا هُدم. وفي حديث صوم التطوع: فناقضني وناقضته. هي مفاعلة من نقض البناء وهو هدمه أي ينقض قولي وانقض قوله، وأراد به المراجعة والمرادّة، وناقضه في الشيء مناقضة ونقاضًا: خالفه (لسان العرب).

والتعارض في اصطلاح الأصوليين يقتضيه هي تقابل الدليلين على سبيل المانعة فالتعارض أن يقضي أحد الدليلين حكمًا في شيء يناقض ما يقتضيه الدليل الآخر في ذلك الشيء، كأن يوجد في الشيء الواحد دليلان: أحدهما يتقضى حظره، وثانيهما: يتقضى إباحته (**أصول الفقه الإسلامي**. د. محمد نبيل الشاذلي).

وفي القانون المدني: التناقض الذي يعيب الحكم: هو ما تتعارض به الأسباب وتتهار ويسقط بعضها بعضًا بحيث لا يبقى منها ما يقيم الحكم ويحمله. والتناقض الذي يعيب الحكم ويفسده هو ما تتماحى به الأسباب بحيث لا يبقى بعدها ما يمكن حمل الحكم

عليه أو ما يكون واقعًا في أسبابه بحيث لا يمكن معه فهم على أي أساس قضت المحكمة بما قضت به في منطق الحكم.

ومن يتناول حياة يسوع بالدراسة من خلال ما تقدمه الأناجيل أو العهد الجديد برمته لابد وأن يصدم بذلك الكم من التناقض في كل الأحداث والمعطيات وعدم توافقها. ونذكر هنا على سبيل المثال: التناقض في تاريخ مولده، فهناك ثلاثة تواريخ مختلفة. وتناقض في نسبه، فهناك شجرة العائلة التي يوردها متى وبها ٧٢ جيلاً أو اسمًا، وهناك شجرة لوقا وبها ٧٧ ويقول لوقا: «وهو ما كان يُظن ابن يوسف» (٤: ٢٣)، بينما يقول متى: «ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح» (١:١٦) وكأنه يستبعد يوسف أو يجعل منه زوج مريم فقط وليس والد يسوع أيضًا. وبالتالي فلا يصبح يسوع من نسب داود! كما أن يسوع لو كان من نسب داود فعلاً لألغى فكرة الحمل العذري. وهو ما يتناقض مع قول بولس في رسالته إلى أهل رومية، ومعروف أن كتابات بولس أقدم بكثير من الأناجيل، أي أنها أقرب من الأحداث فرضًا، وهو يقول: «بولس عبد ليسوع (...) الذي صار من نسل داود من جهة الجسد» (١: ١-٣) ولا يوجد بين شجرة متى وشجرة لوقا سوى ثلاثة أسماء مشتركة.

وهناك تناقض في مسألة يسوع وإخوته، إذ يقول لوقا: «فولدت ابنها البكر وقمّطته وأضجعته في المزود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل» (٢:٧). وعبارة «الابن البكر» تعني أنه له أخوة وأخوات وأن يسوع أكبرهم أي الابن البكر. وهو ما يؤكده متى حينما يورد الحلم الذي رأه يوسف النجار: «فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره الرب وأخذ امرأته. ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع» (١:٢٤-٢٥).

وعبارة لم يعرفها حتى ولدت تعني أنه لم يعاشرها جسدًا حتى وضعت ابنها البكر، وهذا تأكيد على صحة الإخوة والأخوات المذكورين بأسمائهم: إذ يقول مرقس: «أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان، أو ليست أخوته ههنا عندنا فكانوا يعثرون به» (٦:٣). وما أكثر تكرار ذلك، ورغمها تصر المؤسسة الكنسية على إنكار وجود إخوة وأخوات ليسوع لأنه يمس ببدعة تأليهه - وذلك على الرغم من أن النص اليوناني للأناجيل - ولا توجد أصول غير اليونانية، أن النص اليوناني يحمل عبارة «أدلفوس» (adelphos) وتعني أخ شقيق، وليس «أنبسوي» (anepsoi) وتعني ابن العم كما يحرِّفونها استمراراً لما فعله القديس چيروم، الذي كان أول من ابتدعها هي وغيرها من التزوير القائم على التلاعب في الترجمة.

ولسنا هنا بصدد رصد كل التناقضات الواردة في جزئية مولد يسوع، ويكفي أن نشير إلى عملية الختان: فقد ختنوه في اليوم الثامن، والمعروف في الشرع اليهودي أن الدم المنبثق من هذه العملية يعني «تحالف هذا الشخص مع الله» وبالتالي يكون هنا قد تحالف يسوع مع نفسه عندما قاموا بتأليهه! إلا أن الاحتفال بمولد يسوع يوم ٢٥ ديسمبر قد تم فرضه لأول مرة سنة ٣٥٤ عند الاستيلاء على عيد الشمس التي لا تقهر (Sol invictus) للإله مثرا. وبالتالي أقيم عيد الاحتفال بختانه في أول يناير الذي يبدأ التقويم الغربي المسيحي المحدد بقبل وبعد الميلاد – وإن كان من الأصوب أن يقال قبل وبعد الختان(!). واستمر الاحتفال الكنسي بعيد «الغرلة المقدسة»، إلى أن تم إلغاؤه في يناير ١٩٧٠ – حينما فرضت الكنيسة بدلاً منه الاحتفال بعيد «مريم أم الله» في نفس ذلك اليوم. والغريب أن هذا التعديل أتى بعد الاعتراف باليهود وتبرأتهم من دم يسوع، وهو الموضوع الذي كان يسود كنائس العالم في قداس الجمعة الحزينة. فما الذي دفع الكنيسة الكاثوليكية الرسولية إلى التخلي سرًا عن هذا العيد وتبديله؟ أهو إصرار ناجم عن اللاوعي الكنسي ورفضه للانتماء لليهود رغم المصالحة المفروضة عليها سياسيًا ويهوديًا؟!

وهناك تناقض منطقي آخر هو عبارة «إتمام طهارة مريم» (لوقا ٢ : ٢٢) مريم «أم ابن الله» و«أم الله» كما يقولون، هل كانت بحاجة إلى أن تتطهر من مولد من أصبح مساويًا لله عز وجل، ثم أصبح الله شخصيًا؟! والغريب أن النص الفرنسي الصادر عن الفاتيكان يشير إلى «تطهرهما» هما الاثنين إذ يقول النص:

"Et Lorsque furent accomplis les jours pour leur purification, selon la loi de moise"k

وكالمعتاد الهامش K يقول: «التطهير لا يجوز للأم لكن كان لابد من فداء الطفل». أي أن التناقض وارد حتى بين الترجمات المختلفة وبين النصوص الرسمية.

وهناك التناقض في مكان مولده: في بيت لحم أم في الناصرة؟ – تلك البلدة التي لم تكن موجودة آنذاك. وتضارب في توقيت زيارة الرعاة. وتناقض الأناجيل حول عذرية مريم بعد مولد يسوع. فقد جعلها الآباء عذراء «قبل وأثناء وبعد» مولده – تلك البدعة التي أطلقوا عليها عذرية مريم الدائمة.

ولسنا بصدد سرد كافة التناقضات، لكننا نشير إلى بعض ما يمس الأساسيات من تلك العقيدة. ومنها ما يوجد حول تحديد نوعية رسالة يسوع: هل يحاكم ويحرق ويقطع الرقاب تحت أقدامه، كما في إنجيل لوقا (١٩ : ٢٧)، أم أنه يبشر بالعفو والمحبة؟

وتناقض موضوع عقيدة الخطيئة الأولى التي لم يقل عنها يسوع أي شيء. وتناقض حول تعميده، فالمفروض أن التعميد يمحو الخطايا فكيف يتم تعميد من يطلق عليه «ربنا يسوع» من الخطايا؟ والذي قام بتعميده من هو أقل منه شأنًا. إضافة إلى تفاصيل من قبيل الحمامة التي حطت عليه،ولحظة شق السماء وتحدث الرب إليه، وتناقض في تحديد الاحتفال به - فحتى القرن الرابع كانت الكنيسة البدائية تحتفل بمولد يسوع وتعميده في نفس اليوم، أي في ٦ يناير ثم تم فصل العيدين.

والتناقض المزدوج الوارد في تجربة امتحان الشيطان ليسوع. فأولاً لم يكن هناك من شاهدها، ثم هل من العقل والمنطق أن يقوم الشيطان باختبار الله سبحانه وتعالى؟ إن كلمة «فضيحة» لا تكفي لوصف هذا العبث في نظر اليهود آنذاك.

والتناقض في وصف بداية تبشير يسوع، وفي أسماء الرسل أوالحواريين، وفي عددهم - فلا يكف النص عن تكرار رقم اثنى عشر، إلا أن عدّ الأسماء يعطي أربعة عشر.. ومعجزة عرس قانا التي تمثل ركنًا أساسيًا من المعجزات التي قام بها ولا يرد ذكرها سوى في إنجيل يوحنا. فالوثائق التاريخية تقول إن ذلك العرس لم يتم، وهناك من يقول إنه كان الاحتفال بعرس يسوع ومريم المجدلية.

وتناقض في نفس عدد المعجزات، إذ يقول متى إن عددها اثنين وعشرين، ويقول مرقس ثمانية عشر، ويقول لوقا أربعة عشر، أما يوحنا فيقول إنها سبعة فقط. والتعليق المتداول بين كافة المراجع الحديثة أن السند التاريخي الوحيد لهذه المعجزات هي الأناجيل نفسها، فقط، لا غير.. لكي لا نقول شيئًا عن تدرج المبالغة في تناولها من إنجيل لآخر: فشفاء الأعمى والمجذوب لدى مرقس يتحول إلى شفاء أعميان ومجذوبان لدى متى.. والأربعة آلاف شخص الذين تم إطعامهم بالخبز في الصحراء يتحول الرقم إلى خمسة آلاف في إنجيل الآخر. وواحد يقول سبعة سلال والآخر يقول إثنى عشر سلة!

وتناقض أساسي يشرئب حين يقول يسوع: «لماذا يطلب هذا الجيل آية. الحق أقول لكم لن يُعطي هذا الجيل آية» (مرقس: ١٢:٨) والأناجيل تذخر بالآيات، على الرغم من قول يسوع: «جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي. ثم تركهم ومضى» (متى ١٦:٤)، ورغمها تتناثر الآيات أو المعجزات عبر الأناجيل الأربعة بتفاوت واضح في العدد، إلا معجزة «مضاعفة الخبز» فهي الآية الوحيدة الواردة في الأناجيل الأربعة بل متى ومرقس يذكرانها مرتين، رغم الاختلاف في تعريفها.

وتضارب في اتباع الجماهير ليسوع عند عيد الفصح، فالمفترض أن يتجهوا إلى

القدس وليس إلى بيت صيدا كما يقول لوقا، أو إلى طبرية كما يقول يوحنا.

وهنا تناقض في الأمثال، التي يورد منها الأناجيل حوالي خمسون مثالاً، بينما لا يورد يوحنا سوى خمسة، وإن كان بعضها لا يضم سوى جملة أو جملتين بحيث لا يعرف القارئ هل تعتبر من ضمن الأمثال أم لا - وإن كان التناقض في العدد لا يمثل نفس الأهمية التي تكمن في المثال نفسه. كذلك التعارض الوارد في مثال الكرمة (لوقا ١٣: ٦-٩)، وهي من الأمثال الواردة في نصوص ما قبل المسيحية ومنها «رواية آشيكار» - على حد قول جردتيسن (G. Theissen) في كتابه المعنون: **في ظل الجليلي صفحة ١٨٨**) أو مثال وكيل الإنسان الغني الذي بدد أموال سيدة (لوقا ١٦:٩) «فمدح يسوع وكيل الظالم إذ بحكمةٍ فعل»!

أو ذلك المثال القائل: «فقال لهم قد أعطى لكم أن تعرفوا سّر ملكوت الله. وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء لكي يبصروا مبصرين ولا ينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم» (لوقا ٤: ١٠-١٢) فهل المفترض في رسالة يسوع أنه يتحدث أو يكرّز لكي لا يفهمه أحد؟ أو حتى ألا يفهمه سوى العدد القليل من الناس؟ ثم مرقس في نفس الإصحاح: «وبأمثال كثيرة مثل هذه كان يكلمهم حسبما كانوا يستطيعون أن يسمعوا. وبدون مثل لم يكن يكلمهم وأما على انفراد فكان يفسر لتلاميذه كل شيء» (٣٣-٣٤)! فما معنى هذا التناقض؟.

كما نلاحظ تناقضًا في التبشير بالملكوت، فالبشارات الواردة في العهد القديم تقول إن الملكوت لم يأت بعد، ثم يقول يسوع «أنه قريب»، بل أنه «ها هنا بداخلكم» (لوقا: ١٧: ٢١)، «من لا يقبل ملكوت الله مثل ولدٍ فلن يدخله» (مرقس: ١٠:١٥) فهل الملكوت مملكة ونظام اجتماعي ساسي تسوده العدالة، أم مجرد حالة نفسية لا يعلم صاحبها عنها شيئًا؟!

ونفس التناقض ينعكس عندما يطلب أحد الأتباع من يسوع أن يعلمهم كيف يصلوا، فيورد كل من متى ولوقا فقط صيغة الصلاة، بنصين مختلفين إلى حد ما وإنما ينص كل منهما على طلب «ليأت ملكوتك» - أي إن الملكوت لم يأت وعلى الأتباع التوسل إلى الله بالصلاة من أجل تحقيقه.

وتناقض في الأماكن التي وقعت بها أحاديث يسوع، وتناقض حول الخطية الأولى التي لم يذكر عنها يسوع أي شيء، وكل ما قاله يناقض فكرة الخطأ الجماعي الذي يتوارث من جيل إلى جيل.. بل وما من قول له يتحدث فيه عن تكفير الخطايا كشرط للدخول في

الملكوت. مثلما لم يقل أي شيء أو أي حرف واحد عن أنه يجب أن يموت هو لفداء أخطاء البشر. لأن ذلك يعني أن «الله» الذي يطلب عن طريق ابنه العفو أو المغفرة سبع وسبعين مرة في سبع مرات، يعني أنه هو شخصيًا غير قادر على القيام بذلك والعياذ بالله!

ولايمكن إغفال التناقض الوارد في تصرفات يسوع والتزامه بالشرع. فعلى الرغم من قوله: «لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمّل» (متى ٥:١٧) وتكفي الإشارة إلى موعظة الجبل حيث يرد بها «الشرع يقول.. وأناأقول لكم» وذلك خمس مرات في موعظة واحدة. أي أنه يضع نفسه بإصرار أعلى من الشرع عمدًا. كما يقول في كثير من المواضع بغفران الذنوب التي من المفترض ألا يغفرها سوى الله، لدرجة أن الحاضرين تساءلوا: «من هذا الذي يغفر خطايا أيضًا» (لوقا ٧:٤٩).

ويصعب إغفال التناقض الوارد في أحاديث يسوع عن كيفية تفريقه بينه وبين الله الذي أرسله»، والذي «أكبر مني» والذي يعتبره «أباه» ثم يقول بكل وضوح: «أنا والأب واحد» (يوحنا: ١٠:٣٠) ومجرد هذا القول البشع في نظر الفريسيين كان يمثل قولاً لا يغتفر.

وهناك التناقض الناجم عن تحركات يسوع وأسفاره وما أكثر الذين خصوها بدراسات جغرافية تبرز هذا التضارب غير المعقول. وأولها تضارب نفس الأناجيل في وصف هذه التحركات. فمن يمسك بالورقة والقلم، ويصنع خط سير وفقًا لما يقوله كل إنجيل على حدة، لابد وإن يدهش من هذا التناقض، خاصة وأنهم يختلفون أيضًا حول ذهابه إلى مدينة القدس، إذ يقول أو يبدو من أقوال الحواريين أنه لم يذهب إليها إلا مرة واحدة، بينما يقول يوحنا أنه ذهب خمس مرات.

وتكفي ذكر واقعة السامرية التي قابلها يسوع، ومعروف العداء الذي يفرق بين اليهود السامريين. فقد كان الرهبان يؤكدون «أن مياه السامريين أكثر نجاسة من دم الخنزير»،ومع ذلك نرى يسوع يطلب منها أن تسقيه، ورغم أنها قد تزوجت خمس مرات وتعيش في الزنا مع شخص آخر. أي أن بها من المحرمات الدينية أو الشرعية ما يجعله يبتعد عنها.. فنراه يبوح لها بما لم يقله لأتباعه ويعترف لها «بأنه المسيح» (يوحنا: ٤:٢٦). ولا نقول شيئًا عن واقع أنهما كانا بمفردهما فمن شاهد أو سمع ما جرى؟!.

وهناك التناقض في عرض الاحتفاء بمقدم يسوع بالسعف الذي يذكره يوحنا، في وقت لم يكن بالقدس أي نوع من النخيل، إذ كان سكانها يجلبونه من الخارج لعيد «الخيام» لأن طقس هذا الاحتفال ينص على استخدام السعف (كزافييه ليون - ديفور:

«**قـراءة الإنجـيل وفـقـا لـيـوحنا**» (X. Léon- Dufour). وتقـول الأناجـيل الأخـرى إنهم افترشوا له عباءاتهم على الطريق، بقطع بعض الأغصان وفقًا لمتى، أو قطع النجيلة من الحقول على حد قول مرقس! ومن الواضح أن يوحنا وحده هو الذي حاول أن يجعل من يسوع ملكًا لإسرائيل.

وتناقض الأناجيل في تحديد واقعة المعبد وقلب يسوع للموائد وطرد التجار والمرابين. إذ يضعها يوحنا في بداية إنجيله، بعد عرس قانا، أما الأناجيل المتواترة فتضعها بعد دخول عيسى المسرحي مدينة القدس، ولا نذكر شيئًا عن لا معقولية هذه الواقعة واستحالة أن يقوم بها شخص بمفرده، وهل وقعت عند مدخل المعبد أم داخل ساحته؟

وتناقض مفهوم عبارة «ابن الإنسان» التي تستخدمها الأناجيل اثنين وتسعين مرة، منها تسعين مرة على لسان يسوع. وقد وردت في البداية على صيغة المجهول، ولا يسع المجال هنا لتناول اختلاف الباحثين حول هذه العبارة ومدلولاتها.

وتناقض في قصة الطيب الذي دهنت به مريم أقدام يسوع أو رأسه فهي مجرد قارورة طيب، عند لوقا، و«قارورة طيب كثير الثمن»، عند متي، و«قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن» عند كل من مرقس ويوحنا، وإن كانت هنا الخلافات ليست ذات معنى، إلا أن أحد الحواريين يقول إنها راحت تمسح قدمه بشعرها وذلك في زمن تعد فيه تعرية الشعر من الكبائر في شرع اليهود. وهو ما يورده بولس في إحدى رسائله وتحديده أن «يجزّ» شعر تلك التي تخرج سافرة.

وتناقض في موضوع خيانة يهوذا ليسوع فثمن الخيانة لا يضاهى قيمة الشخص الذي تمت خيانته، خاصة إذا علمنا أن الثلاثين فلسًا أقل بكثير من قيمة ذلك العطر الذي سكب على قدميه.



وتناقض رئيسي يمس عقيدة من العقائد الأساسية للمسيحية، ففي واقعة العشاء الأخير، وفقًا للأناجيل، يقيم يسوع زعمًا عقيدة الإفخارستيا، تلك العقيدة التي لا يذكرها يوحنا - رغم أنها من أعمدة العقائد، ويقص واقعة أخرى تمامًا وهي غسل يسوع لأقدام الحواريين، وهو ما لا تذكره الأناجيل المتواترة. بل كل تفاصيل العشاء الأخير - رغم قيمته المعنوية والدينية، فهي لا ترد جميعها في الأناجيل الأربعة. ولعل بولس هو أكثر من أورد مزيدًا من التفاصيل في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس.

وتناقض في تحديد موعد العشاء الأخير. يوحنا يقول إنه تم قبل عيد الفصح، أما الأناجيل المتواترة فتؤكد أنه عشاء عيد الفصح. وقد تذرع بعض العلماء - حلاً لهذا الإحراج - بأن افترضوا أن يكون يسوع يتبع تقويم الأسينيين الشمسي الذي يأتي عيد الفصح بموجبه يوم الثلاثاء ويكون قد صُلب - كما يقولون، عشية عيد الفصح الرسمي.

وهو ما يوجد تناقضًا إضافيًا إذ يفترض أن يكون قد تم القبض على يسوع بيومين قبل صلبه! وهو ما يتناقض مع الأناجيل الأربعة: التي نخرج منها بثلاثة تواريخ لوفاة يسوع: ٧ أبريل ٣٠م، و٢٧ أبريل ٣١م، و٣ أبريل ٣٣م.

كما أن كلماته تختلف في الأناجيل المتواترة وفي رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس، ومن غير المعقول أن يقيم مثل هذه العقيدة بمثل هذا التفاوت أو التضارب في الكلمات، وتكفي مطالعتها في متى ٢٦:٢٦-٢٩ ومرقس ١٤: ٢٢-٢٥، ولوقا ٢٢: ١٩-٢٠، والرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١١: ٢٣-٢٦ وما بعدها.

ولسنا هنا بصدد حصر كل التناقضات الواردة بالعهد الجديد، وإلا لاحتجنا إلى أكثر من حجمه، لكن لا يمكن إغفال التناقض الوارد في أقوال يسوع، ولا نشير هنا إلا إلى تأكيد الأناجيل على أنه «ابن الله» ثم على «أنه الله» والمفترض في الله أنه عالم بكل شيء. فكيف يقول يسوع أنه لا يعرف موعد الساعة، وأنه لا يعرفها إلا الآب (مرقس ١٣: ٣٢)؟! بل كيف يحتفل بالعشاء الأخير وينتظر قدوم ملكوت الله قريبًا وأنه لن يشرب النبيذ إلا عندما يتحقق وهو الذي كان باقيًا على عمره سويعات وفقًا للنصوص؟!

وقفة حول تناقض النصوص:

لقد أصبحت المتناقضات الواردة في العهد الجديد برمته، منذ عصر التنوير، أشبه ما تكون بأبجدية مسلّم بها. فلم يعد هناك أي باحث أو حتى أي قارئ يحترم آدميته إلا ويقر بذلك. بل وقد أصبح وصف هذه النصوص بعبارات من قبيل: «أنها طبقات متراكمة من الأكاذيب» أو «أنها عبارة عن مجموعة من عبثيات اللامعقول وعدم التوافق والمتناقضات» من العبارات التي يكاد لا يخلو منها كتاب، بل هناك على سبيل المثال لا الحصر، كتاب القاضي چوزيف ويليس (Joseph Wheless) المعنون: «**التحريف في المسيحية**» الصادر بالإنجليزية في النصف الأول من القرن العشرين والذي أمرت الكنيسة في فرنسا بجمع كل نسخ ترجمته إلى الفرنسية وحرقها.

ولا نتناول هذه الجزئية تحديدًا إلا لنوضح مدى مصداقية هذه النصوص وقيمتها لا من الناحية التاريخية فحسب وإنما كوثائق يتم استخدامها لتكوين عقائد وفرضها قهرًا - لا على الأتباع فقط وإنما الإصرار على فرضها وتنصير العالم. ولانذكر من هذه المتناقضات إلا جزءًا منها على سبيل المثال:

- تناقضات حول تاريخ ومكان ميلاد يسوع: فالحواريون لا يتفقون لا على تاريخ ميلاد يسوع، ولا على مدة رسالته ولا حول تاريخ وفاته والتفاوت بين تواريخ ميلاده ما بين ١٢، ١٤ سنة، ومدة رسالته من أقل من سنة إلى ثلاث سنوات وبضعة أشهر. واختلافات جوهرية في تاريخ وفاته حيث إنها مرتبطة بالعقائد والأعياد.
- عدم توافق بين مولده من سلالة ونسب داود أو بمعجزة إلهية: إنجيل مرقص يجهل كل شيء عن مولده بمعجزة، ومن يوردها تبدو فيها الإضافة صارخة. وحتى ذلك النسب من داود يختلف فيه كل من إنجيل متى ولوقا الذي يقول: «ابنها البكر» (٢:٧)، وهو ما يفهم منه أن له أخوة وأخوات - الأمر الذي تؤكده الأناجيل المتواترة حين تتحدث عن أربعة من إخوته وليس أبناء عمومة لأن الكلمة اليونانية المستخدمة هي «أدِلفوسّ» (adelfos) وتعني أخ شقيق. وهم أخوة لا يؤمنون به ويتهمونه بالجنون، وأبويه، مريم ويوسف النجار، لا يفهمان رسالته - الأمر الذي يستبعد الحمل العذري غير الوارد ذكره في أعمال الرسل، فما يؤكده بولس أنه من «نسل داود وفقًا للجسد» في خطابه إلى أهل رومية. ويقول لويس روچييه: «إن قصص البشارة، والزيارة، والميلاد العذري كلها إضافات متأخرة لا تتمشى مع العداء الواضح من الأسرة تجاه يسوع أو عدم اكتراث يسوع بهم» (صفحة ٢٣١).
- يسوع إنسان أو يسوع إله: تتناقض الأناجيل في التعريف بيسوع فهو إنسان ونبي، في نظر البعض، وكائن إلهي نزل من السماء وفقًا ليوحنا وأنه ابن الله.
- ابن الله مساوٍ للأب، وابن الله أقل من الأب (يوحنا ١٠: ٣٠) و(يوحنا ١٤: ٢٨).
- واختلاف حول النبأ السعيد: والنبأ السعيد هو «خلاص إسرائيل» بفضل ملك منتصر وبالنسبة لبولس النبأ السعيد يكمن في بعث يسوع، أما وفقًا ليوحنا فيعني تجسد الله في ابنه حتى يصير الجميع أبناء الله.
- النبأ السعيد لشعب إسرائيل، النبأ السعيد لكل الأمم: وفقًا للملاك جبريل فإن يسوع «سيحكم على بيت يعقوب إلى الأبد» (لوقا ١: ٣٣) ويسوع يقول إنه لم يرسل

إلا من أجل خراف إسرائيل الضالة ولم يرسل حوارييه إلا إلى نفس الخراف الضالة (متى ١٥:٢٤) و(متى ١٠: ٥-٦).

- آخر الزمان سيأتي بعلامات أو بدون علامات: فهي ستتم كلمح البصر، أو ستسبقها مقدمات وظلمات واختفاء للشمس والقمر، أو كاللص في عتمة الليل!.
- هل أتى يسوع ليكمّل الناموس أو لينقض الناموس؟ (متى ٥:١٧، ١٨). و(لوقا ١٦: ١٧) يسوع يقول إنه أتى ليكمّل، بينما يؤكد بولس عكس ذلك.
- الإنسان يتبرّر بالإيمان أو يتبرر بالأعمال؟ يقول بوليس إن الإنسان يتبرر بالإيمان بيسوع (غلاطية: ٢:١٦) بينما يؤكد يعقوب إنها تتم بالأعمال.
- يسوع يأتي بالوئام والوفاق أم يأتي بالفرقة والسلاح: «لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض، ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا. فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنّة ضد حماتها» (متى ١٠: ٣٤-٣٥) وأكثر منها فرقة وخلافًا في لوقا (١٢: ٥١-٥٣) بل لقد قال يسوع: «جئت لألقي نارًا على الأرض. فماذا أريد لو اضطرمت» (لوقا: ١٢:٤٩) وما أكثر ما يقوله عن الفرقة والانقسام واللعنات التي يلقيها وما أكثرها.
- الإعلان وعدم الإعلان عن شخصيته: في الطريق إلى القيصرية يفرض يسوع على الأتباع عدم قول إنه المسيح (مرقس: ٨:٣٠) بينما يعلن في إنجيل يوحنا نفسه (١:٤٩-٥٠) وكان يوحنا قد قال قبلها في الآية ٤٥: «وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء **يسوع بن يوسف** الذي من الناصرة» فهل هو الله أو ابن الله أم ابن يوسف النجار؟!
- قضية يسوع ومحاكمته وكل ما بها من تناقضات سنتناولها على حدة لأنها تمثل جزءًا من موضوع هذا البحث وأساسه.
- الأخلاق في الأناجيل: نفس التقلب أوالتناقض الوارد في الأنجيل حول العقائد نراه في مجال الأخلاق. فتارة يسوع يلغي الطقوس القديمة لصالح النية الأخلاقية ثم يحافظ على الشرع ويقيم طقوسًا جديدة. يؤكد أن البر يكفي لفتح أبواب السماء، ويعلن أنه لا خلاص إلا بالإيمان. يمدح الحياة العائلية ثم نراه يعلن الفرقة. يدين العنف والحرب ثم يعلن أنه أتى بالنار والسيف. يعلم التسامح ويلقي باللعنات. لذلك يقوم كل فريق من الفرق المسيحية بتعريفها وتحليلها كما يشاء وفقًا للظروف والأحداث!

لذلك يؤكد جوزيف هويلس في كتابه المعنون: «**التزوير في المسيحية**» الصادر عام ١٩٣٠، والذي كتبه وهو يشغل منصب كبير قضاة في الولايات المتحدة وعضو دائم بمعهد القانون النقاط التالية في المقدمة:

١ - أن الكتاب المقدس في جميع أسفاره عبارة عن عملية تزوير كبرى سواء من الناحية القانونية أو المعنوية.

٢ - أن كل سفر من أسفار العهد الجديد عبارة عن عملية تزوير قامت بها الكنيسة المسيحية، وأن كل فقرة من هذه الفقرات الهامة التي بنت عليها الكنيسة عقائدها الأساسية عبارة عن عمليات تزوير متتالية بوعي وإدراك وتمت بنية التزوير عمدًا.

٣ - وخاصة، وبصفة خاصة، تلك العبارة الشهيرة الخاصة ببطرس: «على هذه الصخرة سأبني كنيستي»، وهي حجر الأساس في عملية التدليس الكبرى، وكذلك تلك المقولة الأخرى: «اذهبوا وكرزوا كل الأمم» - إذ أن يسوع المسيح لم ينطقها أبدًا، وهي عبارة عن عمليات تزوير متأخرة شديدة الوضوح.

٤ - وأن الكنيسة المسيحية، منذ بدايتها في المجتمعات اليهودية المسيحية المتدينة، حتى بلغت قمة مجدها الزمني وانحطاطها الأخلاقي، كانت عبارة عن طاحونة تزوير لا تكل ولاتتعب.

٥ - أن الكنيسة تأسست طوال عصر الظلمات بفضل نسيج ضخم من النصب والاحتيال والذي لم يتم إلا بفضل استجدائها بلا خجل وبسبب الجهل المدقع لجماهير أتباعها المعدمين والذين تم الحفاظ عليهم في هذا المستوى المتدني من أجل أغراض رجال الكهنوت الذين يهدفون إلى التدليس بكل جبروت.

٦ - وأن أي كذبة دينية أو ضلالة أو تدليس كانت دائمًا من عمل القساوسة فعبر كل التاريخ الكنسي للمسيحية، وعبر كل التاريخ البشري للإنسانية المواكب لها كان القساوسة يتاجرون بالخدع والتضليل بلا خشية أوخجل.

٧ - عقلية رجال الكنيسة بسبب تربيتهم الملتوية والمغرضة، وبسبب أطماع تلك الطبقة الكهنوتية، هم غير قادرين على فهم الحقيقة في كل ما يتعلق بمصلحتهم.

لذلك يتهم جوزيف هويليس، كرجل قانون في أعلى درجاته، يتهم الكنيسة بأنها زوّرت واختلقت كل ما تطلق عليه كتبها المقدسة المكونة للعهد الجديد، وكل النصوص الدينية العقائدية التي استعانت بها للدعاية المغرضة التي قامت بها. وأكثر هذه النصوص المحرفة لا يعرفها العامة ولم يطّلعوا عليها، لكنها مخبأة بعناية في أرشيفهم.

ويوضح بالتفصيل والوثائق كيف أن كل المكونات التي تزعم الكنيسة أنها خاصة بها ومنّزلة عبارة عن مفردات كانت موجودة منذ أزمنة بعيدة في الديانة المصرية القديمة أو في الديانات الأخرى. فكل الوثنيين كان لهم أعيادهم، والعديد من الدرجات الكهنوتية، والمسيرات الدينية وحاملي الصور والأيقونات، والبخور، والمياه المقدسة، والاعتراف بالأخطاء للكاهن، والتنبوءات التي تهبط وحيًا أو زعمًا على القسس من أجل الرعايا، والكتب أو النصوص المقدسة، وكبار القديسيين والعديد غيرها.

وفي صفحة ٣٤٦ يوضح قائلاً: «إنه لمدة حوالي أربعة قرون تم خلالها ذبح قرابة مليون رقبة لإثبات أنه إله واحد أو ثلاثة قبل أن تستتب بدعة «ثلاثة آلهة في إله واحد».

ودون أن ندخل في تفاصيل المعارك التي واكبت صياغة الأناجيل على مر التاريخ، أو تلك التي وصلت إلى عمليات اقتلاع الآخر أو إلقاء اللعنات المتبادلة، فإن منابع ومصادر صياغة هذه الأناجيل من التنوع والاختلاف بحيث وصفها كل من چيروم پرييور (J.Prieur) وچيرار مورديا (G.Mordillat) في بحثهما المعنون: «**يسوع ضد يسوع**» قائلين: «لكي نوضح كيفية صياغتها لابد وأن نستعين بأحد الأشكال الأدبية الحديثة التي تسمى cut-up (وهي ما تعني بالعربية عبارة قص ولصق) وتعتمد هذه التقنية من الكتابة على قص أجزاء من صفحات الجرائد، وقطع من روايات، وأجزاء من القصائد والمنشورات، ولصقها تباعًا مع بعضها بحيث تكوّن مادة لنص واحد. وهذا ما نلاحظه في الأناجيل. فتحت سطح النص نرى حياكة آلاف الجمل والكلمات المنزوعة من كتب أخرى، أو مستعارة، ومتغيّر مكانها ومعناها، وتنكرت معالمها. أجزاء تبعث بأصداء الذي ضاع إلى الأبد وتمنعنا الطبعات الفاخرة من تخمين أصلها.

«إن الأناجيل مصنوعة تحديدًا من مواد شديدة الاختلاف، وهذه المواد المختلفة أشبه بالبلاستيك والألياف الزجاجية والسيراميك وألياف الكاربون. فهي تتداخل مع بعضها لكنها لا تنصهر، إنها تختلط دون أن تفقد تميّز كل منها - تمامًا كالأناجيل.. وأدوات البحث اللغوي تسمح بالتدريج بالتعرف على بعض المواد» (صفحة ١٤٠ - ١٤١).

وبعد ذلك بقليل يؤكد الباحثان أن نص إنجيل مرقس كان ينتهي بالفصل ١٦ عند الآية ٨.. والدليل على ذلك هو النص الرسمي للأصلين الكاملين من القرن الرابع: المعروف بنص الفاتيكان (Codex Vaticanus)، والمعروف بنص سيناء (Codex Sinaiticus) وهذا يعني أنه حتى القرن الرابع كانت الآية ٨ هي نهاية إنجيل مرقس، وأن أوسيبيوس قد أعلن ذلك أيضًا مشيرًا إلى وجود بعض النسخ التي تنتهي بصورة أخرى. وقد تمت إضافة الآيات من ٩ إلى ٢٢ التي تمثل النهاية الحالية للنص» (صفحة ١٥١).

والطريف أن هذه الآيات التي تمت إضافتها تنص على ضرورة طاعة الأتباع للكنيسة - وذلك في وقت لم تكن فيه كنائس بعد فرضًا - كما أن الطبعات الحالية لهذا الإنجيل ينتهي فيها هذا الإصحاح رقم ١٦ بالآية ٣٥.. أي أن هناك إضافة جديدة قد تمت بعد الإضافة السابقة!

وكان أوريجين قد علّق على هذا التفاوت بين النصوص قائلاً: «**إنها حقيقة واضحة اليوم وجود اختلافات كثيرة بين نصوص الأناجيل، سواء أكانت نتيجة إهمال الناسخين أم أنها ترجع إلى جرأة الانحراف لدى بعض الأشخاص الذين يغيّرون النص، أو من يضيفون وينقصون منه وفقًا لهواهم، واضعين أنفسهم في مكان من يحق له التصويب أو التغيير**» (صفحة ١٤٠ من نفس المرجع السابق).

وقد أكد العلماء المجتمعون في «ندوة عيسى» التي أقيمت في الولايات المتحدة، وحضرها أكثر من مائتين عالم متخصص في المسيحية، أن ٨٢٪ من الكلام المنسوب إلى عيسى في الأناجيل غير صحيح. وقد تم طبع أبحاث هذه الندوة في كتاب بعنوان «ندوة عيسى» (١٩٩٣).

وقد كتب روبرت فانك (R. Funk) مؤسس ندوة عيسى في الكتاب الذي أصدره بعنوان: «وفاء ليسوع» قائلاً:

«لا يمكننا الاستناد في عقيدتنا على ديانة بطرس ولا على ديانة بولس، فلا أرغب بديانة غير نابعة من الأصل، ولا أرضى بعقائد تقف فحسب عند حدود المؤمنين الأوائل. فالعقيدة الحقيقية والإيمان الحقيقي يجب أن ينبعا من عيسى الناصري».

«ولا يمكن أن يكون عيسى نفسه معبودًا فتلك هي وثنية المؤمنين الأوائل. أن الهدف الحقيقي من الديانة يجب أن يكون الإيمان بما آمن به عيسى نفسه، أما الدعوة إلى الإيمان بشخص عيسى فليس ذلك سوى إحلال الوسيط محل الحقيقة وإحلال الداعي محل المدعو إليه».

«وما الذي يفرض علينا الالتزام بقرارات قسطنطين ونتائج التصويت الذي جرى في مجمع نيقية وقرارات باقي المجامع الكنسية على أنها نهائية؟! يجب علينا الامتناع عن تقليد العقائد المذهبية التي تم تكوينها عبر القرون الأربعة الأولى. علينا بالسماح لعيسى بأن يظهر على حقيقته وليس كما يقدمه لنا الكتاب المقدس ولا المذاهب التي أتت من بعده. يجب أن يكون عيسى هو المعيار الذي تنبثق عنه النظريات والممارسات. أما العقائد الكنسية فهي ديانة حلّت محل عيسى، بل لقد أزاحته استنادًا إلى أساطير لا علاقة لها بما قاله عيسى ولا بما عمله. أن عيسى لم يسهم ولو بأقل القليل في الديانة التي ينسبونها إليه ويعتبرونه مؤسسها. لذلك يجب علينا البدء من جديد بصفحة دينية جديدة»!.

العقائد المسيحية

- تقديم
- قضية الوحي والتنزيل
- كيفية فرض هذا الوحي
- حول ألوهية يسوع
- الأفخارستيا
- عذرية مريم والحمل العذري

العقائد المسيحية

تقديم:

العقيدة هي تأكيد لشيء يعد أساسيًا، لا نقاش فيه ولا يجوز المساس به في نظر سلطة سياسية أو فلسفية أو دينية، وقد تستخدم القوة أحيانًا لفرضه. والعقيدة مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بمفهوم السلطة وفقًا للقاموس التقني والنقدي للفلسفة.

فمن حيث أصل الكلمة اشتقاقًا أنها تعني قرار سياسي لحاكم أو لمجمع. ومن حيث معناها الفلسفي أنها تعني رأي معترف به في مدرسة ما، يمكن وصفه على أنه رأي معتمد بين أفراد ينتمون لنفس السلطة التي أنتجت نفس المذهب. ومن حيث معناها اللاهوتي فهي تعني مذهب أقرته السلطة الكنسية.

وقد قامت الكنيسة الكاثوليكية بتعريف معنى «العقيدة» في كتابها للتعليم الديني الصادر عام ١٩٩٢: «أن رئيس الكنيسة يستخدم كلمة السلطة التي تلقاها من يسوع عند تحديده العقائد أي عندما يعرض حقائق موجودة في التنزيل الإلهي أو حقائق مرتبطة بها، بصورة تلزم الشعب المسيحي إلى ارتباط لا رجعة فيه بالإيمان».

وفي هذا الإطار قامت المجامع بصياغة العقائد الخاصة بالمسائل المسيحية، المتعلقة بيسوع، ومع صياغة العقائد تم استخدام اللعنة والحرمان من الجماعة لكل من يقول بعكسها. وفي نفس الوقت تم تعريف الهرطقي بأنه من يطرح الأسئلة أو من يتعرض لمناقشة موضوع لا نقاش فيه!

لذلك يصف البعض مفهوم العقيدة بأنه سلبي، بمعنى أنها تصيغ إيجابيًا ما لا يمكن الاعتقاد به أو قوله. لذلك يقع التابع لها في الحيرة عندما يرى مثلاً كيف تتناول الأناجيل المعتمدة موضوعًا ما بصور مختلفة أو متناقضة. وإذا ما جرؤ على السؤال أو المناقشة فإن اللعنة والحرمان هما الجواب الذي ينتظره. وهو ما يخرج منه البعض بأن العقيدة، في صياغتها، لا تبحث عن تعليم الأتباع وإنما ترمي إلى تحديد الهرطقي وتعرضه للعقوبة العامة العلانية والانتقامية.

والسلطة الدينية للعقائد هي: إنه عند صياغة العقيدة لا يجوز لأحد أن يدينها أو يتهمها؛ وأن المجمع هو الذي يحددها؛ فهو يسمح بالإعلان عن إيمان الكنيسة بلا تنازلات؛ ويحسم النقاش في مسألة ما أو فيما يراه المجمع أنه خطأ أو هرطقة.

ويقول إميل بوامار (E.Boismard) في كتابه عن «فجر المسيحية قبل مولد العقائد»

الصادر سنة ١٩٩٨ إن المسائل المحددة المتعلقة بالعقائد الكاثوليكية بدأت تطرح مبكرًا منذ القرن الثاني، والدليل على ذلك كتاب الأب هيلير دي پواتيه (H.de Poitiers) ضد الهرطقات.

ومن الثابت أن التراث الأول للكنيسة كان شفهيًا، فالاعتراف بما سيكون العهد الجديد قانونيًا لم يكن قد تحدد بعد. وهذه النصوص في حد ذاتها لم تكتب في الأصل كأعمال مرجعية عقائدية. الأمر الذي سمح بانتشار العديد من الاتجاهات الدينية المسيحية، وكانت أخطرها في نظر المسيحيين هي الغنوصية التي كانت في نظرهم تدمّر أسس العقيدة المسيحية ذاتها.

أما المجامع التي انعقدت لصياغة أصول العقيدة فقد تتالت منذ القرن الرابع، للتصدي لما بدا في نظر الكنيسة من هرطقات عليها اقتلاعها كالأريوسية والنسطورية أو القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح.

ومتابعة هذه المجامع بتواريخها يوضح بما لا يدع أي مجال للشك كيف تمت صياغة المسيحية عبر المجامع على مر العصور.. ونوردِ منها على سبيل المثال لا الحصر:

٣٢٥: مجمع نيقية الأول وإعلان أن يسوع، الابن، «إله حقيقي من إله حقيقي، مولود وليس مخلوقاً، ومشاركاً للأب في الجوهر».

٣٨١: مجمع القسطنطينية الأول: «الروح القدس مشارك للأب في الجوهر» وقد أدت قرارات هذا المجمع إلى انفصال الكنائس.

٤٣١: مجمع أفسوس أقر أن «مريم أم الله».

وأدت قرارات هذا المجمع إلى صدام بين الكنائس.

٤٥١: مجمع خلقيدونية أقر «الطبيعة الثنائية ليسوع» أي أن له طبيعتين في شخص واحد.

٧٨٦: مجمع نيقية الثاني أقر «شرعية عبادة الأيقونات».

وكلها عقائد وقرارات لا يعرف عنها يسوع أي شيء لأنها صيغت بعد القرن الثاني مع صياغة الأناجيل. وسوف نتناول أهمها بشيء من التفصيل فيما يلي:

تفرض الكنيسة الكاثوليكية الرسولية الرومية على الأتباع الإلتزام الصارم بالإيمان بعدد من العقائد ومنها عقائد كونية وإناسيّة، وعقائد ثلاثية، وأخرى متعلقة بالمسيح، ومريم، وعقائد خلاصية، وكنسية، وسريّة.

كما تتسم أو تنفرد المسيحية بملمح آخر لا مثيل له إلا في اليهودية، وهو اعتماد

مصداقيتها على أقوال الأنبياء والمعجزات، وكلها أقوال لا سند تاريخي لها. بل وأغلب نصوصها ثبت أنها كتبت بعد الأحداث، Post eventum، وهي العبارة المستخدمة حاليًا في كافة المراجع. أي أنها ليست نبوءات بمعنى الكلمة.

وقد نشأت العقائد الأساسية من تشبيه يسوع المصلوب، بعد وقوع الحدث فرضًا، بعبد الإله يهوا، وبالعادل المتألم الذي يأخذ على عاتقه خطايا العالم، كما هي واردة في المزامير وفي أشعياء، ثم أدى ذلك إلى العقائد البولسية للخطية والفداء. كما أدى تشبيه يسوع المبعوث بعد الموت فرضا بابن الإنسان الوارد في سفر دانيال وأخنوخ إلى تحويل يسوع الإنسان إلى إله متجسد. الأمر الذي استوجب اختلاق ميلاده العذري. وهذه العقائد لم تنجم عن يسوع الذي لم يقل شيئًا عن كل ذلك، وإنما نجمت عن المؤسسة الكنسية التي راحت تفسر أحداث حياته عن طريق النصوص. الأمر الذي نجم عنه تلك العبارة الشهيرة والتي تذكر بصيّغ مختلفة في نصوص العهد الجديد، وهي: أنه مكتوب، كما هو مكتوب، وفقًا للنصوص، لكي تتحقق النصوص، لكي يتم المكتوب – ذلك لأن سندها الوحيد هو «المكتوب» الذي كتبته وتستشهد به. وتكفي آية: «فيسوع هذا أقامه الله **ونحن جميعًا** شهود لذلك» (اع٢:٣٢) التي يقولها بولس والمعروف أنه لم ير يسوع في حياته.

وهذا التشبيه والاستناد إلى «النصوص» وتفسيرها على أنها تماثل يسوع بالرب المتألم في أشعياء، ثم بفعل بعثه وتشبيهه بابن الإنسان في سفر الرؤيا لدانيال وأخنوخ، هو الذي سمح للمسيحيين الأوائل بتحويل الهزيمة الواضحة إلى انتصار مدوٍ، واضعين في المفهوم الشعبي لفكرة مسيح يحاول رفع استعباد الرومان لهم والتمرد عليهم إلى مسيح أخروي يأتي أو ينزل من السماء وسط السحاب ليحاكم الناس!

وكانت الاستشهادات الإنجيلية التي لجأ إليها المسيحيون الأوائل لتبرير آلام يسوع وموته وبعثه ومجده السماوي وخيمة العواقب اللاهوتية. ومحاولة التوفيق بين كل هذه السلسلة من المعطيات قد أدى إلى ضرورة اختلاق عقائد تدعمها، وأولها ما يتعلق بيسوع.

وإذا ما تتبعنا صورة يسوع كما تبدو في الأناجيل المتواترة والرسائل الأولى لبولس، يبدو فيها يسوع كإنسان من سلالة داود عن طريق يوسف النجار، وذلك ما يعرفه عنه المحيطون به. ثم أن الله يسانده بالمعجزات، وأن الله قد بعثه من بين الموتى ومجدّه وبأنه على يمينه، وأنه سوف يعود بين السحاب ليحاكم الأحياء والأموات.

والواضح من النصوص أن يسوع لم يعتقد أبدًا أنه إله أو أنه كائن إلهي، بل كثيرًا ما ردد أن الله أكبر منه. إلا أن بولس قد أعلنه ربًا ومسيحًا: «فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًا ومسيحًا» (أعمال الرسل ٢:٣٦). ثم نرى بولس في الإصحاح الخامس وأمام رئيس الكهنة يعلن: «إله أبائنا أقام يسوع الذي أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة هذا رفعه الله بيمينه رئيساً **ومخلصًا** ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا. ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس أيضًا الذي أعطاه الله أيضًا للذين يطيعونه» (اع ٥: ٣٠-٣٢).

وبعد عملية بعثه، كما يقولون، تتغير صورة يسوع ونراه قد تسلق رقيًّا في العزة والمنصب ليتحول إلى كائن إلهي. وبدأت عملية التحويل هذه بإضفاء ألقاب لم يعرفها في حياته. فكلمة «كيريوس» اليونانية و«أدوناي» العبرية هي في نصوص العهد القديم ألقاب لا تطلق إلا على الله. وبإضفائها على يسوع، فقد أضفوا عليه بعد تمجيده كل الألقاب والخصائص والقوى التي كان العهد القديم يخصّها لله وحده. وبذلك تحولت عبارة «يوم يهوة» في النصوص إلى: «يوم ربنا يسوع المسيح» على حد قول بولس: «حتى إنكم لستم ناقصين في موهبة ما وأنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح الذي سيثبتكم أيضًا إلى النهاية بلا لوم في **يوم ربنا يسوع المسيح**. أمين هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ١:٧-٩). وبذلك انتقلت مهمة القضاء العليا من الله إلى يسوع!.

ولم تتوقف عملية التحولات التي تضفي على يسوع عند هذا الحد وإنما تواصلت في تصعيد واضح. فيسوع الممجد قد تحول بعد تضحيته التكفيرية - التي لا يعرف هو عنها شيئًا، إلى المصالح الوحيد بين الإنسانية والله. ومرة أخرى نطالع كيفية نسج بولس للمسيحية وعقائدها حين يقول: «ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة. أي أن الله كان في المسيح مصالحًا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعًا فينا كلمة المصالحة» (رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٥:١٨-١٩). وفي رسالته إلى أهل رومية يقول: «لأنه وإن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيرًا ونحن مصالحون نخلص بحياته وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضًا بالله بربنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة» (٥: ١٠-١١).

ومع مواصلة عملية التصعيد وتشبيه يسوع بابن الإنسان الوارد في سفر الرؤيا لدانيال ولأخنوخ يتحول يسوع إلى كائن إلهي موجود قبل وجود العالم، وقد نزل من

السماء إلى الأرض أول مرة بعد أن اتخذ هيئة إنسان أو تجسد إنسانًا، ثم صعد من الأرض إلى السماء وجلس على يمين الله ليعاود النزول ثانية بغية إقامة ملكوت الله في عملية تجديد كوني. وذلك وفقًا لما هو وارد في الإصحاح ٤٨ من أمثال أخنوخ وهو من آباء اليهودية من القرن الثاني والأول قبل الميلاد، وتم تجميع بعض أسفار الرؤيا باسمه.

ومع إضافة اسم المسيح Christ وهي الترجمة اليونانية لكلمة Messie أي الممسوح بالزيت المقدس، وهي من العادات والتقاليد المصرية القديمة حيث كان يتعين مسح الملك بالزيت عند تنصيبه ملكًا وممثلاً لله على الأرض. وهو اللقب الذي أضفاه بطرس على يسوع وصار جزءاً من اسمه، وبذلك تحول إلى الرب يسوع المسيح. وفي إنجيل يوحنا تحول يسوع المسيح إلى «اللوغوس» في الفكر اليوناني ليصبح الكلمة الإلهية المتجسدة التي تجمع بين عدة مفاهيم: «كلمة الله الخلاقة، وجزء من صفات يهوه، وجزء من الحكمة، لينتهي إلى مفهوم «اللوغس» عند فيلون «الخالق المنظم للكون» عند أفلاطون. «وهي عبارة عن مفهوم تجميعي وإحلال كوني للكائن الأعظم الذي يتسم بقوة الخلق» على حد تعبير لويس روچييه (صفحة ١٣٦).

ولم تعد عبارة ابن الله تؤخذ بالمعنى المجازي، بمعنى التبني، وإنما بالمعنى الحرفي للكلمة.

وهذا التصعيد الأقصى سيتضمن توريطات لاهوتية ضخمة لتمريره. فبدلاً من نسب يسوع من داود عن طريق يوسف النجار، كان لابد من اختلاق بديل لميلاد الإله بمعجزة لا تنتمي للبشر. وهو ما كان يجهله الحواريون والتلاميذ والأتباع، بل وهو ما يجهله مرقس تمامًا في إنجيله. ومن أجل القيام بذلك كان لابد من إضافة مقدمات لإنجيل متى ولوقا، وبذلك أصبحت لا تتفق ولا تتناسق مع باقي نصوص الإنجيلين وتبدو فيها الإضافة صارخة. لأن الميلاد بمعجزة لا يتمشى إطلاقًا مع النسب من داود ويوسف النجار ومع كون يسوع «الابن البكر»، وله أخوة وأخوات يعرفهم الجيران والمواطنون.

ولكي يتحول الميلاد بمعجزة «وفقًا للكتب» كما يقولون دومًا، تعللوا بجزء من سفر إشعياء بعد أن تم تحريف معناه من الترجمة السبعينية ووضعوا بدلاً من كلمة almah بالعبرية، والتي تعني «امرأة شابة» وضعوا كلمة «بارتينوس» وتعني عذراء، وبذلك تحولت الآية ١٤ من الإصحاح ٧ في سفر إشعياء إلى: «ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد إبناً وتدعوا اسمه عمانويل»!

ويورد جوزيف ويليس أن صيغة النبوءة بالعبرية في الماضي، أي أنها ليست «تحبل» وإنما «حبلت»، وقد تحققت النبوءة بالفعل إذ كانت خاصة بالملك آحاز (وارد في كتابه المعنون: «**هل هذا كلام الله؟** الفصل ١٣). كما أن الطفل عند مولده لم يدعوه عمانويل كالنبوءة التي تذرعوا بها وإنما أطلقوا عليه يسوع. ولم ينتبهوا إلى كلمة «عمانوئيل» إلا بعد صياغة الأناجيل والعقائد. فتمت إضافتها بعد ذلك على أن معناها: الله معنا..

وتطلبت عقيدة الميلاد بمعجزة إلى اختلاق عقيدة أخرى تساندها وتبررها وهي عقيدة الحمل العذري. ومع تلك الطفرة الشاسعة التي انتقلت إليها صورة يسوع الناصري عبر استشهادات متوالية من «النصوص»، أثيرت مسألة متعددة الأوجه: كيفية التوفيق بين ما تقوله الأناجيل المتواترة الثلاثة - رغم كل ما بها من متناقضات، مع فكرة «الكلمة» المتجسدة الواردة في إنجيل يوحنا، وفي هذه الحالة ما هي علاقة أو مدى التساوي أو التفاوت في الدرجة بين الأب والابن؟!

ودارت المعارك وصب اللعنات المتبادلة لمعرفة هل هما شخصيتان متميزتان أم شخصية واحدة؟ ثم هل هما طبيعتان أم طبيعة واحدة.. ولم تهدأ هذه المعارك الطاحنة التي تواصلت بعد تأليه يسوع سنة ٣٢٥ وفرض هذا القرار الكنسي مجمع نيقية الأول، الذي كان قد انعقد للتصدي لمن يعارضون هذا التحريف لعقيدة التوحيد، ومنهم الأسقف أريوس. ولعل أكثر من استطاع توليفها كما يقولون، هو القديس أغسطين (٣٥٤ - ٤٢٠) الذي اعتنق المسيحية وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، والذي استطاع بسفسطة الألفاظ أن يوضح أن الاب والابن إله واحد، الذي أضافوا إليه إله ثالث هو الروح القدس.

وما أكثر الذين تناولوا كيفية عمل وتدعيم هذا التحريف، في القرن العشرين، ومنهم لويس روچييه الذي قام بالتحليل الدقيق للوثائق وكشف كيفية تطورها في القرون الأولى خاصة وما تلاها، موضحًا في كل خطوة من أين استقوا مصادرها، مشيرًا حتى إلى كيفية تحريف معناها، وأنه كان لابد لهم من مجمع أفسوس سنة ٤٣١ ومجمع خلقيدونيا سنة ٤٥١ للتوصل إلى تعريف عقيدة الاتحاد الأقنومي بين طبيعتي الأب والابن. ويوضح لويس روچييه كيف أدى عمل هذا الاتحاد إلى إيجاد «سر لا يمكن فهمه» خاصة وأن الأناجيل بها من النصوص أو الآيات التي لابد وأن تجعل القارئ يتساءل كيف يمكن ليسوع كإنسان (بما إنه إله) أن يخطئ حتى في نبوءاته وهو المفترض أن يكون يعرفها بالضرورة بحكم أنه إله؟! وهنا كان على مختلقي العقائد أن يدُخلوا شخصية إلهية ثالثة منفصلة تحت اسم الروح القدس.

ويقوم الروح القدس في الأناجيل بعدة أدوار كما يتفاوت اسمه. فمرة يطلق عليه «روح الرب» (اع ٥ :٩)، أو مجرد الروح، أو الروح القدس، أو يأتي على الجميع أو يحل عليهم أو يملأهم من الفرح (اع ١٣ :٥١) ويقولون إن بعض الرجال مليئ بالروح القدس (اع ٦ :٧)، وأن الروح تحدث إلى بطرس (اع ١٠ :١٩) كما تحدث إلى فيليبس (اع ٨ :٢٩)، أو تتحدث عن طريق أشخاص مثلما نطالع أن إسطفانوس يتحدث بالحكمة والروح (اع ٦ :١٠).

كما نطالع في أعمال الرسل أن بطرس وفيليبس يعمدان «على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا» (٢ :٣٨) على الرغم من قول يسوع الصريح بأن يكون التعميد «بالروح القدس» (١ :٥). والطريف أن الروح القدس ليس واردا بالعهد القديم ولم يكن معروفًا، بل ولم يكن معروفًا أيام يسوع. وهذا دليل آخر على الصياغة المتأخرة للأناجيل.

وفي مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ تمت مساواة الأب والابن والروح القدس وبذلك تم اختلاق بدعة الثالوث المكون من ثلاثة أشخاص في إله واحد! ثلاثة أشخاص متميزة ومتساوية في كل شيء وذلك اعتمادًا على نصوص إنجيلية غامضة الإبهام والتناقض. وتم التصعيد الأعلى ليسوع الذي صار مساويًا لله وللروح القدس.

ويقول لويس روچييه إن الكنيسة قد احتاجت إلى قرون من الجدل الفارغ والإبهام اللفظي لمصالحة وجود الثلاث شخصيات في إله واحد دون الوقوع في عبارة تعدد الآلهة (...) وقد تم العثور على الحل لذلك الإحراج الواضح بجعل الصلة بين الشخصيات الثلاث مجرد علاقة، علاقة لا تغير شيئاً لا في الجوهر ولا في الماهية التي تنتمي إليها. وبذلك أصبح الأب والابن والروح القدس متساوين في كل شيء إلا أن واحداً منهم غير مولود، والثاني مولود والثالث منبثق!

ولم يتم تقبل هذه العقيدة لقرون طويلة بين الكنائس، بحيث يورد العالم لويس روچييه قرار مجمع فلورنسا المنعقد سنة ١٤٣٩ الذي راح يحدد لليعاقبة معنى الثالوث لفرضه بلا رجعة، وينص القرار على:

«إن العلاقة وحدها هي التي تفرق بين الأشخاص، لكن الأشخاص الثلاثة يكونون إلهاً واحداً وليس ثلاثة آلهة، لأنهم من جوهر واحد، وطبيعة واحدة، وألوهية واحدة، وضخامة واحدة، وخلود واحد، وأن ثلاثتهم واحد حيث لا تمثل العلاقة بينهم أي تعارض» والنص اللاتيني هو:

"Omniaque sunt unum, ubi non obstat relationis oppositio"

وعلى الذين لا تروقهم هذه الذمة الضميرية تجيب الكنيسة قائلة: إنه سر»!.. (صفحة ١٤٤).

قضية الوحي والتنزيل:

قبل التعرض لقضية الوحي والتنزيل فيما يتعلق بالكتاب المقدس، خاصة بالعهد الجديد، من المهم أن نوضح ما توصف به المسيحية وكتابها لدى كل من تناولوها بالدراسة التحليلية الجادة، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر التعليقات التالية:

يصف دانيال ماسية (Daniel Massé)، وهو من كبار رجال القانون الفرنسي في مطلع القرن العشرين، المسيحية قائلاً في مقدمة كتابه المعنون «**لغز يسوع المسيح**» الصادر سنة ١٩٢٦،: «المسيحية عبارة عن بنية تمت فبركتها بمواد مأخوذة من على هامش التاريخ أو بعيدة عنه، ومن على هامش التأريخ والتقويم والجغرافيا - أو بالأحرى بمواد من التاريخ والتأريخ والتقويم والجغرافيا بعد أن تم تحريفها عمدًا بأيدي أساتذة متخصصين في التحريف» (صفحة ٨).

وقد أمضى دانيال ماسيه أكثر من خمسة وعشرين عامًا في دراسة أصول المسيحية بعامة وحياة يسوع بخاصة، خرج بعدها بذلك الكتاب الذي لو لم يصادر، مثله مثل كتاب جوزيف ويليس وغيرهما، لاختلفت رؤية الأتباع لما يتبعونه من عقائد مفروضة عليهم بلا مناقشة وبلا تفكير..

ويوضح روچيه پيترينييه (Roger Peytrignet) «إن الأناجيل قد صيغت بعد الأحداث التي تحكيها بحوالي ١٤٠ أو ١٥٠ سنة، وما من إنجيل كتبه الشخص المعروف باسمه، وما من كاتب منهم كان شاهدًا مباشرًا للأحداث. والأدهى من ذلك أنها كُتبت بعيداً عن الأماكن التي وقعت بها هذه الأحداث، وأنه على الأقل إنجيل مرقس ولوقا من أصل روماني، واللغة المستخدمة هي اليونانية، أي أنها لغة أجنبية (...) وينجم عن ذلك أن القيمة التاريخية للأناجيل شبه منعدمة (...) وأن قصص حياة يسوع قد صيغت بصورة مفتعلة جدًا» («**يسوع المسيح أسطورة أم شخصية تاريخية**» صفحة ٨٦).

أما جوزيف ويليس (Joseph Wheless) فيقول: «إن أكثر أهم الحقائق المسيحية المفترض أنها منزلة أو موحاه من الله والمسيح والحواريين، ليست إلا اختلاسات وسرقات أدبية من نصوص عبرية مفتعلة (...) إلى ذلك الحد نجد أصول المسيحية مغلفة في ظلمات ناجمة عن قصر تيه من الخلط والتناقضات والتزييف في النصوص الأولى، بحيث يعد من الصعب أن نستخرج منها، بأي درجة كانت من المصداقية، شعرة واحدة من الحقائق التاريخية من هذا الخلط المتشابك» (التحريف في المسيحية صفحة ٩٠-٩١). وفي صفحة ٩٧ يستشهد بالموسوعة الكاثوليكية، (المجلد الثالث صفحة ٢٧٤)

مؤكدًا: «أنه لا يوجد في العهد الجديد ما يثبت أن الحواريين قد أورثوا الكنيسة أي عقيدة جديدة أو أي دليل على أنها من وحيّ إلهي» ويعلق ويليس على هذا الاستشهاد موضحًا: «أي أنه لا يوجد في هذه الأسفار السبعة والعشرين ما يشير إلى أنها تتضمن أي شيء حول أنها منزّلة أو أنها صادقة».

أما الباحث چي فو (Guy Fau) الرئيس السابق لجمعية إرنست رينان، فيؤكد أن «الأناجيل قد صيغت لإثبات ألوهية يسوع، بدليل أنها صيغت بعد سنة ١٥٠م، وأن الذين كتبوها لا علاقة لهم بالأحداث التي يروونها، وأن صياغتها تتوافق مع عمليات تطور المسيحية عندما اضطرت الكنيسة عند مقاطعتها لمارسيون والغنوصيين أن تفبرك نصوصًا تناقض ما كان يمتلكه أعداؤها، وفي عملية الفبركة هذه، تنكرت لأصولها المتواضعة وراحت تضفي على نفسها أمجادًا بارتباطها بالشخصية الإلهية التي ابتدعها بولس، وأن هذه النصوص للأناجيل المتواترة قد تعرضت للعديد من التغييرات اللاحقة» («**المسيحية بدون يسوع**» صفحة ٩٥).

ويقول الأب رودلف بولتمان (Rudolf Bultman) في كتابه المعنون: «**يسوع، الأسطورة وكشف الأسطورة**» (صفحة ٣٥): «لا يمكننا معرفة أي شيء عن حياة ولا عن شخصية يسوع لأن المصادر المسيحية التي في حوزتنا، شديدة التفتيت وغارقة في الأسطورة، وبالتالي فلا قيمة لها مطلقًا في هذا الموضوع ولأنه لا يوجد أي مصدر آخر سواها حول يسوع»، هذا التحديد الذي آثارالدنيا عندما صدر سنة ١٩٢٦، عن رجل دين في مثل مكانته، لم يكن يمثل رأيه فحسب وإنما رأي العديد من العلماء الألمان الذين يعتبرون أن الأناجيل: «عبارة عن تراكمات من القصص والأحداث بعد وقوعها، ويختلط فيها العديد من الروايات التي تم تحريفها».

أما چان كلود بيكار (Jean- Claude Picard)، وكان أستاذًا للتاريخ في جامعة السوربون في باريس حينما قرر دراسة الديانة المسيحية عن قرب، فأمضى أربعة عشر عامًا لدراستها في قسم دراسة أصول المسيحية في كلية الدراسات العليا التابعة لها، منها سبع سنوات متتالية تابع خلالها دراسات الآباء وتاريخ تكوين العقائد، وبعد هذه السنوات الأربع عشرة خرج ليتساءل بوضوح: «هل يسوع قد وُجد تاريخيًا؟!» وفي كتابه المعنون: «**التاريخ النقدي للديانة الرومية المسماة كاثوليكية ورسولية**» راح يؤكد أن يسوع ليس إلا بطلاً روائيًا، وأن الشخصية الواردة في الأناجيل قد تم تأليفها تدريجيًا عبر طبقات متتالية ومتناقضة. تكدست على بعضها على مر التاريخ عبر صياغات مختلفة



اعتمادًا على الروايات الشفهية وحتى على نصوص من أزمنة العصور الوسطى، وقد قام تلامذته بنشر كتابه بعد وفاته.

وكان الأمر يتعلق بالنسبة له بمعرفة «ما إذا كانت الأناجيل المسيحية هي أعمال تاريخية أو مجرد قصص وسير القديسيين اعتمادًا على خيال من كتبوها لتلبية حاجات نفسية - اجتماعية لجمهور معيّن. والرد وارد في مجلة «لاكروا» (أي الصليب) في العدد رقم ١٠٧ لشهر نوفمبر ١٩٩٥ حيث يرد تحديدًا: «في الكتاب المقدس لا يجب أن نبحث عن التاريخ، ولكن عن «التاريخ المقدس». والمشكلة واحدة بالنسبة للعهد الجديد أو العهد القديم. إن الذين كتبوا الأناجيل، بعد عيد الفصح بسنين طويلة، أرادوا التعبير عن إيمانهم بيسوع ابن الله... والهدف الأول للأناجيل هو أن تجعلنا نكتشف ونتقاسم الإيمان مع الجماعات الأولى. أي أن الكتاب المقدس قد كتبه مؤمنون من أجل المؤمنين، أي أن الأناجيل، وفقًا لهذه المجلة الدينية الرسمية، هي عبارة عن كتب دعاية عليها نشر عقيدة ما، أو أيديولوجية ما، وليس نصًا تاريخيًا».

أما لويس روچييه فيوضح كيف كان يقوم بعض المفسرين أو الآباء بكتابة النصوص التي يسندونها إلى بطرس أو بولس، مشيرًا إلى «أنه من الممكن بالطبع خاصة في الحالات التي لا تتضمن أي شاهد على الحدث، فمن ذا الذي كان شاهدًا على ما قاله الملاك لزكريا، أو لمريم أو ليوسف، أو حتى ما قاله الشيطان ليسوع عندما كان «يختبره» وكانا وحدهم في الصحراء؟ ومن ذا الذي شاهد ما حدث في حديقة چيتثماني بينما كان الحواريون نيامًا؟ كيف أمكنهم معرفة صلاة يسوع لأبيه؟ لاشك في أننا في قمة قصص التخيل الأدبي. فما من حواري قد كان حاضرًا محاكمة يسوع سواء في المجلس الأعلى لليهود، أو في مقر الحاكم بما أن كل الحواريين قد فرّوا هربًا عندما تم القبض على يسوع. وأن يكون بطرس قد تسلل مع أحد التلاميذ في فناء القصر فذلك لا يعني شيئًا إذ أن عملية الاستجواب لم تتم هناك. فكيف أمكن لكتبة الأناجيل أن ينقلوا كلمات الكهنة الكبار وبيلاطس البنطي ويسوع؟» (صفحة ١٦٥ - ١٦٦).

ولاشك في أن عملية تأكيد أن نصوص الأناجيل منزّلة، والتمسك بها مرتبط بأمرين هما مصداقية من كتبها والمصداقية التاريخية للأحداث التي يروونها إضافة إلى تحقيق النبوءات التي يذكرونها. وفيما يتعلق بمصداقية من كتب هذه النصوص فقد رأينا من تلك الشذرات التي أوردناها ما يطلق عليه العلماء حاليًا من «**أن الكتبة اليهود والمسيحيين قد انجرفوا في فُجْرٍ لا معقول في عمليات التزييف**» (چوزيف ويلس).

وقد تزايد هذا التيار الكاشف لأكاذيب هؤلاء الكتبة منذ أن قام كل من ريشار سيمون وسبينوزا بإثبات أن موسى لا يمكن أن يكون مؤلف الأسفار الخمسة التي تسند إليه، وأن كل المفسرين الكاثوليك أصبحوا يفصلون الآن ما بين مسألة الإلهام ومسألة الأصالة التي تتناقض تمامًا مع ما توصف به هذه النصوص. فقد قام أبراهام كوينن (A.Kuenen) بإثبات أن كل نبوءات أنبياء العهد القديم قد فندها التاريخ، وذلك في كتاب بعنوان: «**التاريخ النقدي لكتب العهد القديم**».

أما العهد الجديد، فكل ما تحقق منه من نبوءات هي تلك التي كتبت بعد الأحداث (Post eventum) كما يقولون. ويكفي ألا نشير من تلك النبوءات التي لم تتحقق إلا إلى تلك المحن والمصائب الضخمة التي ستصاحب مجئ ابن الإنسان بين السحاب، وإقامة ملكوت الله على الأرض، وذلك «قبل أن ينقضي هذا الجيل» الذي كان معاصرًا ليسوع.. وكلها أحداث ينتظر الأتباع حدوثها منذ قرابة ألفي عام..

فما من إنسان يقرأ العهد الجديد بعين محايدة إلا ويُصدم من كمّ المتناقضات التي تغص بها. وكلها متناقضات تتعلق بمعطيات العقيدة في حد ذاتها. فوفقًا للنصوص يسوع قد «صُلب» في ثلاثة تواريخ: ٧ أبريل سنة ٣٠م، و٢٧ أبريل سنة ٣١م، و٣ أبريل سنة ٣٣م.. أو كيف استقبلته الجموع وهللت له وقد قام بمعجزات شفاء العديد من بينهم ولم يقف إنسان واحد يدافع عنه بل طالبوا جميعًا بصلبه وإطلاق سراح باراباس؟ باراباس، ذلك المجرم أو القاتل الذي لا يعرفه ولم يسمع عنه أحد قبل ذلك.

لم يعد بوسع أي إنسان أمين أو صادق مع نفسه أن ينكر ما بهذه الأناجيل من تناقضات فلم يعد من الممكن التعتيم عليها بأية بهلوانيات لفظية. بل إن هذه المتناقضات لا تتوقف عند حد ذاتها وإنما نراها تمتد بين المفسرين وبين كبار رجال الكنيسة وبابواتها. ونكتفي بما أورده البابا بولس السادس وكان بابا في الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٨، وأن يكتب في النص الذي أصدره بعنوان: «عقيدة إيمان شعب الله» حيث راح يؤكد أن يسوع قد بُعث «بمحض قدرته الذاتية» (Par son propre pouvoir) وهو ما يتناقض مع ما يرد في أعمال الرسل وفي رسائل بولس! فأيهما نصدق؟!

بل حتى مشارب الآباء الذين صاغوا التراث الكنسي تتناقض أو تختلف، وهو ما أطلق عليه الأب چان دانييلو (Jean Daniélou) عبارة «التعددية اللاهوتية»! فقد قام ترتوليان بصياغة لاهوت اعتمادًا على الرواقية - نسبة إلى فلسفة تقول بأن كل شيء في الطبيعة إنما يقع بالعقل الكلي ويقبل مفاعيل القدر طوعًا. أما أغسطين فقد اعتمد في

لاهوته على أساس الأفلاطونية الجديدة القائمة على مزج بعض الأفكار الصوفية ببعض أفكار أفلاطون. أما توما الاكويني فقد بنى لاهوته على أساس أرسطوطاليسي معدل. وقام مالبرانش باستخراج لاهوت من الديكارتية. بينما يعتمد لاهوت الكنيسة الشرقية على أوريچين، وهو ما يخالف لاهوت الكنيسة الرومية. وبعض الآباء يعتبر علم اللاهوت علم خاطئ كالأب ڤالنسين (Valensin) ويكتفي بالعقائد. وهو ما يعد تناقضًا صارخًا بين العبارات والمصطلحات.

ولم نذكر تلك الإطلالة الخاطفة إلا لنوضح مدى عمق التناقض في هذا البنيان أو في هذه المؤسسة الكنسية، وإن كان ما يعنينا هنا في هذه الجزئية هي قضية التفاوت والاختلاف والتناقض الرهيب في النصوص الإنجيلية والتي لم يعد هناك من يمكنه إنكارها. فكيف يمكن أن تكون منزّلة؟!

بل إن نفس قضية الوحي والتنزيل الخاصة بهذه النصوص تمثل مشكلة في حد ذاتها، بعد اكتشاف نصوص دينية وأخلاقية وقانونية من مصر القديمة وآشور وبابل، وأكثرها أقدم تاريخيًا من انتقال سيدنا إبراهيم من أور إلى حاران. وهنا يوضح لويس روچيه كيف: «أن سفر التكوين عبارة عن نسخة مطابقة لقصيدة شاعرية بعنوان: «عن الجنة، والطوفان، والسقوط». وهي من لوح نيپور، وقد نشر نصها الباحث لانجدم (S.Langdom) سنة ١٩١٩ بعنوان: «القصيدة السوميرية عن الجنة والطوفان والسقوط». بل هناك العديد من النصوص السوميرية والبابلية والمصرية القديمة التي يمكن عمل مقارنة متوازية بينها وبين بعض نصوص الأناجيل، ومنها مقارنة أناشيد الشمس لأخناتون وبعض مزامير داود، والتشريع الوارد في سفر التثنية وسفر اللاويين له ما يماثله في قانون حامورابي وهو أقدم منهما تاريخيًا، بل لقد أكد الباحث رينيه دوسو (René Dussaud) في بحثه المعنون: «**اكتشاف راس شمرا (أغاريت) والعهد القديم**» (١٩٤١)، أهمية ذلك قائلاً: «وبالتالي، ليس من المبالغة أن نقول إن اكتشاف ألواح راس شمرا هي أهم الاكتشافات التي تمت في مجال الدراسات الإنجيلية».

وإذا ما أضفنا إلى ذلك التشابه في الأساطير والقصص والعبادات والقوانين، ما أثبتته وثائق البحر الميت ونجع حمادي، لتغيّر الوضع تمامًا بالنسبة لمسألة التنزيل والوحي التي أصرّت الأيادي العابثة على أنها إلهية مقدسة، وهو ما سوف نتناوله في النقطة التالية.

كيفية فرض هذا الوحي

تعتمد الكنيسة في فرض مسألة وحي وتنزيل الأناجيل على آية من آيات بولس في رسالته الثانية إلى تيموثاوس، إذ يقول: «كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم» (١٦:٣) وقد تناست الكثير من آياته التي يقول فيها إنه كاذب، وأنه بعدة أوجه وليس بوجهين فقط، بل وإنه سرق الكنائس، ونذكر منها على سبيل المثال: «إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أدان أنا بعد كخاطئ» (إلى أهل رومية). أما في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس فكتب قائلاً: «صرت لليهود كيهودي لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس، مع إني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس المسيح لأربح الذين بلا ناموس (...) وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكًا فيه» (٩: ٢٠-٢٣). أما في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس فقال: «سلبت كنائس أخرى آخذاً أجرة لأجل خدمتكم» (٨:١١) أي أنه سلب الكنائس التي يتحدث فيها وكنائس أخرى، وكذب، وتعددت الأوجه التي كذب بها.

ورغم هذه الأكاذيب وكل هذا التحايل وعدم الأمانة، بل ورغم اعتراف القديس چيروم بعمليات التحريف والتزوير التي قام بها ليكوّن نصًا تاريخيًا وأصلاً ثابتًا بأمر من البابا داماز، وعلى الرغم من المعارك الطاحنة التي اندلعت سواء بين الحواريين وبولس، أو بين القديس چيروم ومعاصريه، ففي القرن السادس عشر عندما انعقد مجمع ترانت سنة ١٥٤٦ ليحسم هذه المعارك من ضمن ما حسم، أعلن في دورته الرابعة المنعقدة في ٨ أبريل في قراره الأول المعنون: «استلام الكتب المقدسة والتراث من الحواريين» ومما جاء به أنه «انعقد للحفاظ على نقاء الإنجيل الذي وعد به الأنبياء في النصوص المقدسة وأنه تمت صياغته أولاً بفم ربنا يسوع المسيح، ابن الله، الذي أمر بعد ذلك أن يتم تبشيره إلى كل مخلوق عن طرق الحواريين كمنبع لكل حقيقة خلاص ولكل قاعدة أخلاقية (...) لذلك، وعملاً بمبدأ الآباء الأصوليين، فإن هذا المجمع المقدس يتسلم ويبجل بنفس شعور التقوى ونفس احترام كل الكتب سواء العهد القديم أو العهد الجديد، **بما أن الله هو المؤلف الوحيد للاثنين**، سواء أكان من فم المسيح أو تحت إملاء الروح القدس واحتفظت به الكنيسة الكاثوليكية في توارث متواصل».

ثم تليها عملية حصر لكتب العهد القديم والعهد الجديد التي تعتمدها الكنيسة الكاثوليكية، وينتهي القرار الأول لتلك الجلسة بما يلي: «إذا لم يتقبل أي شخص هذه

الكتب على أنها مقدسة وشرعية في مجملها، بكل أجزائها، مثلما اعتدنا قراءتها في الكنائس الكاثوليكية ونجدها ثابتة في طبعة «الڤولجاتا» القديمة اللاتينية، وإذا ما ازدرأ عن عمد وبمحض إرادته التراث المشار إليه بعاليه يكون ملعونًا، وعلى الجميع أن يفهموا النظام والطريق الذي سيسلكه المجمع، بعد إرساء أسس عقيدة الإيمان، خاصة الشهادات والأدلة التي سيستخدمها لتأكيد العقائد وإصلاح العادات في الكنيسة» (**المجامع المسكونية**، المجلد الثاني مكرر صفحة ١٣٥١ و١٣٥٢).

ونخرج من هذا القرار الأول بإضفاء سند من الأنبياء القدامى، وإضفاء سند من يسوع الذي صاغه بفمه شخصيًا وطالب بنشره، وتناوله الحواريون من بعده، وأن المجمع يواصل الطريق «بما أن الله هو المؤلف الوحيد». وإذا لم يتقبل أي فرد هذه النصوص بكلها فيكون ملعونًا.. والنظام والطريق الذي سكله المجمع لتنفيذ هذه اللعنة معروف فمحاكم التفتيش قائمة والمحارق مزدهرة والشهادات والأدلة معروف كيفية استخراجها بأمر مقدس من البابا شخصيًا.

أما القرار الثاني وهو بعنوان: «طبع الڤولجات» وطريقة تفسير النصوص المقدسة إلخ.. فينص على: «إضافة إلى ذلك، فإن نفس المجمع قد رأى أنه من الفائدة الكبرى لكنيسة الله معرفة أي طبعة يجب اعتبارها الطبعة الأصلية من بين كل الطبعات اللاتينية للكتب المقدسة التي يتم تداولها، لذلك فهو يبتّ ويعلن أن الطبعة القديمة «للڤولجات»، والتي اعتمدتها الكنيسة من طول استخدامها عدة قرون، يجب اعتبارها الأصلية في الدروس العامة، والمناقشات، والتبشير، والتفسير، وألا يكون لأحد الجرأة أو شبهة رفضها بأي حجة من الحجج.»

«من ناحية أخرى، ولمحاصرة العقول المتمردة، فإن المجمع ينص، في مسائل الإيمان أو التقاليد المتعلقة ببنية العقيدة المسيحية، أنه لا يحق لأحد، واعتماداً على رأيه هو، أن يتجرأ على تفسير النصوص المقدسة بتحريفها عن معناها وفقًا لهواه وعلى عكس المعنى الذي تتمسك به الكنيسة أُمنا المقدسة، التي يتعيّن عليها وحدها اختيار المعنى والتفسير الحقيقي للكتابات المقدسة، أو أن يتجرأ (ذلك الشخص) على مخالفة موافقة الآباء بالإجماع، حتى وإن كان مثل هذا التفسير غير موجه للنشر، فإن المخالفين سوف تتم الوشاية بهم من قِبَلْ المسؤولين ويعاقبوا بالعقوبات التي ينص عليها القانون.»

«كما أن المجمع المقدس يريد أيضًا، ومن حقه ذلك أن يفرض قاعدة في هذا المجال على المطابع التي بلا أي ضابط وبلا أية موافقة من المسؤولين الكنسيين، ويطبعون كتبًا

للنصوص المقدسة، معتقدين أن كل شيء مباح لهم، وبهذه الكتب تعليقات وتفاسير ناجمة عشوائيًا ومن أي شخص، دون حتى أن يذكروا اسم المطبعة، أو حتى بتحريف ذلك الاسم، وهو أمر أكثر فداحة، وبلا اسم مؤلف، ويعرضون مثل هذه الكتب للبيع. لذلك يقرر المجمع ويبتّ أنه ابتداء من الآن لن تتم طباعة النص المقدس إلا للنص القديم للڤولجات، وأن يطبع بأكبر قدر من العناية الممكنة، وألا يُسمح لأي شخص بطباعة أي كتاب يتعلق بالشؤون المقدسة بلا اسم مؤلف، وألا يبيعه في المستقبل أو يحتفظ به لديه، إن لم يقم المسؤولون بمراجعتها، وإلا تعرض لعقوبة اللعنة والغرامة التي نص عليها مجمع لاتران. وإذا كان هؤلاء المؤلفون من رجال الإكليروس، فبخلاف هذا الفحص وهذه الموافقة، فهم ملزمون بالحصول على موافقة رؤسائهم الذين يتعين عليهم مراجعة هذه الكتب وفقًا لنظامها. والذين سيقومون بعرض هذه الكتب ونظرها وهي لا تزال مخطوطات قبل حتى أن تتم مراجعتها والموافقة عليها، يقعون تحت نفس طائلة قانون الناشرين. والذين سيمتلكونها أو يقرأونها إن لم يعلنوا عن مؤلفها سيقعون تحت طائلة قانون المؤلفين. وهذه الموافقة على الكتب ستتم كتابةً وعليها أن تتصدر الكتاب أو المخطوط أو تطبع. وكل ذلك، أي الموافقة والفحص سيتم مجانًا حتى تتم الموافقة على ما يجب عليه، ويتم رفت ما يجب رفته.»

«وبخلاف ذلك، ورغبة من المجمع في قمع جرأة الذين يبدّلون ويحرّفون كلام أو أجزاء من النصوص المقدسة لأية أغراض دنيوية أو من باب المزاح أو القصص المختلقة أو عديمة النفع، والتملق والتطاول والخرافات والشعوذة الشيطانية الكافرة والتنجيم أو حتى كتابة أهجية فاضحة، فإن المجلس المقدس يأمر وينص، لإلغاء مثل هذا الإخلال بالوقار ومثل هذا الاحتقار، وألا يتجرأ أحد في المستقبل على استخدام النصوص المقدسة بأي صورة من الصور لهذه الأغراض أو لغيرها. وعلى الأساقفة تطبيق العقوبات القانونية وتلك التي يرونها مناسبة على كل الأشخاص الذين يدنسون ويحرفون كلام الله»، ويا لها من عملية إسقاط بلا حدود.

وقد آثرنا ترجمة هذا القرار الثاني بكامله حتى يرى القارئ إلى أي مدى كانت المؤسسة الكنسية تفرض - ولا تزال - سلطانها بجبروت وتحكم ليس بحاجة إلى تفسير. وأنه من الأفضل الإشارة إلى أهم نقاطه وهي: فرض نص «الڤولجات» كنص أوحد منزّل بما «أن مؤلفه هو الله» وهو نص مُلزم للجميع، وأنه لا يحق لأحد أيًا كان القيام بالتفسير أو بكتابة أي نص ديني مخالف لوجهة نظر الكنيسة والآباء، وعدم

تداول أية كتابات بدون اسم ناشر أو مؤلف وإلا وقع تحت طائلة القانون المنصوص عليه. وتبقى الإشارة هنا إلى أن السبب لإنعقاد هذا المجمع هو التصدي لحركة الإصلاح، خاصة للخمسة وتسعين بندًا التحريفية التي اتهموا الكنيسة الكاثوليكية باقترافها في نصوص العقيدة.

ومن الواضح أن الخلافات العقائدية والمعارك لم تهدأ حتى بهذه القرارات فتم انعقاد مجمع آخر وهو مجمع الفاتيكان الأول سنة ١٨٧٠، والذي قرر في دورته الثالثة المنعقدة في ٢٨ أبريل، بعنوان: «القانون العقائدي للإيمان الكاثوليكي.. الله الابن» حيث نص في الفصل الثاني الخاص بالتنزيل، على كل ما تم فرضه في مجمع ترانت: «إن هذه الكتب للعهد القديم والعهد الجديد وفقًا لما تم إقرارها في المجمع وكما نجدها في الطبعة اللاتينية القديمة «للڤوجات» يجب أن تُقبل بكاملها، على أنها مقدسة، وشرعية، في جميع أجزائها. والكنيسة تعتبرها كذلك لا لأنها من تأليف عمل إنسان واحد، وأنه قد تم اعتمادها فيما بعد فحسب، ولا لأنها تتضمن الوحيّ المنزّل بلا أية أخطاء فحسب، وإنما لأنها كتبت تحت وحيّ مباشر من الروح القدس، وأن الله هو مؤلفها وأنها وصلت الكنيسة بهذا الشكل» (صفحة ١٦٣٩).

وكالمعتاد بعد أي قرار مجمعي تم إعلان: «إذا لم يتقبل أي شخص هذه الكتب المقدسة على أنها نصوص مقدسة وشرعية بكلها وفي جميع أجزائها، مثلما أقرها مجمع ترانت المقدس، أو إذا أنكر أنها موحاة إلهيًا، **فيكون ملعونًا**» (صفحة ١٦٤٧).

ومع تقدم العلوم وبداية تكشف حقائق هذه النصوص، ومع تزايد عدم جدوى تلك القبضة الحديدية التي كانت تطبق على رقاب الأتباع، كان على الكنيسة أن تبدل من تقنياتها القمعية، وفي ١٨٩٣، أعلن البابا ليون الثالث عشر، في خطابه المعنون «تنبوء» الذي خصه أساساً لمشكلة النصوص المقدسة والكتاب المقدس برمته والدراسات الإنجيلية بعامة، كان بمثابة انفتاح - وإن كان محدودًا - على المفاهيم التي يفرضها العصر، ولأول مرة تثار رسميًا مصداقية الأناجيل، وهو ما يمكن أن يطلق عليه الوجه الآخر لمعصوميتها وألوهية وحيها، ودون أن يستخدم عبارة «أنها نصوص أدبية أو نوع من النصوص الأدبية» التي ستقال بعد ذلك بخمسين عامًا، قال: «إن المؤلفين كانوا يتناولون المسائل وفقًا للظروف سواء بأسلوب مجازي أو بالأسلوب الدارج في زمانهم». وعلى الرغم من الالتفاف والمواربة، إلا أنه أرسى قواعد البحث على أنه يتعين على المفسرين أن يجدوا نوعًا من المواءمة بين عقيدة الوحي المنزّل والاكتشافات العصرية، بل

لقد تجرأ ليون الثالث على إعلان «أن الكتاب المقدس لا يقدم أي درس في التاريخ المعاش، وأن تعاليمه تهتم أساسًا بالحقائق أو بالأساليب التي تؤدي إلى خلاص البشر»، مبتعدًا عن عمليات اللعنة والحرمان التي كان يلجأ إليها رفاقه السابقين.

والمجازفة كانت جد كبيرة فالمساس بالأصل الإلهي للكتاب المقدس يعني المساس بالوحي وبنفس أساس العقيدة المسيحية. إلا أن تيار العلم والتقدم الممثل في الحداثة كان أقوى وكاد يأتي على أركان تلك المؤسسة. فقام مكتب عقيدة الإيمان وهو الاسم الأجدد لمحاكم التفتيش بعمل قوائم إدانة لعلماء الحداثة وهذه قضية أخرى.

وبدأ التعصب الأكمه يتراجع بصعوبة أمام الحقائق التي كانت تتزايد يومًا بعد يوم لتدين ألوهية هذه النصوص والكشف عن طبقات صياغتها الزمانية. فقام البابا بندكت الخامس عشر في ١٥ سبتمبر ١٩٢٠، في خطابه المعنون «روح الفراقليط» قائلاً: «إن هذه النصوص قد كتبت بوحي من الله» أي أن الله لم يعد «المؤلف الوحيد لها».

وفي ٣٠ سبتمبر ١٩٤٣، قام البابا بيوس الثاني عشر بمطالبة المفسرين الكنسيين بتحديد «أي نوع من النصوص الأدبية قصده مؤلفو تلك العصور القديمة». وكانت مثل هذه المهمة تتطلب تضافر جهود الموارد التاريخية والأثرية والإنسانية إلى جانب العلوم الأخرى. الأمر الذي أدى إلى ظهور تيارات جد كاسحة لهذه النصوص من رجال الكنيسة.

وفي السابع من ديسمبر ١٩٦٥، كان من ضمن قرارات مجمع الفاتيكان المسكوني الثاني استبعاد عبارة «أن الله هو المؤلف الوحيد» لهذه النصوص، وأن من كتبوها هم المؤلفون الحقيقيون (Veri auctores). وفيما يلي جزء من هذا القرار الصادر عن الدورة الثامنة في ١٩٦٥/١١/١٨ بعنوان «القانون العقائدي حول الوحي الإلهي» ونطالع في الفصل الثالث حول: الإلهام الإلهي للنصوص المقدسة وتفسيرها، البند رقم ١١: «إن الحقائق المنزلة إلهيًا والموجودة في النصوص المقدسة وواردة بها كتابة» قد تم إيداعها تحت نفحات الروح القدس. وبالفعل، إن الكتب بأسرها، العهد القديم والعهد الجديد بكل أجزائها، فإن الكنيسة الأم المقدسة تعتبرها مقدسة وشرعية لأنها كتبت تحت وحي الروح القدس (راجع يوحا ٢٠: ٣١، و٢ تيموثاوس ٣:١٦) وأن الله هو مؤلفها وأنها قد نقلت هكذا إلى الكنيسة شخصيًا. لكن، من أجل تأليف الكتب المقدسة، فقد اختار الله رجالاً ولجأ إلى خدمتهم في أن يستخدم مهاراتهم وقوتهم الذاتية كاملة، بحيث أنه مؤثر فيهم وبهم، قد قاموا بالنقل كتابة كمؤلفين حقيقيين، كل ما أراده هو شخصيًا ولا أي شيء سوى ذلك. ومن هنا، فإن كل ما يؤكده المؤلفون الملهمون يجب أن نأخذه على أنه

مؤكد من الروح القدس، ويجب بالتالي أن نجاهر بأن الكتب المقدسة تعلّم بصرامة وبإخلاص وبلا أي خطأ الحقيقة التي أراد الله أن يضمنها في النصوص المقدسة من أجل خلاصنا. لذلك، فإن «كل نص مقدس هو ملهم من الله ومفيد للتعليم، والرفت، والتصويب، والتربية على العدل حتى يتم اكتمال إنسان الله مزوداً بكل عمل خير».

وتتضمن قرارات هذا «القانون العقائدي» خمسة وعشرين بندًا، والمرء ليصاب بالغثيان من اللعب بالألفاظ والإلتفاف اللزج حتى لا يبدو التراجع تراجعًا ومثل هذا الأسلوب المعتمد على التحايل والالتفاف والمراوغة هو الذي يعتمد على جهل من يقرأه» («**البحث عن الحقيقة**» ١٨٨٥).

أما جوزيف ويليس فيقول في كتابه المعنون: «**هل هذا كلام الله**» صفحة ٢٥٦، تحت عنوان «درس طبخ في النبوءات» (A cooking lesson in profecy): «إذا ما تقدم أحد المحامين مدافعًا عن قضية أمام أي محكمة في أي بلد متحضر في العالم، وتذرّع بهذه البيانات المذكورة، وما سبقها، ويلجأ إلى حيلة تحقيق كسب غير مسبوق لقضيته، بالنصوص التي يعتد بها كتبة الأناجيل، ويكتشف نده هذه الإدعاءات، فلابد من أن يُعفى من مهام مهنته ويوصم بأنه دجّال ونصّاب ويطرد من المهنة التي يكون قد أخل بشرفها ويتعرض للاحتقار من كل شرفاء الجنس البشري. إلا أن كتبة الأناجيل مازالت تحيط بهم هالة على أنهم قديسون ملهمون، يبشرون «بكلمة الله» التي لا تزال تعد أنها «إلهية» مقدسة وتفوح منها وحولها البخور، ويُسمع إليها بانتباه وهم يعلّمون ويخطبون هذه «النبوءات» وتحقيقها إلى أولئك الناس الذين كان من المفترض أن يفكروا فيها، ولم يفكروا فيها أو يبحثوها بنفسهم أو يبحثوا عن أصل عجائب إيمانهم هذا. ولا يسعني إلا أن أردد مع يوحنا في جزيرة باتموس قائلاً: إنني حاولت: «وجرّبت القائلين أنهم رسل، وليسوا رسلا، فوجدتهم كاذبين» (رؤيا يوحنا ٢:٢).

ذلك هو ما يختتم به أحد كبار رجال القضاء والقانون بأمريكا، الفصل الثالث عشر من كتابه المعنون: «**هل هذا كلام الله؟**» والفصل كله يتناول فيه تفنيد كل النبوءات الواردة بالأناجيل، ويضاهي النصوص المأخوذة عنها من العهد القديم، مشيرًا في أحيان كثيرة إلى كيفية استخدام هؤلاء الكتبة لجزء من الآية – وهو ما يخلّ بمعناها بعيدًا عن إطارها العام، أو استخدام آيات نصها الأصلي بصيغة الماضي، أي أن النبوءة قد تمت وتحققت في الماضي، وأن الاستشهاد بها للحاضر أو للمستقبل يمثل غشاً لا ريب فيه وتلاعبًا بالألفاظ.

لذلك يؤكد في نهاية نفس هذا الكتاب قائلاً: «الكتاب المقدس ليس «كلام الله» الملهم المعصوم من الخطأ، أنه سجل إنساني عن الإنسان المجهد الخطّاء، وسعيه خلف المجهول في صورة إله – إنسان، ملحًا في تحقيقه في حياة الإنسان، ولا علاقة له بالدنيا الآخرة غير المعروفة.

«وما يخرج به المرء من الكتاب المقدس أنه كتاب بشري بحت، ولا أخلاقي بصورة مرعبة، كاذب وغير صحيح، قاسٍ شديد الإيذاء في معظم أجزائه، ويحط من شأن البشرية الشاسع ككنز حقيقي لا «كتدفقات الله عبر موسى»، وإنما كتدفقات الإنسان في تقدمه الأخلاقي وسعيه إلى العدل والتقوى والصلاح. إنه كتاب مفعم بمخاطر الخرافات البدائية، اختلقه القساوسة ومراتب الكهنوتية المختلفة، من أساطيرها الفجة القاسية، ونظام لاهوتها الفاسد، من أجل السيطرة على عقول الناس وأرواحها، بمكائد رهبانية مكوّنة من المتاجرة بالنفوذ والتعظم، ومن التحكم والخراب. ومن سوء حظ البشرية أن كل هذا صحيح، بكل أسف، وهو ما تثبته آلاف من السنين، من التاريخ المعيوب والوقائع المرتجلة التي يثبتها هذا الكتاب. وعندما يصل ما عرضناه في بحثنا إلى كل الناس ويتدبرونه، فإن الخسارة ستنتهي إلى الأبد، إذ عند معرفتهم حقيقة ذلك الكتاب المقدس سيتحررون من سيطرة الأخطاء الواردة، وينتهي عصر القساوسة واحتلالهم، ينتهي كما انتهت الأشباح السابقة..» (صفحة ٤٢٦).

وقبل أن ننهي هذا الجزء عن الأناجيل وصياغتها نود الإشارة إلى أي مدى وصل التناقض لا بين نصوص ذلك الكتاب وبعضها فحسب، وإنما بين رجال تلك المؤسسة ونفس هذه النصوص التي صاغوها وفرضوها عبر الزمان. ففي أول يوليو ١٩٦٨ أصدر البابا بولس السادس رسالته المعنونة: «عقيدة شعب الله»، وذلك بمناسبة الاحتفال بانتهاء «عام الإيمان»، وراح يعيد فيه تأكيد النقاط الأساسية لعقيدة الكنيسة، وهي العقائد التي يتعين على المسيحي الإيمان بها من أجل خلاصه. وفي هذا البيان لعقيدة شعب الله يقول البابا بولس السادس عن يسوع المسيح: «أنه قد كُفن ودُفن، **وبمطلق سلطانه الذاتي**، قد بُعث في اليوم الثالث، وقد رفعنا ببعثه إلى تلك المشاركة للحياة الإلهية التي هي حياة العفو».

وهنا لابد من وقفة نتناول فيها عبارة البابا بولس السادس، الصادرة عنه رسميًا وفي وثيقة رسمية معلنة ومنشورة وملزمة للأتباع، وذلك في القرن العشرين، وفي سنة ١٩٦٨ تحديدًا، وهي عبارة أن يسوع قد بعث من الموت «بمطلق سلطانه الذاتي» وهو ما

يتناقض مع ما تقوله نصوص الأناجيل، فالمرء لابد وأن يتساءل أيهما يصدّق؟ سيادة البابا أم النصوص التي يفرضها على أنها إلهية منزّلة وأن «الله هو مؤلفها الوحيد»؟!

ونطالع في أعمال الرسل قول بطرس: «...**يسوع الناصري رجل** قد تبرهن لكم من قبل الله.. هذا أخذتموه مسلّمًا بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي آثمة صلبتموه وقتلتموه. الذي **أقامه الله** ناقضًا أوجاع الموت...» (٢:٢٢-٢٤).

ويواصل بطرس في نفس الإصحاح قائلاً: «فيسوع هذا **أقامه الله** ونحن جميعًا شهود لذلك» (آية ٣٢). وفي الإصحاح الرابع نطالع: «فليكن معلومًا عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم الذي أقامه الله من الأموات» (آية ١٠). وفي الإصحاح الخامس من نفس أعمال الرسل نطالع: «**إله آبائنا أقام يسوع** الذي أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة» (آية ٣٠) وفي الإصحاح العاشر: «ونحن شهود بكل ما فعل في كورة اليهودية وفي أورشليم الذي أيضًا قتلوه معلقين إياه على خشبة. هذا **أقامه الله** في اليوم الثالث وأعطى أن يصير ظاهرًا» (٣٩-٤٠).

أما بولس فيقول أمام يهود انطاقيا: «ولما تمموا كل ما كتب عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر ولكن **الله أقامه** من الأموات» (أعمال الرسل ١٣:٢٩-٢٠). ويكرر بولس بعد آيتين قائلاً: «إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم **إذ أقام يسوع** كما هو مكتوب..» (٣٢-٣٣) ويواصل بولس في الآية ٣٧ قائلاً: «وأما الذي **أقامه الله** فلم يرى فسادًا».

وعندما ذهب بولس إلى أثينا ووقف يخطب بين الإثينيين قال: «لأنه أقام يومًا هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدمًا للجميع إيمانًا **إذ أقامه من الأموات**» (أعمال الرسل ١٧:٣١).

وفي رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يقول بولس، مؤسس المسيحية: «**والله قد أقام الرب** وسيقيمنا نحن أيضًا بقوته» (٦:١٦). وفي رسالته الثانية لهم يقول: «عالمين **أن الذي أقام الرب يسوع** سيقيمنا نحن أيضًا بيسوع ويحضرنا معكم» (٤:١٤).

ولم نضرب هذا المثال أو لم نتناول هذه النقطة تحديدًا إلا لنوضح بالنصوص كيف يمكن التغيير والتلاعب، فبالنسبة للحواريين، أن يسوع الناصري ليس إلا «رجلاً» قد أطاع ربه حتى الموت وأن الله قد أقامه. ومن المؤكد أن هذه العبارة واردة في آيات أكثر بكثير مما أوردنا. فكيف يقول البابا بولس السادس إن الله هو الذي مات وأنه قد بعث «بمطلق سلطانه الذاتي»؟!..

ومن ناحية أخرى يقول أهل اللاهوت في تعريفهم الله بأنه «الكائن الذي جوهره هو أن يوجد» ومن البديهي أنه إذا ما فقد هذا الوجود ومات فيصبح لا شيء فكيف يمكن لكائن لم يعد شيئًا أن يبعث نفسه بمطلق سلطانه الذاتي أو بمحض إرادته التي تكون قد تلاشت بموته؟!

حول ألوهية يسوع:

في السبعينيات من القرن العشرين، وفي سنة ١٩٧٧ تحديدًا اهتز الغرب المسيحي لظهور كتاب طبع في انجلترا بعنوان: «**أسطورة تجسد الله**»؟! ويدين هذا الكتاب وجهة النظر المسيحية التقليدية الخاصة بتأليه يسوع. والغريب، اللافت للنظر، أن هذا الكتاب لم يكتبه واحد من أتباع أي ديانة أخرى أو أحد الكنسيين الهامشيين، وإنما سبعة من كبار علماء اللاهوت في بريطانيا، منهم ستة إنجليكان والسابع أستاذ علم اللاهوت في برمنهجام، وقد عاون هذه المجموعة في عملها أستاذ اللاهوت في كلية كنيسة يسوع في أوكسفورد وشغل منصب رئيس اللجنة العقائدية البريطانية.

والمشاركون في هذا الكتاب هم: دون كوبيت (Don Cupitt) عميد كلية لاهوت عمانويل في كمبريدج، ومايكل جولدر (M.Goulder) أستاذ علم اللاهوت بقسم الدراسات الخارجية جامعة برمنجهام، وچون هيك (J.Hick) أستاذ علم اللاهوت في جامعة برمنجهام. وليسلي هولدن (Leslie Houlden) أستاذ بكلية ريپون في كادستون، ودنيس ناينهام (Denis Nineham) في كلية كيبل بأكسفورد. وموريس وايلز (M.Wiles) أستاذ الألوهية والقانون الكنسي في أكسفورد ورئيس لجنة العقيدة في كنيسة انجلترا، وفرانسس يونج (F.Young) متخصصه في دراسات العهد الجديد بجامعة برمنجهام.

وما يكشف عنه هؤلاء العلماء أن المعطيات الواردة عن يسوع في العهد الجديد على أنه ابن الله هي خيالية أو شاعرية المنبت ولا يجب بأي حال من الأحوال أن تؤخذ حرفيًا. وأن يسوع لم يزعم أبدًا أنه ذو طبيعة إلهية. وأن فكرة تأليهه قد تمت صياغتها في القرن الأول للمسيحية تحت تأثير من الأفكار الوثنية. وأن يسوع لم يقم أبدًا بتعليم نظرية الثالوث أو أنه ابن الله المرسل إلى الأرض ليفدي أخطاء الإنسانية بموته .كما يجمعون على أن يسوع لم يكن مسيحيًا. ولاشك في أن مثل هذه الحقائق قد أحدثت صدمة عنيفة لدى كثير من الأتباع الذين يعبدون يسوع منذ طفولتهم، على أنه الله! (ص ٩-١٠ من المقدمة).

ومن أهم النقاط التي يتناولها البحث الأول وهو بعنوان: «المسيحية بلا تجسد» ثلاث نقاط لها ما يماثلها في العديد من الديانات السابقة، وهي الافخارستيا، وتجسد الإله، والحمل العذري – إضافة إلى عدم مصداقية الأناجيل أو معصوميتها من الخطأ. ومما يوضحه موريس وايلز في هذا البحث أن هذه الموضوعات ليست واردة في الأناجيل، خاصة فكرة التجسد، التي يؤكد أنها بُنيت بحيث تبدو وكأنها واردة بها. أما فرانسس يونج فتوضح كيفية نسج ما أصبح يسمى «بعبادة يسوع» (Christology) التي طغت تدريجيًا في الكنيسة، أو بفضل تحايلها، على عبادة الله، مشيرتاً إلى كيفية تدرج استخدام الألقاب التي أضيفت على يسوع وكيف أنها كانت مستخدمة في ديانات وثنية وغيرها بمعانٍ أخرى.

أما مايكل جولدر فيبدأ بحثه بنكتة يقول فيها: «منذ عدة سنوات، سألني أستاذ الفلسفة بالكلية التي أعمل بها، وهو يحب مداعبة علماء اللاهوت، قائلاً: هل سمعت عن البابا الذي قال له أحد الكرادلة أنه قد تم العثور على رفات يسوع في فلسطين. وأن كل علماء الآثار الكاثوليك قد أيّدوا الكشف بلا أدنى شك؟! فقال البابا: آه.. ماذا نحن فاعلون الآن؟ فأجابه الكردينال قائلاً: مازال أمامنا أمل واحد: يوجد عالم لاهوت بروتستانتي يعيش في أمريكا اسمه تيللش (Tillich)، لماذا لا تتصل به هاتفيًا؟ وتم الاتصال وشرح الموقف، وبعد فترة صمت طويلة، قال الصوت بعدها: أتعني قول أنه عاش فعلاً؟!» (You mean to say he really existed?) (صفحة ٤٨). وأهم النقاط التي تناولها هي بدعة الثالوث «وأن يسوع، من المؤكد، أنه لم يفكر أبداً في أنه الأقنوم الثاني من الثالوث» (صفحة ٤٩).

وفي البحث الثاني الذي ساهم به في نفس هذا الكتاب، والذي يتحدث فيه عن جذور أسطورة المسيحية، يتحدث عن شخص اسمه سمعان، أيام كلوديوس قيصر، يعيش في روما ويقوم بأعمال سحرية بارعة وكان الأهالي يعتبرونه إلهًا، ويتعبدون إليه، (صفحة ٧٢)، بينما تتناول فرانسس يونج العديد من الشخصيات التي كانت تقوم بمعجزات مماثلة لما قام بها يسوع، خاصة أبوللونيوس الطواني. وهي مجموعة تتناثر على فترة ٩٠٠ عام من أفلاطون وميلاده العذري – كما يقال، إلى القديس أغسطين. موضحًا أنه أيام الإسكندر الأكبر كان الملوك والأباطرة يبجلون كالآلهة وينظر إليهم كآلهة متجسدة، ويعتبرون أنفسهم الإله زيوس ويصكّون ذلك على عملاتهم. وكانت تماثيلهم تقام في المعابد بجوار تماثيل الآلهة. وهو ما نراه أيضًا في آثار مصر القديمة التي نهلت منها الحضارة اليونانية والرومانية العديد من الطقوس التي انتقلت بعد ذلك إلى المسيحية.

ويبدأ چون هيك بحثه المعنون: «يسوع وعالم الديانات» قائلاً: «إذا ما بدأنا من حيث نحن، كمسيحيين في يومنا هذا، فإننا نبدأ وسط الخلط وعدم التأكد الذي يحاصرنا حينما نحاول التحدث عن يسوع، ذلك الشخص التاريخي الذي عاش في الجليل في الثلث الأول من القرن الأول للعصر المسيحي. فلقد أوضح علماء العهد الجديد في دراساتهم إلى أي مدى المعلومات التي لدينا مجزأة ومبهمة كلما حاولنا النظر إلى الوراء تسعة عشر قرنًا ونصف القرن، وفي نفس الوقت نرى فيه مدى اتساع الخيال وتضاربه وتأثيره على «تصورنا» عن يسوع» (صفحة ١٦٧). ثم يسهب في عمل مقارنة بينه وبين بوذا والنقاط المتطابقة بينهما. وكلها أبحاث توضح كيف نسجت أسطورة تجسد الله المأخوذة عن أساطير سابقة.

وفي نفس الخط تقريبًا نطالع كتاب توم هارپر (Tom Harpur) وعنوانه: «**المسيح الوثني**» الصادر سنة ٢٠٠٤، والمؤلف قس انجليكاني وأستاذ للغة اليونانية والعهد الجديد في جامعة تورنتو بكندا، ونطالع في تقديم الكتاب: «قبل مجيء يسوع المسيح بكثير كان المصريون القدماء وشعوب أخرى يؤمنون بمجيء مسيح، وميلاد عذري، وعذراء وطفلها، وتجسد الروح في الجسد. وبعدما تقبّلت الكنيسة المسيحية الأولى هذه الحقائق القديمة كأساس للمسيحية، تنصلت من أصولها. فما بدأ على أنه نظام معتقد عالمي، مبني على الأساطير والخرافات المجازية، تحول فيما بين القرنين الثالث والرابع الميلاديين إلى مؤسسة طقسية قائمة على التعريف الحرفي للأساطير والرموز».

وفي الفصل الذي يتناول فيه كيفية اكتشافه لعالم الأساطير القديمة يوضح توم هارپر «أن المسيحية أبعد ما تكون عن أنها إسهامة أصلية أو جديدة في عالم الديانات، فقد تحولت في القرون الأولى إلى مجرد نقل للأفكار السائدة. وسوف أوضح بالوثائق كيف أنه لا يوجد أي شيء مما قاله أو فعله يسوع الأناجيل بدأ من موعظة الجبل إلى معجزاته، أو منذ هروبه من مذبحة هيرود إلى بعثه، إلاّ وله أصل موجود في الديانة المصرية القديمة أو في كتبها الطقسية مثل كتاب الموتى.»

«كل شيء بالفعل، منذ النجمة، الساطعة في الشرق إلى سير يسوع على سطح الماء، من إعلان الملائكة عن مجيئه إلى فكرة ذبح هيرود للأطفال، من إغرائه في الصحراء إلى تغييره الماء إلى نبيذ، كل هذا كان موجوداً في الأصول المصرية القديمة. فمصر وشعبها قد انحنى إجلالاً أمام تمثال العذراء إيزيس والطفل حورس، لعدة قرون قبل مريم المزعومة تاريخيًا واحتضانها يسوع المفترض تاريخيًا (...) فمنذ أن تمت ترجمة

كتاب الموتى، ونصوص الأهرامات، و«الآمدوات» وكتاب تحوت، أصبحت هناك أدلة قاطعة على أنه ما من عقيدة واحدة، أو طقس أو مذهب أو أي عرف كان في المسيحية إلا وكانت إعادة جديدة لما كان سائداً في عالم الديانات. وقد كان الدكتور آلڤن بويدكوهن (Alvin Boyd Kuhn) على حق حينما قال بإيجاز بليغ إن المذهب المسيحي هو ببساطة تشويه وترقيع للديانة المصرية القديمة. قد يبدو هذا القول شديد الحدة، إلا أن قراءة أعماله تكشف جبالاً من الحقائق التي أعادها إلى السطح» (صفحة ١٠-١١).

وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب، «**المسيح الوثني**» يبدأ بعنوان: «حورس ويسوع هما نفس الشيء» حيث يقول: «وقد وصلنا الآن إلى أكثر الأجزاء حرجًا في البحث وهو التأكيد الشديد الوضوح من أن قصة يسوع كما تبدو من الأناجيل في العهد الجديد، ليست بجديدة أو أصلية. وقد أوضح الباحث جيرالدماسي (G.Massey) مائة وثمانين نقطة تشابه شديد بين حورس ويسوع الأناجيل» (صفحة ٧٦).

ثم يقول القس توم هارپر في آخر فقرة من كتابه: «آخر ما أقوله كخاتمة لهذه الدراسة هو يقيني من أن المسيحية قد اتخذت منحى مأساوي في أواخر القرن الثالث ومطلع الرابع، وقد حان الوقت لتغيير الوضع. فهناك قصة أفضل لابد وأن تأخذ مكانها! ليت المسيح في كل واحد منا يمنحنا الشجاعة لنرى ونعيش الحقيقة» (صفحة ١٩٦).

الإفخارستيا:

تمثل الإفخارستيا واحداً من الأركان الأساسية للعقيدة المسيحية وواحدًا من أسرارها السبعة، إن لم يكن من أهمها، إذ أنها تمثل التحام الأتباع التحامًا فعليًا بالمسيح بأكل لحمه وشرب دمه ليحصل على الخلاص.

إلا أن الباحث روبرت ڤان آشي (R.van Asshe) يبدأ بحثه عن «الإله ميثرا والإفخارستيا المسيحية» بعنوان فرعي يقول: «من لم يأكل جسمي ولم يشرب دمي بحيث يمتزج بي وامتزج به فلن يحصل على الخلاص». ثم يكتب تحت هذه العبارة: «الكلمات الطقسية في عبادة ميثرا».

وترجع الآثار الأولى لديانة ميثرا إلى حوالي أربعة عشر قرنًا قبل الميلاد، في معاهدة الصداقة الموقعة بين الحيثيين والميتانيين. وقد انتشرت هذه العقيدة من إيران إلى كل منطقة آسيا الصغرى، وتحولت مدينة طرسوس إلى واحد من أهم مراكز نشر المثراوية.

ثم جعلها الهلليينيون عبادة ذات أسرار وأصبحت قاصرة على نخبة يتم اختيارها بعناية فائقة بعد اجتياز محن واختبارات قاسية. وتتضمن هذه العبادة سبعة أسرار منها، أو من أهمها: التعميد، وسر المريون، والعشاء السرّي.. وفكرة العشاء السري هذه ناجمة عن عملية إحلال أو تبديل للضحية، فالمفروض فيها ذبح ثور.. ومع ارتفاع ثمنه وصعوبة تنفيذ هذا الطقس، جعلوا الخبز والنبيذ بدلاً عنه. وهو تقليد يعتمد على أن يشرب الراهب بضعة نقاط من دم الضحية التي يمتزج بالإله - وهو ما كان سائدًا أيام هيرودت.

ويوضح ڤان آشي أن الكنيسة قد أعادت شرح عملية تحول الخبز والنبيذ إلى لحم ودم المسيح أثناء عملية تقديسهما في القداس، استنادًا إلى الفلسفة القديمة القائلة بأن الإنسان مكوّن من جوهر ومظهر ووجود. وفي سر عملية التحول فإن الخبز والنبيذ لا يتغيرا شكلاً وإنما يتغيرا في الجوهر بحيث لا يصبح الخبز خبزًا ولا النبيذ نبيذًا وإنما لحم ودم المسيح فعلاً، مع التأكيد على أنه ليس رمزًا وإنما حقيقة فعلية لابد من الإيمان بها إيمانًا صارمًا.

ويوضح المؤلف كيف «استشرى المسيحيون في هدم كل النصوص المتعلقة بخصمهم الكبير الذي استقوا منه هذا الطقس، كما تم هدم كل الآثار الدالة على وجود عبادة ميثرا في إيطاليا».

وفي واقع الأمر، لم تكن فكرة أكل لحم الإله وشرب دمه قاصرة على الإله ميثرا وحده، وإنما نجدها في العبادات السرية الخاصة بالإله ديونزيوس، حيث كان المفترض أكل قطعة من لحم الثور أو الماعز نيئًا. وكان يتم شرب دم الإله في عبادة أتيس في المنطقة الغربية لآسيا الصغرى.

واللافت للنظر أن هذا الطقس الذي تم غرسه في الأناجيل، أي فيما يفترض بأنه في قلب اليهود، فهو يتنافى تمامًا. بل يتنافى إلى درجة المستحيل مع الشرع اليهودي الذي يحرّم شرب الدم تحريمًا قاطعًا، لذلك يرى العديد من الباحثين أنه لا يمكن تصور هذا الطقس في وسط يهود فلسطين الذين لا ينفرون فحسب من شرب الدم لتحريمه شرعًا، وإنما لمعرفتهم أيضًا أنه من الطقوس الوثنية.

ونطالع في «القاموس النقدي للاهوت» أنه «منذ القرن الثاني بدأت تظهر المعطيات الأساسية للاحتفال بالإفخارستيا الذي يتم يوم الأحد ويجمع بين الأسقف والاتباع. وقد انفصل بذلك عن مفهوم «عشاء المحبة» السائد عند اليهود. ومثلما تم تكوين نصوص

العهد الجديد في القرن الثاني، فقد تم في نفس الفترة أو بعد ذلك بقليل عمل مجمل التفاصيل الخاصة بالممارسات الطقسية والتي يرجع أساسها إلى الأب هيپوليت الروماني في الثلث الأول من القرن الثالث. وهو النص الذي يعد بمثابة الشاهد على التراث الواصل من الحواريين» (صفحة ٤٣١).

ونفهم من هذا النص أن عقيدة الإفخارستيا لم يستتب لها الأمر في العقود الأولى، التي تعدت القرنين، في محاولات فرض ونفور متتالية إذ نطالع في إنجيل يوحنا ما يؤكد هذا النفور العام من فكرة أكل لحم المسيح وشرب دمه، حينما يرد اليهود باندهاش وخاصموا بعضهم بعضاً قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكله» (٦:٥٢)؟!

«فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه. كما أرسلني الآب الحيّ وأنا حيٌّ بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي» (٥٣-٥٧). وكل ما استطاع تلاميذه أن يقولوه حول هذا الكلام الصعب هو «من يقدر أن يسمعه»؟!.

أي أن السمع، مجرد سمع مثل هذه العبارات كان غير محتمل لليهود الذين «تذمروا» - وفقاً لإنجيل يوحنا. ثم نطالع أنه «من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه» (آية ٦٦) وقد حدث هذا التراجع وهذا الابتعاد والتذمر منذ أيام يسوع وفي مواجهته فما بالنا بعد انتقاله بأجيال وأجيال..

ويقول جيزافرمس (Geza Vermés): «في المجتمع الشديد التعلق بتحريم الدم الذي عاش فيه يسوع، فإن مجرد فكرة شرب دم إنسان لجعلت أي شخص يسمعها يشعر بالغثيان، وأياً كان الأمر، فحتى المسيحيين القادمين من الوثنية فقد سمح لهم بالامتناع عن شرب الدم» (تحقيق حول شخصية يسوع، صفحة ٢٦). ثم يستشهد المؤلف بما قاله يعقوب شقيق يسوع ورئيس الكنيسة الأولى حينما حدد قائلاً: «لذلك أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم. بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم» (اع ١٥:١٩).

ويقول ميشيل كوكيه (M.Coquet): «إن الإصرار على فرض فكرة أن الإفخارستيا تتحول فعلاً إلى دم ولحم المسيح كانت من أهم المصاعب التي واجهت المبشرين الجدد في الهند. إذ أن الهنود الذين تم تبشيرهم حديثاً كانوا يرفضونها ويتهمون المسيحيين بأنهم أكلة لحوم بشر» (**إزالة الوهم عن حياة يسوع**، صفحة ٣٢١).

وتواصلت المعارك والخلافات منذ أيام يسوع، كما يوضحه إنجيل يوحنا، حتى يومنا هذا، في إصرار غريب من جانب المؤسسة الكنسية لفرض فكرة التحول الحقيقي والفعلي للخبز والنبيذ إلى لحم ودم المسيح. وتفاوتت هذه المعارك والخلافات على مر العصور بين كل الكنائس المختلفة المشرب. ومنها ذلك الخلاف الذي وقع في أرض الفرنج في القرن التاسع، في أول صراع لاهوتي علني بين رسكاز رادبير (Raschase Radbert) والراهب الأغسطيني راترامّ (Ratramm)، وذلك الصراع الواسع الأصداء الذي وقع في القرن الحادي عشر الذي تزعمه العالم بيرانچيه دي تور (١٩٩٩ - ١٠٨٨) (Béranger de Tours)، وهو من رجال الدين الذين أثاوا الزوابع بمحاولته التصدي لما تفرضه الكنيسة وإصرارها على تحول الخبز والنبيذ تحولاً فعليًا، قائلاً إن وجود المسيح هو وجود رمزي فقط، مرجحًا كفّة العقل على كفة اللاهوت.

فقام البابا ليون التاسع بحرمانه في سينودس روما في مطلع عام ١٠٥٠، وتلاقفته المجامع في محاولات متتالية لقمع إصراره الصارم، ووصل عددها إلى أربعة عشر مجمعًا انتهت بقيام الملك هنري الأول بالحكم بسجنه. إلا أن الخلاف الشديد والمنطقي الذي أوجده بيرانچيه بكتاباته ومناقشاته قد فتح الباب لدخول تيار العقلانية والمنطق ليواجه المؤسسة الكنسية بعد أن ظلت تفرض التعتيم لأكثر من ألف عام. وفي سينودس ١٠٩٠ أجبره البابا جريجوار السابع على التنكر لأعماله - وبذلك انضم اسم بيرانچيه إلى تلك القائمة التي ضمت أسماء العديد من العلماء والمفكرين ومنهم جاليليو وغيره.

وتفاوتت حدة الصراعات الرافضة للإفخارستيا بالمعنى الكنسي، ومنها ذلك العدد من المفكرين اللاهوتيين الذين أدى موقفهم إلى انشقاق الكنيسة وابتعاد البروتستانت واستقلالهم. ومن أشهر هؤلاء چان ڤيكليف (Jean Wyclif) الذي أدانه مجمع كونستانس (١٤١٤ - ١٤١٨) لأنه نادى بأن الخبز والنبيذ لا يتبدلان في القربان ولا يتحولان وأن المسيح لا يتواجد فعلاً بلحمه ودمه في القربان. كما قام المجمع بإدانة كل مؤلفاته وأعلن أنه كان من الهراطقة ومات في الهرطقة وأصر على موقفه، لذلك أمر المجمع «بإدانته ولعنه ومحو اسمه من الذاكرة ونبش قبره لإلقاء عظامه بعيدًا عن المدافن الكنسية» (**المجامع المسكونية**، جـ٢ صفحة ٨٥٩).

وإضافة إلى قمع المعترضين بكافة الوسائل، فقد لجأ صانعوا المسيحية إلى العديد من المجالات لمحاولة إقناع الرافضين من الأتباع سواء أكانوا من رجال الدين أو من المدنيين، ومنها محاولة اللجوء إلى علم النفس واستخدام عبارات جديدة. مثال أعمال

ماريون (Marion) في عام ١٩٨٢، أو اللجوء إلى مجال فلسفة اللغة لشرح وتثبيت فكرتها كما نطالع في أعمال لادريير (Ladriére) في عام ١٩٨٤.

وكانت آخر المحاولات المبذولة لتثبيت فكرة أكل لحم المسيح وشرب دمه أكلاً وشربًا فعليًا وحقيقيًا، ذلك العام الذي كرسه البابا الراحل يوحنا بولس الثاني في أكتوبر ٢٠٠٤ والذي انتهى بانعقاد السينودس الذي أقيم من ٢ إلى ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٥، وحضره ٢٥٦ أسقفًا من ١٨ بلدًا حول موضوع: «الإفخارستيا في الحياة والرسالة الحالية للكنيسة»، وترأسه البابا الجديد بنديكت السادس عشر، وقد تم اختيار هذا التاريخ، ٢٣ أكتوبر لإنهاء المؤتمر، ليتفق مع «اليوم العالمي للتبشير» الذي يمثل جانبًا أساسيًا من تلك العقيدة الإفخارستية.

وقد كان مجمع لاتران المنعقد سنة ١٢١٥ من أهم المجامع التي تصدت لكل الرافضين بأن أدخل فكرة الإفخارستيا في نفس نص عقيدة الإيمان لذلك المجمع، إذ تقول هذه الجزئية من النص: «وتوجد كنيسة عالمية واحدة فقط للأتباع وخارجًا عنها لا يمكن لأي شخص أن يُنقذ، ويعد المسيح وفقًا لها هو في آن واحد القس والضحية، وهو الذي يعد جسده ودمه في القربان المقدس للمذبح، وهما موجودان فعلاً في أعراض الخبز والنبيذ، الخبز بكونه قد تحول إلى الجسد والنبيذ إلى الدم بالقدرة الإلهية، لكي يتم سر الاتحاد، ونتلقى نحن منه ما تلقاه هو منا. وبكل تأكيد فإن هذا السر لا يمكن لأحد أن يقوم به إلا القسيس نفسه الذي أمر شرعًا وفقًا لسلطة مفاتيح الكنيسة التي أعطاها يسوع المسيح شخصيًا للحواريين وخلفائهم». (**المجامع المسكونية**، جـ٢ صفحة ٤٩٥).

أما مجمع ترانت الذي انعقد من ١٥١٤ إلى ١٥٦٣، فقد خص دورته الثالثة عشرة المنعقدة في ١١ أكتوبر ١٥٥١، «لشرح العقيدة القديمة والحقيقة حول عقيدة الإيمان والأسرار ولمعالجة كل الهرطقات وكل الخسائر الشديدة الفادحة الأخرى التي تعكر اليوم صفاء كنيسة الله بكل أسف وتقسمها إلى أجزاء متعددة ومختلفة. ويرمي المجمع منذ البداية إلى إقتلاع الأخطاء التالفة من جذورها وكذلك الانقسامات الممقوتة التي بذرها العدو، في زماننا هذا، في عقيدة الإيمان في استخدام وطقس الإفخارستيا، تلك التي تركها لنا منقذنا في كنيسته كرمز لتلك الوحدة وذلك الحب الذي أراده أن يجمع بين المسيحيين فيما بينهم، لذلك فإن نفس هذا المجمع وهو ينقل العقيدة السليمة والأصلية المتعلقة بذلك الطقس المبجل والإلهي الذي هو الإفخارستيا، فإن الكنيسة الكاثوليكية التي علّمها يسوع المسيح شخصيًا كما علمها الحواريون وعلمها الروح

القدس وهو يذكرها يوم بيوم الحقيقة الكاملة، قد حافظت دومًا وسوف تحافظ إلى آخر الدهر عليها، وتمنع أي مسيحي من أنه يتجرأ على الاعتقاد أوتعليم أو قول أي شيء منذ الآن حول الإفخارستيا الشديدة القداسة، يكون مخالفًا لما هو مشروع ومحدد في هذا القرار».

وبعد دراسة امتدت على ثمانية فصول، وكل فصل منها يتناول جزئية معينة لهذه العقيدة، تقول الوثائق في الفصل الأول: «أولاً، أن المجمع المقدس يحيط علمًا ويجاهر علنًا وبلا أية مواربة أنه في الطقس المبجل للإفخارستيا وبعد تكريس الخبز والنبيذ، فإن ربنا يسوع المسيح، الإله الحقيقي والإنسان الحقيقي، يوجد فعلاً وجوهريًا تحت شكل هذه الأشياء الملموسة (...) لذلك فمن الفضيحة الأكثر إهانة أن نرى بعض المشاغبين المنحرفين يقولون إنها وجود خيالي أو رمزي وينكرون بذلك حقيقة لحم المسيح ودمه»، وفي الفصل الثالث نطالع: «أن المسيح موجود بها كلية وبكامله داخل الخبز والنبيذ»، والكنيسة تطلق على هذه العملية «التحول الفعلي الحقيقي»، وبعد هذه الفصول الثمانية أصدرت أحد عشر قرارًا يدين ويحرم ويلعن كل من لا يؤمن إيمانًا قاطعًا بأنه يأكل لحم المسيح أكلاً ويشرب دمه شربًا» (**المجامع المسكونية**، جـ٢ صفحة ١٤١١ وما بعدها).

ومن الواضح أن الإصرار على فرض هذه العقيدة هي عملية تبرير لضرورة وجود طبقة القساوسة، التي هي وحدها تمتلك سر تحويل الخبز والنبيذ «بقدرتهم السرية» إلى لحم ودم المسيح الذي يتعيّن على الأتباع أكله وشربه وإلا لا يحصلون على الخلاص!.

وكانت الإفخارستيا أو القربان المقدس في بادئ الأمر عادة من العادات اليهودية قاصرة على تقاسم المأكل والمشرب في وليمة عيد الفصح للمباركة. وتحولت دلالتها في المسيحية لتعبر عن «العهد الجديد» الذي يمثله «فداء المسيح وتضحيته بدمه وجسمه من أجل مغفرة الخطايا». وتختلف الأناجيل كالمعتاد في توقيت هذا الاحتفال، إذ تضعه الأناجيل المتواترة في اليوم الأول من الفطير، أي عشية عيد الفصح، بينما يقول يوحنا أن يسوع قد ذُبح في اللحظة التي يُذبح فيها خروف الفصح، وبذلك تم العهد الجديد الذي يربط بينه وبين الأتباع بدمه ولحمه ووفاته وبعثه بذبحه بدلاً من الحَمَل.

ويقول إنجيل متى: «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزًا وبارك وكسر وأعطاهم وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي. ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم، وقال لهم هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين» (١٤: ٢٢-٢٤).

ويقول لوقا: «ثم تناول كأسًا وشكر وقال خذوا هذه واقتسموها بينكم لأني أقول لكم إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله، وأخذ خبزًا وشكر وكسّر وأعطاهم قائلاً هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري. وكذلك الكأس أيضًا بعد العشاء قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم» (٢٢: ١٧-٢٠). ومن الواضح من ذكر الكأس مرتين إنها إضافة تمت دون مراعاة اتساق الحديث.

أما يوحنا فقد أغفل هذا الركن الأساسي، وأورد واقعة غسل يسوع لأقدام الحواريين التي لا ترد في أي إنجيل آخر من الأناجيل المتواترة. الأمر الذي يثير عدة تساؤلات أولاً من حيث الإفخارستيا نفسها هل تكون بلحم ودم المسيح أم بغسل الأقدام؟! وأي الحواريين أصدق في قوله؟!.

وبغض الطرف عن أن قصة العشاء الأخير تذخر بالمتناقضات بين الأناجيل الأربعة، فإن الجزئية الخاصة باللحم والدم تتفاوت أيضًا. فإن كان الخبز لدى متى ومرقس يعني «هذا هو جسدي»، فإن لوقا يضيف قائلاً: «هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم» والكلام هنا موجه للحواريين فحسب. أما الدم فيقول متى: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» ونلاحظ هنا أن عبارة «كثيرين» تعني تحديدًا لعدد معين من الناس، وليس «لكافة البشر» كما حرّفها المحرّفون. أما مرقس فقد حذف أو لم يذكر أنها «لمغفرة الخطايا» - وكأن كل واحد منهم يحدد معناها وفقًا لهواه.

أما لوقا فيتحدث عن دورتين لشرب الكأس، وفي المرة الثانية يقول: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم» والكلام أساسًا يدور بين يسوع والحواريين، وطوال هذا الإصحاح تحديدًا الكلام موجه لهم، للحواريين، وذلك يعني أن هذا العهد الجديد وهذا الدم الذي يسفك، يسفك من أجل الحواريين فقط، وليس من أجل «كثيرين» ومن باب أولى ليس من أجل البشرية - كما يزعمون لتنصير العالم - وذلك إن كان يسوع قد قاله حقًا، إذ أن العديد من العلماء حاليًا يرون أنها عبارات «وُضعت على لسان يسوع» والدليل على هذه الإضافات تلك الجملة المبتورة الأولى والواردة في فقرة لوقا، ومنهم العالم الفرنسي شارل جينيبير (Charles Guignebert) وكتابه عن «**يسوع**».

فوفقًا لما تقوله الأناجيل، فإن يسوع قد قال بعض العبارات استقى منها واضعو العقائد استنتاجات شديدة الأهمية، إذ أنهم لم يروا بها تأسيسًا لعقيدة الإفخارستيا

فحسب، وإنما استقوا منها تبريرًا لعقيدة الفداء بالتحوّل الحقيقي للخبز والنبيذ إلى لحم ودم المسيح ووجوده الفعلي بهما.

وأول ما يلاحظه شارل جينيوبير هو أن يسوع لم يكن يعلم أن ذلك العشاء هو العشاء الأخير في حياته. وأن نص لوقا، كما هو وارد فيما يعرف بالأصول القديمة، يقف عند «هذا جسدي». أي أنه لا يوجد به ذكر الكأس الثاني ولا الإشارة إلى العهد الجديد الممثل في الدم (صفحة ٤٥٥). بل إن ترتيب الآيات به يختلف. لذلك يؤكد «أن كل النصوص التراثية القديمة لإنجيل لوقا ليست مؤكدة وأن المسيحيين القدامى الذين رتبوا هذه النصوص لأغراضهم الشخصية لم يتصوروا أنه نص مقدس، وأنه ببساطة يكمّل مرقس ومتى (...) وأن هذا العشاء يعتمد على تقاسم الخبز كتقليد يهودي ولا يوجد به أصلاً أي ذكر لكأس ولا لأي كلمة يشتم منها أية علاقة لهذا الطقس مع شخص أوحتى ذكرى يسوع» (صفحات ٤٥- ٤٥٧) أي أنها مجرد تقليد يهودي يشير إلى الأخوة في تقاسم الطعام لا أكثر ولا أقل.

لذلك نراه يؤكد أنه «لا يوجد أي سبب يجعلنا نرى أن العشاء الأخير يمثل أمرًا من يسوع أو أنه يرمز لوفاة الرب ولا أنه يقيم بين الندماء أية مشاركة مع الرب من خلال لحمه ودمه» (صفحة ٤٥٧). ثم يستشهد جينيوبير بالديدكة (Didachée) التي تعد بمثابة دليل بالنسبة للطقوس المسيحية فيقول: «لا توجد أي كلمة عن أن يسوع قد أقام تقليداً ولا أية علاقة أقيمت بين الطقس والجسد والدم والوفاة أو شخص يسوع».

ويجمع العديد من العلماء اليوم على أن بولس هو الذي بدأ ووضع بدعة الكأس ودم المسيح. فالثابت تاريخيًا أن النصوص التي كتبها أو تلك التي تنسب إليه أقدم بكثير من نصوص الأناجيل، وأن وضعها – في الطباعة – بعد نصوص الأناجيل مقصود منه أن يتشرب الأتباع ما تمت صياغته من الأناجيل من معلومات أولاً. ويقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح، الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح. فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعًا نشترك في الخبز الواحد» (١٠: ١٦-١٧). ومن يطالع باقي الآيات حتى الآية ٢٢ يرى كيف تم التحويل من الوثنية واليهودية إلى مسيحية بولس.

ثم يقول بولس في نفس الرسالة، في الإصحاح الحادي عشر: «لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضًا أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزًا وشكر فكسّر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكرى كذلك الكأس

أيضًا بعدما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يحيى» (٢٣-٢٥) وما بعدها.. فكيف ومتى تسلم ذلك وهو لم ير يسوع؟.

لذلك يؤكد جينيوبير وغيره على أنه «لا يوجد أي شيء، لا يوجد أي شيء مطلقًا يجعلنا نتخيل أن الجيل الأول للأتباع المباشرين قد فسروا وفاة المعلم بهذا الشكل» (صفحة ٤٦٢). فالعهد الجديد بدم المسيح يقطع الصلة تمامًا باليهود وبالعهد القديم - وهو ما يتنافى مع فكر يسوع القائل بأنه لم يأت ليلغي الناموس وإنما ليكمل (متى ٥:١٧). وفي حقيقة الأمر لم يكن يسوع يرمي إلى عمل أي عهد جديد وإنما كان ينتظر ويبشر بملكوت الرب - ذلك الملكوت الذي كان وشيك الحدوث في حياة الجيل الذي كان يخاطبه..

ومن المنطقي أن ثمة تغييراً قد حدث في المجتمع آنذاك، وأن بولس قد استقى فكرة الإفخارستيا من الأوساط الهللينية التي عاش فيها، فهي أشبه ما تكون بعملية إدخال جزء من الوثنية في المسيحية الأولى. فتناول أكل وشرب لحم ودم الإله هي الفكرة السائدة آنذاك والمزدهرة في الديانات ذات الأسرار المنتشرة في العالم الهلليني، ومنها عقيدة الأم الكبرى،وأتيس، وميثرا، وبعل في سوريا، وآلهة مصر القديمة، وكلها تتضمن ولائم مقدسة بها فكرة ارتباط الأتباع بآلهتهم. ومن المؤكد أن بولس كان يعرف هذه الأساطير وعبادات الخلاص، خاصة عبادة أتيس التي يلعب فيها رمز الدم دورًا كبيرًا. بدليل أنه يحذر أهل كورنثوس في رسالته الأولى قائلاً: «إن الوثن شيء أو أن ما ذبح للوثن شيء. بل إن ما يذبحه الأمم فإنما يذبحونه للشياطين لا لله. فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء للشياطين» (١٠: ١٩-٢٠).

فلقد كانت من الأفكار السائدة في الحضارات القديمة أن الدم المشروب الذي تحول بعد ذلك إلى مجرد رش الدم، يمنح الأتباع نفس صفات صاحب الدم. ومن الواضح أن الدم يحتل مساحة بارزة في أقوال بولس ورسائله، علمًا بأن وفاة يسوع، كما يقولون، لم تكن دامية، وإنجيل يوحنا - وهو آخر ما كتب من الأناجيل، هو وحده الذي أضاف ضربة الحربة التي بفتحها جنب المصلوب «قد أسالت دم الإفخارستيا ومياه التعميد»..

ومن المعروف والسائد أيضًا أن كل الآلهة في العبادات ذات الأسرار كان لها شفيعها ومنقذها، وأن الأتباع كانت تحاول أن تتمثل بها لتصل إلى الخلود. وذلك هو ما أضفاه بولس على رسالة يسوع وطقس الإفخارستيا والتعميد.. لذلك يؤكد جينيوبير في كتابه

عن «يسوع» قائلاً: «إن أساس الإفخارستيا يرجع إلى بولس وليس إلى يسوع، وهذا الأساس لا يستند على أي تراث تاريخي وإضفاء عناصرها الأساسية ليسوع يجعلها غير معقولة وغير مقبولة» (صفحة ٤٦٥). فالحقائق الثابتة تؤكد أن هذه النصوص كلها قد كتبت بعد الأحداث وناجمة عنها، «وأن نصوص الأناجيل المتواترة لا تمثل إلا أسطورة عبادية لم يقل بها يسوع». (صفحة ٤٦٧).

وهو ما يراه أيضًا الباحث جي فو (Guy Fau) في كتابه عن «**المسيحية بدون يسوع**» مؤكدًا «أن المسيحية قد استعارت من الديانات ذات الأسرار إقامة الإفخارستيا التي تعود إلى أزمنة بعيدة، وكانت معروفة في عبادة زرادشت وفي العبادة القديمة لأوزيريس (...) وهذه الاستعارة التي قامت بها المسيحية لابد وأنها متأخرة حيث إنها غير واردة في أقوال يسوع الذي من المفترض افتراضًا أنه هو الذي أقامها وباستحواذها على هذا الطقس فإن المسيحية قد أضافت صعوبة إضافية بعقيدة التحول الفعلي والحقيقي للخبز والنبيذ إلى لحم ودم المسيح - ففي العبادات الأخرى كان ذلك مجرد رمز. وعلى العكس من ذلك الرمز، عند وضع عبارة «هذا جسدي والنبيذ هو دمي» على لسان يسوع فإن الكنيسة الرومية تقول إنه تتم عندئذ - في كل مرة يقوم فيها القسيس بالقداس، تتم عملية تغيير كيميائي فعلي لمادة الخبز والنبيذ بحيث إن المؤمن عليه أن يأكل حقيقة لحم المسيح وأن القسيس يشرب دمه حقيقة. ولقد سخر فلوتير طويلاً من هذا العبث كما رفضها البروتستانت واستبعدوها» (صفحة ٢٨).

وقد كان فولتير قد وصف الإفخارستيا بأنها «صفاقة الرهبان، وحماقة العلمانيين» وأن مجرد تصور أكل لحم وشرب دم يسوع ليصيب بالغثيان بل إن هذا الإفراط في البشاعة لا يمكن تقبله ولا تقبل فكرة أن يأكلوا ويشربوا لحم ودم ربهم ثم يستخرجونه ويتبولونه (...) إلا أن تلك البدعة العبثية قد أغنت أحد القساوسة الإيطاليين بدخل عبارة عن عدة ملايين والسيطرة على بلد يمتد مئات الأميال (القاموس الفلسفي، صفحة ٣٧١).

عذرية مريم والحمل العذري:

تمثل عقيدتا «عذرية مريم» و«الحمل العذري» نموذجًا شديد الوضوح لكيفية قيام المؤسسة الكنسية بنسج العقائد واختلاقها عبر المجامع على مر العصور وفرضها على الأتباع.

وأول ما نبدأ بتوضيحه هو أن كل عقيدة منهما تعني شيئًا مختلفًا، إذ أنه يتبادر لكثير من القراء أن عبارة «الحمل العذري» مقصود بها حمل مريم في يسوع وعذريتها، رغم أنها تعرضت لعملية الوضع الطبيعية. وقد يكون ذلك التلاعب في الألفاظ مقصودًا حتى يلتبس الأمر على الأتباع. لكن في المفهوم الكنسي، فإن عقيدة «عذرية مريم» تعني أنها كانت عذراء قبل الحمل وأثناءه وبعده. أما عقيدة «الحمل العذري» فالمقصود بها أن أمها السيدة آن، قد حملت في مريم بلا دنس وبلا تعرضها لعقاب الخطيئة الأولى - تلك الفريضة التي اختلقتها الكنيسة لتبرر بها بدعة صلب المسيح وأنه بهذا الصلب يفتدي الأتباع من تلك الخطيئة ودنسها، وهي قصة أخرى.

وفي مجمل النصوص الإنجيلية، فإن مريم أم يسوع لا تذكر إلا بصورة عرضية ومتباعدة، بحيث إنه من الصعب، إن لم يكن من المحال أن نتبين تلك العناصر التي تسمح بتحديد مريم كشخصية تاريخية، أو تحديد تلك الصورة المنبثقة من الأسطورة، أو حتى تلك الناجمة عن التأمل الديني وأبحاثه المتتالية التصعيد في تبجيلها. وكلها صور فرضتها الكنيسة على مر العصور.

فالرسائل المطوّلة لبولس، وهي أقدم النصوص وليست الأناجيل، تجهل مريم - ربما باستثناء إشارة غير مباشرة في خطابه إلى أهل غلاطية (٤:٤). وإنجيل مرقس لا يذكر شيئًا عن أحداث الميلاد، أما إنجيلا متى ولوقا فهما فقط اللذان يتحدثان عن مولد يسوع. وفيما بين نصوص هذين الإنجيلين فإن الاختلافات والتناقضات شديدة الوضوح لدرجة ينفي كل منهما مصداقية الآخر. أما نصوص يوحنا، سواء أكان الإنجيل أم الرسالة، فهي تبتعد عن النصوص الأخرى تمامًا بعبارة: «يا امرأة» التي يقولها يسوع لأمه!

بل إن مطالعة النصوص الإنجيلية المتعلقة بيسوع وأمه تكشف أنه لا يوجد أي شيء إيجابي منهما سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وما يبدو للقارئ جليًا هو أن علاقة يسوع بأمه علاقة يشوبها الحدة، كما يبدو منها يسوع وكأنه يتعمد التقليل من شأنها أو يتهمها بأنها تعصى كلام الله ولاتعمل به. «ففيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما. أما هو فقال بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه» (لوقا: ١١: ٢٧-٢٨)! أو تلك العبارة الجارحة الواردة في إنجيل يوحنا: «مالي ولك يا امرأة» (٢:٤)، وهو ما معناه ينهرها قائلاً: «ما الذي بيني وبينك يا امرأة» أو ما معناه «ابعدي عني يا امرأة». وكأنه بذلك القول يلغي أية علاقة بها. بل إن نعتها بعبارة «يا امرأة» فهي تحقير لشأنها لا مثيل له في أية نصوص.

وعلى عكس هذه الصورة الناجمة عن الأناجيل المعتمدة، والتي تعكس أن العلاقة بين الأم وابنها كانت علاقة شدّ وتوتر، فإن التراث الكاثوليكي يصورها وكأنهاكانت على وفاق تام، أو على حد قول دومينك سربلو (D.Cerbelaud) أستاذ اللاهوت بجامعة ليون بفرنسا، فإنه يشير إلى: «أن هذه النصوص المنسوجة عبر القرون تعكسها وكأنها ترمز إلى علاقة زواج مثالية، تبدو فيها الأم والابن وكأنهما يمثلان آدم الجديد وحواء الجديدة، أو كأنهما حبيبان من أحبّة نشيد الأناشيد» (**مريم، مشوار عقائدي**، صفحة ١٨٧). كما يوضح أنه ما من أب من آباء هذه الكنيسة يوجد أو يورد أي صلة بين النصوص الإنجيلية والعقائد التي نسجوها. ومن اللافت للنظر أنهم لم يذكروا أبدًا في أي نص من النصوص أن مريم يهودية الأصل أو أنها تنتمي إلى الشعب اليهودي. وأنهم قد بالغوا في تصعيد مقامها لدرجة جعلها البعض الأقنوم الرابع للثالوث (صفحة ٢٧٥)!.

ولعله لذلك يبدأ چاك دوكين (J.Duquesne) كتابه المعنون «مريم» والصادر في يونيو ٢٠٠٤، قائلاً في بداية المقدمة: «أن أكثر النساء شهرة في التاريخ قد انبثقت من ظلمات الليل ومن المجهول، فالأناجيل عرفتنا بها ولا تقول كلمة واحدة عن أهلها ولا عن مولدها بل ولا حتى عن لقائها مع يوسف زوجها» (صفحة ٩).

وذلك على عكس ما نطالعه في نصوص العهد القديم التي كثيرًا ما استوحى منها كتبة العهد الجديد، فهي تتحدث بإسهاب عن العديد من الزوجات، ومن البديهي أنها لا تذكر أسماء أو عائلات زوجات الملك سليمان السبعمائة، ولا محظياته الثلاثمائة، لكن كل النساء الشهيرات في هذه النصوص معروفة الأهل والنسب، إلا مريم، التي تبدو وكأنها امرأة منبثقة من فراغ.. فعلى حد قول چاك دوكين: «إن ذلك هو ما سمح لبعض آباء الكنيسة ثم لزمرة من رجال اللاهوت والمبشرين بأن ينسجوا مقارنات خطرة أحيانًا بينها وبين حواء» (صفحة ١٠).

ويبدو الأمر فعلاً من الأناجيل المعتمدة وكأن مريم لا تعني من كتبوها أو أنها لا تمثل أكثر من تلك التي أتت بيسوع. فكلهم يتحدثون عنه على أنه المسيح، والرب، والمنقذ، والفادي، وابن الله، وابن الإنسان.. أما هي فتقبع في الخلفية، وباستثناء لوقا ومتى فما من أحد في العهد الجديد يتحدث عن أن مريم كانت عذراء وهي حامل في يسوع وظلت عذراء من بعد مولده! والثابت تاريخيًا أن عبارة «عذراء» أصلها خطأ في الترجمة عن العبرية.

وهذا الحصر الشديد الإيجاز لا يسمح بتفسير الأسباب العقائدية التي أدت بالكنيسة الكاثوليكية إلى جعل مريم موضع عبادة أو لإضفاء دور المشاركة في الشفاعة مع يسوع – وهو ما يعد خروجًا على النصوص الإنجيلية والمجمعية التي تنص وتصرّ على أن يسوع هو الوسيط الوحيد الذي بيده الخلاص، إذ يقول بطرس، «بعد أن امتلأ بالروح القدس»: «وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغي أن نخلص» (اع ٤:١٢). كما يقول بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس: «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح» (٢:٥).

ونظرة خاطفة على هذا التطور الغريب لقصة مريم تلقي بالعديد من الاتهامات إلى تلك الأيادي الناسجة للعقائد وفقًا لهواها السياسي واللاهوتي. فالقس ثيموثي الذي عاش في أواخر القرن الرابع ومطلع القرن الخامس هو أول من فكر في تخليد مريم التي لم يتم الاحتفال بعيد صعودها إلى السماء يوم ١٥ أغسطس إلا في القرن السادس. ففي مجمع القسطنطينية الأول قرروا حملها العذري كعقيدة من العقائد الكنسية. وفي عام ٣٩٠ أكد البابا سيريس (Sirice) عذريتها الأبدية قبل وأثناء وبعد الولادة (!؟) وفي عام ٤٣١، وعقب معارك ضارية بين رجال اللاهوت، أعلن مجمع أفسوس أنها «أم الله»!.

ويعكس هذا المجمع المقام في مدينة أفسوس فيما بين ٢٤٨ و٤٣٣، أحداثًا متعددة من الخلط والتعقيد بصورة غير تقليدية من المعارك بين أساقفة الكنائس المختلفة، بحيث تتناول الأبحاث الجديدة عدم شرعية هذا المجمع لأنه عقد اجتماعه قبل أن يكتمل النصاب، وأنه لا توجد في ملفاته أية تفاصيل للمناقشات التي دارت، وإنما تم فرض عقيدة أنها «أم الله» داخل المجمع بلا شرعية وقام المجمع التالي وما بعده بالاستناد إليه وعلى القرارات السابقة وبذلك فهو من ناحية يمثل قرارا بلا سند تاريخي، ومن ناحية أخرى يكشف كيفية التلاعب في المجامع وبالقرارات، وكيف تؤخذ الأباطيل سندًا لقرارات جديدة.

وفي مجمع لاتران في القرن السابع، الذي تم فيه الإعلان عن عذرية مريم الأبدية، تحولت بعد ذلك إلى واحدة من أهم بنود الإيمان الكاثوليكي. ويقول چاك دوكين: «إن هذه العقيدة ومعارضوها على مر التاريخ قد أدت إلى المعارك الدامية أحيانًا، كما أدت إلى أبحاث ودراسات يمكنها أن تملأ مكتبة بأسرها» (مريم، صفحة ٤٧).

وفي الواقع، أن وضع مريم في النصوص الكنسية وفي كل ما خطّه الآباء على مر العصور، تبدو فيه مريم وكأنها حقل ممتد من المعارك اللاهوتية والدينية المتنافسة. بجوار صورتين جد مختلفتين في الرسالتين التوحيديتين الآخريين. فبينما ينعتها اليهود بالزنا مع أحد جنود الرومان، ويتهمون يسوع بذلك بل ويعايرونه قائلين: «إننا لم نولد من زنا» عندما كان يؤنبهم (يوحنا ٤: ٤١).

والغريب أن اليهود لم يعتذروا للآن عن هذا الموقف بل ولا يعترفون بيسوع كماتفرضه الكنيسة، على أنه المسيح الذي يُعلن عن مجيئه العهد القديم. ولا يزالوا متمسكين بموقفهم رغم كل التنازلات التي قدمتها لهم كنيسة الفاتيكان وخروجها بذلك عن أقوال المسيح.. وبالتالي خروجها عن الدين الذي نسجته على مر القرون.

أما القرآن الكريم فيصفها بأنها مَن ﴿**أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**﴾ (**الأنبياء**: ٩١) وبرأها الله عز وجل من هذه التهمة قائلاً ﴿**وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ (**آل عمران**: ٤٢).

وفي القرن التاسع عشر، وتحديدًا في عام ١٨٥٤، تمت صياغة إعلان حمل أمها العذري، أي أن مريم منذ أن حملت فيها أمها كانت محمية من الخطيئة الأولى. وفي عام ١٩٥٠ قام البابا بيوس الثاني عشر برفع صعودها إلى السماء إلى درجة «عقيدة» بقرار بابوي بعنوان: «الإله الفائق الوصف» (Ineffabilis Deus). وهي بدعة لا سابقة لها بمعنى أنها لأول مرة في التاريخ يقوم البابا بصياغة عقيدة خارجًا عن أي مجمع كنسي.

وللحد من شدة الخلافات بين رجال اللاهوت تم الإعلان عن معصومية البابا من الخطأ «بأثر رجعي» لتثبيت عقيدة الحمل بلا دنس لأم مريم، وذلك في عام ١٨٧٠!.

وفي عام ١٩٥٠ قام البابا بيوس الثاني عشر بتحديد عقيدة ثانية متعلقة بمريم، وهي «عقيدة صعود مريم العذراء إلى السماء بجسدها وروحها في المجد الإلهي».. وأول ما يلفت النظر في هذا الصدد هو الغياب التام أو الصمت المطبق لنصوص الأناجيل ونصوص الآباء وكل النصوص الكنسية القديمة حول أية إشارة خاصة حول كيفية انتهاء حياة مريم ولا كيف ماتت أو أين تم دفنها؟! فمن الشاهد على صعودها؟!

ففي النصف الثاني من القرن الخامس كانوا قد تحدثوا عن «رقاد» العذراء بلا صعود. أي أنها لم تمت وإنما «رقدت»(؟!). وفي القرن السادس تحدثوا عن صعودها إلى السماء بلا ذكر لوفاتها. وفي النصف الثاني من نفس ذلك القرن السادس تحدثوا عن صعودها ببعث أو بدون.

ومن الواضح أنه كلما تأزم الموقف صاغت له الأيادي العابثة عقيدة تخرس بها المعارضين وتجبرهم على الإلتزام بها.

وفي عام ١٩٥٠ عندما أعلن بيوس الثاني عشر عن صعودها بالروح والجسد. وما من سبب واحد لكل هذه الترقيات المتدرجة والواضحة التصعيد له أصول أوحتى مجرد أصداء في العهد الجديد. ووصلت المزايدة لدرجة التأليه ثم لدرجة مشاركتها في «خلاص البشر» مثلها مثل يسوع - وهو ما يخالف النصوص بكلها إذ أن المكتوب (فيما كتبوه) هو أن يسوع وحده هو الوسيط. لذلك تتحدث الأبحاث الجديدة عن تلك المبالغة الشديدة في المتخيّل الكاثوليكي أو المسيحي بعامة في إضفاء المزيد من التقييم والإجلال، لدرجة جعلها «أم الكنيسة» رسميًا في ١٩٦٤/١١/٢١، في إحدى جلسات المجمع الفاتيكاني الثاني وقراراته.

ومن المعروف أن المؤسسة الكنيسية كانت تقول سابقًا «إن يسوع قد تزوج الكنيسة» وقال بعض المعترضين وقتها معلنين سبب اعتراضهم أن ذلك يمثل «حالة زنا» لأن المسؤولين كانوا قد أعلنوا قبل ذلك أن مريم هي الكنيسة فكيف يتزوج يسوع بأمه؟!

وقرار مجمع الفاتيكان الثاني بجعله مريم «أم الكنيسة» يعيد نفس السؤال السابق بصيغة أخرى: فهل معنى ذلك أن يسوع قد تزوج بأخته؟ فمريم أصبحت «أم الكنيسة» والكنيسة هي «زوجة يسوع».. ولقد جعلت الكنيسة مريم «أم الله» و«أم يسوع»، وماذا عن الروح القدس؟ هل هو من أم أخرى؟ ربما لذلك تحدث البعض عن جعلها الأقنوم الرابع للثالوث - وياله من خلط طواف.. فقد قرر مجمع الفاتيكان الثاني أن يجعل شفاعة مريم «شفاعة دولية لكافة البشر». وبذلك أدخل هذه العقيدة أيضًا في متاهة تنصير العالم.

ولا يسع المجال هنا لعرض انتقادات كل المعترضين من رجال اللاهوت وغيرهم من المفكرين والباحثين. فالاعتراضات بدأت متواكبة ومن أهم هذه الأسماء الكنسية هلفيديوس (Helvidius) والأسقف بونوز (Bonose) في القرن الرابع. لذلك تصدت الكنيسة بعنف لحقيقة أخوة وأخوات يسوع - رغم ثبوتها في النصوص الأولى، لأنها تهدم مسألة ألوهية يسوع التي ابتدعتها.

وقد قال بلوتارك في كتابه عن «**حياة توما**»، متحدثًا عن الآلهة التي تنجب أبناء من البشر: «إن المصريين القدماء يميزون في هذا الموضوع ما يبدو على أساس من الصحة: إذ يقولون إنه ليس من المحال أن يقترب نَفَسٌ الإله من المرأة ليولد فيها مبادئ

الخصوبة، لكن لا يمكن لبشر أن تكون له علاقة جسدية بأية إلاهة». بينما يشير غيره إلى ما قيل عن مولد أفلاطون العذري أوالإسكندر الأكبر - المشهور بأنه ابن الإله آمون، ونفس الشيء عن مولد بوذا وزرداشت. كما قال المؤرخ سويتون (٦٩-١٢٦) (Suétone) عن مولد قيصر أغسطس في كتابه المعروف باسم «**حياة القياصرة الإثنى عشر**».

لذلك يتحدث العلماء خاصة في القرن العشرين عن أن فكرة عذرية مريم والحمل العذري أو الحمل بلا دنس مأخوذة عن الأساطير والديانات الوثنية. وهو نفس ما كتبه بوضوح الأب أوجين درويرمان (E.Drewerman) في كتابه المعنون: «**من مولد الآلهة إلى مولد يسوع**» الصادر سنة ١٩٩٢. حيث تحدث فيه عن ميلاد العديد من الآلهة من عذارى، ومنهم مولد فرعون، والإله أسكولاب وغيره. وقد بادر الفاتيكان برفته من منصبه وكان ذلك من الفضائح الكبرى آنذاك لما أثاره درويرمان في الصحافة.

وليس الأب درويرمان وحده وإنما عدد أصبح يصعب حصره لأن هذه الفكرة - فكرة العذرية الدائمة أو الحمل العذري، تربط المسيحية بالأساطير القديمة وهو نفس ما يقوله الباحث ج. م موسكيتا (J.M.Moschetta) في كتابه عن «**يسوع ابن يوسف**»، الذي يرى أنه نظرًا للتقدم العلمي وما يطرحه من مشاكل فلابد من التخلي عن فكرة الحمل العذري بغض الطرف عما قدمه التراث المسيحي» (صفحة ١٨٩ - ٢٠٧).

وقد تحدث دومنيك سربلو بإسهاب عن المصاعب الناجمة عن التقدم العلمي بالنسبة للعقائد التي نسجتها الكنيسة وفرضتها على الأتباع. فإذا كانت فكرة الحمل العذري تبدو بالنسبة للقدامى كعمل خارق كالأساطير، فإن تطور علم الأحياء يؤكد استحالة ذلك. فالاكتشافات شبه المتزامنة للهرمون المبيضي الذي قام به العالم دي جراف (De Graaf) سنة ١٦٧٢، واكتشاف الحيوان المنوي الذي قام به العالم فان لوينهوك (Van Leuwenhoek) سنة ١٦٧٧ قد فتحا آفاقًا جديدة لمفهوم عملية التناسل. فقد أثبت العلماء أن لقاء هذين العنصرين يكوّن الشفرة الجينية للجنين وأن الجينوم الخاص به مكون من الكروموزومات الناجمة عن الأبوين بارتباطهما ثانيًا. وبالتالي لا يمكن أن يتم الحمل إذا نقص أحد الأبوين. وهذا هو رأي أنصار التقدم العلمي.

أما الباحث پول لافارج (P.Lafargue) فيقول في بحث بعنوان: «**أسطورة الحمل بلا دنس**» وعنوانه الفرعي: «دراسة مقارنة في علم الأساطير»، المنشورة سنة ١٨٩٦، أنه سيتناول بالدراسة العلمية بمقارنة الأساطير الأسطورة المسيحية للعذراء مريم، أم المسيح.

ويبدأ بول لافرج دراسته بتأكيد أن هذه الأسطورة لا توجد في ديانات أهم شعوب البحر الأبيض المتوسط فحسب، وإنما لدى معظم الشعوب. وبعد تقديم دقيق وعرض لكيفية تكوين الأسطورة اجتماعيًا وتاريخيًا في مختلف الحضارات، مستشهدًا بالمؤرخين القدامى من أمثال هيرودوت وپلوتارك، ينتقل في الفصل الثالث إلى المسيحية قائلاً: «إن الديانة الجديدة التي أصبحت تسمى المسيحية، تكونت بأساطير كل الشعوب المنهزمة والمختلطة أيام السيطرة الرومانية. مستعينة بكل رموزها. ولأن الديانة المسيحية كانت خليطًا مشوّهًا من الأساطير الشائعة آنذاك أمكنها أن تنفذ في شعوب مختلفة.

«ففي القرون الأولى كان من الصعب التمييز بين المسيحيين وأتباع العبادات الأخرى التي امتصت أساطيرها. لذلك كتب الإمبراطور هدريان إلى أحد الحكام التابعين له قائلاً: «في مصر، التي كنت تمتدحها لي، يقال إن من يعبدون الإله سيراپيس هم المسيحيون، وإن الأساقفة المسيحيين مخلصون لسيراپيس. وعند وصول أحد الأباطرة في مصر، قال البعض إنه يعبد سيراپيس، بينما قال البعض الآخر إنه يعبد المسيح (...) أن أسطورة الحمل بلا دنس إذن ليست اختراعًا للقرن الأول من المسيحية، وإنما أسطورة من أقدم الأساطير».

أما چاك دوكين، فيوضح في كتابه الصادر في أكتوبر ٢٠٠٥ بعنوان: «**الله رغم كل شيء**»، أن يسوع مجرد إنسان من لحم ودم، وإن الله شيء آخر، خالق الكون وكل ما به (...) وأن المؤسسة الكنسية قد قامت بفرض أفكار ساذجة وعادة ما تكون خطأ، ومازالت حتى يومنا هذا تتحدث عن التضحية والفداء في القداس، وأن ما تقوله يشوه الله (...) وقد اختلقت عقيدة الخطيئة الأولى التي أقرها وفرضها مجمع ترانت سنة ١٥٤٦ لتجعل البشر ونسله مسؤولين عن تلك الخطيئة.. أن المسيح ليس وسيطًا للبشر وإنما مجرد إنسان (...) إنني ألوم القيادة الكنسية لإصدار عقائد هي عبارة عن قرارات سلطوية إذ يقول: «إن البابا والأساقفة، الملهمون إلهيًا، قد قرروا كذا وكذا.. «إن ما أطلبه من هذه المؤسسة ألا تقول كل شيء وعكسه ففي سنة ١٩٨٠، بينما كان چوزيف راتزنجر ما يزال يرأس لجنة عقيدة الإيمان التي كانت تسمى محاكم التفتيش سابقًا، قد انتقد مسألة الخطيئة الأولى التي أضرّت بالكنيسة الكاثوليكية. ورغم ذلك فقد أصدر الكتاب الخاص بالتعليم الديني سنة ١٩٩٢ حيث يعيد تأكيد وترسيخ هذه العقيدة!.

«إن ما نطلبه من البابا بنديكت السادس عشر أن يكون أميناً مع نفسه، أن يكون أميناً مع راتزنجر اللاهوتي في عام ١٩٦٩، ومع راتزنجر الكاردينال الروماني في الثمانينيات».

وكان چاك دوكين قد تناول نفس هذا الموضوع في كتابه السابق عن «**مريم**» الصادر في يونيو ٢٠٠٤. فتحت العنوان الفرعي: «ما معنى الحمل العذري؟» قال: «إن الحمل العذري ليس دليلاً على ألوهية يسوع. ويوحنا لم يكن يؤمن بذلك، وهو الحواري الذي يوضح أكثر من غيره ألوهية يسوع. وهو نفس ما قاله - على مستوى آخر، عالم اللاهوت الألماني جوزيف راتزجر، سنة ١٩٦٩، الذي أصبح بعد ذلك رئيس لجنة عقيدة الإيمان (محاكم التفتيش سابقاً)، إذ قال: «وفقاً لإيمان الكنيسة، فإن بنوّة يسوع الإلهية لا تعتمد على أن يسوع لم يكن له أب إنساني. أي أن ألوهية يسوع ما كانت لتُمس إذا ما كان يسوع قد وُلد عن زيجة تقليدية» (وارد في كتاب راتزنجر المعنون: «**الإيمان المسيحي أمس واليوم**» (١٩٦٩)، وقد تراجع بعد ذلك حينما انتقده الأب أورس فون بالتزار!

وإذا ما كانت القيادة العليا للكنيسة تتلاعب بهذا الشكل بالألفاظ والعقائد، فما يمكننا قوله أوالتعليق عليه؟!.

بعث يسوع

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كتب أحد أساتذة التاريخ في فرنسا قائلاً: «لا يمكن استبعاد أو محو عملية قيام يسوع من الأناجيل دون أن يتهدم كل شيء في المسيحية». وحينما أورد شارل رويل (Charles Ruelle) هذه العبارة في كتابه الصادر عام ١٨٦٦، لم يكن أول من يشير إلى هذه الحقيقة، وإنما كان قد سبقه العديد من علماء عصر التنوير، الذين اعتمدوا على التقدم العلمي، واللغوي لإعادة النظر في مصداقية تلك النصوص الإنجيلية.

ويعد بولس أول من راح يركز على جزئية قيام يسوع من الموت دون الاهتمام بأهم أحداث حياته، إذ راح يؤكد: « .. فكيف يقول قوم بينكم إن ليس قيامة أموات. فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام. وأن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضًا إيمانكم (...) لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام. وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم» (الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥ : ١٢-١٧).

وبالفعل، «لولا قيامة يسوع لما كانت هناك أناجيل ولا كنيسة، إذ أن عيد الفصح هو الحدث الذي تحولت به حياة يسوع - التي انتهت بالفشل - إلى طريق للآمال»، على حد قول ميشيل كينيل في كتابه عن «**تاريخ الأناجيل**». وفي واقع الأمر أن قيام يسوع بعد موته ودفنه (كما يزعمون) يمثل أكثر من مجرد منحنى في الأحداث: أنه الدعامة الأساسية التي تقوم عليها المسيحية، وانهيار هذه الدعامة يؤدي قطعًا إلى انهيار المسيحية برمتها.

وفكرة قيام الآلهة من الموت بمثابة قاسم مشترك أعظم بين كل الآلهة الهللينية القديمة، فكلهم يموتون وبعد ثلاثة أيام يقومون ويتم الاحتفال بقيامهم دون محاولة معرفة المزيد من التفاصيل أو الحقائق.. وإذا كانت قصة أوزيريس، الإله المصري قائمة على فكرة البعث أو القيام بعد الموت، فهي متكررة أيضًا لدى الإله أدونيس والإله أتيس والإله ميثرا. أنهم يموتون ثلاثة أيام، ينزلون خلالها إلى الجحيم، ثم يبعثون أو يقومون.

ومن المسلّم به أنه ما من أحد قد شاهد أو حضر عملية قيام أحد هذه الآلهة، ويمكن قول نفس الملاحظة بالنسبة ليسوع، باستثناء بعض التفاصيل المتعلقة بتكفينه. فما من أحد قد شاهد خروجه من المقبرة، وكل ما هو وارد بالأناجيل أن أحد الملائكة (وفقًا

لمتى ٢:٨) أو ملاكان (وفقًا ليوحنا ١٢:٢٠) قد عاوناه بإزاحة الحجر من على باب المقبرة. الأمر الذي أثار سخرية سيلس حين قال في القرن الثاني: «إن ابن الله لم يكن لديه القوة على ما يبدو ليفتح مقبرته بنفسه وكان بحاجة إلى أن يأتي أحد ويدحرج له الحجر» «**الخطاب الحق**».

وفيما يتعلق بقصة الأناجيل، أو بما تقدمه العقيدة المسيحية، فإن قيام يسوع مبني على اكتشاف المقبرة خاوية. ولا يمكن لمثل هذا المعطى أن يكون كافيًا كدليل تاريخي على قصة البعث أو قيام يسوع. فما من أحد قد شاهده وهو يخرج من القبر. ويعتمد المسيحيون على ظهور يسوع بعد الموت لإثبات قيامه. ونترك الكلمة لعالم اللاهوت شارل جينيوبير الذي كتب قائلاً: «إن التناقضات الواردة في نصوصنا الإنجيلية فيما يتعلق بقصة قيام يسوع تناقضات عديدة ولا تحتمل. فمن الواضح في الوهلة الأولى فيما يتعلق بالتأكيد العام: إن المقبرة التي وُضع فيها يسوع مساء يوم وفاته وقد وُجدت خاوية صبيحة اليوم التالي، وبدأت المعطيات تنسج تدريجيًا بغية تحقيق تلك المقولة. ولشدة التناقض والاختلاف بين هذه التفاصيل فإن جميعها مشكوك فيها» (وارد في كتابه عن «**يسوع**» صفحة ٦٠٨).

وبالفعل، أن الاختلافات أو التناقضات الواردة بالأناجيل عديدة فيما يتعلق بعدد وبأماكن كيفية ظهور يسوع. فوفقًا للوقا، يبدو وكأن يسوع ما أن قام حتى صعد إلى السماء في نفس اليوم (٢٤: ١٣-٥١) وتوضح «أعمال الرسل» أنه قد بقى أربعين يومًا (٣:١)، وهو ما قام به الإله مثيرا الذي أجلّ صعوده إلى السماء بعد قيامه!

وخلال هذه المدة، الأربعون يومًا، اختبأ يسوع ولم يره سوى حوارييه، الأمر الذي دفع سيلس أن يكتب في القرن الثاني قائلاً: «إذا كان عيسى يود حقًا الإفصاح عن صفته كإله. فكان يتعيّن عليه أن يظهر نفسه لأعدائه (بعد بعثه)، وللحاكم الذي أدانه، وأن يظهر نفسه للجميع لأنه إذا ما كان قد اجتاز تجربة الموت، إضافة إلى كونه ربنا كما تزعمون، فما كان يجب عليه أن يخشى أحداً، لأنه على ما يبدو لم يُبعث لكي يخفي شخصيته» (**الخطاب الحق**).

ويمكن حصر مجموعتين من الظهور في الأناجيل، مجموعة في الجليل، تنفيذًا لوعد يسوع حين قال أو حين قالوا عن لسانه: «ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل» (مرقس: ١٤:٢٨)، ومجموعة أخرى في القدس، وأياً كان المكان الذي ظهر فيه فإن الأناجيل تقول إنه ظهر لبعض النسوة وإن كان كل إنجيل يأتي بأسماء مختلفة، ومن

الملاحظ أنه لم يظهر لأمه مريم أو إن اسمها غير وارد بين تلك النسوة. إضافة إلى بعض الحواريين، سواء فرادى أو جماعة.

كما لا نعلم شيئًا عن كيفية ظهوره، فهو يمنع مريم المجدلية من أن تمسه (يوحنا: ١٧:٢٠) بينما يطلب من توما أن يجسه، (يوحنا ٢٠:٢٧). وإن أمكن القول أنه دخل الغرفة المغلقة وسط حوارييه، متسللا كروح من خلال الجدران، وذلك لا يتمشى مع الطعام الذي راح يأكله معهم!

وما يثير الريبة في مصداقية هذه النصوص أن بولس، الذي لم ير يسوع أثناء حياته، والذي لم يقل له الحواريون شيئًا عنه، نراه يعرف أكثر منهم! ففي رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يقول: «فإنني سلّمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضًا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب. وأنه دُفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب. وأنه ظهر لصفا ثم للإثنى عشر. وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باق إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا. وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين» (٣-٨).

والغريب هنا أن بولس لا يقول ممن تسلم ما يعرفه ويعيد قوله للغير ويذكر الإثنى عشر حواريًا غافلاً أو متناسيًا أو جاهلاً أنهم قد أصبحوا أحد عشر بعد موت يهوذا أو انتحاره! ويقول جي فو (Guy Fau)، الرئيس السابق لجمعية إرنست رينان، إن بولس لا يمكنه أن يقول مثل هذا الكلام، وإن اجتماعًا مكوّن من خمسمائة تابع ظهر لهم يسوع لا يمكن أن يكون كاتبو الأناجيل يجهلونه أو أن أي واحد منهم الأربعة لم يعلم بالواقعة ولم يشر إليها.

لذلك يؤكد جي فو أنه لا يمكن النظر إلى قيام يسوع كحدث تاريخي ثابت بالأدلة والمستندات مضيفًا: «إن مسألة قيامه لم تكن تمثل مشكلة عندما لم يكن يسوع سوى كائن سماوي غير متجسد - مثله مثل باقي الآلهة الأسطورية - فكونه روحًا غير فانية وغير متجسدة، لم يكن عليه أن يبعث.. إن المسيحيين الرومان هم الذين زوّدوا يسوع بميلاد جسدي، جاعلينه رجلاً حقيقيًا، وبذلك أقاموا المشكلة: إذ كان لابد من قتله لقيامه بين الأموات. لقد كانت لديهم الأساطير الهللينية السابقة أو الغنوصية، إلا أن ما من إله من تلك الآلهة قد تم تقديمه للناس على أنه إنسان، إن عملية أنسنة يسوع هي التي أدت إلى خرافة قيامه البعثية» (**المسيحية بلا يسوع**).



وينهي جي فو هذا الفصل موضحًا استحالة القيام بعد موت امتد ثلاثة أيام كما يقولون، إذ يقول: «**إذا أمكن الإيمان بقيام الأجساد وبعثها جسديًا، فإن بعث المخ سوف يمثل أكبر مشكلة: فالإنسان بلا عقل، وبلا ذاكرة، وبلا فكر يفتقد كل ما يمكنه أن يجذبنا إليه. كما أن بعث خلايا المخ مستحيل تمامًا لأن تلك الخلايا هي الخلايا الوحيدة التي لا تتجدد أثناء حياة الإنسان الأرضية، وتلفها يعد نهائيًا. ولا يوجد أي طبيب يمكنه أن يعتقد في بعث العقل، وإذا ما أكد ذلك فهو واقع تحت وهم مؤكد**» (صفحة ١٥١).

أما ميشيل كوكيه (M.Coquet)، وهو من رجال الكنيسة، فيقول بوضوح: «بالنسبة للبعث، الذي نضعه من ضمن الاختراعات الكنيسة المتعددة، فنذكر أنه حتى عام ٣٦٢ كان المسيحيون مازالوا يعبدون جسد يسوع بالقرب من سباسطة في السامرة. وهو ما يثبت أن الكنيسة لم تكن قد اخترعت بعد عقيدة البعث ولم تستتب هذه ا لعقيدة إلا عندما اخترعت الكنيسة قصة البعث والصعود بالجسد. فلم يرد أول ذكر لها إلا في مطلع القرن الخامس عندما قام كل من يوحنا كريزوستوم وأغسطين مدعين أن لها أصل رسولي» («**كشف أسطورة يسوع**» صفحة ٣٥٨).

وفي كتاب بعنوان «**عن الحقيقة في تاريخ المسيحية**» وبعنوان فرعي هو: «رسائل من علماني حول يسوع» صادر في باريس سنة ١٨٦٦، بقلم الباحث شارل رويل (Charles Ruelle)، أربعة أبحاث متفرقة الموضوعات وإن كان الخط المشترك بينها هو دراسات في المسيحية، يتناول الفصل الثالث موضوع: «بعث يسوع وفقًا للوثائق» والبعث يمثل ركنًا أساسيًا من المسيحية، بل لقد أوردنا ما قاله أحد أساتذة التاريخ في السوربون «لا يمكن محو بعث يسوع من الأناجيل دون أن يتهدم كل شيء»! ثم يستطرد شارل رويل قائلاً موضحًا أن هدفه ليس هدم المسيحية: «لكنني اكتفي بسؤال القارئ والأدلة بين يديه، إن كان بعث يسوع كما هو وارد في الأناجيل يمكن اعتباره حدثًا تاريخيًا»؟ (صفحة ١٤٩).

ويبدأ هذا الفصل من الكتاب بنقل كل الأجزاء الواردة في الأناجيل، ثم يقوم باستخراج الوقائع، ثم يحللها تحليلاً علميًا «بعيدًا عن أي انفعال أو مبالغة»، وفيما يلي بيانات هذه الأجزاء ويمكن للقارئ متابعتها في أي إنجيل، وإن كان رويل قد استعان بترجمة لومتر ساسي (Lemaistre Sacy)، وهي: متى (٢٨: ١-٢٠)، مرقس (١٦: ١-٢٠)، لوقا: (٢٤: ١-٥٣)، يوحنا (٢٠: ١-٣١)، و(٢١: ١-٢٥)اع (١: ١-١٢)١ كورنثوس (١٥: ١-٨)، اع (٩: ١-٩)،٢ كورنثوس (١٢: ١-٤) وقد حدد الترجمة التي استعان بها لعلمه بأن النص يتغير ويتبدّل من طبعة إلى أخرى.

بيان الوقائع

إنجيل متى (٢٨:١-٢)

أشارت السيدتان أن زلزلة عظيمة حدثت وأن ملاك الرب دحرج الحجر، لكنهما لم تشيرا إلى رؤيتهما يسوع وهو خارج من القبر. يسوع ليس في القبر ولم يقلن كيف خرج وما حدث له. وقيل أن يسوع سيكون في الجليل قبل تلاميذه، لكن لا نعرف في أي مكان ولا كيف سينتقل إلى الجليل. لم تشرن إلى كفن أو غطاء للوجه، ولا أي شيء عن الملاك الذي تحدث إليهن، ولا يقال في أي مكان ظهر يسوع، ويسوع يكرر ما قاله الملاك مع فارق الملاك قال تبليغ «التلاميذ» ويسوع طلب تبليغ «أخوته». وبناء على ذلك نفهم أنه على التلاميذ أن يذهبوا لرؤيته في الجليل، ولا يقال أين سيلقاهم، ولا أين كان يسوع قبل هذا الظهور، ولا ما الذي كان يرتديه أو من أين وجد ثيابًا والمفترض أنه خارج أو قائم من المقبرة حيث كان مكفنًا. ولا يقال أين ذهب بعد هذا اللقاء، ولا إن كان حرس القبر قد رأوا الملاك أو يسوع وكل منهما يحدث السيدتين، أو إن كانوا سمعوا كلام كل منهما. ولا يقال إن كان رؤساء الكهنة أو الشيوخ قد لاحظوا زلزالا أو أنهم أعتقدوا أن يسوع حيًا أو فكرا في القبض عليه، بل ولا حتى كيف عرف الراوي بما دار بين الكهنة والشيوخ. وبناء على ما قررته السيدتان ذهب الحواريون الأحد عشر من القدس إلى الجليل، وهذا يفترض من جانبهم ثقة ما في كلام السيدتين. ولا يقال إن الإشارة عند ظهور يسوع إن كان قد سبق وأعطى موعدًا لتلاميذه على الجبل، بل ولا نعرف كيف وصل يسوع إلى الجبل بعد بقائه مدفونًا ثلاثة أيام! والأحد عشر حواريًا يرون يسوع ولا واحد منهم قد تغيب. ولا يقال إن كان أحدهم أو عدد منهم قد رأوه على انفراد. وإن كان أحدهم قد تشكك فذلك كان قبل ظهور يسوع، وإنهم ما إن رأوه حتى سجدوا له جميعًا وبعضهم شك. ولا يقال كيف أو لماذا توقف شك من ارتاب ولا أنهم عادوا إلى القدس. كما يلاحظ أن يسوع يسير ويتحدث ويأمر ويشجّع دون أن يوجه أي لوم للحواريين الذين فرّوا، ولا نعرف كم مضى من الوقت بين البعث وظهور يسوع للحواريين الأحد عشر، وأنها أول وآخر مرة يظهر فيها الحواريين وفقًا لإنجيل متى.

ولا يقال شيئًا عن مصير يسوع بعد ذلك ولا عن مصير الحواريين أو رجوعهم القدس، ولا شيء عن صعود يسوع، والتعليمات التي أعطاها يسوع للحواريين تبدو وكأنها آخر كلمات تفوه بها. والحواريون جميعًا لم تذكر أسماؤهم، والتعليمات وردت لهم جميعًا بلا استثناء.

تلخيص وقائع ظهور المسيح في إنجيل متى:

يورد إنجيل متى ظهور يسوع مرتين بعد بعثه، الأولى: لسيدتين بجوار القبر قرب القدس وفي نفس يوم بعثه، والثانية: ظهوره لأول وآخر مرة للحواريين دون تحديد لزمان، ويبدو أن هذا الظهور لا يبعد في ذهن الراوي عن يوم البعث، ولا يذكر اسم أي حواري آخر، ويسوع لا يظهر للحواريين إلا وهم مجتمعون، ولم يظهر لهم إلا مرة وحدة في الجليل. وقد أعطى تعليمات بدت وكأنها آخر ما قاله يسوع. فهل نفترض أن يسوع قد افترق عن حوارييه بعد هذا الظهور؟ أن إنجيل متى لا يقول شيئًا عن ذلك ولا عن افتراق يسوع عن حوارييه.

إنجيل مرقس (١٦: ١-٢٠):

«السيدتان تذهبان إلى القبر في نفس اليوم ونفس الساعة، ولكن ليس كما في إنجيل متى لرؤية القبر، وإنما لتطييب يسوع وهما لا يتوقعان بعثه. ولسن سيدتين وإنما ثلاث. ولم يذكرن أي شيء عن الزلزلة العظيمة، ولم يرون ملاكًا ينزل من السماء، ولم يحضرن إزاحة الحجر فقد وجدوه مزاحًا بينما جلس شابًا على الجانب الأيمن من القبر. ومثلما في إنجيل متى، قامت السيدات بإخطار التلاميذ بالذهاب إلى الجليل مع تأكيد أنهم سوف يرون يسوع وفقًا لما قاله شخصيًا قبل آلامه. وقد ذُكر اسم بطرس ولم تأت سيرته بعد ذلك. ولا يقال إن السيدات فرحات بل لا حديث سوى عن فزعهن، ولا إشارة إلى أن أحدًا أو أكثر من التلاميذ قد ذهب إلى القبر، ثم لا إشارة إلى الحرس ولا عن الكذبة المحاكة والتي أنهاها رؤساء الكهنة والشيوخ. ولا يقال أي شيء عن كيفية بعث يسوع ولا عن أن هناك من رآه خارجًا من القبر ولا على أي هيئة ولا في أي مكان ولا في أي لحظة ظهر لمريم المجدلية، ولا إن كان وجه لها الحديث ولا أين كان يسوع قبل ظهوره ولا ما آل إليه بعده وهنا أيضاً لا يقال إن كان أحد التلاميذ أواثنان منهم قد ذهبا إلى المقبرة. ولا أية إشارة إلى هذه «الهيئة الأخرى» التي ظهر بها التلميذان ولا في أي يوم في أي وقت من النهار. كما لا يقال شيئًا عن يسوع ومكانه قبل هذا الظهور ولا أين ذهب بعده. ولا يقال إن كان تحدث إليهما ولا كيف تعرفا عليه، ولا حتى من هما. ويبدو أن هذا الظهور تم خارج مدينة القدس لكن لا يقال في أي اتجاه. ولا يقال إن كان أحد الحواريين يحاول التأكد مما يقوله الآخرون. ويبدو من هذا السرد أن يسوع لم يظهر بعد لأي حواري آخر. إن عبارة «أخيرًا ظهر» تومئ بأنها آخر ظهور ليسوع. ولا

يقال أن تم ظهوره ولم يذكر اسم أي حواري ولا يقال في ظهوره هذا للأحد عشر حواري أنه ظهر لغيرهم. والأحد عشر حواري لم يصدقوا ما قالته مريم المجدلية ولا التلميذان ولا يوجد ما يشير إلى أنهم ذهبوا إلى الجليل. ولا يقال أين كان يسوع بعد هذا الظهور الذي سيرتفع بعده إلى السماء. ولا يقال أين وقع هذا الحدث أو أن الحواريين قد خرجوا من غرفة الطعام ولا أن كان تلامذة آخرون قد شهدوا صعوده إلى السماء. أما عن التعليمات التي أعطاها يسوع في ظهوره الوحيد للأحد عشر حواري فكانت موجهة للجميع بلا استثناء».

وهنا لابد من وقفة إذ أن شارل رويل يقول في الهامش رقم ١ صفحة ٩٧ أن كلمة «ارتفع إلى السماء»: Ascension ترد في الفولجات (النص الرسمي للعهد الجديد الذي صاغه القديس چيروم) Assumptus est in coelum، ونفس العبارة ترد في أعمال الرسل (٢:١). أما في أعمال الرسل (١١:١) و(٢٢:١) فهي Assumptus est أي بدون كلمة «في السماء». أي أنه في آية «ارتفع إلى السماء» وفي الأخرى: «ارتفع» فقط. إلا أنه يشير إلى عملية تحريف كلمة وإحلال كلمة أخرى مكانها.

والفرق جد شديد بين العبارتين إذ أن Ascension لغة تعني صعود يسوع إلى السماء أو أي تعبير عن الطلوع. أما كلمة Assomption (والنطق متقارب) فهي تعني: اضطلع، تقلد، تحمل إلخ. لذلك يشير رويل قائلاً: «إن النص شديد الوضوح في «الفولجات» وتكرر أربع مرات والذي نخرج منه بفارق أساس بين العبارتين. كما أن إنجيل لوقا (٥١:٩) يقول "Dum complerentur dies assumptionis ejus" وتعني «وحين تمت الأيام لارتفاعه ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم»! وما أكثر اللعب بالألفاظ.

تلخيص وقائع ظهور المسيح في إنجيل مرقس:



يقول إنجيل مرقس أن يسوع قد ظهر ثلاث مرات بعد بعثه: لسيدة بمفردها، ولإثنين من الحواريين، وللأحد عشر حواري. وظهوره لمريم المجدلية لا يتضمن أية إشارة إلى زمان أو مكان، ونفس الشيء بالنسبة للحواريَيْن. وظهوره للحواريين الأحد عشر بينما كانوا حول المائدة بلا ذكر زمان أو مكان. وفي هذا الظهور الأخير لا يذكر اسم أي حواري ولا عن مشاعرهم وإن يقول يسوع نفس التعليمات التي يقال في إنجيل متى أنه أعطاها لهم على جبل في الجليل. وفي هذا الإنجيل هذه التعليمات تسبق صعود يسوع مباشرة. ولا يوجد في إنجيل متى ومرقس سوى الإشارة إلى أن

يسوع ظهر مرة واحدة للأحد عشر حواري مجتمعين وكان هذا آخر ظهور له. ولا يقال هنا في أي بلد كانت - على عكس متى. وبالتالي لا يقال في أي بلد أو مكان تم رفع يسوع: هل كان علي جبل في الجليل كما يبدو في متىّ، أو في القدس، أو بالقرب منها كما سنرى في لوقا (١٤: ٥٠-٥٣) وفي أعمال الرسل (١: ٩-١٢) التي يقال إنها لنفس الكاتب.

إنجيل لوقا (١٤: ١-٥٣)

تذهب السيدات إلى القبر في نفس اليوم ونفس الساعة، لا لرؤية القبر فحسب كما في متى، ويحضرن الحنوط ولا يتوقعن بعثه. وهن عدد من السيدات ومعهن أناس، وليست سيدة واحدة كما في متّى، أو سيدتان كما في مرقس. وقد ذكرت أسماء ثلاثة منهن لكنها أسماء تختلف عن تلك التي ذكرها مرقس إذ ذكر يونّا بدلاً من سالومي. ولم يذكرن أي زلزلة ولا نزول ملاك من السماء ووجدن الحجر مُزاحًا. ولم يرين - كما في مرقس - شابًا يرتدي ثيابًا بيضاء ويجلس على يمين القبر ولا - كما يقول متّى - ملاك جالس على الحجر المدحرج وإنما ظهور رجلان فجأة بثيابت برّاقة ولا يُذكر أين كانا ولا يذكر أن يسوع سيسبق الحواريين إلى الجليل، ولا أن التلاميذ سيرون يسوع، ولا ما هو مصيرهما بعد أن تحدثا إلى السيدات. ولا ذكر هنا لحرس ولا للكذبة المتفق عليها والتي قصها رؤساء الكهنة والشيوخ، ولا عن ظهور يسوع لمريم المجدلية، وقد قيل إنها أول ظهور ليسوع وفقًا لمرقس. كما لا يرد ذكر ظهوره للمريمتين كما في متّى. والسيدات لسن صامتات كمافي مرقس، وقد تم إخبار الحواريين بكل ما رأين وسمعن على عكس مرقس حيث لا يقلن شيئًا. تلميذ واحد فقط يذهب وحده إلى القبر. وهو ما لم يذكره متى ولا مرقس، وهذا التمليذ هو بطرس ولا يرى الرجلان اللذان يظهرا للسيدات، ويلحظ، من الخارج، أن يسوع اسم واحد من الحواريَيّن: كليوباس، ولا يقال بماذا يتجه تلميذان إلى عمواس ولا أين كان يسوع قبل أن يلقاهما. وقد سار يسوع طويلاً دون أن يتعرفا عليه حتى اختفى. ولا يقال ما وقع له بعد هذا الاختفاء ولا وقع ذلك على الحواريين. وقد يبدو أن هذا الظهور هو ما أشار إليه مرقس قائلاً: «في هيئة أخرى» وإن كان باقي التلاميذ لا يصدقون ما رواه هذان التلميذان، ولا إشارة في إنجيل لوقا عن أن الحواريين لم يصدقوهما، بينما نراهم قد أقروا بعث يسوع قبل أن يسمعوا القصة!

وكل شيء يبدو وكأنه تم في يوم واحد، ففي الصباح ذهبت السيدات إلى القبر، وبعد سماع أقوالهن ذهب بطرس إلى القبر، ونفس اليوم بعد الظهر سار تلميذان برفقة يسوع إلى عمواس، الضاحية القريبة من القدس وعلى بعد أحد عشر كيلومترًا، حيث توقفا وتعرفا على يسوع وهم على المائدة. وهذا الظهور المطول يتبعه اختفاء مفاجئ ولا نعرف أين ذهب يسوع. وفي الآية ٣٦ نجد يسوع في القدس ولا نعلم كيف وصلها، ووفقًا للآية ٣٤ يبدو أن يسوع قد ظهر لسمعان/ بطرس في نفس اليوم - وهو ما يجهله التلميذان في طريقهما إلى عمواس (٣٤). ويتضح من الآية ٢٤ أن سمعان/ بطرس لم ير يسوع في القبر ولا يقال في أي مكان ولا في أي وقت ولا على أي هيئة. ولابد وأن الظلام قد خيم عندما عاد التلميذان إلى القدس في نفس ذلك اليوم، فقد التقى بالحواريين مجتمعين مساء وظهر لهم يسوع مساء ولا نعرف أين كان قبلها. وفي هذا الظهور لا يوجه يسوع أي لوم للرسل كما في مرقس وأن رفضوا تصديق ما قالته السيدات. وقام بتعليمهم ثم وعدهم بإرسال الروح القدس وأن يبقوا في القدس لحين ذلك. وكلام يسوع موجه لكل الحواريين بلا أي استثناء. ودون أن يقال إن كان يسوع كف عن أن يكون مرئيًا أو أنه أضاف أي شيء آخر نراه يصطحب تلاميذه إلى طريق بلدة بيت عانيا حيث باركهم وارتفع إلى السماء. ويبدو أن ذلك حدث عقب الليلة التي تلقّى فيها الأتباع آخر تعليمات يسوع. ولم يذكر إنجيل مرقس أن يسوع، قبل صعوده إلى السماء قد رفع يديه وبارك التلاميذ.

تلخيص وقائع ظهور المسيح في إنجيل لوقا:

يقص إنجيل لوقا ثلاث وقائع لظهور يسوع ويبدو أنها وقعت في نفس اليوم: ظهوره يوم بعثه للتلميذين على طريق عمواس وكان ظهورًا ممتدًا وقع بعد الظهر واختفى يسوع بعده فجأة حين تعرفا عليه. وظهوره يوم البعث لسمعان/ بطرس دون تحديد مكان أو زمان، وظهوره لأول وآخر مرة للحواريين مجتمعين في القدس يوم البعث مساءً. وهذا الظهور الوحيد للحواريين قد امتد حتى اللحظة التي «رفع فيها إلى السماء». ولا يذكر إنجيل لوقا ظهوره لأي سيدة، ولا لتلقي الحواريين أمرًا بالذهاب إلى الجليل، ولا إلى أنهم قد ذهبوا، وقد لاحظنا في إنجيل لوقا إن يسوع، قبل آلامه، لم يقل إنه عندما يُبعث سيسبق حوارييه إلى الجليل.



إنجيل يوحنا (٢٠: ١-٣١)

تتم زيارة القبر في نفس اليوم والساعة، ولسن امرأتان كما في إنجيل متى، ولا ثلاث كما في إنجيل مرقس، ولا أكثر من ثلاث كما في إنجيل لوقا: وإنما امرأة واحدة هي مريم المجدلية. وهنا، مريم المجدلية لا تشهد أية زلزلة عظيمة ولا ترى زحزحة الحجر ولا أي ملاك ينزل من السماء ويجلس على الحجر المزاح كما في إنجيل متى. كما أنها لا ترى أي شاب بثياب بيضاء يجلس على يمين القبر كما في إنجيل مرقس ولا رجلان يقفان أمامها كما حدث في إنجيل لوقا. ولا يظهر يسوع كما في إنجيل متى. ففي إنجيل يوحنا لا يظهر أي شخص أو تُنطق أي كلمة، ولا يوجد حرس أو كذبة محاكة، ولا ترى مريم المجدلية أي شخص في القبر. وكل ما راودها اختفاء جسم يسوع وأدركت من زحزحة الحجر أنه قد حدث انتهاك للقبر، ولا يقال إنها تحمل العطور أو أنها تود تطييب جسم يسوع، وأن كل ما أقلقها دحرجة الحجر. ولا إشارة مطلقًا إلى أن على يسوع أن يذهب إلى الجليل قبل حوارييه، أو أنه قد بُعث. ولا نعلم إلا أن جسم يسوع ليس في القبر وفقًا لفرضية من مريم المجدلية. ولا نعرف مصير يسوع. وقد تم ذكر اسم يوحنا مع بطرس في هذا الإصحاح العشرين أما في الواحد والعشرين فيشار إلى يوحنا بعبارة «الذي كان يسوع يحبه».

ونعلم أن يوحنا رأى وآمن. هل أعتقد مثل مريم المجدلية: إن جسم يسوع قد سرق؟ وحتى هذه اللحظة لم يكن كل من يوحنا وبطرس يعلمان أن بعث يسوع وارد مسبقًا في النصوص المقدسة، أي أنه «كلام الله» وأنه لم يكن بوسعهم عدم تصديقه، ويبدو أن يوحنا يقر ذلك هنا لأول مرة وفي إنجيل مرقس لا يصدق الحواريون قول السيدات ولا يذهبون إلى القبر، ولا يقال إنهم ذهبوا إلى الجليل. وفي إنجيل لوقا تلميذ واحد يذهب إلى القبر، هو بطرس، واكتفى بأن نظر من الخارج. ولا نطالع «أنه رأى وآمن» ولكن «أنه عاد مندهشًا مما حدث» بينما في إنجيل يوحنا تلميذان يذهبان إلى القبر ويدخلانه وقيل عن واحد منهم أنه «رأى وآمن» ولم تقل شيئًا عن الثاني. وإنجيل كل من متى ومرقس لا يتحدث عن الكفن، وفي إنجيل لوقا بطرس لا يرى الكفن أما في إنجيل يوحنا فإن بطرس يرى الكفن وغطاء الوجه، مع تحديد أن غطاء الوجه كان مطويًا في مكان وحده ولا تفسير لكيفية وجود غطاء الوجه أو الكفن مطويًا إلا أن كان الغرض هو الإشارة أن يسوع إنسان منظّم قام من الموتى وطوى كفنه ثم خرج!

وفي الآية: ١١ والأمر متعلق بنفس اليوم، لا يقال كيف وُجدت مريم المجدلية ثانية

بجوار القبر، ولا إشارة بأنها التقت ببطرس ويوحنا، بينما هي تحت نفس التأثير من أن جسم يسوع قد سرق. ولم نعد في الصباح الباكر ولم يظهر الملاكان إلا فيما بعد ويسألانها، ولا يكشفان لها عن شيء. وفي إنجيل يوحنا يسوع يظهر لامرأة واحدة وليس لاثنتين كما هو وارد في إنجيل متى. وعندما ظهر يسوع وفقًا لإنجيل متى للسيدتين وإحداهما مريم المجدلية، يكلفهما بتأكيد أن تبلغا التلاميذ للذهاب إلى الجليل حيث سيرونه. وفي إنجيل يوحنا يكتفي بأن يقول بأنه صاعد إلى أبيه وأبيهم، إلى ربه وربهم. وقبل ذلك بقليل عندما حاولت مريم المجدلية تقبيل أقدامه منعها قائلاً بأنه لم يصعد بعد إلى أبيه. وتذكّر هذه العبارات تلك التي توجد في الأناجيل تعبيرًا عن الترابط الروحي التي يزخر بها إنجيل يوحنا: التلاميذ في ترابط واحد مع يسوع، وهو واحد مع أبيه، أي «نفس الترابط مع الله ومع يسوع ومع إخوته» كما يوضح يسوع لمريم المجدلية. كما أن يوحنا لا يتحدث عن الملاكان بثيابهما البيضاء.

كما نعلم من إنجيل يوحنا أن الحواريين تلقوا أمر الذهاب إلى الجليل كما في متى ومرقس ونراهم مجتمعين في مكان ما وكل ما نعلمه عنه أن الأبواب مغلقة، ولا نعرف كيف دخل يسوع من الأبواب المغلقة ولا أين كان قبل ذلك، واليوم محدد بيوم البعث مساءً. وإذا ما رجعنا لإنجيل لوقا نجد أن يسوع في ذلك المساء: أولاً، موجود في ضاحية عماوس، ثانيًا: وبعد عودة التلميذين، في القدس، نراه وسط الحواريين وقد فزعوا لوجوده ويأكل معهم.

أما في إنجيل يوحنا فلا أحد يفزع من ظهوره وليس بحاجة إلى الأكل معهم ليقنعهم ويكتفي بأن يريهم يديه وجنبه. ولا نعرف من هذا الإنجيل إنهم تناقشوا حول بعث يسوع أو أنه قد ظهر لسمعان، أو أنه ظهر بعد عودة التلميذين من عماوس ولا أنه ظهر للتلميذين. وفي إنجيل لوقا لم يتم تحديد أن أبواب الغرفة التي التلقوا فيها كانت مغلقة، أو عن خشية الحواريين من اليهود. والمهمة التي يضيفها يسوع على الحواريين عند أول ظهور له للحواريين، في إنجيل يوحنا، هي التي ينتهي بها اللقاء في الأناجيل الثلاثة الأخرى. وعلى عكس طلبه منهم بأن يظلوا في القدس ليحصلوا على بركاته كما في إنجيل لوقا، نراه في إنجيل يوحنا نفخ عليهم ليتلقوا الروح القدس فورًا. ولا نعرف شيئًا عن يسوع بعد أن جعلهم يقبلون الروح القدس.

وهناك ظهور ثان في إنجيل يوحنا بعد ثمانية أيام من الظهور الأول ولا يتحدث عنه أي إنجيل من الثلاثة الآخرين. وهو ظهور في نفس المكان، الأمر الذي يوضح أن

الحواريين لم يغادروا القدس. ولا نعلم شيئًا عن يسوع بين المرتين اللتين ظهر فيهما، ولا نعرف أيضًا كيف دخل هذه المرة والأبوب مغلقة. ولم يوجه أي لوم لتوما واكتفى بالرد على كلامه عندما قال له الحواريون إنهم رأوا يسوع. وبإعادة الكلام الذي قاله توما في غيابه ولم يجرؤ الحواريون إبلاغه ليسوع، صاح توما قائلاً: «ربي وإلهي» وقام يسوع بتهنئته! ولا نعرف ما الذي حدث ليسوع بعد أن هنأ توما ولا إن كان توما قد تلقى الروح القدس. وفي كل أعمال يسوع التي ذكرت بعد بعثه تتم أمام تلاميذه.

أما في الإصحاح ٢١، فيقول شارل رويل إنه يبدو وكأنه قد أضيف كتكملة للإصحاح السابق، ونرى اختيار بطرس كراع للغنم تبشيريًا. ونلاحظ أن هذه المهمة أسندت إلى أكثر من يحب يسوع، وكل التوجيهات التي قالها يسوع لراعي الغنم هي عبارة واحدة: اتبعني. وينقلنا هذا الإصحاح إلى الجليل على شاطئ بحيرة طبرية. ولا نعلم لماذا أتى الحواريون السبعة ولا كيف، كما لا نعلم شيئًا على الشاطئ ولا نعلم أين كان قبل ذلك. والحواريون السبعة يرونه ولا يتعرفوا عليه، ويحدثهم ولا يعرفونه إلا عندما تمتلئ الشباك بالأسماك، فيكون يوحنا أول من يتعرف عليه. وكثيرًا من ملابسات هذا الجزء شبيه بنفس القصة الواردة في إنجيل لوقا (٥: ١-١١) لكن في ملابسات أخرى. ثم نرى يسوع يترأس وجبة الحواريين السبعة دون أن نعلم إن كان قد أكل معهم، ولا ما الذي حدث له بعد إجابته على سؤال بطرس، ولا ما الذي ألمّ بالحواريين بعد ذلك. وغير وارد في الإصحاح ٢١ أن الحواريين الأحد عشر التقوا معًا في القدس ولا إن كانوا قد رأوا يسوع فيها ولا إن كان قد اصطحبهم خارجها على مقربة منها ليصعد إلى السماء أمامهم ويترك هذا الإصاح القارئ في الجليل، مثل إنجيل متى، لكن ليس على جبل من جبالها، ولكن على شاطئ البحيرة، مع سبعة من الحواريين وليس مع الأحد عشر. كما لا نعرف من يوحنا أين افترق يسوع عن تلاميذه ولا كيف، بل يحتفظ هذا الإنجيل بنفس الصمت الوارد في الإصحاح ٢٨ من إنجيل متى.

إن ظهور يسوع في الجليل، على شاطئ البحيرة، لسبعة من الحواريين كما هو منصوص في يوحنا (١٤:٢١) على أنها ثالث مرة يظهر فيها يسوع لتلاميذه منذ البعث، لا علاقة له بظهور يسوع في الجليل على جبل حيث كان قد أمر الحواريين بالذهاب ليروه (متي ٢٨: ١٦-١٧) والحواريون السبعة الذين في الجليل لم يتلقوا أمرًا للذهاب إليها، وفقًا ليوحنا. فهم لم يذهبوا إلى هناك لرؤية يسوع الذي لم يكونوا ينتظرونه. ولا يقال إن كان هؤلاء التلاميذ السبعة قد عادوا من الجليل إلى القدس أو أنهم قد

شاهدوا صعوده. ما من إنجيل يشير إلى هذا الظهور الثالث ليسوع والذي تم، وفقًا ليوحنا، من أجل تلاميذ سبعة وعلى شاطئ بحيرة طبرية.

تلخيص وقائع ظهور المسيح في إنجيل يوحنا:

يورد إنجيل يوحنا أن يسوع قد ظهر أربع مرات: من جهة، واحدة لمريم المجدلية عند القبر يوم البعث ولكن ليس عند زيارتها الأولى للمقبرة. ومن جهة أخرى ثلاث مرات للحواريين: واحدة يوم البعث مساءً وصبيحة يوم السبت بينما كان الحواريون مجتمعين في القدس في مكان أبوابه مغلقة وتوما غائب. والثانية، بعد ذلك بثلاثة أيام من هذا الظهور أي ثمانية أيام بعد البعث وأيضًا صبيحة يوم السبت. والحواريون مجتمعون في القدس، في نفس المكان، والأبواب مغلقة، بينما توما موجود معهم، والثالثة، وبلا تحديد زمان، في الجليل، على شاطئ بحيرة طبرية حيث يوجد سبعة تلاميذ للصيد. ويقال تحديدًا إن هذا الظهور هو الثالث بالنسبة للحواريين منذ البعث. ولا يذكر إنجيل يوحنا أي ظهور نرى فيه يسوع يفترق عن تلاميذه سواء في الجليل مثل إنجيل متى (٢٨:٢٠)، أو في القدس مثل إنجيل لوقا (٢٤: ٥٠ و٥١).

أعمال الرسل (١: ١-١٢)

يعيد هذا النص تقريبًا، حول صعود يسوع، ما هو وارد في إنجيل لوقا (٢٤: ٤٤-٥٢) ولا توضح أعمال الرسل، مثلها مثل إنجيل لوقا، في أي وقت من النهار ارتفع يسوع أمام حوارييه، كما لا تذكر وجود أي شاهد يكون قد رأى يسوع وحوارييه أو سمع كلامه أو يكون قد رآه وهو «يرتفع إلى السماء»! وأعمال الرسل تذكر بأن يسوع قد ظهر للحواريين بكثير من الأدلة وأنه حيّ دون أن تذكر أي ظهور ليسوع. وهذه الأدلة الواردة في الآيتين الثالثة والرابعة من ثلاثة أنواع:

أولاً: تؤكد ظهور يسوع للحواريين دون تحديد أي مكان هل في الجليل كما في متى أم في القدس كما في لوقا أو على التوالي هنا وهناك وفقًا ليوحنا؟ كما أن الأعمال لا تذكر أي ظهور ليسوع إلى امرأة مثلها مثل إنجيل لوقا. أما تحديد فترة طوال الأربعين يومًا، فهي لا ترد لا في إنجيل لوقا ولا في أي نص آخر، ولا توضح إن كان وجود يسوع متواصلاً أو أنه عاش مع الحواريين أو بجوارهم مثلما كانت تتحدث عنه قبل الآلام، فلم

نر في أي إنجيل من الأناجيل أن يسوع قد ظهر لحوارييه عددًا معينًا من الأيام، فمن أين لأعمال الرسل بفترة تلك الأربعين يومًا؟! ففي إنجيل لوقا يظهر لهم في يوم أو اثنين، يوم البعث وصبيحة اليوم التالي. ووفقًا ليوحنا يسوع قد ظهر لهم مرتين في الأيام الثمانية التي تلت البعث، ثم مرة ثالثة دون تحديد فترة ما، ومرقس يتحدث عن مرتين دون تحديد زماني. أما في إنجيل متى فالظهور الوحيد في إنجيله على ما يبدو قبل الوقت اللازم لحوارييه ليذهبوا إلى الجليل بناء على أوامر يسوع.

ثانيًا: أن يسوع قد تحدث إلى حوارييه. ففي ثلاث مرات ظهر فيها يسوع للحواريين لا يقال إنه قد تحدث: عندما ظهر لمريم المجدلية (مرقس: ١٦: ٩)، وعندما ظهر للتلميذين (مرقس: ١٦: ١٢) وعندما ظهر لسمعان بطرس (لوقا ٢٤: ٣٤). وفي كل المرات الأخرى التي ظهر فيها يسوع تورد الأناجيل أنه تحدث بغض الطرف عما إذا كان الحواريون قد تعرفوا عليه أم لا.

ثالثًا: أن يسوع قد أكل مع حوارييه. ولم نره يأكل معهم إلا مرة واحدة في إنجيل لوقا (٢٤: ٤٣) وذلك لمجرد إقناعهم بوجوده. وطوال الأربعين يوماً التي تورد أعمال الرسل أنه كان موجودًا لم تشر إلا إلى مرة واحدة مع تحديد دخوله غرف مغلقة الأبواب (يوحنا ٢٠: ١٩ -٢٦) واختفائه فجأة (لوقا ٢٤: ٣١) وارتفاعه فوق الأرض في سحابة (مرقس ١٦: ١٩) ولوقا (٢٤: ٥١) وأع (١: ٩). بل حتى في إنجيل لوقا عندما كسر يسوع الخبز في عمواس لم يحدد أنه أكل مما كان يكسره ويتعرفوا عليه حتى اختفى! وفي إنجيل يوحنا عندما ترأس يسوع المائدة لم يقل إنه أكل.

وفي الآية الرابعة من أعمال الرسل يسوع يأمر تلاميذه بألا يغادروا القدس وينتظروا قدوم الروح القدس. وهو ما يتفق وإنجيل لوقا (٢٤: ٤٩) أما في متّى فإن الحواريين تلقوا أمر مغادرة القدس والذهاب إلى الجليل لرؤيته، وكذلك في إنجيل مرقس. أما في يوحنا فلا توضيح لذلك ولا أنه يجب عليهم عدم مغادرة القدس. لذلك نراهم على التوالي في القدس وفي الجليل. كما أنه لا ينص أنهم ينتظرون الروح القدس وفقًا لأوامر يسوع (٢٢: ٢٢).

والسؤال الموجه إلى يسوع عما إذا كانت إقامة مملكة إسرائيل في هذا الزمان (أع ١: ٦) توضح أن الحواريين لم يكونوا قد تلقوا الروح القدس بعد كما في إنجيل يوحنا (٢٢: ٢٢) ولا يتم ذكر من هم الذين طرحوا هذا السؤال. والكلمات التي ينطقها يسوع في أعمال الرسل (١: ٨) عندما «رفع إلى السماء» تذكر تلك التي قالها على جبل في الجليل

(متى ١٩:٢٨) ، والتي قالها في آخر إنجيل مرقس دون تحديد مكان (١٥:١٦) وتلك التي قالها في إنجيل يوحنا (٢٣:٢٢) في القدس مساء نفس يوم البعث.

وأن ارتفاع يسوع الوارد في إنجيل مرقس دون تحديد مكان (١٦: ١٩) غير وارد في الإصحاح الأخير من إنجيل متى ولا في الإصحاحين الأخيرين من إنجيل يوحنا، ونراه واردًا في أعمال الحواريين في ظروف تكمّل تلك الواردة بهذا الصدد في إنجيل لوقا. فوفقًا لأعمال الرسل «ارتفع يسوع إلى السماء» من على جبل الزيتون في الطريق إلى بيت عانيا، علمًا بأنها لا تحدد كيف وجد يسوع نفسه في ذلك المكان، ولا أن كان حضر من القدس مع تلاميذه، ولا تذكر أنه في اللحظات الأخيرة قد رفع يديه وبارك الحواريين.

ولا تذكر أعمال الرسل أي شيء عن الرجلين اللذين ظهرا أمام الحواريين ولا ما هو مصيرهما كما أن أنجيل لوقا ومرقس لم يشيرا إليهما.

تلخيص وقائع ظهور المسيح في أعمال الرسل:

قيل إن يسوع ظهر لحوارييه طوال مدة أربعين يومًا، ولم يحدد عددها أو نوعيتها، وإنما يتم ذكر كلمات قالها يوم صعوده. ولا تذكر أعمال الرسل أن هناك نسوة قد رأين يسوع، وقد تمت ملاحظة ذلك في إنجيل لوقا أيضًا.

الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥: ١-٨):

تذكر أن يسوع بعث في اليوم الثالث وفقًا لما قالته الكتب، دون تحديد في أي مكان ولا متى ظهر لبطرس. أنها مجرد إشارة كما في إنجيل لوقا (٣٤:٢٤)، ولا يقال في أي مكان ظهر للأحد عشر حواريًا. وبذلك لا يمكن إرجاعها لأي ظهور سابق. أما ظهوره إلى أكثر من خمسمائة أخ فهي غير واردة في أي إنجيل من الأناجيل بل ولا في أي نص آخر - وفي إنجيل لوقا (٢٤: ٣٣) يظهر يسوع للأحد عشر حواريًا ومعهم التلاميذ. ولا يمكن لأحد أن يتصور أن تسع غرفة الحواري عدد الخمسمائة شخصًا! وفي الإشارة إلى أول اجتماع للإخوة بعد صعود يسوع التي تذكرها أعمال الرسل (١٥:١) يقال إنهم «حوالي مائة وعشرين»، ولا ترد في الأناجيل أو في الأعمال أنه قد ظهر ليعقوب، ولا تقول رسالة بولس هذه في أي مكان ولا في أي وقت حدث هذا الظهور. ولا يمكن معرفة إلى أي ظهور تشير هذه الرسالة بإبهام «إلى كل الحواريين» دون تحديد مكان أو زمان. وظهور يسوع لبطرس مذكور بنفس العبارات التي تصف ظهوره للأحد عشر

وسيفاس ويعقوب على أنها، في نظر بطرس، حدث من نفس النوع. كما أن هذا الظهور لا يقع في الفترة المحددة بين البعث وارتفاعه في السماء، وأيًا كانت التفاصيل التي يوردها بولس من سماع أصوات ورؤية نور ساطع وفقدانه البصر لا يمكن مقارنتها بالمرات السابقة لظهور يسوع وإنما هي موصوفة وفقًا لما يتخيله بولس. كما أن هذه الرسالة لا تذكر أي ظهور لا لإثنين من التلاميذ ولا للسبعة ولا أية لحظة يغادر فيها يسوع الأرض ويفترق عن حوارييه.

كما أن هذه الرسالة لا تصف ظهور يسوع لأي امرأة أو لعدد منهن مثلها مثل إنجيل لوقا وأعمال الرسل، ولا تشير بأي صورة إلى اختفاء جسم يسوع والزيارات المختلفة للقبر، ولا تذكر شيئًا عن الأشخاص الذين ظهروا سواء للسيدات أو للحواريين بعد صعود يسوع. ولا ذكر لكون يسوع عند ظهوره قد أكل مع تلاميذه أو سار معهم أو دخل مكانًا أبوابه مغلقة أو أن أحدًا قد تعرف عليه أو أنه كان يختفي فجأة مثلما كان يظهر.

تلخيص وقائع ظهور يسوع في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس:

تشير هذه الرسالة إلى ظهور يسوع لكل من سيفاس ويعقوب وبولس، وإن كان ظهوره لبولس خارج نطاق مساحة الزمن المعنى هنا. كما تشير إلى ثلاث مرات ظهر فيها لعدد من الناس: الأحد عشر حواريًا وكل الحواريين وإلى أكثر من خمسمائة أخ معًا دفعة واحدة.

وبعد هذا العرض الشديد الدقة لكل الروايات التي تناولت مسألة بعث يسوع في العهد الجديد، وقد حاولنا تلخيصها ليرى القارئ مدى التضارب وعدم الدقة في رواية واقعة محدودة بعينها، يقوم الباحث شارل رويل بعمل تلخيص مكوّن من أربع نقاط لكل مالاحظه من هذا التضارب ولكل ما خرج به من معطيات، سنحاول عرضها لتقديم نموذج من الأعمال الدراسية للإنجيل في عصر التنوير.

النقطة الأولى:

أولاً: تبدو محاولة إظهار أن جسم يسوع لم يعد في المكان الذي أودع فيه، ولا يهتم أي شخص غريب بهذا الأمر، فالملاحظة تتم إما عن طريق امرأة أو أكثر، وحواري أو أكثر وملاحظات النسوة لا تتطابق وأنهن يتلقين المعلومات من شخصيات تظهر لهن، وتختلف هذه الشخصيات من رواية إلى أخرى. ونفس الشيء بالنسبة لملاحظات الحواريين بل إن شهادة الواحد منهم تختلف، وهو ما يبدو من إنجيل لوقا ويوحنا. أما في إنجيلي

متى ومرقس فلا يذهب أي تلميذ إلى القبر. والملاحظة الواردة عن بطرس في إنجيل لوقا (٢٤: ١٢) أنه يجري إلى القبر وينحني لينظر من الخارج ولا يرى الكفن الموجود على الأرض ويعود مندهشًا. وفي إنجيل يوحنا (٢٠: ٣-١٠) يذهب كل من بطرس ويوحنا الذي ينحني لينظر من الخارج ولا يرى الكفن. فيدخل بطرس وحده، يرى الكفن وغطاء الوجه مطويًا ثم يدخل يوحنا فيرا ويؤمن. وقد ذكر بطرس كشاهد مرتين في الروايتين. وزيارة القبر في الروايتين تمت في نفس الوقت لكن الظروف والملابسات تختلف تمامًا. كما تتناقض عملية دخول السيدات، سواء من كانت منهن بمفردها أو إن كن جماعة. وهذا التناقض يدفع القارئ إلى التساؤل هل دخل بطرس القبر أم لم يدخله، وهل دخلت مريم المجدلية أم لا؟.

وإذا ما تأملنا الروايات الأربع كما تبدو في الأناجيل الأربعة لا يسع القارئ إلا أن يقر بأن الحدث الواحد لا يمكن أن يقع بعدة طرق مختلفة. وبخلاف هذه الأناجيل الأربعة فما من نص آخر يذكر واقعة زيارة القبر أو يذكر أي تفصيل من تفاصيلها. ويشير رويل إلى الاختلافات الواضحة للزيارة الأولى للقبر الواردة في الأناجيل الأربعة يوم السبت صباحًا في نفس المكان ونفس الساعة فرضًا فنص يقول في وضح النهار والآخر بينما بدأ يلوح والثالث عند شروق الشمس والرابع عند الظلام قبل الفجر.. وامرأة واحدة مذكور اسمها في الأناجيل الأربعة هي مريم المجدلية، لكنها لا ترى شيئًا وهي بمفردها وإنما حينما تكون بصحبة أخريات، وما تراه يختلف في كل نص عن الآخر، غير أن الثلاثة متى ومرقس ولوقا يقولون إنها دخلت القبر بينما يوحنا يؤكد أنها هي ولا أي امرأة دخلت القبر!..



النقطة الثانية:

ثانيًا: تأكيد أن يسوع، الذي اختفى جسمه من القبر، ودون أن يكون أي شخص قد رآه، حيّ، وأنه قد تمت رؤيته في عدة أماكن من بضعة أشخاص والنساء اللائي رأينه في إنجيل متى لسن من هن رأوه في الأناجيل الأخرى. ومن رأته في يوحنا تراه بمفردها وليس في نفس الوقت، أوكما في إنجيل متى بصحبة أخريات. ووفقًا لكل من متى ويوحنا الأحد عشر حواريًا أو عدد منهم قد رأوا يسوع في الجليل بينما يقول لوقا إنه لم يره أحد إلا في القدس وضواحيها. أما أعمال الرسل فتؤكد ظهوره طوال أربعين يومًا لكن متى ولوقا يحددان يومين أو ثلاثة، ويوحنا يورد أربع مرات ثلاث منها ظهر

لتلاميذه، أما إنجيل متى فيقول إنه ظهر مرتين واحدة منها لتلاميذه، وإذا تم جمع عدد مرات ظهور يسوع في مختلف الروايات لوصلنا إلى أثنى عشر منها ثلاث مرات لسيدات، وينقص الرقم إلى ثماني مرات إذا أخذنا في الاعتبار ظهوره للإثنين وفقًا لمرقس، والإثنان الواردان في إنجيل لوقا على أنها نفس الواقعة.

النقطة الثالثة:

ملاحظة أنه في كل هذه المرات التي ظهر فيها يسوع لم يره سوى أتباعه، لأن الحرس الوارد ذكره في متى شاهد الزلزلة وزحزحة الحجر ولم يلحظ إلا غياب يسوع أي أنه لم يره. وهذا الحرس الذي لا يرد ذكره سوى في إنجيل متى لا يشاهد ظهور يسوع لأي شخص. وفي كل المرات التي ظهر فيها يسوع في الطريق إلى عمواس حيث توقف مع التلميذين (لوقا ٢٤: ١٥ -٣٠) وعلى جبل الجليل (متى ٢٨: ١٧) وعلى شاطئ بحيرة طبرية (يوحنا ٢١: ٤) وفي الطريق إلى بيت عانيا على جبل الزيتون (لوقا ٢٤:٥٠) لا نطالع في أي إنجيل أن يسوع الذي بُعث قد رآه أي شخص غريب. علمًا بأن هذه الأناجيل توضح أنه ظهر لتلاميذه، في الطريق العام، في وضح النهار ولا يراه أي عابر سبيل. وعندما تورد هذه الأناجيل أنه أعطى الكثير من الأدلة على أنه حيّ، فهي تحدد في نفس الوقت أنها كانت للحواريين فحسب. ونفس الشيء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس في الآيات ٥و٦و٧ من الإصحاح ١٥. وعندما يقول بطرس (أع ٣:١٥) للإسرائيليين: «ورئيس الحياة قتلتموه الذي أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك» يفهم من هذا بوضوح أن الحواريين فقط هم الذين شاهدوه. ووفقًا لكل هذه النصوص فإن يسوع عندما بُعث لم يره أي شخص آخر سوى الحواريين.

بل والأكثر من ذلك في المرات التي ظهر فيها لحواريين كثيرًا ما يرونه دون التعرف عليه - وهذا التحديد غير وارد في إنجيل متى ومرقس ولا في أعمال الرسل أو رسالة بولس كما تورد الأناجيل أنه كان يظهر في هيئات مختلفة (مرقس: ١٦:١٢). كما يقال إن آثار المسامير واضحة في يديه وقدميه وكذلك جرح ضلعه، أما إنجيل متى ومرقس فلا يشيران إلى تلك المسامير، ولا عندما اعتقدت مريم المجدلية أنه البستاني ولا عندما ظهر للنساء. وقد تم لمسه مرة واحدة في إنجيل متى (٢٨:٩) وفي إنجيل لوقا (٢٤:٣٩) يطلب يسوع من الحواريين أن يجسّوه لكن الحواريين لا يلمسونه، وفي إنجيل يوحنا (٢٠:٢٧) يطلب من توما أن يلمسه ويرفض توما. وفي إنجيل يوحنا (٢٠:١٧) يطلب يسوع من مريم المجدلية ألا تلمسه.



ولا يقال في أي إنجيل من الأناجيل أين كان يسوع قبل ظهوره. فإن تقول إنه لم يعد مرئيًا أو صعد إلى السماء فذلك لا يعني الإخبار عن وجوده الحقيقي: فهو يظهر فجأة ويختفي فجأة ولا نعرف أين يقطن، ولا يقولون أين يقيم أو حتى إن كان رحّالة! وبما بدّل الكفن ومن أين له بثياب أو من أين يقتات. كل ما تنص عليه تلك الروايات أنه يمشي وأحيانًا مسافات طويلة فجبل الزيتون على بعد ١١ كيلومتراً من القدس، فكيف ذهب إلى بحيرة طبرية، ولا ذكر لراحة أو نوم بل ولا ذكر لأمه التي لا يذكرها يسوع في أي مرة من مرات ظهوره، كما لم يذكر من اضطهدوه، كما لا يقال شيئًا عن رد فعل هؤلاء من ظهوره أو تجوله في الشوارع وبين المدن من القدس إلى الجليل أو إلى جبل الزيتون ولا شيء يدل على أنهم يبحثون عنه مثلما تشاور الكهنة ليقتلوا لعازر أيضًا (يوحنا ١٢: ١٠) لأنه كان قد «بُعث». وما من نص من هذه النصوص يقول إن أي شخص آخر قد رآه أو سمعه عندما بُعث. وكذلك بولس الذي كان يضطهد أهل الناصرة يجهل تمامًا أن يسوع قد بُعث. فبعد خمسة وعشرين عامًا بعد بعث يسوع المفترض فإن هذا البعث - وفقًا لأعمال الرسل، يبدو غريبًا لسكان القدس لذلك يضطر بولس لتقديم سبب اعتقاله لا على أنه صدّق بعث يسوع، وإنما أنه، وهو الفريسي بن الفريسي، قد أيد النظرية العامة لبعث الموتى (أع ٢٣ :٦) إذ قال: «على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم» ولم يقل لإيمانه ببعث يسوع! كما تفادى ذلك في حديثه ليهود روما (أع ٢٨ :٢٠).

كما أن هذه النصوص لا تورد شيئًا مما يكون قد حدث ليسوع من لحظة وفاته إلى لحظة بعثه، أو كيف خرج من القبر ولا كيف استطاع أن «يجمع روحه بجسده» كما يقول أهل اللاهوت؟ إضافة إلى أنه ما من مكان تم ذكره في كل هذه النصوص يكون يسوع قد وُجد فيه بين قبره وبعثه وتذكّره الحواريون أو زاروه أو أكرموه بأي صورة من الصور أو أنهم احتفظوا بأي شيء من الأشياء التي استخدمها.

النقطة الرابعة:

وتتعلق هذه النقطة بعدم تصديق الحواريين لنبأ بعث يسوع، بشيء من التفاوت بين العبارات: فإنجيل متى يقول: «ولكن بعضهم شك» (١٧:٢٨)، ويقول إنجيل مرقس في آيتين: «فلما سمع أولائك أنه حيّ وقد نظرته لم يصدقوا» (١١:١٦)، و«وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين» (١٣:١٦). أما إنجيل لوقا فيقول: «فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن» (١٤: ١١) بينما يوضح يوحنا في إنجيله أن

الحواري الوحيد الذي لم يصدق فهو توما. أي أن أول رد فعل للحواريين هو عدم تصديق بعث يسوع - علمًا بأنه كان قد أخبرهم بآلامه وبعثه..

وإذا ما استجمعنا هذه النقاط الأربع التي يوردها شارل رويل لوجدناها تدور حول: إثبات عدم وجود جسم يسوع في القبر، وتأكيد أنه حيّ، وإثبات أنه ظهر وتحدث إلى الناس، ورد فعل الحواريين من عدم تصديق أو لا، مع توضيح التناقضات التي تحف بهذه الوقائع.

ثم يقوم شارل رويل بتوضيح أنه بخلاف ظهور يسوع، فإن نفس النصوص التي تناولها لدراسة جزئية «بعث يسوع» كما هي واردة في الأناجيل وبعض النصوص الأخرى، تتحدث عن أشخاص وعن ملائكة قد ظهرت في نفس الأحداث وملابساتها، مشيرًا إلى أن مثل هذه الأنواع المختلفة من الظهور لم يرَها سوى السيدات وأنه قد تم اتهامهن «بالهذيان».

ولتوضيح أن كل ما يتعلق بيسوع منقول تلفيقًا من العهد القديم ومستخدم وكأنها نبوءات لإضفاء مصداقية على شخصية يسوع كما تقدمها الكنيسة، يقوم شارل رويل بعمل مقارنة بين هذه الروايات وسفر طوبيا، حيث نرى رفيق الطريق الذي سار معه يخبرهم عند لحظة افتراقهما أنه ملاك مرسل من السماء. فيفزعوا ويرتعدوا. فقال لهم الملاك: «سلام لكم لاتفزعوا» (١١:١٧). وعبارة «سلام لكم» هي نفس العبارة التي يكررها يسوع عندما يظهر لحوارييه ويفزعوا لرؤيته فيطمئنهم. وهي واردة أيضًا في رد الرب لطمأنة جدعون: «السلام لك. لا تخف» (قضاة ٦:٢٣). ويقول ملاك الرب في طوبيا: «عندما كنت معكم جئت بمشيئة الله» (١١:١٨) وهو ما يردده يسوع: «لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني» (يوحنا ٦:٣٨). ويواصل ملاك الرب في طوبيا «كنت أبدو وكأني آكل وأشرب معكم، لكن لي طعام وشراب لا ترونه» (١١:١٩)، وكان يسوع قد قال نفس الشيء قبل آلامه: «فقال لهم أنا لي طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم» (يوحنا ٤ : ٣٢)، و«وقال لهم يسوع طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتم عمله» (يوحنا ٤:٣٤). ويقول ملاك الرب في سفر طوبيا: «يجب أن أعود إلى الذي أرسلني» (١١:٢٠)، وهو ما قاله يسوع «.. ثم أمضى إلى الذي أرسلني» (يوحنا ٧:٣٣). وبعد أن قال ملاك الرب عبارته السابقة اختفى عن رؤيتهم ولم يعد بوسعهم رؤيته (١١:٢١)، ونفس العبارة يستخدمها يسوع عند رفعه سواء باختفائه فجأة بعد الظهور أو عند ارتفاعه ولم يعد أحد يراه..

وبخلاف قيام شارل رويل بإثبات أن مشاهد الظهور منقولة من العهد القديم فإن أخطر ما يشير إليه في هذا البحث هو كشف التحريف اللغوي الذي قامت به الآيادي العابثة لإثبات بعث يسوع ورفعه، وذلك بتغيير كلمة Assumptus الواردة في النص اللاتيني الذي كتبه القديس چيروم في أواخر القرن الرابع، وهي مشتقة من Assump-tio، وتعني: اضطلع بـ،تقلد، نهض بالأعباء، تبوأ، ووضعوا مكانها عبارة Ascensio وتعني: «صعود»، ارتقاء، ارتفاع، ويوضح الباحث كيف أنها في كافة الآيات المتعلقة بكلمة «صعود» الحالية كانت في النص القديم كلمة Assumptus أي اضطلع بـ،تقلّد. نهض إلخ. إذ لا يأتي أبدًا من معانيها معنى الصعود أو الارتفاع (صفحة ٩٧). كما يستشهد بالرسالة الثانية من بولس إلى تيموثاوس حيث يقول: «**اذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلي**» (٢: ٨)! أي أن يسوع قد قام من بين الأموات بناء على إنجيل بولس الذي لم يكتبه، فلا أحد يعلم أن بولس له إنجيلاً، ولا يمكن الاستشهاد بكلام شخص يقول هو عن نفسه «أنه يكذب» ليدعوا إلى الله فهل يمكن الاعتماد على قول كاذب لإثبات أن يسوع قد قام؟! أليس بولس القائل: «**إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أدان أنا بعد كخاطئ**» (رسالته إلى أهل روميه ٣: ٧).

وقد تم تعديل صياغة الآية الواردة بالرسالة الثانية من بولس إلى تيموثاوس كما هي واردة بعاليه. في طبعة ١٩٦٦، إلى: «اذكر يسوع المسيح الذي أقيم من الموت وهو من نسل داود، كما أعلنه في إنجيلي»، وأياً كان تصويب الصياغة في طبعة ١٩٨٨، فإن المعنى الأساسي واحد، وهو أن يسوع قد قام من بين الأموات بناء على إنجيل بولس، الذي لم يكتب، والمشهود لصاحبه بالكذب، بقوله هو. وإن كان هذا الإنجيل الذي لم يُكتب هو الدليل على قيام يسوع فلماذا تخفيه الكنيسة إن كان قد كتب؟!

وما نخرج به من تلك الشذرات التي عرضناها باقتضاب لبعض كتّاب عصر التنوير، وهي شذرات جد قليلة، فلا يسع المجال لتناولها جميعًا، هو ذلك الشرخ الذي أصاب الكيان الكنسي ولم يعد من الممكن رأبه بأي حال من الأحوال، وإن أمكن التعبير عنه في عباراة واحدة فهي: كشف كل ما تم من تحريف في أصول المسيحية.

فقد أثبت العلماء أنه حتى القرن الرابع لم يكن أحد يعترف بأن المسيح هو الله بل أنه كان نبيًا مقتدرًا من ضمن الأنبياء والرسل. وأنه تمت صياغة الأناجيل في القرن الثاني ومطلع القرن الثالث، فالأسماء التي هي معروفة بها ليست هي التي كتبتها. وأظهروا كيفية تحريف الكتب اليهودية القديمة ليأتوا بنبوءات حول يسوع. وكشف التناقضات

التي تغص بها الأناجيل والكتابات «المقدسة» وما تم فيها من تحريف وغش، وتوضيح تأثر هذه النصوص أو نقلها الواضح من الأساطير القديمة. وانتقاد العقائد ولا معقوليتها أو عدم تمشيها مع المنطق مثل بدعة الثالوث أوالبعث وغيرها وقيام الكنيسة بتلفيق نصوص تساند أو تبرز هذه البدع. خاصة قد أثبتوا أن يسوع لم يأت أو يكتب أو يقل أي شيء عن المسيحية وعقائدها، وأنها من صنع رجال الدين الذين فرضوها قهرًا بالسلاح والنار. وكيف أنها تطورت ولا تزال تتطور من مجمع لآخر، مع توضيح التلاعب والتحريف اللغوي لإثبات بعث يسوع وغيرها من البدع، مثال تحريف كلمة «تقلد» أو «نهض بالأعباء» بكلمة «صعود» لإثبات رفع يسوع بعد بعثه، وتحريف كلمة «امرأة شابة» بـ«عذراء» لاختلاق عقيدة العذرية الدائمة.

وتلك هي الركيزة التي اعتمد عليها علم نقد النصوص المقدسة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، ولا يزال الشرخ يتسع في ذلك البنيان العتيد بعد أن ثبت أن النصوص المتاحة فقط هي ما كتبته الأيادي العابثة بعد أن قامت بحرق أو إبادة كل النصوص المعارضة أوالكاشفة لها أو التي أخذت عنها. فكل ما هو موجود حول أصول المسيحية ونشأتها من نصوص هو ما يكوّن العهد الجديد فقط لا غير وقد تمت إبادة كل ما عداها من نصوص تنتمي للقرن الأول ومنتصف الثاني وكل ما يتعارض مع الكنيسة بعد ذلك.

أما الأبحاث الحديثة فتوضح كيف تم التلاعب زعمًا وإدعاءً في نصوص الترجمة السبعينية واستخدامها كنبوة تدعم اختلاق بدعة البعث. فالسبعينية الحالية هي الترجمة الثالثة للأصل «المفقود» كما يقول القديس چيروم الذي كتب العهد الجديد الحالي في القرن الرابع. وهو ما يتناوله ب. بنْوَا (P.Benoit) في كتابه المعنون «تفسير ولاهوت» (المجلد الأول صفحة ٦) ويقول بنْوَا إن إحلال السبعينية محل الكتاب المقدس العبري قد سمح لاستخلاص تبريرًا للعقائد من النص اليوناني لا يتضمنها النص العبري!

ويوضح بنْوَا أن القديس بطرس في خطابه التالي لعيد الفصح (أعمال الرسل ٢: ٢٥-٣١) والقديس بولس في خطابه في إنطاقيا (أعمال الرسل ١٣: ٢٥-٣٧) يستشهدان بالمزمور ١٦: ٨-١١ لإثبات بعث يسوع. لأن داود يعلن فيه أن الله لن يترك روحه في الجحيم ولن يترك قدّيسه يرى فسادًا. والمعروف أن داود قد مات وأن جثمانه قد تحلل ورأى الفساد أي أن هذه الكلمات لا تخصه وإنما تخص خلفه التبشيري المسيح، الذي يكون بذلك قد تنبأ ببعثه!

ويوضح الباحث بنّوَا أنه «إذا ما أخذنا في الاعتبار أن فكرة الخلود لا توجد في الفكر الإسرائيلي قبل القرن الثاني قبل الميلاد، فإنه لا يمكن أخذ عدم النزول في الجحيم وعدم الإلقاء في حفرة القبر مأخذًا حَرفيًا، لأن ذلك يتضمن إعفاء من الموت وهو أمر محال، ولا يمكن إلا أن تكون مبالغة في التعبير عن الأمل في حياة ممتدة. وهو ما يراه اليوم كل المفسرين بمن فيهم الكاثوليك. وفي مثل هذه الظروف يبدو الأمر أكثر صعوبة أن نحاول العثور في هذا المزمور على أمل البعث الجسدي تحديدًا.. وهكذا، فإن كاتب المزمور يعبّر عن أمل الإفلات طويلاً من «حفرة القبر» ومن «الجحيم»، ولا يتحدث مطلقاً عن أن يُبعث.. وفي واقع الأمر ما كان لأحد أن يبحث عن فكرة البعث في هذا المزمور (وأتحدث دائمًا عن النص العبري)، لو لم يقم كل من القديس بطرس والقديس بولس بتطبيقه على بعث يسوع. أن الرغبة في إضفاء شرعية على هذا المعنى الذي يصرّ عليه العهد الجديد هو الذي أثار تفسيرًا مغلوطًا تاريخيًا وغير طبيعي».

ويوضح الباحث لويس روچييه في كتابه المعنون «**تكوين العقائد**» (١٩٧٢)، أن هذا التلاعب قد تم بناء على تغيير كلمتين أساسيتين في النص اليوناني المعروف بالسبعينية هما «حفرة القبر» و«فسادًا»، وأن النص العبري يختلف عن ذلك.

ونطالع في موسوعة أونيفرساليس (مجلد ٤ صفحة ٨٥) «أن الترجمة اليونانية في جزء كبير منها، أو في أغلبها، لا تتفق ونص السبعينية، وبها خلافات واسعة بينها وبين النص العبري المشهور عنه بأنه أصلي». وتشير الموسوعة إلى أن الإضافات من نوعين: «إضافة كمية، هي إضافة نصوص بأسرها إلى أسفار تعد شرعية، مثل سفر دانيال والأمثال، وإضافات نوعية، بتغيير معنى بعض الكلمات ووضع كلمات أخرى مكانها، كما في مزمور ١٦، مثلاً، وقد تم تغيير كلمة «حفرة القبر» وكتابة «فسادًا»، الأمر الذي سمح عند قراءة الفصل الثالث عشر من أعمال الرسل بفهم أنها عبارة عن نبوءة ببعث يسوع. أو كذلك التغيير الذي حدث في سفر أشعياء ١٤:٧ وقاموا بتغيير عبارة «امرأة شابة» وترجمتها بكلمة «عذراء» الأمر الذي سمح بعمل عقيدة الحمل العذري ليسوع».

ولم نستشهد بهذه الموسوعة العامة إلا لنوضح إلى أي مدى أصبحت مسألة تغيير وتحريف وتبديل النصوص الدينية الإنجيلية مسألة معروفة وثابتة علميًا وتاريخيًا حتى صارت تكتب في القواميس العامة والموسوعات.

وقبل أن ننهي هذا الجزء من الأفضل أن نوضح نفس هذا التحريف المتواصل في النصوص. ففي الترجمة العربية لسنة ١٦٧١ نطالع: «لأنك لا تترك نفسي في **الجحيم**

ولا تدع صفيك يرى **فساداً**. قد عرفتني طريق الحياة. تملأني فرحًا مع وجهك ومن بهجة يمينك إلى التمام» (مزمور ١٥: ١٠-١١)، أما في الطبعة الصادرة سنة ١٩٦٦ فنطالع: «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيّك يرى فسادًا. تعرفني سبيل الحياة. أمامك شِبَعُ سرور. في يمينك نعم إلى الأبد» (١٦: ١٠-١١). ونلاحظ أن كلمة «الجحيم» كانت واردة في الترجمة القديمة وتحولت إلى «الهاوية».

وإذا ما رجعنا إلى النص الفرنسي للكتاب المقدس الصادر عن الفاتيكان لوجدنا نص الآية كما يلي:

car tu ne peux abondonner mon âme au shéol, tu ne peux laisser ton ami voir la fosse.(g)

ومعنى هذا النص: لأنه لا يمكنك ترك روحي في الجحيم (وقد احتفظ النص الفرنسي بكلمة «الجحيم» ولكن بكتابتها نطقًا بالعبرية «شي أول») ولا يمكنك ترك صديقك يرى حفرة القبر. أما حرف (g) الصغير الذي يشير إلى وجود هامش فنطالع فيه: «إن الترجمات القديمة تترجم «حفرة القبر» بـ«فسادًا». وكأنهم بذلك برأوا أنفسهم من التواطؤ بمجرد تلك الإشارة الساذجة! ويواصل الهامش قائلاً: «إن التطبيق المسيحي الذي أقرته اليهودية قد تحقق ببعث يسوع» (صفحة ٧٢٧)! واللهم لا تعليق على هذا التلفيق، فالمعروف أن اليهود لا يقروا المسيح أو المسيحية.

أما تضارب أقوال الأناجيل حول رفعه إلى السماء أو نزوله في الجحيم في نفس اليوم، الجمعة، فلا يقل بلبلة. فخطاب بولس إلى العبرانيين يقول إنه صعد إلى السماء ليقدم دمه بنفسه في قدس المعبد السماوي، أما بطرس، في رسالته الأولى فيقول إنه نزل إلى الجحيم ليبشر الأرواح السجينة. ويقول بولس في رسالته إلى أهل رومية (١٠: ٧) أنه كان في «الهاوية» بمعنى «الجحيم»، أما لوقا (٢٣: ٢٤) فيقول إنه رفع في الجنة، وكذلك يوحنا، ولاشك في أن الجمع بين وجود إنسان ما، أيًا كان، في الجنة وفي الجحيم في نفس الوقت من المحال، ومن الواضح أنه لم يكن هناك أي شاهد على الأحداث إلا النيّات المغرضة السياسية والدينية المتحكمة وفقًا لظروف الساعة.

وأيًا كان الأمر، فيكفي ما يؤكده العديد من العلماء إضافة إلى ما هو وارد بالنصوص «المقدسة» نفسها، وهو أنه لا يوجد أي وصف لعملية البعث نفسها، ولم يشاهدها أي مخلوق، والدليل الوحيد عليها هو «وجود القبر خاليًا» بناء على نصوص مشكوك في مصداقيتها.

وإلى من يؤثر رؤية التحريف بنفسه، إضافة إلى كل ما ورد بهذا الجزء، فليعد إلى إنجيل متى الإصحاح ٢٨ الذي يرد في آخره قصة الحرس والرشوة التي أخذوها ليقولوا إن أتباع يسوع قد سرقوا جسده، وهي الآيات من ١١ إلى ١٥، وإذا ما تم حذف هذه الآيات الخمس لاستمر النص بين الآية ١٠ و١٦ بلا أي خلل: «فقال لهما يسوع لا تخافا اذهبا قولا لأخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني» (١٠) «وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع» (١٧). مع ملاحظة تغيير كلمة «أخوتي» وكتابة «الأحد عشر تلميذاً» بدلا عنها!.

ولا يسعنا في نهاية هذه الجزئية إلا تكرار السؤال الذي طرحه شارل رويل هل بعث يسوع كما هو وارد في الأناجيل يمكن اعتباره حدثاً تاريخياً؟!

خلاصة القول:

وإذا نظرنا إلى عملية البعث بصورة نقدية موضوعية، لرأينا أن ما تقدمه النصوص يقول إجمالاً: أن يسوع قد مات ودُفن يوم الجمعة مساء وأنه قد بعث في فجر الأحد أو قبيله، وأنه ظهر لحوارييه عدة مرات ثم صعد إلى أبيه حيث يجلس عن يمينه، وقد تبدو هذه القصة الوردية معقولة إلى حد ما في هذا التسطيح الساذج للأحداث، إلا أن تأمل الوثائق عن قرب يكشف عن كم لا حصر له من الطبقات المتراكمة والتلاعب بالكلمات، إضافة إلى الملاحظات التالية:

- يقوم مرقس بوصف عملية دفن يسوع (١٥: ٤٢-٤٧) متناسيًا أنه الاستعداد لعيد الفصح الذي يفرض الراحة الإجبارية وعدم القيام بأي شيء طوال يوم السبت.
- وفقًا لأعمال الرسل (١٣:٢٩) فإن اليهود هم الذين قتلوا يسوع، وهم الذين أنزلوه من على الصليب، وهم الذين وضعوه في القبر. وهنا لابد من الإشارة إلى يوسف من الرامة الذي دفنه، والرامة هي مدينة النبي صموئيل وفقًا للملوك الأول (١:١)، والغريب أن يوسف هذا الذي ظهر فجأة ويختفي فجأة مقرّب إلى بيلاطس وواحد من أعضاء المحكمة العليا التي أدانت يسوع بكامل هيئتها. فكيف يهتم بيسوع ويستلم جسده ويدفنه بهذه البساطة؟! والأغرب من ذلك أن بيلاطس بعد ساعتين أو ثلاث لا يعرف بعد أن يسوع قد «مات»!
- كما تجب الإشارة إلى زميله نيقوديمس، وهو رئيس لليهود، الذي حضر مع يوسف من الرامة ومعه نحو مائة منّا من العطور - والمنّا تساوي نصف كيلوجرام تقريبًا،

أي أنهما أحضرا حوالي خمسين كيلوجرامًا من العطور لتطييب جسد يسوع - وهو ما يكفي لتطييب ما يزيد على جسد فيل من الأفيال الضخمة! بل كيف أمكنهما حمل كل هذه الكمية (خمسون كيلو جرامًا) من العطور وحمل جسد يسوع في نفس الوقت؟!

- وبغض الطرف عن التناقض الوارد في وصف القبر، فالبعض يقول «حفرة» بدليل أن بطرس انحنى ليراه، والبعض الآخر يقول منحوت في الجبل بدليل أن البعض دخل ورأى - وما يقوله يوحنا إن «الموضع الذي صُلب فيه بستان وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط» (٢٠:٤١) أما مرقس فيقول إنه وضع «في قبر كان منحوتًا في صخرة ودحرج حجرًا على باب القبر» (١٥:٤٦)، فمن الناحية التاريخية، أن كل فترة المسيحية الأولى قد جهلت موقع قبر يسوع حتى القرن الرابع حينما تنبهوا لذلك فقامت والدة قسطنطين ببناء كل ما هو معروف حاليًا باسم «الآثار التاريخية ليسوع»..
- وإذا ما استرجعنا الأحداث نجد أنه وُضع في القبر (وفقًا لبولس) وأن اليهود «لما تمموا كل ما كتب عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر» (أع ١٣:٢٩) و«قَبّر» هنا مبني للمجهول. وأن من دفنه هو يهودي من الأشراف، أي من أعضاء المحكمة العليا. أما ذهاب كبار الكهنة الفاريسيين ليطلبوا من بيلاطس حماية القبر لكي لا يقوم تلاميذه بسرقة جسده ويقول إنه بُعث، فهي تتضح بالاختلاق، على حد قول جينيبير، «لا لأن الحواري متى هو الذي يعرفها ولكن لأنها تتفق تمامًا وإضفاء المصداقية على فكرة وجود القبر خاليًا» (يسوع، صفحة ٥١٥).
- ويوم الأحد صباحًا ذهبت النسوة إلى القبر ووجدنه خاليًا (مرقس: ١٦: ١-١٨) ولا يرد أي ذكر لعملية البعث في إنجيل مرقس، بل ولا في أي إنجيل آخر.
- وأما عبارة متى: «فأخذوا الفضة وفعلوا كما علّموهم. فشاع هذا القول عند اليهود إلى يومنا هذا» (٢٨:١٥) فهي عبارة تؤكد أن من كتبها ليس يهوديًا على الإطلاق، وليس من الحواريين، وإلا لما قال: «عند اليهود» فهو بذلك ينفي انتماءه إليهم، وهو ما يتناقض مع ما تفرضه الكنيسة من أن الحواريين هم الذين كتبوا الأناجيل.
- وأن ما نخرج به من هذه النصوص أنها قد كتبت بحيث تبدو قصة البعث حقيقة رغم كم لا حصر له من المتناقضات ومنها قول متىّ إن القبر كانت عليه حراسة، وهو ما يجهله كل من مرقس ولوقا.

- ومن الملاحظ أن وصف بولس لظهور يسوع غير مرتبط لا بالبعث ولا بالصعود إلى السماء، وكأن الأمر لا يعنيه فهو لا يحددها ولا يؤرخها ولا يوجد بينها إلا صلة تتالي الأحداث.
- ومن اللافت للنظر أن ظهور يسوع بعد بعثه المزعوم، يتفاوت من عدة ساعات، وفقًا للوقا، إلى أربعين يومًا، وفقًا لأعمال الرسل. فهل يمكن الاعتماد على مثل هذا التفاوت في أي تقييم للأحداث؟
- ومن غير المعقول أن ينطق توما عبارة: «ربي وإلهي» وهو اليهودي المتمسك بالشرع اليهودي، مثله مثل يسوع، الذي لم يأت لإلغائه على حد قوله (في يوحنا ٢٠:٢٨). كما أن كلمة «الرب» (Seigneur) من الكلمات التي دخلت المجتمع الهلليني خلال القرن الثاني.

وما يخرج به القارئ من نصوص قصة البعث إجمالاً هو:

- عدم وجود أي توافق بينها حول الأماكن التي ظهر بها يسوع، فالبعض يقول الجليل والبعض الآخر أورشليم.
- التناقض تام حول عدد المرات التي ظهر فيها يسوع.
- والتناقض واضح فيما فعله وقاله يسوع خلال المرات التي ظهر فيها افتراضًا.
- عمليات التردد والخوف والشك التي اعترت الأتباع توضح أنهم لم يتقبلوا فكرة البعث ولم يستوعبوها على الرغم من أن يسوع كان قد أعلنها لهم من قبل.
- والمكان التاريخي المتعلق بصعود يسوع يختلف بشدة من نص إلى آخر.
- والاختلاف شديد بين ما يقوله بوليس من أن يسوع قد ظهر لخمسمائة شخص، وما تقوله الأناجيل بعامة، ومتّى الذي يختصرها إلى مرة واحدة.

لذلك لا يمكن الاعتماد على مثل هذه النصوص من الناحية التاريخية، ومن الواضح أن هذه الجزئية من الأحداث قد صيغت للتأكيد على عملية البعث التي تم اختلاقها، وللرد على اعتراضات غير المصدقين لها آنذاك. أما الباحثون في هذا المجال فيرون أن المقصود منها هو: «الاهتمام بتأكيد الوجود الكنسي وتأسيس سلطانه» (شارل جينيوبير: يسوع، صفحة ٥٢٩).

ويؤكد نفس هذا المؤلف أن دراسة أقدم النصوص المتعلقة بظهور يسوع تنفي اكتشاف المقبرة الخالية من التراث القديم ومن التاريخ، وتؤكد بوضوح أن الإيمان ببعث يسوع يعتمد على ظهوره الذي لا دليل عليه، وأن عمليات نفي هذا الظهور قديمة قِدَمَ

المسيحية نفسها.. وأن تلك «المعجزة الكبرى» التي يزعمونها قد صادفت اعتراضات لا حصر لها.. وأن عمليات ظهور يسوع قد سبقت ملاحظة المقبرة الخالية، وأنه لا توجد في نصوص العهد القديم ما يشير إلى بعث المسيح، فلم يكن اليهود متعلقين بفكرة أن المسيح القادم كان عليه أن يموت ويبعث! لذلك يؤكد بوضوح قائلاً: «لقد تم اختلاق أسطورة البعث فيما بين عام ٦٠ و٧٠م، ثم أضيفت إليها بعض الحليات على التوالي» (صفحة ٥٥٩).

ومن ناحية أخرى، ما من إنسان يعلم أين ذهب جسد يسوع بعد موته المزعوم، ولا حتى الأناجيل المتواترة. وقصة التكفين التي توردها ليست سوى استنتاج متناقض التفاصيل ممن يقومون بتثبيت العقيدة على هواهم. فلولا فرض واستتباب الإيمان بفكرة البعث لما كانت هناك مسيحية على الإطلاق، لأن كل العقيدة قائمة على فكرة البعث.

وذلك لأنه من الناحية التاريخية البحتة، تلك التي تتعلق بتأسيس وتطور وانتشار الديانة المسيحية، فإن أهمية الاعتقاد في قضية البعث تعد لبنة أساسية، إذ بفضلها تحول الإيمان بيسوع إلى المبدأ المؤسس لديانة جديدة بعد انفصالها عن اليهودية ثم التعارض معها ومحاربتها. فهذه العقيدة الثابت اختلاقها بأثر رجعي، اعتمادًا على فكرة الإله الذي يموت ويُبعث - الشديدة الانتشار في العالم الشرقي آنذاك، هي التي غذت أو أدت إلى عقيدة قائمة على «شهادات» الحواريين الذين لم يرو الحدث ولا الأحداث المبنية عليه، ولم يعاصروها على الإطلاق، وبالتالي ما من واحد منهم قد رأى عملية البعث، القائمة على شهادات سمعية متناقلة بتناقضاتها ولا أي يقين يساندها.

وهو ما دفع العالم جيزافيرمس أن يوضح قائلاً: «لم يكن مسيحيو أفسوس أو كورنثوس أو روما يعرفون شيئًا عن العهد القديم، لذلك لم يلحظوا أن بولس كان يلوي المفهوم اليهودي للمسيح، وكلامه بالنسبة لليهود كان نوعًا من العبث إذ بما أن المسيح لا يتعين عليه أن يموت فما معنى أن يُبعث من بين الأموات» («**البحث عن هوية يسوع**» صفحة ٨٢).

وبعد عدة صفحات يؤكد قائلاً: «إن عملية بعث يسوع كما توردها الأناجيل لاتزال تمثل لغزًا محبطًا لأية محاولة لفهم الأحداث بصورة منطقية. والروايات الإنجيلية تحاول فرض مصداقية الحدث الوارد بهذه الحجج الجوفاء التي تناقلتها نسوة مذعورات. لذلك أوردت النصوص شهادات تتراوح من شخص واحد إلى خمسمائة

شخص وفقًا لآخر! اوالأغرب من هذا وذاك تشكك الحواريين أنفسهم في عملية البعث. بينما يحاول يوحنا الإصرار على شهادة الجند بوفاة يسوع، وذلك لإخماد تعليق كان سائدًا منذ ذلك الوقت ويشرئب بانتظام حتى وقتنا هذا، من أن يسوع لم يمت فعلاً على الصليب وإنما كان حيًا وعاش بعد ذلك طويلاً.. واختصارًا من المحال العثور على الخطوات أو المراحل الحقيقية لهذا المعتقد الروحي الذي تدرج من اليأس المطلق والرفض الواضح المشوب بالشك إلى تأكيد مطلق لبعث يسوع» (صفحة ١٧٦).

أما ميشيل كوكيه فيقولها في إيجاز شديد: «**إن واقعة البعث لا يمكن إثباتها كواقعة تاريخية بوسائل البحث التاريخية**» (صفحة ١٠). بينما يعلن الأب ليون دوفور (Léon Dufour) فيعلق قائلاً في كتابه المعنون: «**قراءة في إنجيل يوحنا**»: «**إن المؤرخ اليوم يشعر بالحرج حيال مثل هذه الآيات، ومع ذلك فهو مرغم على إرتجال إجابة ما**»!

وما أكثر التعليقات الواردة في الأبحاث الحديثة، فما أوردناه يعد بمثابة شذرات. بل هناك من يؤكد أكثر من مرة «أن إنجيل مرقس لم يكن يتضمن في الأصل أي قصة عن بعث يسوع» (جيرار مورديا: «**يسوع ضد يسوع**» (صفحتا ٢٤٣ و٢٥٣) مؤكدًا أن «قصة آلامه وصلبه قد أضيفت أيضًا فيما بعد» (صفحة ٢٤٤). وكان قبل هذا وذاك قد كتب قائلاً في صفحة ٢٠٩ «إن قصة البعث ليست حدثًا تاريخيًا وإنما حدثًا لاهوتيًا».

محاكمة يسوع:

• ما قتلوه وما صلبوه

ما قتلوه.. وما صلبوه

من يتناول محاكمة يسوع الواردة في الأناجيل لا يمكنه إغفال الإجماع العام الحالي بين العلماء والباحثين لوصف ما يسمى آلام المسيح بأنها أصبحت قصة لا ينظر إليها إلا بعين الإيمان فقط - أي أنها قصة منسوجة لغرض ما ولا سند تاريخي لها. فما يقوله ذلك «الإيمان» الذي صنعه وفرضه الكيان الكنسي شيء، وما تتضمنه نصوص الأناجيل أو العهد الجديد شيء آخر بالفعل، خاصة وأنها الوثائق الوحيدة المتاحة، أي الوثائق الوحيدة التي تركتها الأيادي العابثة بعد أن أبادت ما عداها.

وهذه القصة كما تقدمها الأناجيل قائمة على كمّ لا يمكن تصوره من التناقض والأحابيل. وعلى الرغم من أن الإنجيل وفقًا لمّتى ووفقًا لمرقس متشابهان إلى حد ما، فهما يختلفان عما في الإنجيل وفقًا للوقا، وثلاثتهم يختلفون عما في الإنجيل وفقًا ليوحنا.

وإذا ما نظرنا إجمالاً إلى قصة يسوع حتى الأسبوع الأخير من حياته وفقًا لهذه النصوص، ورغم شحة المعلومات عن الجزء الأول من حياته، نراه يبدو معالجًا شافيًا وطاردًا للشياطين وخطيبًا محبوبًا في منطقة الجليل وبحيرة جنيسارت. وحتى عند وصوله إلى مدينة أورشليم/ القدس فهو يبدو كبطل مغوار تستقبله الجماهير بحفاوة بالغة وتفترش له الطريق بعباءاتها وبالأغصان والهتافات المؤيدة. أما الكهنة ورؤساء المعابد فلم يكونوا يقرونه لتخطيه حدود عطلة يوم السبت.

أما إذا تأملنا التفاصيل بعامة ووفقًا لكل إنجيل منها فهنا تبدأ الاختلافات في الصياح جهرًا بعدم التوافق والتلفيق. واللافت للنظر أنه حتى لحظة القبض عليه واعتقاله يبدو يسوع محبوبًا من الجميع. وفجأة ينقلب كل شيء كالبحر العارم في لج غير مفهوم. إذ يتحول يسوع في هذه النصوص إلى شخص لا يكرهه قادة اليهودية ورؤساء الكهنة وأعضاء المحكمة العليا والكتبة فحسب وإنما الشعب اليهودي والجموع برمتها! فما من إنسان وقف إلى جانبه يسانده في محنته، لا أتباعه ولا الحواريين ولا التلاميذ ولا أي واحد من تلك الجموع الغفيرة التي شفاها.. الكل أصيب بصمت القبور وهرب، ثم فجأة تتعالى الصياح مطالبة بقتله. فما الذي قلب الحال رأسًا على عقب بهذه السرعة وبهذه الصورة اللاإنسانية التي تقصها تلك الأناجيل؟!



وقبل محاولة فحص ما الذي يود كتبه الأناجيل منّا أن نصدقه، فلابد من توضيح حقيقة إجمالية حول هذه الأناجيل وكتبتها من العُرف الرسمي، مع ملاحظة أنه لا يوجد أي أثر ولا أي ذكر لهؤلاء الكتبة إلا ما يستبان من التراث الكنسي فحسب.. فيقال إن إنجيل مرقس تمت كتابته بعد هدم مدينة أورشليم سنة ٧٠، أي بعد أربعون عامًا من واقعة الصلب المزعومة. على الرغم من أن پاپياس (Papias)، وهو أحد الآباء المؤرخين للكنيسة يقول مرقس ليس شاهد عيان على الأحداث. ويقال إن إنجيل متى كان قد كتب بالآرامية إلا أنه لا أثر له إطلاقاً والاستشهادات الإنجيلية الواردة قائمة على الأصل اليوناني المترجم. ويضعه بعض الباحثين بين سنة ٨٠ و١٠٠م، أي بعد قرابة سبعين عامًا من الأحداث. وأول ذكر لإنجيل لوقا واعتباره من الحواريين ومؤلف أعمال الرسل يرجع إلى «نصوص موراتوري» وهو أقدم كتالوج لكتب العهد الجديد الذي تم العثور عليه في مخطوط من القرن الثامن ونشره ل.أ. موراتوري (Muratori) ويقال إن النص الأصلي كتب سنة ١٨٠م.

أما إنجيل يوحنا فباستثناء عبارة «تلميذ يسوع المفضل» التي تمت إضافتها في الإصحاح ٢١ لتوهم بأن كاتبه هو الصياد يوحنا الجليلي ابن زبدي، شاهد عيان على الأحداث، وهي عبارة يجمع الباحثون على أنها غير أصلية وأنه يصعب التعرف على الشخصية الحقيقية لكاتب الإنجيل الرابع الذي يجمع العديد من العلماء على أنه تمت صياغته فيما بين سنة ١١٠ و١٥٠م. وبالتالي لا يمكن أن يكون شاهدًا على الأحداث، لا هو ولا الثلاثة الآخرين. وأن من كتبوها صاغوها بناء على تراث منقول، وأنه تمت كتابتها من أجل أولئك الرومان واليونان الذين كانوا يحاولون إقناعهم باعتناق المسيحية، وخاصة بين الوثنيين المتحدثين باليونانية، أي أن كل هذه النصوص برمتها قد كتبت بأثر رجعي، بعد الأحداث، لإثبات وقائع بعينها، وبالتالي فلا مصداقية تاريخية لها على الإطلاق.

والإجماع العام القاطع يؤكد أن إسناد هذه الأناجيل إلى الحواريين عبارة عن أكاذيب مغرضة لإضفاء المصداقية عليها. وأن من كتبتها أيادي متعددة تنتمي لجماعات متنوعة. وأن التواريخ المقترحة حاليًا هي كالآتي:

- **إنجيل متى:** يقول الفاتيكان إنه تمت صياغته فيما بين سنة ٨٠-٩٠م ويؤكد الباحثون أنه صيغ حوالي سنة ١٦٥م - والملاحظ أن كل أحداثه تدور في الجليل.
- **إنجيل مرقس:** يقول الفاتيكان إنه تمت صياغته حوالي سنة ٧٠م، إلا أن هذا النص يشير إلى هزيمة باركُشبا التي وقعت سنة ١٣٥! والنص يرجع إلى حوالي سنة ١٧٠م.

● **إنجيل لوقا**: يقول الفاتيكان إنه تمت صياغته فيما بين ٨٠ و٩٠م، إلا أن النص يرجع في صياغته الأولى إلى سنة ١٨٠، وأن كل أحداثه تدور في القدس ويغص بالمغالطات التاريخية.

● **إنجيل يوحنا**: يقول الفاتيكان إنه تمت صياغته حوالي سنة ٩٠م. وفي واقع الأمر قد بدأت صياغته حوالي ١٨٠م وانتهت في القرن الرابع! ومن الغريب أن هذا الإنجيل لا يتحدث أبدًا عن يوحنا المعمدان.

ويرجع العلماء هذا التحديد إلى أنه في أيام يسوع وبعد صلبه كما يقولون، كانت الجماهير تنتظر قدوم ملكوت الرب ومجيء يسوع على سحاب وما إلى ذلك. فلم تكن هناك حاجة ماسة إلى وجود نصوص. بينما كان بولس والحواريون يباشرون التبشير بقرب ذلك الملكوت وليس المجال هنا تناول تفاصيلها.

وفي حوالي سنة ٢٠٠ بدأت تتبلور فكرة عمل نصوص تكوّن العهد الجديد. ولم يهتم المسيحيون بتحديد هذه النصوص وتثبيتها إلا في أواخر القرن الرابع عندما تولى القديس جيروم القيام بهذه المهمة. وكان الأب أتانازيوس، أسقف الإسكندرية، قد قام بعمل كشف بالأناجيل التي يمكن أن تكوّن العهد الجديد، وذلك سنة ٣٦٧، من بين حوالي سبعين إنجيلاً متداولاً. ثم أقر مجمع هيبونا هذه القائمة سنة ٣٩٣ ثم أقرها مجمع كرتاجنة سنة ٣٩٧. وكل هذا اللغط في النصوص يكشف عن مدى «مصداقيتها» وعن مدى تطابق كلمة «التنزيل الإلهي» عليها، خاصة بعد ما كتب القديس جيروم في مقدمة العهد الجديد الذي صاغه وفقًا لهوى البابا داماز وكيف عدّل وبدّل وانتقى وغيّر ليكوّن ما فرضته الأيادي العابثة على أنها نصوص من تأليف «الله» عز وجل - كما رأينا.. والنص الكامل موجود في الملاحق.

وقد حاول كتبة الأناجيل تقديم فكرة أن يسوع هو المنقذ، المسيح الذي صلبه بيلاطس بحيث يبدو مقبولاً من سكان العالم اليوناني الروماني ولإثبات ضمنًا فكرة أن يكون المرء مسيحيًا فذلك لا يتعارض مع ولائه لقيصر والامبراطورية الرومانية. لذلك قاموا بتبرئة بيلاطس وروما وإلصاق التهمة على الزعماء اليهود والشعب اليهودي بأسره.

والمعروف عن حياة يسوع جد قليل إلى درجة مفزعة محبطة. وما يقال إنه قد بدأ كمعالج ومعلم في الجليل مع بداية نشاط يوحنا المعمدان تؤرخ سنة ٢٩م. وكانت مدتها جد قصيرة، وحيثما انتهت رسالة يوحنا بدأت رسالة يسوع. وتتضمن نصوص الأناجيل مدتان مختلفتان لفترة رسالة يسوع، إذ تقول الأناجيل المتواترة

أنها سنة واحدة تقريبًا أو أقل، بينما يمدها إنجيل يوحنا إلى ثلاث سنوات - وإن كان هناك من حصرها في ثلاثة أشهر أو أقل.

وعلى الرغم من شحّة المعلومات التي نعرفها عن حياة يسوع وتعرض على القارئ بصورة تجريدية الإبهام، لا تتعدى بضعة كليمات، فإن الروايات التي كتبوا بها المحاكمة المزعومة تمتلئ بالتفاصيل وتتصاعد في إيقاع محموم.

وتختلف الأناجيل الأربعة حول الملابسات الخاصة بمقتل يسوع - كما يقولون، وإن كانت تتفق في أن ذلك قد وقع عقب محاكمة أو محاكمتين، وقبل تناول أحداث هذه القضية بشيء من التفاصيل، لنلقي نظرة على حالة الوضع القانوني آنذاك.

عندما تم وضع منطقة اليهودية تحت حكم الإدارة الروماني سنة ٦م، كان كوبونيوس أول حاكم روماني يصل مدينة أورشليم، وقد خوّله الامبراطور أغسطس كل السلطات، بما في ذلك سلطة إصدار عقوبة الإعدام (راجع حرب اليهود لفلافيوس جوزيف). وذلك يعني أن بيلاطس البنطي الذي تسلم مهام منصبه بعد ذلك بعشرين عاماً، من ٢٦ إلى ٣٦م، كان مخوّلاً بكافة السلطات بما في ذلك استصدار الحكم بالموت. أي أنه كان من سلطته أن يتعامل مع يسوع بكل قوة القانون الروماني، خاصة بعد إدانته بعدم الولاء للقيصر وللدولة. وكانت العقوبة العادية في مثل هذه الحالة هي الصلب، وكان خاصًا بالأجانب وليس بالمواطنين الرومان. أي خاصًا باللصوص والعبيد. فإذا كان قد تم اتهام يسوع بممارسة نشاط ثوري معادي للدولة فكان من حق بيلاطس أن يصلبه، بل إن منصبه كان يقتضي ذلك ويحتمه عليه.

أما القضاء اليهودي، فكان يتضمن ثلاثة أنواع من المحاكم: المحكمة المحلية، وتتكون من ثلاثة قضاة، وكانت خاصة بالمنازعات اليومية؛ والمحكمة الوسطى، وتتكون من ٢٣ قاضيًا، وتختص بقضايا الإجرام؛ والمحكمة العليا، وتتكون من ٧١ قاضيًا ومقرها أورشليم. وكانت القضايا التي تنظر بها تتم في قاعة خاصة في منطقة المعبد. وكانت هذه المحكمة العليا بمثابة مجلس الشيوخ في أعلى تكويناته القانونية والإدارية. أي أنها كانت بمثابة ثلاث محاكم في هيئة واحدة.

وبالإضافة إلى النظر في القضايا الإجرامية العليا كان يمكنها إعلان الحرب وتغيير الحدود الجغرافية لمدينة أورشليم أو للمعبد، وقبل هذا وذاك تنفيذ شرع موسى بكل سلطان. وتضع الأناجيل المعتمدة يسوع أمام هذه المحكمة العليا، لكن، ليس في الساحة المألوفة بجوار المعبد، وإنما في منزل كبير الكهنة! وهي من أولى النقاط التي تؤخذ ضد مشروعية هذه المحاكمة.

وصدور الحكم بالإدانة ضد يسوع يعني أن كتبة هذه الأناجيل يعرفون تمامًا أنهم يشيرون إلى هذا المجمع على أنه يمثل المحكمة العليا وليس مجرد مجمع استشاري.

ووفقًا للشرع اليهودي، فإن العهد القديم ينص على الجرائم التي يعاقب عليها بالموت، وهي أثنى عشر حالة: القتل، واختطاف إنسان لبيعه كعبد، والوثنية، وتدنيس ابنة الكاهن بالزنا، والزنا، وزنا المحارم، واللواط، ومضاجعة البهائم.

وكان لابد من شاهدين يشهد كل منهما على حدة وتتطابق الشهادتان، وكان على كل قاضي أن يلقي بصوته للاقتراع، وهو عكس ما نطالعه في الأناجيل المتواترة إذ لا يمكن إصدار الحكم بالموت على شخص لمجرد طلب الجماهير!

كما أن المحكمة العليا لم يكن بإمكانها - وفقًا للشرع اليهودي، أن تنطق بالحكم في نفس يوم المحاكمة والاستماع إلى الشهود، إذ كان لابد من الانتظار لليوم التالي حتى يصدر منطوق الحكم. كما أن اجتماع المحكمة مساءً من المحرمات ومن المحال إقامة أية محاكمة قد تتضمن عقوبة الموت عشية السبت أو عشية يوم عيد، وخاصة أو وما بالنا بأكبر عيد يهودي؟! وكذلك فإن العمل يوم السبت من المحرمات المستوجبة لعقوبة الموت كما رأينا.

ويقول چيزاڤيرمس (G.Vermes) أن «وثيقة دمشق» من مخطوطات قمران تؤكد بشدة على نفس المحرمات، وأنه لا يجوز لأحد أن يصدر حكمًا يوم السبت (**آلام المسيح** صفحة ٢٤) ووثيقة دمشق تعد من أهم الوثائق التي تم العثور عليها بين مخطوطات البحر الميت في منطقة قمران، وتكشف عن الكثير مما أخذته المسيحية الحالية من تعاليمها.

وينص العهد القديم على أن هناك وسيلتان لعقوبة الموت: الرجم أو الحرق حيًا. وكانت هذه الميتة حرقًا خاصة لعقوبة زنا المحارم أو الزنا بابنة كاهن، أما المشناة فتضيف وسيلتين أخريين: قطع الرقبة بالسيف، والشنق. وكانت الوسائل الأربع تمارس أيام يسوع.

أما عملية الصلب فكانت خاصة بالرومان وحدهم. وهم فقط الذين كانوا يمارسونها، وما أكثر الثوار والعبيد الذين تم صلبهم أيام الرومان، حتى ليقال إنه لم تكن هناك أماكن لرشق مزيد من الصلبان، ولا عدد كاف من الصلبان لعدد الضحايا.. ويصف المؤرخ الإيطالي تشيشرون بأنها «أبشع وأفظع وسائل القتل».

وإذا ما تأملنا الوقائع الثلاث عشرة التي تتخلل آخر يوم في حياة يسوع وموته ودفنه - وفقًا لما يقولون، لخرجنا بتحديد أوضح للاختلافات الجوهرية. وهذه الوقائع المختلفة بين الأناجيل هي:

١ - العشاء الأخير.

٢ - القبض على يسوع.

٣ - استجواب يسوع وفقًا لإنجيل يوحنا.

٤ - محاكمة يسوع ليلا أمام المحكمة اليهودية العليا.

٥ - الاجتماع الصباحي للمحكمة العليا اليهودية.

٦ - انتحار يهوذه.

٧ - مثول يسوع أمام بيلاطس.

٨ - إرسال يسوع إلى هيرودس انتيباس وإعادته إلى بيلاطس.

٩ - عشية العيد والعفو عن بارباس.

١٠ - الحكم بالموت.

١١ - الصلب.

١٢ - موت يسوع.

١٣ - دفن يسوع.

وسوف نتناول هذه النقاط تباعًا.

١ - العشاء الأخير:

ونبدأ بتوضيح أن اليوم وفقًا للتوقيت اليهودي يبدأ عند الغسق وظهور أول نجمة في السماء أي في السادسة مساءً تقريبًا. وتورد الأناجيل الأربعة قصة العشاء الأخير، إلا أن ما نخرج به من الأناجيل المتواترة يختلف تمامًا عما نخرج به من إنجيل يوحنا وإسهابه في شرح وصية المحبة الجديدة - وهي ليست بوصية جديدة لورودها في العهد القديم في سفر اللاويين (١٩:١٨). وكل ما فعله يسوع هو تعميق مفهومها أو التأكيد عليه ولم يبتكرها كما يزعم الكنسيون.

كما أن يوحنا يضع العشاء قبل عشية الفصح بيوم، وهو ما يخالف الأناجيل المتواترة ولا يتضمن أي شيء عن طقس الإفخارستيا الوارد بصور مختلفة لدى كل منهم. وإن كان لوقا ينص على لسان يسوع أن يقام ذلك لذكراه: «اصنعوا هذا لذكرى» (٢٢:١٩)!

وهو ما سبق وأكده بولس، أو إن شئنا الحق، أن بولس هو أول من فرض ذلك بما أنه في ترتيب هذه النصوص زمانيًا تأتي كتابات بولس المفترضة في أول القائمة ثم أعمال الرسل ثم الأناجيل، وهو الترتيب الذي كان يتعين على المسؤولين اتباعه وليس الترتيب السائد. إلا أن النية في فرض مفاهيم بعينها هي التي تتحكم.

ومن ناحية أخرى، كيف يقال إن يسوع - وفقًا لإنجيل لوقا طالب بأكل لحمه وشرب دمه ومواصلة إتباع ذلك لذكراه، وهو القائل بأنه سيمتنع عن شرب النبيذ إلى أن يأتي ملكوت الرب - أي أنه لم يكن يفكر مطلقًا في موته بعد سويعات! وهذا التأكيد وارد في مرقس (١٤:٢٥) وفي متّى (٢٦:٢٩) وفي لوقا (٢٢:١٨).

٢ - القبض على يسوع:

تختلف الأناجيل الأربعة في سياق وتفاصيل القبض على يسوع، خاصة لوقا الذي يبالغ قائلاً: رؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ مسلحون بالعصى والسيوف (٢٢:٢٥)، وهو ما يتعدى رقم ستمائة شخصًا مسلحًا - وفقًا لكل من تناول هذه الجزئية بالدراسة والتحليل، للقبض على إنسان أعزل لا يعرفون شكله! وقد فرّ الحواريون هاربين ما عدا بطرس الذي تبعه حتى فناء منزل كبير الكهنة ثم هرب متنكرًا ليسوع. كما تختلف الأناجيل في تحديد تاريخ الوقعة: قبل عشية عيد الفصح وفي عشية عيد الفصح. كما تتناقض في تحديد هوية الفريق الذي قبض على يسوع.

٣ - استجواب يسوع وفقًا لإنجيل يوحنا:

أول ما يلفت النظر هنا أنه عند القبض على يسوع أخذه الجميع إلى حنّان رئيس الكهنة، وحنان هذا كان حما قيافا، رئيس الكهنة في ذلك العام. وهنا تجدر الإشارة إلى أن لوقا كان قد سبق وجمع بين حنّان وقيافا على أنهما رؤساء كهنة معًا في وقت واحد (راجع ٣:٢)، وهو أمر محال أن يكون هناك رئيسان للكهنة في آن واحد - وفقًا للعهد القديم ووفقًا لشهادة فلافيوس جوزيف وفيلون السكندري. وهما أكبر من أرّخا للتاريخ اليهودي.

وأول ما يبدو في هذه الجزئية من الأحداث أن حنّان يسائل يسوع بدون حضور المجمع وبلا شهود - إلا واحد من الخدّام الذي لطم يسوع. والخدام في ذلك العهد لا

يعتد بهم ولا بشهادتهم بل ولا حتى بمثل هذا التصرف التلقائي. بل إن مثل هذه الصفعة ممنوعة قانونًا. وتم إرسال يسوع مكبلاً إلى قيافا.

٤ - محاكمة يسوع ليلاً أمام المحكمة العليا:

تورد الأناجيل المتواترة أن الجند أخذوا يسوع إلى منزل رئيس الكهنة الذي لا يذكر اسمه كل من مرقس ولوقا. أما إنجيل متى ويوحنا فيورد أنه قيافا. وعلى عكس كل الأعراف الرسمية، يقول كتبة الأناجيل أن المحكمة العليا المكونة من واحد وسبعين شخصًا كانت مجتمعة في بيت رئيس الكهنة ليلاً وفي عشية عيد الفصح! والمعلومتان محرّمتان شرعًا. والأدهى من ذلك أن أعضاء المحكمة العليا لم يكونوا وحدهم، وإنما كان هناك أيضاً جمع من الشهود، فهل من المعقول أن يتم ترتيب اجتماع أعضاء المحكمة العليا بكامل هيئتها والشهود والجموع عشية عيد الفصح وفي الوقت الذي لم يكن حتى من المؤكد فيه نجاح نفس عملية القبض على يسوع؟!

ومن الغريب أن لوقا لا يذكر اجتماع المحكمة العليا مساءً. كما أن كتبة الأناجيل المتواترة يؤكدون أن عملية قتل يسوع مفروغ منها مسبقًا، إذ يقول مرقس: «وكان الفصح وأيام الفطير بعد يومين وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه» (١:١٤)؛ بينما يقول متى: «حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يدعي قيافا وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه» (٢٦: ٣-٤)؛ أما لوقا فيقول «وقرب عيد الفطر الذي يقال له الفصح، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه لأنهم خافوا الشعب» (٢٢:١-٢). فما معني الإصرار على عمل محاكمة كل شيء فيها مُعد مسبقًا ومتناقض حتى الشهود، بل بما في ذلك شهود الزور؟!

ووفقًا لمرقس فقد تم استبعاد شهادتهم لأنها لا تتطابق. فانبرى اثنان ليؤكدا أن يسوع قد جدّف في حق المعبد، ويبدو أن ذلك كان غير كافيًا لأعضاء المحكمة، وكلها تفاصيل غير منطقية نطالعها في كل من إنجيل مرقس ومتّى، الأمر الذي جعل لوقا لا يذكر شيئًا عن الشهود. إلا أن رئيس الكهنة يطلب من يسوع الإجابة رغم استبعاد التهمة!

ويختلف رد يسوع على قيافا من إنجيل لآخر، وإن قام رئيس الكهنة والقضاة باعتبار هذا الرد المتفاوت وكأنه إقرار من يسوع! فمزق قيافا ثيابه معلنًا أنه مدان وكذلك المحكمة العليا، وتم الحكم على يسوع بالموت. والسؤال المطروح هو: هل تستوجب هذه

الإجابات المتناقضة حكمًا بالموت؟ ومن ناحية أخرى فإن حكم الموت في اليهودية - كما رأينا - يتم رجمًا. وعلى الرغم من أن أعضاء المحكمة العليا لم ينطقوا بشيء إلا أن القضية وبلا أي تفسير أو تبرير تنتقل إلى حاكم منطقة اليهودية الروماني.

ومما لاشك فيه أن محاكمة يسوع أمام المحكمة العليا وإدانته غير واضحة وسط كمّ من التناقضات سواء من الناحية القانونية أو التاريخية.

٥ - الاجتماع الصباحي للمحكمة العليا:

أوضحنا من قبل أن يوحنا لا يذكر شيئًا عن مثول يسوع أمام المحكمة العليا وإنما انتقل من منزل رئيس الكهنة إلى مقر بيلاطس في قصر هيرود فجر يوم عشية عيد الفصح. بينما تشير الأناجيل الثلاثة إلى اجتماع المحكمة العليا صباح يوم عشية العيد. وهو الاجتماع الوحيد الذي يذكره لوقا، بينما نطالع اجتماعين لدى كل من متى ومرقس. ولا يقال لنا إن كان يسوع قد حضر هذه الاجتماعات والشيء الوحيد الذي يقال هو تكبيل المعتقل ونقله إلى محكمة بيلاطس البنطي.

وأهم ما يخرج به القارئ أن أعضاء المحكمة العليا قد غيّروا رأيهم بلا سبب واضح. فبينما حكموا على يسوع بالإدانة مساء للتجديف الإلهي إذا بالتهمة تتحول بلا سبب أو منطق إلى تهمة سياسية، وتحول يسوع بموجبها إلى نشط ثوري معادٍ للرومان! وبينما أورد لوقا أن المحكمة العليا قد اعتبرت رد يسوع اعترافاً بالذنب، فهي لا تصدر ضده أية إدانة ولا تشير إلى عقوبة الموت. أما الأمر الواضح الإجماع عليه فهو تسليم يسوع للسلطات الرومانية.

٦ - انتحار يهوذا:

لا تقل هذه الجزئية من الأحداث تناقضًا من غيرها من هذه الوقائع المنسوجة، وتكفي الإشارة إلى أن متى يضع محاكمة يسوع في منزل قيافا، أما لقاء يهوذا مع رئيس الكهنة، أي مع نفس قيافا، فيتم في المعبد - وهو المكان الوحيد المسموح للمحكمة بالاجتماع فيه وليس في أحد المنازل، أيًا كان صاحبه. وبينما يقول إنجيل متى إن يهوذا شنق نفسه (٢٧:٥)، نطالع في أعمال الرسل أنه شق بطنه واندلقت أمعاؤه على الطريق (١: ١٥-١٨)؟! فأيهما نصدق؟

٧ - مثول يسوع أمام بيلاطس:

أشرنا إلى أنه لم يرد أي شيء عن اجتماع المحكمة العليا في الصباح الباكر لا في إنجيل مرقس ولا في إنجيل متى. ويمكن استنتاج التهمة من سؤال بيلاطس إن كان يسوع قد قال إنه ملك اليهود، أو أنه الملك - المسيح. بينما نرى حدوته مختلفة تمامًا حين يؤكد لوقا عن طريق المحكمة العليا أن يسوع يزعم أنه المسيح ويحرّض الأمة ويمنع مواطنيه من دفع الضرائب للقيصر. وهو ما يتعارض مع قول يسوع «أعطي لقيصر ما لقيصر» التي أوردتها كافة الأناجيل من قبل. بينما يوضح إنجيل يوحنا أن التهمة دينية في نظر بيلاطس وأنه لا يجد بالمجني عليه أي جرم سياسي. وفجأة ودون سابق إنذار تنبثق مسرحية «باراباس» وذلك العرف المزعوم الذي لا يوجد له أي سند تاريخي على الإطلاق في أي مصدر من المصادر.

٨ - إرسال يسوع إلى هيرودس وإعادته إلى بيلاطس:

مع تواصل الأحداث يلاحظ القارئ لتلك الفقرات أن كل شيء يتزايد الإيقاع خاصة تلك الحشود دون أن نعرف لذلك سببًا، حتى ذلك الجمع المحيط يتحول إلى «جموع» - دون أن ننسى أننا عشية عيد الفصح وأن الناس منشغلين به وبالإعداد لطقوسه.. كما تطورت صورة يسوع خلال تلك الفقرات ليتحول إلى صانع القلاقل من الجليل إلى أورشليم، أي من شمال البلاد إلى جنوبها.. ثم يتم إرساله إلى هيرودس حاكم الجليل علّه يتصرف في أمره.

وهو موقف أشبه ما يكون بما تعرض له بولس الرسول حينما طلب فستوس من الملك أغريباس أن يبت في شأنه بينما «كل جمهور اليهود في أورشليم وهنا (في قيصرية) صارخين أنه لا ينبغي أن يعيش» (اع ٢٥ :٢٤)! والمسافة بين أورشليم والقيصرية حوالي ٩٠ كيلومتراً..

وهنا لابد من توضيح أنه «ألقوا عليهما الأيادي ووضعوهما في حبس إلى الغد لأنه قد صار مساء (اع ٤ :٣). أي أن العرف المتبع هو ألا تتم أية محاكمات في المساء. ثم نطالع في الآية التالية أو ما بعدها: «وحدث في الغد أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم اجتمعوا إلى أورشليم مع حنّان رئيس الكهنة وقيافا ويوحنا والإسكندر وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة» (اع: ٤-٥).

أي أنه قد تم القبض على بطرس وبولس ووضعوهما في الحبس إلى الغد لأنه كان «قد صار مساء». ونفهم من هذا القول إنه لا تجرى محاكمة أثناء الليل، فما بالنا

ومحاكمة يسوع كانت مساء، وليلة عيد، ويوم سبت! أي أنها تضم ثلاث محرمات شرعية. والغريب أنهم نفس الشخصيات التي أدانت يسوع وامتنعت عن محاكمة بولس وبطرس مساء التزامًا بالشرع؟!

ولا ينطق يسوع بكلمة أمام هيرودس الذي فرح جدًا بلقاء يسوع، لكن، ما هي إلا مسافة سطر ونصف حتى نرى ذلك الإعجاب الشديد يتحول إلى احتقار ويأمر بإعادته إلى بيلاطس بعد أن سخر منه وأهانه!

٩ - عشية العيد والعفو عن باراباس:

إن المفاجأة البعيدة تمامًا عن أي توقع، والتي تمثل تغييرًا جذريًا في هذه القضية المسرحية، هي قصة العفو عن باراباس التي توردها الأناجيل الأربعة. ويقول جيزا ڤيرمس (G.Vermés) الذي كتبت عنه جريدة «كاثوليك هيرالد» عند صدور كتابه المعنون «**آلام المسيح**»، قائلة: «لا يوجد إنسان منذ القرن الميلادي الأول يمكن أن يزعم معرفة يسوع المسيح الإنسان أكثر من جيزا فيرمس»! والتعليق وارد على غلاف الكتاب الخلفي.

والإنسان الذي يحمل مثل هذه الشهادة الكاثوليكية يؤكد أنه: «باستثناء الأناجيل، فإن أحدًا لم يسمع عن باراباس وعن مثل هذا القول، بل إن الأناجيل نفسها تقدم مشهده بروايات مختلفة» (صفحة ٦٠)! أي أن فقرة باراباس هذا وبدعة إطلاق سراح أحد المحكوم عليهم عشية عيد الفصح كما يقول بيلاطس هي بدعة تزوير من تلك البدع التي تزخر بها هذه النصوص التي لا سند تاريخي لها على الإطلاق.

ولا تخلو هذه الفقرة أيضًا من التناقض. فبينما يفهم من إنجيل مرقس وإنجيل متى أن عملية العفو هذه تقع على الحاكم، نرى الأمر يُطرح على الجمهور ليقوم بالاختيار. وهي بدعة لا وجود لها في التاريخ. وتتعالى الصياح، لا للاختيار فحسب للإفراج عن يسوع أو باراباس، وإنما تطالب الجماهير والجموع بصلب يسوع والإفراج عن مجرم أو قاتل وفقًا لأيّ من الأناجيل!.

وبعد كل ما جاهدت هذه الأناجيل في عرضه طوال إصحاحاتها لتوضح الإعجاب والحب والحماس الذي كانت تلك الجماهير تحيط بها يسوع، من الصعب أن نتصور ذلك الانقلاب المفاجئ السريع الإيقاع، بل والأصعب منه رؤية تلك الجموع اليهودية تطلب بإصرار من المستعمر الروماني أن يصلب لها يهوديًا من بني جلدتها في عشية أكبر عيد ديني، لشعب شديد التمسك بشرعه؟!.

١٠ - الحكم بالموت:

حتى في هذه الفقرة تختلف الأناجيل الأربعة في سرد واقعة الحكم بالموت على يسوع، وكل ما سبق عملية الصلب من سخرية أو تعذيب، إلا أن إنجيل متى ينفرد بثلاث ملاحظات، هي: نصيحة زوجة بيلاطس بألا يمس ذلك «الرجل البار»؛ وقيام بيلاطس بغسل يديه أمام الجميع وكأنه يبرأ نفسه من دم يسوع؛ وقيام الشعب اليهودي بالدعاء على نفسه بأن يعود عليه وعلى أولاده إثم مقتل يسوع! ولم نر أو نسمع عن شعب يمكن أن تتقلب مشاعره وأحكامه من جملة إلى أخرى بهذا الشكل، كما أن عادة غسل اليدين يهودية وبيلاطس روماني!

١١ - الصلب:

من اللافت للنظر أن تتفق الأناجيل المتواترة في سرد واقعة بلا تناقض يذكر تقريبًا. والواقعة الوحيدة المذكورة بين هذه الأناجيل الثلاثة هي طلب الجنود من سمعان القيرواني أن يعاون يسوع على حمل صليبه! ولا أحد يعرف من أين أتى أو إلى أين ذهب هذا القيرواني فلا أثر له قبل أو بعد هذه الجزئية. مجرد كومبارس ظهر فجأة على مسرح الأحداث، واختفى عن المسرح مثلما ظهر! وبعدها، لا حصر ولا عدد للاختلافات في التفاصيل المكونة لعملية صلب يسوع.

فبينما تقول الأناجيل المتواترة أن يسوع قد صلب في الساعة التاسعة صباحًا، في منطقة الجمجمة، يقول يوحنا إنه صلب في الساعة الثانية عشرة ظهرًا في مكان قريب من المدينة في موضع «يقال له الجمجمة وبالعبرانية جلجتة» وهو ما يؤكد أن كاتب هذا الإنجيل ليس من الحواريين وليس يهوديًا وإلا لما شرح معنى الكلمة!

وهناك العديد من التفاصيل التي يقول الباحثون إنها وضعت لمجرد ذكرها من العهد القديم لإضفاء مصداقية على ما يقولون بعبارة: وفقًا للنصوص، أو كما هو مكتوب إلخ.. ومنها الخل والمر والوارد في المزمور ٦٩:٢١، ومنها أقوال يسوع المختلفة المتضاربة وهو على الصليب، وعدم كسر عظامه ..... و.... و..

كما لا تتفق الأناجيل الأربعة حول النص المكتوب على الصليب ويتضمن سبب الحكم عليه، ولا تتفق في حضور أعضاء المحكمة العليا أو عدم حضورهم كما يقول إنجيل يوحنا.

أما إنجيل لوقا فيورد جزئية تندرج في باب مسرح اللامعقول. فبعد أن لاقى يسوع

ذلك الكم الذي لا يمكن لآدمي أن يتحمله من السياط كما رأينا في فيلم «آلام المسيح» للمخرج ميل جيبسون، والذي علق عليه البابا يوحنا بولس الثاني بعد أن شاهده في عرض خاص قائلاً: «هذا هو ما حدث فعلاً»!

وكان الجلد يتم بكرابيج من السلاسل الحديدية التي تنتهي أطرافها بقطع من العظام وكريات من الرصاص التي تنهش اللحم في كل ضربة سوط، وعادة ما كان المتهم يموت من قسوة الآلام. وبعد عملية الجلد الوحشية التي تساقطت خلالها أجزاء من اللحم وسط الدماء المنبثقة، من المفترض أن يسوع قام وهو بهذه الحالة المهلهلة من الإعياء وحمل صليبه على كتفه أو حمل العارضة وحدها والمعروف أنها تتعدى الخمسين كيلوجرامًا.. وبينما هو في هذه الحالة اللامعقولة في حد ذاتها، إذا به يسمع - وفقًا للوقا - نحيب النسوة ولطمهن: «فالتفت إليهن يسوع وقال: يا بنات أورشليم لا تبكين عليّ بل إبكين على أنفسكن وعلى أولادكن. لأنه هو ذا أيام تأتي يقولون فيها طوبي للعواقر والبطون التي لم تلد والثدي التي لم ترضع. حينئذ يبتدئون يقولون للجبال أسقطي علينا وللآكام غطينا لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس» (٢٣: ٢٨-٣١)!

هل معقول أو من ا لممكن تصديق أن إنسان تم جلده أربعون جلدة بالسلاسل الحديدية حتى فقد صوابه مع لحمه ودمه، ثم يحمل ما يعجز الشخص السليم عن حمله، وتكون فيه بقية من عقل أو من قوة ليقول كل هذا الكلام الذي يصعب على الإنسان العادي أن يتفوه به وهو يعاني من مجرد صداع في رأسه؟! بل إن الإنسان ليلهث وهو يحاول أن يقرأ هذه الجملة دفعة واحدة.

أما المأخذ الذي يتوقف عنده العديد من العلماء. فهي الجملة التي يضعها لوقا على لسان يسوع بعد ذلك المشهد بسطر ونصف، إذ قال يسوع مصلوبًا: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون».. فهذه الجملة التي تعبّر بوضوح عن فلسفة التسامح لدى يسوع لا توجد في أكثر من نصف الأصول المحفوظة من هذا الإنجيل ومن باقي الأناجيل المعتمدة والتي يطلق عليها «الأصول».. ولا نملك إلا أن نتساءل ترى هل تم حذفها لأنها تشير ضمنًا إلى جنود الرومان، فهم الذين صلبوا أو دقوا يسوع على الصليب - والمفترض أن الأناجيل قد برأتهم حينما غسل بيلاطس يديه لكي لا يتحمل وزر مقتله سوى اليهود؟

١٢ - موت يسوع:

تختلف الأناجيل في تحديد موعد وفاة يسوع، إذ يقول كل من مرقس ومتى أنه توفي في الساعة الثالثة بعد الظهر، بعد ست ساعات من الاحتضار، بينما يختصرها يوحنا إلى ثلاث ساعات، إذ تم صلبه في الثانية عشرة ظهرًا بدلاً من التاسعة صباحًا.

ويرد بهذه الفقرة العديد من استشهادات المزامير خاصة المزمور الثاني والعشرين، من صرخة «إلهي لماذا تركتني» إلى ثقب اليدين والرجلين وتقاسم ثيابه. وتجمع الأبحاث الحديثة على القول بأن هذه الاستشهادات قد تمت الاستعانة بها عند صياغة الأناجيل لإضفاء شرعية تاريخية - دينية عليها رغم مخالفتها للواقع.

وتمتد الاختلافات بين الأناجيل إلى معظم التفاصيل الواردة، من اختلاف العبارات التي تفوه بها يسوع، إلى من تبعوه، خاصة غياب أمه أو حضورها إلى نوعية أو عدد من شاهد الحدث، إلى ذلك الظلام الذي ساد والقبور التي تفتحت وسير الموتى بأكفانها في شوارع المدينة، وكلها أحداث لم يرد ذكرها على الإطلاق في أي مرجع تاريخي. فالزلازل التي تشق القبور وتبعث الموتى يتجولون ليست بالأحداث التي يمكن لأي مؤرخ أن يغلفها..

ومن اللافت للنظر أن تتفق الأناجيل المتواترة على صيحة ذلك الجندي الروماني الذي قال «حقًا إن يسوع ابن الله»! والمغزى ليعمي الأبصار من وضوحه فالإصرار على تبرئة الرومان لا يضاهيه إلا نفس الإصرار على إدانة اليهود.

١٣ - دفن يسوع:

تورد الأناجيل المتواترة أنه عند اقتراب الليل وقبل أن يبدأ يوم السبت بقليل توجه يوسف من الرامة، وهو أحد أعضاء المحكمة العليا التي أدانت يسوع وحصل على إذن بيلاطس لإنزال الجسم من على الصليب للقيام بدفنه بعد لفه بالكتان. أما في يوحنا فيقول إن نيقوديمس قد عاونه وأنه كان قد أحضر معه ما يساوي خمسين كيلوجرامًا من العطور. ويتساءل معظم الباحثين في هذه الجزئية كيف أمكنهما حمل هذا الكم المهول وحمل جسم يسوع والسير خلسة خشية أن يراهما أحد؟!

ويتواصل التناقض بين الأناجيل ليمتد إلى القبر نفسه، فإنجيل مرقس يقول «ووضعه في قبر كان منحوتًا في صخرة ودحرج حجرًا على باب القبر» (١٥:٤٦). ويقول إنجيل متى: «ووضعه في قبره الجديد الذي كان قد نحته في الصخرة ثم دحرج حجرًا كبيرًا

على باب القبر ومضى» (٢٧ :٦٠)، بينما يقول يوحنا: «وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط. فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود لأن القبر كان قريبًا (١٩: ٤١ -٤٢). ويحدد لوقا أن يوسف وضع جسد يسوع في قبر منحوت» (٢٣ :٥٣) - والقبر المنحوت في الصخر أو في الجبل غير القبر المحفور في الأرض، بدليل أن لوقا يقول إن بطرس «ركض إلى القبر فانحنى ونظر الأكفان» (٢٤ :١٢)، وهو ما يقوله يوحنا أيضًا عن الإنحناء (٢٠ :٥) لكنه في نفس اللحظة يتناقض إذ يضيف في نفس الآية: «لكنه لم يدخل» والمفترض هنا أن يقول: «لم ينزل»! وفي الآية ٨ يقول إن التلميذ الآخر «دخل». وفي الآية ١١ من نفس الإصحاح رقم ٢٠ يقول إن مريم المجدلية وهي تبكي «انحنت إلى القبر». والدخول في القبر المنحوت في الجبل أو في الصخر يختلف عن الانحناء أو النزول في القبر المحفور في بستان.

في هذا العرض الشديد الإيجاز لأهم وقائع ما يطلق عليه «آلام يسوع»، أوضحنا باختصار كيف تتناقض الأناجيل فيما بينها لنخرج بقصة مجملها أنه قد تم القبض على يسوع في حديقة مساء، فالجند كانوا يحملون المشاعل ولا يعرفونه شكلاً. وتمت محاكمته وإقحام بدعة الإفراج عن سجين آخر لا ذكر لها مطلقًا في الوثائق التاريخية. وأن بيلاطس قد أدان يسوع رغم أنه وجده بريئًا لا غبار عليه، أدانه على أنه ملك اليهود وإن كانت التهمة أساسًا تهمة تجديف وانقلبت إلى تهمة سياسية!

ومما نخرج به إجمالاً من هذه المتناقضات:

- اختلاف تاريخ العشاء الأخير، إذ تورد الأناجيل المتواترة أنه كان عشية عيد الفصح أو قبله بيوم كما يقول يوحنا.
- هروب الحواريين وتركهم يسوع بينما يقول يوحنا إنه قد سمح لهم بالانصراف وكأن الأمر لا يعنيهم!
- بغض الطرف عن عدم شرعية المحاكمة برمتها، فتقول الأناجيل المتواترة أنه بعد القبض على يسوع أنه مثل أمام قيافا وتمت إدانته بناء على تهمة دينية وهي التجديف - وإن كانت هناك العديد من الاختلافات في التفاصيل التي يوردها لوقا. أما يوحنا فيقول إنه تم استجوابه أولاً عند حنّان ثم تم إرساله إلى قيافا بلا محاكمة دينية أو استصدار أية أحكام.

- شخصية النساء المحيطة بالصليب هن نساء من الجليل تبعن يسوع حتى أورشليم وهي مسافة أكبر من مائة وخمسين كيلومترًا! أما يوحنا فيقول إنهم أم يسوع وتلميذه المحبوب يوحنا إضافة إلى نساء من الجليل. والأغرب من هذا وذاك أن يقوم يسوع بعد أن تهتك لحمه من عملية الجلد ثم تعليقه على الصليب دقًا بالمسامير في جسده الحي، أن يكون في ذهن مثل هذه الحالة من المعاناة اللاإنسانية أن يقوم يسوع بتوصية يوحنا للاعتناء بأمه! وهو ضرب من اللامعقول واللامنطق خاصة وأنه موقف يتنافى تمامًا مع موقف يسوع من أمه التي ألَفَ على نهرها وإهانتها واتهامها بأنها لا تتبع كلام الله، أو مخاطبتها قائلاً: «ما بيني وبينك يا امرأة».
- من غير المعقول ألا يتم دفن يسوع في أحد المكانين المخصصين من المحكمة العليا لدفن المحكوم عليهم بالموت، ورأينا الأناجيل تقول إنه دفن في قبر جديد منحوت في الجبل أو محفور في البستان، وهو ما لا يمكن حدوثه.
- وهناك مجرد ملاحظة بين الأحداث: تُرى من ذا الذي شاهده وسمع ثم حكي عما دار في حديقة جتثماني قبل القبض على يسوع بينما كان هو يصلي وتصبب عرقه قطرات من الدم - ولم يكن هناك من شاهد الموقف لأن الحواريين كانوا نيامًا وكلما أيقظهم يسوع غطوا في النوم؟ بل وكان الظلام سائدًا!.
- كيف يطلب يسوع من حوارييه شراء سيوف تحسبًا لأية معركة، أي للدفاع عن النفس، ثم يقال إنه ضحى بنفسه وذهب إلى الموت طواعية من أجل خلاص البشر؟!
- الاختلاف في شخصية من دفن يسوع، هل هو يوسف من الرامة وحده أم يوسف ونيقوديمس؟ وهل دفن في قبر منحوت في الصخر أم محفور في أرض البستان وكيف لم يتم دفنه في المقابر المخصصة قانونًا للمجرمين المحكوم عليهم بالموت - خاصة وأن الأناجيل تقول إنه صلب وسط اثنين من المجرمين؟!
- أما عن الاختلاف حول آخر ما نطق به يسوع فيدعو إلى السخرية خاصة قوله إنه عطشان! فكيف له أن يعبر عن عطشه وهو الذي أمضى أربعين يومًا في الصحراء بلا طعام أو شراب عندما كان الشيطان يمتحنه ويغريه؟!

وإذا ما حاولنا تقييم ما نخرج به من هذه المعطيات المتناقضة، فلا نجد سوى احتمالين:

١ - إذا كانت الأحداث قد وقعت عشية عيد الفصح، فإن ذلك يدين مصداقية هذه النصوص لأنه من المحال إقامة المحاكمة واجتماع كامل هيئتها وكبار الشيوخ والكتبة والشعب مساء وعشية أكبر عيد ديني. فالعمل محرّم شرعًا يوم السبت. وكان الإخلال بهذا الفرض أو التحريم أحد المآخذ التي تم توجيهها ليسوع وإدانته بسببها. فكيف يقوم كل هؤلاء المسؤولين الدينيين والقانونيين بمثل هذه المخالفة؟! ولم نسمع في التاريخ أنه تمت محاكمتهم لقيامهم بهذا الجرم!

٢ - وإذا ما تم استبعاد هذا التوقيت والأخذ بما يقوله يوحنا بأن هذه المحاكمة وكل وقائعها تمت قبل ذلك بيوم، فإن هذا الافتراض يلغي فكرة العشاء الأخير الذي أقامت عليه الكنيسة بدعة الإفخارستيا، كما يستبعد فكرة ربط «ذبح» يسوع بدلاً من الحَمَل الذي كان يذبح في عيد الفصح. وهي الفكرة التي كان يكررها بولس متذرعًا بموت يسوع ليقوم بعملية استيلاء على العقيدة اليهودية وتحويلها إلى عقيدة مسيحية أو فصح جديد. قائلاً: «الآن فصحنا أيضًا المسيح قد ذبح لأجلنا» (١ كورنثوس ٥:٧) - والمعروف مما يقولون إن المسيح قد «صلب» ولم «يذبح».

وهي عملية إحلال وتبديل لذبح الخراف على عتبة المعبد عشية عيد الفصح وهو ما يقوله يوحنا أيضًا: «هو ذا حَمَل الله الذي يرفع خطية العالم» (١:٢٩).

إن يوحنا بتقديمه العشاء أربع وعشرين ساعة يهدم رمز التضحية الكامن في عيد الفصح ويهدم ربطه بالإفخارستيا التي أقامتها الأيادي العابثة لتربطها بالحَمَل المذبوح وبما هو سائد آنذاك في عقيدة ميثرا مبتدعين ضرورة أكل لحم المسيح وشرب دمه بواسطة أدعية القساوسة وصلواتهم، فهم وحدهم القادرون على إتمام عملية التحويل هذه في بطون الأتباع، لتتحول قطعة البسكويت أو الخبز ورشفة النبيذ فعلاً إيمانًا واعتقادًا إلى لحم المسيح ودمه مثلما فرضها مجمع لاتران الرابع (١٢:٥) وأنها تتحول فعلاً (veraciter)!

وبذلك تتلاشى فكرة الفداء وأن يسوع قد قدّم نفسه كبش فداء عن طيب خاطر لفداء البشرية من الأخطاء! وبالتالي فإن كل ما تستند إليه المؤسسة الكنسية في مسألة الفداء ينهار مع إدانة كل هذه العملية برمتها بالتزوير.

وإذا ما أخذنا بأقوال بعض الباحثين الذين قدموا تبريرًا لهذا التوقيت الفاضح بأن يسوع قد تبنى آنذاك تقويم الأسينيين - على الرغم من أن الكنيسة تستبعد أي صلة

ليسوع بهم. فحتى لو أخذنا بهذه الفكرة وأن يسوع قد تناول عشاء عيد الفصح قبل ذلك بيوم، فإن هذا يتناقض مع ما تقوله الأناجيل من أن يوم الصلب كان صباح يوم السبت.

والتناقض الصارخ بين الأناجيل المعتمدة وإنجيل يوحنا الذي يقول إنه لم تكن هناك محاكمة من المحكمة العليا ليسوع ولم يكن هناك شهود ولم يصدر ضده حكم على أساس ديني من هذه المحكمة، وأن المحكمة الوحيدة التي مَثُل أمامها هي الحاكم الروماني لمنطقة اليهودية فإنه يقلب الوضع من قضية تجديف دينية إلى قضية سياسية مخلّة بنظام الحكم.

والأخذ بأن المحاكمة تمت عشية عيد الفصح أو في الصباح الباكر كما يقول إنجيل لوقا فإن هذا الجذم يفسد القضية برمتها سواء من حيث خط سير إجراءاتها أو من حيث إصدار الحكم أياً كان نوعه. فوفقًا للشرع اليهودي لا يمكن للمحكمة العليا أن تقوم بإصدار حكم في نفس اليوم الذي تجري فيه المواجهة وأنه لابد من الانتظار إلى اليوم التالي لإصدار الحكم. كما ينص الشرع اليهودي أن المحاكمة التي تتضمن عقوبة الموت لا يمكن أن تنعقد يوم السبت ولا عشية أي يوم عيد، ومن المحال أن تنعقد يوم السبت.

وكل هذه الأسانيد مجتمعة تبطل مصداقية القضية برمتها وكافة إجراءاتها لأن ذلك لا يتناقض مع الشرع اليهودي فحسب، ولكن يتناقض حتى مع وثائق قمران وخاصة مخطوطة دمشق التي تنص هي أيضًا على ألا تتم محاكمات أو إصدار أحكام يوم السبت. أي أنه تحريم معمول به في كافة الفرق اليهودية. كما أن محاولة قيافا لجعل يسوع يعترف هو تصرف مرفوض شرعًا لأن الشرع ينص على ضرورة أن يصدّق شاهدان منفصلان على هذا الاعتراف شريطة أن تتطابق شهادتيهما. وهو ما لم يحدث.

أما عملية التجديف التي أدين يسوع بسببها فهي لا تستقيم والشرع الذي كان يعتبر مجرد نطق الأحرف الأربعة المكونة لاسم يهوا من الكبائر التي تستوجب عقوبة الموت. فحينما سأل رئيس الكهنة يسوع إن كان هو المسيح ابن الله، أجابه قائلاً: «أنت قلت» وأيضًا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتيًا على سحاب السماء» (٢٦:٦٤) أي أنه لم ينطق عبارة أنه ابن الله وإنما قال إنه سيجلس على يمين القوة. أما في إنجيل متى فعندما سأله رئيس الكهنة «هل أنت المسيح ابن المبارك؟» قال

يسوع: «أنا هو، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتيًا في سحاب السماء» (١٤:٦٢) ويقول لوقا: «ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين إن كنت المسيح فقل لنا. فقال لهم إن قلت لكم لا تصدقون. وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني. منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسًا عن يمين قوة الله» (٢٢: ٦٦-٦٨).

وبغض الطرف عن اختلاف موعد انعقاد المحاكمة، فإن الأناجيل تؤكد أن يسوع لم ينطق اسم الله الأعظم والمحرّم نطقه وإن من ينطقه يتعرض لعقوبة الموت. وإنما قال عن يمين القوة، أو عن يمين قوة الله. الأمر الذي لا يستوجب عقوبة الموت ولا يستدعي أن يقوم رئيس الكهنة بتمزيق ثيابه أو أن المحكمة لم تعد بحاجة إلى شهود، واعتبروا قوله ليس مجرد تجديف واحد وإنما تجاديف! كما لا يستوجب أن يقوم رئيس الكهنة وجميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة بالحكم عليه بالموت ويبصقون عليه ويلطخون وجهه ويلكمونه بما في ذلك الخدّام (١٤: ٦٣-٦٥)!.. ويا لها من فريات مقحمة. ونترك التعليق على إجابة يسوع إلى نهاية هذه الجزئية.

ولو فرضنا جدلاً أن يسوع جدّف كما يقولون وقال إنه «ابن الله»، فذلك لا يتعارض مع ما يقوله إنجيل يوحنا: «طوبى لصانعي السلام. لأنهم أبناء الله يدعون» (٥:٦). والآية في صيغة الجمع، بمعنى أن أي إنسان يقوم بعمل ما يقر السلام يعد من أبناء الله. ثم، كيف يحاكم على هذه التهمة في الوقت الذي يطلق الشرع اليهودي على أي إنسان بار أنه ابن الله. بل إن المزمور رقم ٨٢:٦٠ جعل كل اليهود آلهة! ألا يقول يهوة: «أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلى كلكم»؟! ويقول يسوع: «أليس مكتوبًا في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة»؟

ومن الواضح أن يسوع كان يعلم شرعه وشرع قومه ويعلم أن صانعي السلام «أبناء الله يُدعون»، فكيف تقوم المحكمة العليا اليهودية المكونة من واحد وسبعين من كبار العلماء الضالعين في الشرع اليهودي بإدانته على ما لا يُعد تجديفًا شرعًا خاصة وإن الإله يهوة هو القائل؟!

إن هذه الأحداث أو المشاهد الثلاثة عشر المكونة لما يمكن أن يطلق عليه بكل ثقة «مسرحية محاكمة يسوع»، تحيط بهذه المآخذ في كل خطوة من خطواتها، بل في كل تفصيل من تفاصيلها. فبخلاف تصور أعضاء هذه المحكمة العليا وكبار رجال الدين والكهنة الذين يتعين عليهم التواجد في المعبد لمباركة الأضاحي، يقومون بمهمة المتهمين

في محكمة يترأسها الحاكم الروماني صباح يوم السبت، ويمضون بقية اليوم في متابعة جلد المتهم ونقله وصلبه ثم يترقبون موته بناء على تهمة لم ينطق بها!

ولا تقل شخصية بيلاطس البنطي تناقضًا أو تحريفًا وما نطالعه من تردد واضح في الحكم على يسوع ومحاولة تبرأته، فهي صورة تخالف ما تورده الوثائق التاريخية عنه، فالمعروف أو ما يذكر له شراسته في كبح جماح الجماهير، بل ونطالع ذلك في إنجيل لوقا أيضًا حين يصفه قائلاً: «وكان حاضرًا في ذلك الوقت قوم يخبرونه عن الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم» (١٣:١). فكيف ينقلب مثل هذا الشخص الدموي التصرف بلا رحمة، لدرجة خلطه دم أهالي الجليل بدماء الذبائح، كيف يتحول ذلك الشخص، في نفس الأناجيل، إلى ذلك المتردد، الذي يتعذب ويتألم ويُحار من مجرد أذية إنسان؟! بل كيف نراه فزعًا مرعوبًا من صمت يسوع، وهو الممثل الشرس لأعلى سلطة عسكرية في الدنيا آنذاك؟!

لذلك يقول العالم أندريه ڤوتييه (A.Wautier): «إنه من المحال، بناء على الملابسات الواردة بالأناجيل، أن يكون قد تم صلب يسوع الناصري. فلم يكن من الممكن أن يقع عليه هذا العقاب الروماني المشين إلا لو كان الحاكم بيلاطس شخصيًا هو الذي حكم عليه بالموت» (**«كيف نشأت المسيحية»**).

وإذا ما كان قد صدر الحكم على يسوع بالموت، فذلك لا يمكن إلا أن يكون بناء على قرار صدر ضده من المحكمة العليا اليهودية. لكن، في هذه الحالة لا يمكن أن تكون وسيلة الموت هي الصلب: إذ لا يمكن لحاكم روماني أن يسمح بتطبيق عقوبة رومانية تنفيذًا لإدانة نطقت بها إدارة قضائية محلية بسبب أحداث لا تمس الأمن العام الروماني والتي لم يتورط فيها أي مواطن روماني. إذن، لماذا أدانت المحكمة العليا اليهودية يسوع؟ هل لأنه لم يحترم يوم السبت، أو لأنه قال إنه يمكنه هدم المعبد وإعادة بنائه في ثلاثة أيام، أو لأنه قال إنه ابن الإنسان أو ابن الله؟

لا يوجد في كل هذا ما يهدد الأمن الروماني.

والملاحظ - وفقًا للأناجيل، أن السلطات الدينية قد أحضرت يسوع أمام بيلاطس، ولا تذكر بعد ذلك الأسباب التي تمت إدانته بسببها، وإنما راحت تتهمه بشيء آخر: أنه أقلق النظام وأنه قال إنه ملك اليهود، وهي اتهامات قام بيلاطس باستبعاد الثانية منها. ومن الواضح أن الأناجيل المتواترة تخلط بين شيئين على الأقل: قضية أو قضيتين سياسيتين، وطلب بتنفيذ حكم الموت السابق وأصدرته هيئة قضائية دينية.

والإدانة الدينية كانت تستوجب عقوبة الرجم حتى الموت ثم يتم تعليق الجثة على خشبة أو شجرة. وهو ما نطالعه في العديد من أقوال بولس: «إله آبائنا أقام يسوع الذي أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة» (اع ٥: ٣٠)، و«الذي أيضًا قتلوه معلقين إياه على خشبة» (اع ١٠: ٣٩)، و«ولما تمموا كل ما كتب عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر» (اع ١٣: ٢٩)، و«المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق خشبة» (إلى أهل غلاطية ٣: ١٣)، و«المسيح الذي افتدانا وحمل أخطاءنا بجسده على الشجرة» (رسالة بطرس الأولى ٢: ٢٤)! أي أن التعليق على الخشبة معلومة شائعة.

والواضح من هذه الآيات أن بولس يقول في الآية الأولى: «قتلتموه معلقين إياه على خشبة»، ولا يذكر وسيلة الموت والمفهوم فرضًا أنها بالرجم. وإن كان الخطاب هنا موجه مباشرة لليهود، ففي الآية الثانية نطالع نفس النص لكن في صيغة إخبارية: «قتلوه معلقين إياه على خشبة» وتتناول الآية الثالثة في صيغة إخبارية أيضًا أنهم «أنزلّوه عن الخشبة ووضعوه في قبر». والخطاب هنا متعلق بأن من أنزلوه عن الخشبة هم الذين وضعوه في قبر، والقبر نكرة مبني للمجهول وبلا أي تحديد. وتؤكد آخر آية من بولس أن يسوع «قد صار لعنة لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة».

والمكتوب في الشرع يقول: «وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقُتل وعلّقته على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم. لأن المعلق ملعون من الله، فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا» (تثنية ٢١: ٢٢-٢٣).

والقتل المنصوص عليه في الشرع هو الرجم وليس الصلب الذي لا يرد ذكره في رسائل بولس وأعمال الرسل، وهي أول ما كتب فرضًا من نصوص. والمعروف أن الخطايا المستوجبة الموت كما رأينا عقوبتها الرجم بالحجارة حتى الموت ثم التعليق على خشبة ولايبات معلقًا عليه. أما مجرد الذنب، والذنب يضم مختلف أنواع الذنوب غير الإثنى عشر التي تستوجب الموت، وقد ورد ذكرها في بداية هذا الفصل.

وما نخرج به من هذه الإشارة أن الشائع أولاً كانت فكرة الرجم ثم التعليق على الخشبة، والوارد ترجمتها بالفرنسية bois وليس صليب أي croix، وترجمتها بالإنجليزية في نفس هذه المواقع من النصوص tree وليس cross أي صليب، الذي ينصّون عليه صراحة في الأناجيل، وقد رأينا متى كُتبت فعلاً في أواخر القرن الثاني الميلادي وليس في النصف الثاني من القرن الأول كما يزعمون. لأن التعليق على الخشبة وارد أيضًا في رسالة بطرس كما رأينا في آخر آية مذكورة بعاليه.

ويورد أندريه ڤوتييه تأكيدًا لعملية رجم يسوع وليس صلبه كما تقول الأناجيل، يورد نصًا من التلمود يقول: «في عشية عيد الفصح علّقوا يسوع. وقد ظل المنادي طوال أربعين يومًا يسير أمام يسوع قائلاً: «ها هو يسوع الناصري الذي سوف يرجم لأنه مارس السحر وأغرى وأضل إسرائيل. على كل الذين يعرفون أي شيء عنه لتبرأته يأتوا ويقولوه. إلا أن أحدًا لم يتقدم للدفاع عنه وعلّقوه عشية عيد الفصح» (المحكمة العليا ٤٣أ، وارد في الفصل الثالث من كتاب «**كيف نشأت المسيحية**»، وأنه لم يحاكم.

وبغض الطرف حاليًا عن هذه الآيات الواردة بالعهد الجديد والتي تثبت أن يسوع قد رجم - كما تقول هذه الآيات، أو ذلك الاستشهاد الذي يؤيده من التلمود، والذي يؤكد أنه قد مات رجمًا وفقًا للشرع ثم عُلق على الخشبة وأنزل منها مساء، وبغض الطرف أيضًا عن أن هناك نصوصاً عبرية أخرى تؤيد ذلك مثل «قصة يسوع المخادع» (Toldôt Ieshou Hanotsri)، و«قصة حياة يسوع» (Sepher Toledoth Jeshuh)، وهي من أقدم النصوص العبرية التي تناولت حياة يسوع، وتقع فيما بين القرنين الثاني والخامس الميلاديين. وبغض الطرف أيضًا عما تتضمنه من شتائم وتجريح، إلا أنها تشير إلى عملية القتل رجمًا. وهو ما كان شائعًا عند اليهود. ويكشف التلمود عن العديد من الأشخاص الذين تم رجمهم حتى الموت، ومنهم شخص يدعى يسوع بن ستادا بعد ذلك بقرن. وهو نفس ما نطالعه في أعمال الرسل وقصة رجم استفانوس (٧:٥٩)، الذي جعلت منه الكنيسة أول شهداءها. وهو نفس ما وقع ليعقوب، شقيق السيد المسيح، الذي تم رجمه وكان يترأس كنيسة أورشليم.

وإذا ما أخذنا في الاعتبار ما ظلت ولا تزال تردده الكنيسة ونصوصها المتعددة، من «أن يسوع قد اشترى بدمائه ذنوب العالم»، لأدركنا أنه لابد من استبعاد الصلب بسبب بسيط وهو، وعلى عكس ما تفرضه الأيادي العابثة، فإن الشخص المصلوب كان يتم ربطه بسيور من الجلد أو بالحبال وليس بالدق والمسامير، أما الرجم بالحجارة فهو الذي يدمي المحكوم عليه حتى الموت وتسيل دماؤه»..

وهناك محاولة سابقة لقتل يسوع واردة في الأناجيل: ففي أيام عيد التجديد في أورشليم، في الشتاء، أحاط به اليهود ليعرفوا إن كان هو المسيح. وبعد حوار متبادل بينهم نطالع: «فتناول اليهود أيضًا حجارة ليرجموه. أجاب يسوع أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أي عمل منها ترجمونني. أجاب اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف. فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا» (يوحنا ١٠: ٣١-٣٣).

ومن الواضح أن هذه الفقرة تمثل أكبر دليل على أن القتل للتجديف كان رجمًا وليس صلبًا. بل إن نفس هذه التهمة، تهمة التجديف، هي التي تمت إدانة يسوع بموجبها. فكيف يقال عكس ذلك؟ كيف يقال إنه صلب؟

وهنا لابد لنا من توضيح وتأكيد أننا لا نزعم أبدًا أن يسوع قد قُتل رجمًا أو أنه صلب، لكننا نستعرض ونتأمل تلك النصوص المفروضة على الأتباع وعلى العالم، والتي تنعكس أصداؤها على الجميع بصور مختلفة. فإيماننا راسخ بما يقوله القرآن الكريم من أنهم ما قتلوه وما صلبوه يقينًا ولكن شبّه لهم. وعملية التشبيه هذه التي يدور حولها الموضوع في هذه الجزئية.

وقبل العودة إلى مجريات تلك القضية، من الواجب الإشارة إلى عمر يسوع - ذلك الرقم الذي أسال ما لا يمكن حسبانه من التعليقات منذ القرن الثامن عشر، في عصر التنوير، عندما اكتشفوا مختلف أنواع التزوير التي تمت في النصوص الإنجيلية والكنسية، وبدأت معها معركة الكنيسة مع العلم وبدأ معها الإلحاد بخطوات راسخة.. فإذا كان يسوع قد وُلد في التاريخ الذي تورده الأناجيل، فلابد وأن يكون قد مات وهو في حوالي الأربعين من العمر، إذا ما استندنا إلى ما يقوله إنجيل متى «في زمن الملك هيرود» (٢:١). وإذا ما اعتمدنا على ما يؤكده إنجيل لوقا (٢: ٢-٧)، فلابد وأن يكون قد مات وهو في بداية الثلاثين من العمر، والفرق بينهما أحد عشر عامًا - بما أن ذلك كان وقت التعداد الذي أمر به كويرينوس.

وفي كلتا الحالتين فإن ذلك لا يتمشى مع التعليق الذي نطالعه في إنجيل يوحنا: «فقال له اليهود ليس لك خمسون سنة بعد» (٨:٥٧)!. فمن غير المعقول أن يقال مثل هذا التعليق لشخص لم يبلغ الأربعين بل في بداية الثلاثين كما يميلون إلى الترديد والتثبيت أنه مات في الثانية أو الثالثة والثلاثين من عمره!

ولابد أيضًا من الإشارة إلى أنه قد تم القبض عليه في حديقة جتثماني - وفقًا لكل من إنجيل مرقس ومتى، وفي جبل الزيتون - وفقًا لإنجيل لوقا، وفي بستان ما عبر وادي قدرون - وفقًا لإنجيل يوحنا. وأن ذلك قد تم في ظلمة السماء بما أنهم كانوا يحملون مشاعل ومصابيح وسلاح ولا يعرفون شكل يسوع - بدليل أن يهوذا كان سيدلهم عليه وإن كان بطرق مختلفة من نص آخر!

وإذا ما استعرضنا هذه الجزئية في إنجيل يوحنا نطالع أن يسوع قد خرج من البستان وقال لهم من تطلبون: «أجابوه يسوع الناصري. قال لهم يسوع أنا هو، وكان

يهوذا مسلمُه أيضًا واقفًا معهم. فلما قال لهم إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم أيضًا من تطلبون. فقالوا يسوع الناصري. أجاب يسوع قد قلت لكم إني أنا هو» (١٨ : ٥-٨).

وتؤكد تركيبة النص أن هناك ثمة شيء غير طبيعي أو غير منطقي قد حدث. فما الذي يستدعي الفزع والرجوع إلى الوراء والسقوط على الأرض لمجرد قول يسوع «إني أنا هو»؟! ثم يعاود سؤالهم، ويكررون مطلبهم، فيعيد عليهم تأكيده السابق بأنه هو.. وأقل ما يقال إنهم غير مصدقين أن يكون ذلك الشخص أو درجة هذا الشبه يمكن أن يوجد إلى هذا الحد - خاصة وأنهم كانوا يجهلون شكل يسوع.

لقد اعتمد المستشار منصور حسين على هذه الجزئية من المشاهد ليبني بكل دقة ووضوح ما توصل إليه في كتابه - الحجة، الذي تناول فيه قضية «**دعوة الحق، أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام**» (١٩٦٣). ونستند بدورنا إلى هذه الجزئية المحورية من الأحداث لا لنزايد على ما توصل إليه، فقد استوفى الموضوع حقه آنذاك، لكن لنعرض بعضًا مما توصلت إليه الدراسات الحديثة في الغرب، بحثًا عن الحقيقة التي تم التعتيم عليها أكثر من ألف عام بشراسة لا يمكن لآدمي أن يتخيلها.

إن مرجعيتنا الراسخة في الإسلام ما يقوله القرآن الكريم من أنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.. ما قتلوه يقينًا. وما نؤمن به أن كلام الله يقين في حد ذاته، وحينما يؤكد لنا الله يقين كلامه عز وجل فذلك يعني أنه لا يوجد أي شيء سواه. وعبارة التشبيه قد هريت بحثًا بمعنى إسقاط الشبه على يهوذا الأسخريوطي. إلا أن الدراسات والأبحاث الجديدة، خاصة ما ظهر منها بعد مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٥)، قد أضاف الكثير رغم كل ما فرض على الحقائق من تعتيم لأكثر من ألف عام طُمس قبلها وخلالها ما لا يمكن تصوره من النصوص لتثبيت ما أرادته تلك الأيادي.

ومن الموضوعات التي كان من المحرّم تناولها موضوع أسرة يسوع خاصة أخوته. وذلك على الرغم مما نطالعه في الأناجيل، ونذكر منه على سبيل المثال: «أليس هذا ابن النجار. أليست أمه تدعى مريم وأخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا» (متى ١٣:٥٥)؛ و«أليس هذا هو النجار بن مريم وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان» (مرقس ٦:٣). وتقول نصوص أخرى أسماء إخواته وهن: مريم وسالومي.

وهؤلاء الإخوة والأخوات يسببون حرجًا للكنيسة ويناقضون العقيدة الأساسية حول عذرية مريم الدائمة - تلك البدعة التي ظهرت لأول مرة سنة ٣٧٤م في نص عقيدة الإيمان التي صاغها إبيفانوس تطويرًا لعقيدة الإيمان التي صيغت في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وأكدها مجمع القسطنطينية الثاني سنة ٥٥٣م ثم مجمع لاتران سنة ٦٤٩م. ومن الواضح أن التشبث بالتحريف والتزوير أقوى وأصلب لدى تلك الأيادي العابثة من الاعتراف بما نسجته أو زورته.

كما أن هؤلاء الإخوة والأخوات يسببون إحراجًا آخر بالنسبة للكنيسة خاصة بعد تأليه السيد المسيح في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م. فكيف يكون «لله» إخوة وأخوات وذرية؟! وامتدت المعارك الطاحنة بين أعضاء هذه المؤسسة العتيدة إلى أن استطاع القديس جيروم في القرن الرابع أن يجد حلاً لمشكلة يعقوب، مفترضًا أو مزوّرًا أن يعقوب هو ابن عم يسوع. وذلك على الرغم من أن الكلمة الواردة في النص اليوناني الذي تعترف به الكنيسة وتعتبره أصلاً يقول شقيق adelphos وليس ابن عم anepsoi. وبالتالي نجح جيروم في نفي قرابة الأخوة كما نجح في التمويه على الأسماء الأخرى كلما كادت الحقيقة أن تلوح، فيضع لها نسبًا مخالفًا، وظل هذا التزوير مفروضًا أو معترفًا به إلى أن بدأت الدراسات التحليلية للنصوص الإنجيلية والكنسية في القرن الثامن عشر وتواصلت في عمليات كشف جد محرجة.

ويقول العالم ريمون براون (R.Brown) عن سوء تقديم أسرة يسوع بعامة وأخوته بخاصة: «على كل حال،أن هذه الصورة المعادية لأخوة يسوع، ودون حتى الإشارة إلى أنهم اعتنقوا مبادئ الرسالة التي نادى بها، لافتة للنظر خاصة حينما نعلم أن إنجيل يوحنا قد تمت كتابته بعد أن قام يعقوب، شقيق الرب، بقيادة كنيسة القدس لمدة أكثر من ثلاثين عامًا ومات شهيدًا» (وارد في كتاب **يعقوب شقيق يسوع**، صفحة ١١٦).

ووفقًا لاعترافات كليمنتين، فإن يسوع شخصيًا هو الذي حدد أن يكون يعقوب خليفة له، وتبدو سيادته واضحة في الإنجيل المعروف باسم «إنجيل العبرانيين» لكن سرعان ما أصبح يعقوب مصدر قلق بالنسبة لكبار قادة الكنيسة آنذاك أو يمثل نوعًا من النشاز في التاريخ الكنسي الذي كانت تشيده. ويرجع ذلك إلى أن يعقوب كان معروفًا في كل مكان على أنه شقيق يسوع، وذلك في الوقت الذي كانت تفرض فيه الكنيسة أن يسوع لا إخوة له. كما أن وجوده كان يتعارض مع الفكرة التي تحاول ترسيخها من أن الحواريين الإثنى عشر هم الذين قاموا بتعيين أساقفة لإدارة الكنائس. وبالتالي فإن سيادة يعقوب

كانت تتناقض مع ما تبتدعه الكنيسة من سيادة لبطرس - زعمًا بأن يسوع قد قال أنه صخرة وفوق هذه الصخرة سوف يشيد كنسيته!

وتوضح الأبحاث اللغوية التلاعب الذي تم في تحريف اسم سمعان كيفاس باريونا إلى سمعان بطرس ابن يونا وهو تحريف مزدوج قد وقع في كلمة باريونا وكلمة بطرس، وذلك لتغيير معنى الأولى من «مقاوم» إلى «ابن يونا»:

(barjiona= bar iona= bar Jona= filus Jonae)

ويؤكد لويچي كاتشيولي (Cascioli) إن هذا التغيير لإقحام كلمة ابن bar (بالأرامية) لا توجد بالنص اليوناني إلا في الأسماء التي تم تحريفها. بينما ابن كانت تترجم باليونانية «أويوس» (uios). كما أن كلمة بطرس وهي اليونانية Petra تحولت إلى اللاتينية Petrus وتعني أصلاً حجرة أو صخرة. كما تؤكد كل الأبحاث أن عبارة أو آية تشييد الكنيسة على بطرس هي إضافة لاحقة على الأناجيل، خاصة أن يسوع كان قد قال لبطرس: «اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس» (متى ١٦:٢٣)، وكررها في مرقس (٨:٣٣).

لكن من الواضح أن المؤسسة الكنسية كالمعتاد تأخذ من النصوص ما يروقها أو ما يتمشى مع ما ترمي إليه وتسقط أو تغض الطرف عما لا يخدم مآربها. إذ كانت الأيادي تقوم بتأسيس ما يكفل شرعية وثائقية تبرر وجودها كطبقة حاكمة باسم الدين، في الوقت الذي تعلم فيه أنه لا شرعية لوجودهم إلا بالتزوير والفريات وإبادة الوثائق الأخرى.

وإذا ما رجعنا إلى أسماء أشقاء يسوع، وهي يعقوب، ويوسى، وسمعان، ويهوذا، نجد أنها نفس أسماء بعض الحواريين، وأن يهوذا تحديدًا كان شديد الشبه بيسوع لأنه كان شقيقه وتقول بعض الأبحاث أنه شقيقه التوأم. وإذا ما تذكرنا أسماءه في الأناجيل سنجد يهوذا/ توما/ ديديموس. وتوما بالعبرية عني توأم وديديموس باليونانية تعني توأم.

ومن الطبيعي في كل الأسرات المتعددة الأبناء أن يتشابه منهم إثنان، ومن الطبيعي أكثر أن يتشابه التوأم. ونفس الشيء يلاحظ في نوعية التقارب بين الأخوة وأنه يتفاوت أيضًا، فقد يتقارب اثنان منهم في المفاهيم والميول، وقد تدب الغيرة أو الحقد من جانب أحد الإخوة تجاه الآخر. وهو ما حدث بين يهوذا ويسوع.

وما يؤكد قرابة يهوذا بيسوع الأناجيل وأنه شقيقه، نطالع - إضافة إلى ما هو وارد

بوضوح تام في الأناجيل، ما كتبه أسيبيوس من القيصرية قائلاً: «من أسرة الرب كان مازال هناك أحفاد يهوذا، وهو شقيقه وفقًا للجسد، وتم الإبلاغ عنهم لأنهم ينتمون إلى نسب داوود» (**التاريخ الكنسي**» م. ث، ف٢٠ ص١) ويقول النص بالفرنسية:

"De la famille du Seigneur restaient encore les petits enfants de Judas dit son frére selon la chaire, qui furent dénoncés car appartenant á la lignée de David" (Eus. De Cés. III,20,1)

ومن ناحية أخرى فإن قراءة بعض الآيات الواردة في الأناجيل على لسان يسوع واضحة المغزى عند قراءتها بعد معرفة هذه المعلومة، ومنها: «وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت» (متى ١٠ :٢١)، و«سيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده» (مرقس ١٣ :١٢)، أو «وسوف تسلّمون من الوالدين والإخوة والأقرباء والأصدقاء» (لوقا ٢١ :١٦) – وكلها آيات تكشف أو تعلن عن تسليم الأخ أخاه للموت.

وهناك مجموعة أخرى من الآيات تتضمن الإشارة إلى خطأ الأخ في حق أخيه، ومنها متّى ١٨ :٢١ ولوقا ١٧ :٣.

ومن الواضح أن التعتيم على يهوذا شقيق يسوع مرجعه لكي لا يقال إن شقيق «الرب» يسوع هو الذي خانه وأسلمه. كما أن إدانة فرد لن تجبّ كل اليهود كما جاهدوا ليتبنوها.

وهناك العديد من الآيات المتناثرة والتي تكشف عن أن أخوة يسوع كانوا من الحواريين. ففي رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يقول بولس في ثورة انفعال وهو يحتج عند الذين يفحصوه أو يرتابوا في أمره،قائلاً: «ألعلّنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقي الرسل وأخوة الرب وصفا» (٩:٥). ونخرج من هذه الآية بمعلومتين: أن أخوة يسوع كانوا من بين الرسل وأعضاء عاملين في المجموعة، وأنهم كانوا جميعًا متزوجون، وأن بولس يطالب بأن يكون له هو أيضًا حق أن يتجول في تحركاته بزوجته مثله مثل باقي الجماعة ومنهم أخوة يسوع. وهو ما يؤكد أن يهوذا كان شقيق يسوع الذي أسلمه وفقًا للنصوص.

وإذا أخذنا برواية يوحنا وأن من أتوا للقبض عليه قد تراجعوا وسقطوا على الأرض عندما قال لهم يسوع أنه من يطلبونه، وقد أفزعهم شدة الشبه بينه وبين يهوذا، وقد كان يسوع خرج من البستان للقائهم، وعتمة الظلام تسمح له بالهروب مع حوارييه. فما أكثر المواقف التي تورد فيها الأناجيل أن اليهود كانوا دائمًا يحاولون الإمساك بيسوع، وهو دائم الإفلات أو الهرب منهم، وبذلك يكون قد تم القبض على يهوذا وتم صلبه بدلاً من يسوع.

وإذا ما أخذنا بما توره الأناجيل المتواترة من أنه تم القبض على يسوع، رغم ما بها من اختلافات في التفاصيل، وكلها اختلافات لها مغزاها في تحليل النصوص، فإن ما لاشك فيه أنه عند قراءة هذه النصوص بتأن فإننا نشعر أنه ليس نفس الشخص الذي مثل أمام المحكمة العليا وأمام بيلاطس. وهو ما يبدو شديد الوضوح خاصة في إنجيل متى الذي يظهر فيه عدم الترابط بين الأحداث بصورة لافتة للانتباه، وخاصة زجه بمشهد انتحار يهوذا في موقع ليس مناسبًا لسياق الأحداث وكأنه يود التخلص من وجود الشخصية بأي وسيلة.

ويورد الباحث أندريه فوتييه نقلاً عن المؤرخ فلافيوس جوزيف من كتاب «**حرب اليهود ضد الرومان**» ما يلي حول تدخل بيلاطس في القضية قائلاً: «لقد تحرى عنه وعلم أنه كان يقوم بأعمال خيّرة، ولا يفعل الشر، وأنه لم يكن ثوريًا ولا طامعًا في السلطة. لذلك أفرج عنه. لأنه كان قد شفى زوجته وكانت على شفى الموت. وعند عودته إلى المكان المعتاد، راح يمارس نشاطه كالمعتاد. ومرة ثانية تزايد عدد الناس الذين كانوا يلتفون حوله وازدادت شهرته بأفعاله أكثر من أي شخص آخر. وأكلت الغيرة رجال الشرع فأعطوا لبيلاطس ٣٠ تالنت ليقتله، فأخذها منهم وسمح لهم بتنفيذ رغبتهم بنفسهم».

وأول ما نخرج به من هذا النص الموجود في إحدى الترجمات السلافية لكتاب «**حرب اليهود ضد الرومان**» هو أن بيلاطس هو الذي تسلم مبلغ المال لتسليم يسوع وليس يهوذا. كما نخرج بأن يسوع قد مثل مرتين أمام بيلاطس وأنه في أول مرة قد تم الإفراج عنه - بينما لا يورد إنجيل كل من مرقس ومتى إلا مثوله مرة واحدة أمام بيلاطس. إلا أن لوقا يذكر أنه مثل مرتين ويفصل بينهما بمثوله أمام هيرودس وهو ما لا أثر له في أي نص من نصوص الأناجيل المعتمدة. ويورد إنجيل يوحنا مثولان أحدهما في دار الولاية، والثاني «يقال له البلاط وبالعبرانية جباثا» (١٩: ١٣-١٥)! أما النصوص الحالية لهذا الإنجيل فتضع المثولين تباعًا - فمن غير المعقول أن يتم التحقيق مع يسوع في مكان ويتم الإفراج عنه، ثم يدخلوه مكانًا آخرًا لتتم إدانته؟!

وتكشف جزئية مثول يسوع أمام هيردوس عن تبديل الشخص المتهم. فالإعجاب الشديد الذي كان يكنه ليسوع ويتطلع إلى مقابلته «من زمان طويل فسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء»، فاحتقره هيردوس وأعاده إلى حيث أتى! يدل على أن من مثل أمام هيردوس شخص آخر شبيه بيسوع وإلا ما تحول الإعجاب إلى احتقار بمثل هذه السهولة.

ويزداد الخلط حينما نطالع قول بيلاطس في إنجيل متى (٢٧: ١٨) وهو يقول: «لأنه (بيلاطس) علم أنهم أسلموه حسدًا» لا نملك إلا أن نتساءل: من هم الذين أسلموه؟! إن الذي يكتب ويقال ويشاع أن يهوذا هو الذي أسلمه. فهل يفهم من هذا أن كل الحواريين أو عدد منهم قد تواطأ على تسليمه؟! أم من؟! وأقل ما نخرج به هو أن كلمة «حسدًا» تنطبق على يهوذا كأخ شقيق توأم يغار من أخيه.

وقبل أن ننهي هذا الفصل حول القبض على يسوع ومحاكمته وصلبه، كما يقولون، لابد من وقفة نتساءل فيها بإمعان: لقد دأب كتبة هذه الأناجيل في صياغتها، وخاصة في جزئية محاكمة يسوع، على الاستشهاد بنصوص العهد القديم كإثبات للنبوءات ولإضفاء المصداقية. وتبدو هذه الاستشهادات بوضوح أكثر في سرد وقائع الصلب وكل ما بها من أقوال، حتى صيحات يسوع وتعبيراته المختلفة وكل الجزيئات مأخوذة عن المزامير، ومن الغريب أن نطالع في المزمور ٢٠: ٦ «أن الرب مخلّص مسيحه»!

ترى لماذا لم يستعن هؤلاء الكتبة بهذه الآية خاصة أن النص الوارد في طبعة سنة ١٦٧١ يقول: «الآن علمت أن الرب قد خلّص مسيحه، واستجاب له من سما قدسه» (١٩: ٦)، أما في طبعة ١٩٦٦ فنطالع: «الآن عرفت أن الرب مخلّص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه» أليست هذه الآيات «منزلة» مثلها مثل باقي أو كل ما تم الاستشهاد به لإضفاء شرعية على ما لا شرعية له؟! أم أن الاختيار وفقًا للأهواء؟!

لذلك يجمع العلماء اليوم على أن كل ما يمثل عملية القبض على يسوع ومحاكمته عبارة صياغات مجازية قد تمت صياغتها لإثبات عملية بعينها، فعلى حد قول أوريجين (١٨٥ - ٢٥٢) وهو من آباء الكنيسة الأوائل: «عديدة هي الأجزاء التي نشعر فيها أن كثيرًا من الأشياء قد كتبت بحيث تبدو وكأنها وقعت لكنها لم تحدث بالمعنى الحرفي - إلا إن كنا لا نفهم» (وارد في كتاب «**المسيحية بلا يسوع**» صفحة ١٢٠).

أما الفيلسوف اليوناني پورفير (٢٣٤ - ٣٠٥) وتلميذ أفلوطين فكتب قائلاً: «إن كل كاتب من كتبة الأناجيل قد تحدث عن آلام المسيح لا في تناسق تام وإنما في تنافر تام بين كل واحد منهم» (وارد في كتاب «**تكوين العقائد المسيحية**» صفحة ٢٣٨).

إن نسيج هذه المحاكمة المختلقة يكشف عن جهل من كتبوها التام بالقانون وبالشرع اليهودي ونظام المحكمة العليا، كما يكشف عن جهل مماثل بالقانون الروماني. ومن الواضح أنه قد تمت صياغتها بحيث تبدو التهمة ملصقة باليهود.. والإصرار على تبرئة بيلاطس/ الرومان، لا يتمشى مع خط سير أية محاكمة وفقًا للقضاء الروماني بل ولا

حتى وفقًا للآية الواردة في إنجيل لوقا على لسان المسافرين إلى بلدة عمواس وظهر لهما يسوع بعد بعثه كما يقولون. فلم يتعرفا عليه وراحوا يحدثونه عن أخبار البلدة وعن ذلك الإنسان النبي المقتدر في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب وقالوا له: «كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه»! (لوقا: ٢٤:٢٠). ومن هنا يتضح أن التهمة تقع على رؤساء الكهنة (اليهود) كما تقع على الحكام (الرومان)، وليس على اليهود وحدهم - وفقًا لنص الآية.

والإجماع الحالي حول هذه المحاكمة أنه لا سند تاريخي لها في الأرشيف الروماني، وذلك في وقت كانت تدوّن فيه كل صغيرة وكبيرة متعلقة بشؤون الدولة وكذلك لا سند تاريخي لها في أرشيف المحكمة العليا اليهودية التي جعلوها تخترق جميع قوانينها لتدين يسوع على ما لا إدانة عليه.

لذلك يؤكد تيار العلماء العقلانيين ومنهم كنسيون أن الأناجيل قد صيغت بلاهوت يعتمد على ما استمدوه من التراث القديم لإثبات أن يسوع هو المسيح أو المسايا الذي كان اليهود ينتظرونه. إلا أن مسيح اليهود لم يكن من المتوقع له الموت وهنا نشأت ضرورة ربط الموت بالبعث - وهي الفكرة المأخوذة عن الديانات الوثنية السائدة وخاصة عقائد أوزريس وأتيس وميثرا، فكل منها مات وبعث.

ويؤكد العالم جي فو (G.Fau) أنه حتى منتصف القرن الثاني كان المسيحيون يؤمنون بمسيح سماوي، أسطوري، ويجهلون كل شيء عن يسوع الإنسان، مستشهدًا بأصداء أو بما تبقى من إنجيل بازيليد، الواردة في ترتوليان، وكان ينكر تمامًا واقعة صلب يسوع (صفحة ٤٦). وجي فو من الكنسيين السابقين.

ويقول بيير أنطوان برنهايم (P.A. Bernheim): «إن ملابسات قضية يسوع من الصعب فهمها إلا إذا افترضنا أن هناك أخطاء قانونية شرعية قد وقعت، أو أن نتبنى رأي كل من ماك (B.L.Mack) وميللر (R.J.Miller) وننكر أي مصداقية تاريخية لروايات الأناجيل حول موت يسوع» («**يعقوب شقيق يسوع**» صفحة ١٥٩).

والثابت تاريخيًا أن الأب أوسيبيوس والأب بابياس، وهما من الأساقفة، أنهما قد أنكرا عملية صلب يسوع واعتبراها من الهرطقة، وأقرا أن المسيح قد عاش لسن متقدم. وقد أنكر ترتوليان قبوله للمسيحية وراح يهاجمها بشراسة بعد سنة ٢٠٠م، وأنكر بدعة عذرية مريم الدائمة. كما أورد إيريني أن يوحنا تلميذ يسوع قال إنه عاش حتى أيام الامبراطور تراچان.

وما أكثر الذين كتبوا أن يسوع قد امتد به العمر وتزوج مريم المجدلية، خاصة جيرار ميساديه (G.Méssadié) في كتابه المعنون «**الرجل الذي أصبح الله**» (١٩٨٩). وكذلك إنجيل فيليب الذي طبع حديثًا. ويورد أندرياس فابركايزر (A.Faber-Kaiser) في كتابه المعنون: «يسوع عاش في كشمير» (١٩٧٨) أن يسوع قد ذهب مع أمه وتوما إلى دمشق، ثم ذهب إلى ما بين النهرين ومنها إلى باكستان حيث توفيت أمه، إذ أن مقبرتها لا تزال قائمة في بلدة موري (Murree) على بعد عشرة كيلومترات من روالبندي، ومنها انتقل إلى كشمير وتوفي في سن متقدم. وهو ما يتفق وإشارة الآية بأنه لم يتم الخمسين من العمر بعد..

ومن المؤكد أن عملية الصلب غير متواترة لأن الذين كتبوا الأناجيل لم يشاهدوا الوقائع. بل لقد أنكر مسألة الصلب العديد من فرق النصارى منهم السيرنثيين والتاتيانوسيين – أتباع «تاتيانوس» تلميذ يوستينوس الشهيد (Justin) وقال فوتيوس أنه قرأ في كتاب «**رحلة الرسل**» أن المسيح لم يصلب وصلبوا غيره، وكان هو يضحك من ذلك. وهناك العديد من الأناجيل المستبعدة تنكر عملية الصلب، ومنها إنجيل بطرس، وإنجيل توما، وخاصة إنجيل برنابا الذي اختاره الروح القدس ورغمها استبعدته الأيادي العابثة.. بل تنص الموسوعة الكاثوليكية في مجلدها الخامس صفحة ١٤ على أنه «لا يمكننا الوثوق تمامًا في المؤرخين الأساسيين لفترة آباء الكنيسة» وهو ما يعني أن نصوص القرون الأولى برمتها مشكوك في مصداقيتها.

لذلك تظل هناك العديد من الأسئلة التي تبحث عن إجابات منطقية بعد كل هذا التقدم في الدراسات التحليلية للنصوص الكنسية والإنجيلية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: كيف جرت المحاكمات خاصة تلك الجزئيات التي جرت مع يسوع ولم يكن هناك أي شاهد ولم ترد أية إشارة إلى وجود مترجم، لأن بيلاطس كان يتحدث اللاتينية ويسوع الأرامية؟ ماذا عن هروب الحواريين وغيابهم يوم الصلب، فمن غير المعقول أن تنفض المسألة وكأن يسوع لم يكن!

وماذا عن مقبرة يسوع؟ فإن كان قد دفن فعلاً في قبر منحوت في الصخر لظل حتى يومنا هذا – إن كان الأتباع حريصين على تخليد ذكراه. بل حتى وإن كان قد دفن في ذلك القبر المحفور في الأرض لظلت معالمه قائمة بزيارات الأتباع! وماذا عن تلك الأبحاث التي كشفت بالقطع أن مدينة الناصرة لم تكن موجودة أيام يسوع وأنه قد تم إنشاؤها في القرن الرابع؟ وبالتالي ننتقل إلى العقيدة الكاثوليكية التي تربط بأي وسيلة اسم يسوع باسم

مدينة الناصرة، فهناك عملية خلط وإحلال جد فاضحة لتلك الأيادي في محاولتها تزوير معلومة يسوع النذير (Nazôréen) لتجعله يسوع الناصري نسبة إلى مدينة الناصرة (Nazareth) والفرق بينهما باللغات الأوروبية جد ضئيل (Nazoréen- Nazaréen)؟! مجرد حرف واحد.

لقد تمت إدانة يسوع على أساس التجديف وأنه قال، أو هكذا تقول الأناجيل، إنه ابن الله أو أنه الله. وأن هذا التجديف يعد أكبر جريمة تستوجب القتل، فكيف تقوم الكنيسة بعد ذلك بجعله رسميًا ابن الله، ومنها عبارة الأب والابن والروح القدس، ثم جعلته الله شخصيًا؟! وهي العبارة التي تقال بجميع اللغات: ربنا يسوع؟!

لذلك يقول ميشيل أونفراي: «إن كل ما في الأناجيل من خلط وتزوير يفسّر لماذا ظلت الكنيسة لمدة قرون طويلة تمنع قراءة هذه النصوص التي فرضتها على أنها مقدسة» («**مبحث في الإلحاد**»). وبعد ذلك بعدة صفحات يضيف قائلاً: «إن قصة هذا التحريف يجب أن تكتب بكل تفاصيلها» (صفحة ١٩٣).

وإذا حاولنا تقييم هذه الأحداث، التي أصبح من المؤكد حاليًا أن الذين كتبوها ليست هي الأسماء التي هي معروفة بها، لوجدنا أنها وقائع تاريخية مستبعدة الحدوث، ووقائع في الأحكام مستبعدة الحدوث، ووقائع في تنفيذ الحكم مستبعدة الحدوث، وحتى وقائع ما بعد الأحداث فهي مستبعدة الحدوث.

لقد أوضحنا أن التعارض يعني أن يقضي أحد الدليلين حكمًا في شيء يناقض ما يقتضيه الدليل الآخر في ذلك الشيء. وأن التناقض الذي يعيب الحكم هو ما تتعارض به الأسباب وتتماحى بحيث لا يبقى بعدها ما يمكن حمل الحكم عليه ولا يمكن معه فهم على أي أساس قضت المحكمة بما قضت به في منطوق الحكم.

وتجدر الإشارة إلى القس الإيطالي السابق، لويجي كاتشيولي (L.Cascioli) الذي قام برفع دعوى قضائية على الكنيسة الإيطالية بتهمتين يعاقب عليهما القانون الإيطالي – ومن المفترض أن يعاقب عليهما أي قانون مدني آخر، وهما تهمة فرض حقائق مزورة على الأتباع، وتنص عليها المادة رقم ٦٦١، وتهمة إحلال شخصية محل شخصية أخرى، وذلك بموجب المادة رقم ٤٩٤ من القانون.

وعلى الرغم من مرور قرابة ألفي عام على عمليات التزوير التي تمت عبر المجامع على مر العصور، فهي جرائم لا تتساقط بالتقادم، فهذه جريمة من الجرائم الماسة بالإنسانية بوجه عام، ومن ثمة فهي لا تتقادم ولا تسقط بمضي المدة. والقضية قد تم تحويلها إلى المحاكم الإيطالية. والقضية برقم ١٤٩١٠/٢٠٠٦ ولا نعتقد أنه يمكن لإنسان أن تصل به الجرأة لرفع دعوى يقاضي بها الكنيسة التي عمل بها طويلاً، إلا إن كان واثقاً وعالمًا ببواطن الأمور..

وإذا ما رجعنا إلى الآية الواردة في القرآن الكريم وإيجازها البليغ، وعلى الرغم من أن معظم الباحثين المسلمين قد استندوا إليها لتفنيد عملية قتل وصلب السيد المسيح، مشيرين إلى أنه قد رُفع لحظة القبض عليه، وكلها فروض شديدة الإقناع، إلا أنه إذا ما تأملنا نفس الآية من منطلق الأبحاث الحديثة التي تناولناها، نجد أنها تتطابق أيضًا وتشهد للتفسير الجديد، ويالعظمة الله، إذ تقول الآية الكريمة:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا• بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٥٧-١٥٨).

فبعد نفي عملية القتل والصلب يقول القرآن **﴿وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾**، وهذا يحمل أن عملية الإنقاذ قد تمت بناء على عبارة الشبه والتبديل. فإذا أخذنا بالنتائج القائمة على التبديل اعتمادًا على التشابه فهي قائمة. وإذا أخذنا بالدراسات الحديثة وأن كل هذه القضية المختلقة قائمة على عملية تشبيه تمت للأتباع: شُبّه لهم، وذلك بأن قامت الأيادي العابثة بجمع وقائع من هنا وهناك لاختلاق تلك القصة برمتها اعتمادًا على التشبيه لهم، فهي قائمة.

كما أن عبارة: **﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾** تدل علي أنهم مختلفين على الشخص ذاته ويشكّون فيه. فينطبق عليها كل ماتم التوصل إليه من قائل بأن الذي صلب مكان يسوع هو سمعان القيرواني، أو يهوذا، وهي أكثر الأسماء المطروحة ورودًا سواء في الأبحاث أو الأناجيل، التي منها ما يؤكد أن المصلوب هو يهوذا - كما نطالع ذلك بوضوح في إنجيل برنابا، الحواري الذي كان قد اختاره الروح القدس، وبالتالي فهو من أصدقهم.

وجزئية: ﴿ما لَهُم بِهِ مِنْ عِلمٍ إلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾، والظن لغة شك ويقين إلا أنه ليس بيقين عيان، وإنما هو يقين تدبر، فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم، وأن الظن أكذب الحديث. وذلك يعني أن ما يقوله كتبة الأناجيل لا يعرفون عنه شيئًا وأنهم لا يتبعون إلا أكذب الحديث. ويعيد الله سبحانه وتعالى أنهم ما قتلوه يقيناً. واليقين من الله عز وجل لا يعلو عليه ولا خلاف فيه.

أما العبارة التالية والتي تقول: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾، فهي أيضًا تحتمل التفاسير السابقة من حدوث معجزة الرفع في نفس لحظة القبض عليه، كما تحتمل أنه امتد به العمر ومات ميتة طبيعية، وأن الله هو الذي توفاه ولم يقتله أحد. ويزداد هذا المعنى وضوحًا وتأكيدًا إذا ما رجعنا إلى الآيتين الآخريين الواردتين في سورة آل عمران، ونصها: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ واللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ• إذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (آل عمران: ٥٤-٥٥).

وتبدأ بالإشارة إلى مكر الذين دبّروا اغتياله إلا أن قدرة الله على إنقاذه أقوى من قدرة المتآمرين. ثم قول الله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ومع التأكيد على أن الله سبحانه وتعالى هو الذي سيتوفاه، فإن الصيغة تحمل معنى المستقبل أيضًا. أي أنه في الآيتين الله هو الذي سيتوفاه وسيرفعه إلى العالم الآخر حيث يطهره من الذين كفروا ويجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا..

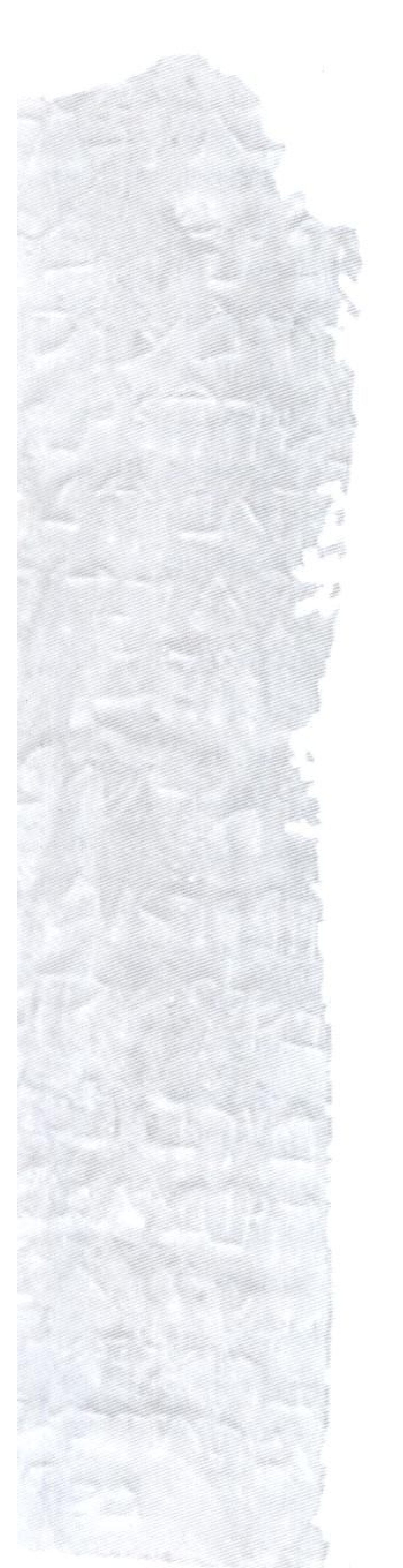
لذلك لا يسعنا إلا أن نشير إلى تلك الآيات الواردة بالعهد القديم وهي واردة بنفس النصوص التي استعان بها كتبة الأناجيل لتنسج قصة قتله وصلبه.

«طلبت إلى الرب فاستجاب لي ومن كل مخاوفي أنقذني. نظروا إليه واستناروا ووجوههم لم تخجل. هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلّصه» (المزمور ٣٤: ٤-٦)، «مبارك الرب لأنه سمع صوت تضرعي، الرب عزّي وترسى عليه اتكل قلبي فانتصرت، ويبتهج قلبي وبأغنيتي أحمده. الرب عزّلهم وحصن خلاص مسيحه هو» (المزمور: ٢٨: ٦-٨)، و«دربني في حقلك وعلمني لأنك أنت إله خلاصي» (مزمور ٢٥ :٥)، «يارب خلّص، ليستجب لنا الملك في يوم دعائنا» (المزمور: ٢٠ :٩)، وفي الآية ٦ يقول: «الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه»! بل ونطالع في سفر حبقوق: «**خرجت لخلاص شعبك لخلاص مسيحك**» (٣ :١٣).

ولا نملك إلا أن نعجب لماذا لم «يلحظ» هؤلاء الكتبة كل هذه الآيات التي تؤكد أن الله سبحانه وتعالى قد خلّص مسيحه من الصلب؟! لماذا أصروا على صلبه خاصة وأن بولس يؤكد في رسالته إلى العبرانيين إصحاح ٥ آية ٧ قائلاً عن يسوع: «الذي في أيام جسده، إذ قدّم بصراخ شديد ودموع وطلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، وسُمع له من أجل تقواه»؟! أي أن الله عز وجل استمع إلى تضرعاته واستجاب له وخلصه من الصلب.

ونوجز هذه القصة بإعادة تأمل الآية الكريمه في إيجازها البليغ ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا• بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ (النساء: ١٥٧-١٥٨).

فقد شُبه لهم، واختلفوا فيه، وهم في شك منه، ولا علم لهم إلا إتباع الظن وأكذب الحديث - فما قتلوه يقينًا: لأن الله قد خلّص مسيحه..



متاهة مخطوطات قمران

- متاهة مخطوطات قمران
- على هامش مخطوطات قمران

متاهة مخطوطات قمران

يمثل اكتشاف مخطوطات قمران، التي تم العثور عليها سنة ١٩٤٧ قرب البحر الميت، نقطة فارقة في تاريخ المسيحية، بل يعتبرها البعض أهم وأخطر اكتشافات القرن العشرين.

ولا أدل على تلك الأهمية من أنه بعد مرور عشر سنوات على هذا الكشف، قام العالم الألماني شارل بورخارد، في برلين، بعمل سجل للإصدارات التي توالت طوال ذلك العقد ونشره سنة ١٩٥٧. ويتضمن هذا السجل أو هذه الفهرسة ١٥٣٨ عنوانًا لكتاب أو لبحث علمي أو مقال. وفي شهر يوليو ١٩٥٨ صدر العدد الأول لمجلة علمية بعنوان: «**مجلة قمران**» باللغة الفرنسية، وبعد عام تقريبًا صدرت مجلة أخرى بالإنجليزية بعنوان: «**اكتشاف البحر الميت**» ومن البديهي أن الرقم الوارد في الفهرسة قد تضاعف عدة مرات حتى يومنا هذا.

وإن دل هذا الكم المتواصل من الإصدارات في العالم عن شيء، فهو يؤكد على ما لأهمية هذه المخطوطات من أثر فيما يتعلق بتاريخ اليهودية والمسيحية بعامة، وبتاريخ المؤسسة الكنسية بصفة خاصة.

وتعد هذه المخطوطات أقدم مجموعة وثائق تتعلق بالكتاب المقدس بعهديه، وبتاريخ جماعاتها المتعددة. وتزداد أهميتها بالنسبة للجمهور وفقًا لما تتناوله وسائل الإعلام. فمن أهم ما راحت الصحافة تتناوله بالتعليق ما شاع آنذاك من أن هناك تأخير متعمد وعملية تعتيم مفروضة بيد من حديد لعدم نشر أية معلومات جادة حول هذه النصوص وترجمتها.. خاصة وأن المتحكمين فيها أساسًا من رجال الدين المسيحي العاملين في المعهد الإنجيلي بالقدس، أي أن الموضوع في نهاية المطاف خاضع لإشراف القيادات العليا في الفاتيكان ولجانه المتخصصة في مصادرة كل ما يخالف الخط الرسمي الذي تفرضه.

وفي شهر مايو ١٩٥٠، وقبل حتى أن يتم اكتشاف باقي الكهوف، تقدم العالم أندريه دوبون - سومير (André Dupont - Sommer)، أستاذ اللغة والحضارة السامية بجامعة السوربون، ببحث كان بمثابة قنبلة ناسفة لأركان المسيحية وعقائدها، عندما أعلن: «أن سيد العدالة»، رئيس طائفة الأسينيين، يبدو وكأنه النموذج الأصلي ليسوع. وذلك استناداً إلى النصوص التي تمت ترجمتها مبدئيًا، ومنها مخطوطة «قانون الجماعة»، و«تعليق حبقوق»، و«وثيقة دمشق».

وأشار دوبون - سومير بوضوح إلى الترابط الموجود بين فكر ومذهب كل من سيد العدالة ويسوع، قائلاً: «كلاهما بشر بالتوبة، والتقشف، والتواضع وحب الآخر، والعفة، وكلاهما تمسك بشرع موسى وأطلق عليه لقب «المختار» و«مسيح الله». وكلاهما خضع أو تعرّض لعداوات رجال الدين اليهود والصدوقيين، وقُتل، وسيعود في نهاية الزمان، وأتباعه ينتظرون عودته المجيدة ليحكم لمدة ألف عام.

وكان الرد عليه عنيفًا جامحًا من قبَلْ الكاثوليك الذين احتجوا ورفضوا المساس بوحدانية يسوع المسيح وتفرد شخصه.. واهتز الأب أندريه دوبون - سومير، الأستاذ بالسوربون، من التهديدات التي لاحقته وعنف الهجوم الذي حاضره، فاضطر بعد ذلك إلى المواراة في الأسلوب وتوخي الحرص في العبارة.. إلا أنه لم يمكنه التنازل عن حقيقة «أن الإسينيين، أكثر من أي طائفة أخرى من طوائف اليهود، هم الذين مهدوا الطريق للمؤسسة الكنسية».

وهنا لابد من وقفة نعود فيها إلى قصة اكتشاف مخطوطات البحر الميت، أو إلى متاهة القصة الوهمية الرسمية حول اكتشافها وطريقة انتشار خبر العثور عليها «صدفة» وانتشار خبرها التدريجي بين تجار الآثار والمتاحف والمؤسسات الدولية، وهي بمثابة مغامرات جديرة بروايات الفروسية التي تشيع فيها الأقبية والدهاليز المعتمة أكثر مما يشيع فيها من الوضوح.. فالاتهامات المتبادلة في عمليات اقتنائها، والتلاعب في نشر نصوصها، والمعارك والأحابيل التي لجأ إليها بعض العلماء للحصول على جزء أو على نسخ منها لدليل واضح على أن هناك أمورا خفية في الكواليس وأسئلة عديدة بحاجة إلى الأجوبة. ذلك لأن دراسة المخطوطات وتاريخها يؤدي إلى دهاليز الفاتيكان، كما يؤدي بصورة أكثر قلقًا إلى محاكم التفتيش. لأن دراستها بطريقة وافية أمينة ترتطم بجدار منيع وسياج يصعب اختراقها - فلقد دخلت الظروف الدقيقة لاكتشاف هذه المخطوطات وتفاصيلها المعقدة مجال الأساطير. والعديد من تفاصيل هذه الأسطورة يفتقد إلى المصداقية، فقد تحذلق العلماء وتصرف بعضهم بتصنّع كبير حول عدة نقاط بعينها حتى الستينات من القرن العشرين.

كانت فلسطين آنذاك خاضعة للحماية البريطانية، وكانت مدينة القدس مقسمة إلى ثلاثة قطاعات عربية وبريطانية ويهودية. وابتداء من ١٩٤٩/٦/٢ انتقلت منطقة قمران إلى تبعية الأردن وكل منطقة القدس الشرقية. وكان متحف الآثار الفلسطيني قد أنشيء أيام كانت تحت الحماية البريطانية بتبرعات مالية من جون روكفلر. وفي عام

١٩٤٨، وقبل إنهاء الحماية بقليل تم تحويل المتحف إلى هيئة مساهمين دوليين. وبذلك أصبح يضم ممثلين من هيئات علمية فرنسية وأمريكية وبريطانية. وظل مستقلاً لمدة ثمانية عشر عامًا حتى اندلاع أزمة قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦. فاستقال چيرالد هاردنج من منصبه كمدير لمصلحة الآثار وقسم المخطوطات. كما تم في نفس الوقت وضع المخطوطات في ٣٦ صندوق وأودعت في أحد بنوك عمّان بالأردن. ولم تتم إعادتها إلا في مارس ١٩٥٧ – «وكان بعضها قد أصابه العفن أو البقع».. وذلك هو ما نشرته مجلة **التايمز مجازين** في ١٩٥٧/٤/١٥.

وقد وُضعت المخطوطات، التي تم اكتشافها عام ١٩٤٧، في الجامعة العبرية بالقدس، وظلت بها إلى أن تم بناء المبنى المسمى «معبد الكتاب» الذي شيد خصيصًا من أجل هذه المخطوطات في «متحف إسرائيل» قرب الكنيست. كما أودعت في نفس ذلك المتحف المخطوطة المعروفة باسم «مخطوطة المعبد» التي استولى عليها الصهاينة بوضع اليد حينما احتلوا الضفة الشرقية أيام حرب الأيام الستة.

وبغض الطرف عن القصة المزعومة لاكتشاف هذه المخطوطات، من أن أحد الأعراب قد عثر على كهف صدفة وهو يبحث عن إحدى عنزاته التي ضلّت في الجبل، فاكتشف الكهف وبه الأواني الفخارية وما تحتوي عليه من وثائق – فإن نظرة واحدة إلى إحدى الصور الفوتوغرافية للموقع ومنظر وعورة الجبل واستقامة هضابه الحادة الانحدار تلقى بعلامات استفهام معينة حول تلك «العنزة» التي يمكنها تسلق مثل هذه الهضاب الحادة.. لذلك يتشكك الكثير من العلماء في مصداقية القصة بصورة متفاوتة من التعليقات والصراحة..

كما أن هناك تعليق آخر مكتوب في العديد من المراجع بصور متفاوتة التفاصيل عن إن ما خرج من الكهوف من المخطوطات أكثر بكثير من تلك التي تم تصنيفها أو تسجيلها بعد ذلك: «فهناك سبع مخطوطات كاملة قد تسللت إلى القطاع العام، إضافة إلى أجزاء متعددة من حوالي ٢١ مخطوطة أخرى لا يعرف عنها شيئًا» «**الكتاب المقدس المصادر**» (صفحة ٢٥). ومنذ اكتشاف المخطوطات، وأيًا كان التاريخ الذي يقال وطوال الأعوام التالية، أصبحت هذه الوثائق مجال تجارة مربحة، إذ كانت أجزاؤها تتنقل عبر الحدود عن طريق التهريب، بين الضفة والكيان الصهيوني المحتل لأرض فلسطين، بينما الحفائر تتواصل..

وقد أودعت باقي المخطوطات تقريبًا متحف الآثار الذي عُرف باسم «روكفلر

فاونديشن» بالقدس، تحت مسؤولية قسم الآثار بالأردن، والمدرسة الإنجيلية الفرنسية، ومتحف آثار فلسطين. وتم تكوين فريق عمل دولي برئاسة الأب رولاند دي فو (Roland de Vaux)، القس المشهود له بالتعصب الشديد لكاثولكيته والذي قام باستبعاد كل الذين لا ينتمون إلى المجال الكنسي، خاصة دوپون - سومير، الأستاذ بجامعة السوربون، وجميع العاملين معه بسبب ما أعلنه سنة ١٩٥٠.

وبذلك أصبحت هذه الوثائق موضوعة في منطقتين على جانبي خط تقسيم مدينة القدس، والذي كان يشقها نصفان من ١٩٤٩ وحتى حرب ١٩٦٧ عندما وضع الصهاينة أيديهم على كل المخطوطات - إلا أنه يقال أنهم كانوا قد تركوا وضع اللجنة الدولية كما هو عليه: أي أن كل أعضائها من رجال الدين المسيحي ولم يكن بينهم يهوديًا واحدًا.

وإجمالي هذه المخطوطات يمثل قرابة مائة ألف جزء من النصوص العبرية القديمة والآرامية. موزعة على حوالي ٨٧٠ مخطوطة مختلفة، منها حوالي ٢٢٠ متعلقة بأسفار العهد القديم، التي توجد بكاملها ما عدا سفر إستر، وهو السفر الوحيد في العهد القديم الذي لا يرد فيه اسم الله.. ويقول بارت إيرمان (Bart Ehrman): «لا يمكن التقليل من أهمية مخطوطات البحر الميت بالنسبة للمسيحية الأولى، إلا أن أهميتها غير مباشرة، بمعنى أنها على الرغم من عدم وجود أية إشارة بها إلى يوحنا المعمدان أو يسوع أو أي أحد من أتباعه، أي أنها لا تتضمن أية إشارة إلى المسيحية، لكنها مهمة بالنسبة لدراسة المسيحية الأولى لأنها تعطينا لمحة نادرة عن المجتمع والثقافة والدين في المكان الذي وُلدت فيه المسيحية «**المسيحيات المفقودة**» صفحة ٤٨.

وهو ما يؤكده إدمون ويلصن (Edmon Wilson) الباحث الأمريكي في كتابه عن «**مخطوطات البحر الميت**»، من «أن المخطوطات مرتبطة باليهودية الحاخامية مثلما كانت عليه في القرن الأول الميلادي هي والمسيحية الأولى إلا أنه من الملاحظ تكتم الباحثين اليهود والمسيحيين في إظهار هذه الروابط بوضوح».

وهو نفس ما يؤكده نورمان جولب (Norman Golb) في كتابه المعنون: «**من كتب مخطوطات البحر الميت؟**» مشيرًا إلى التنويعة الواسعة في الموضوعات التي تتناقض أحيانًا مع بعضها البعض: «الأمر الذي يوضح تزايد عدد الباحثين الذين يتحدثون لا عن أفكار طائفة قمران، وإنما عن التيارات اليهودية القديمة المنعكسة في هذه الوثائق. وهو ما سوف يؤدي إلى توضيح العلاقة بين هذه النصوص واليهودية الحاخامية وبدايات المسيحية في القرنين الأول والثاني الميلاديين».

وتنقسم المخطوطات إجمالاً إلى نوعين من الوثائق: نصوص إنجيلية، بنسبة الربع تقريبًا، ونصوص تضم أناشيد ومزامير وتعليقات وكتب جامعة وأمثال ونصوص قانونية وإشارة إلى وجود كنز كبير تم إخفاؤه في مكان ما بالمنطقة.

ومنذ بداية العثور على هذه المخطوطات، دار التساؤل حول مدى صلتها بأصل المسيحية وهل تلك الوثائق سوف تهز أركانها أو تقلل من شأنها؟ ومنذ عام ١٩٦٠ ساد الصمت حول هذه المخطوطات لمدة خمسة وعشرين عامًا. وفي منتصف عقد الثمانينيات من القرن العشرين، قام الأثري الصهيوني إيجال يادين بنشر « **مخطوطة المعبد**» وبعد ذلك بدأت الأخبار تتسرب بشيء من الوضوح عن شخص اسمه «سيد العدالة».

ومع تأخر النشر لأكثر من ثلاثين عامًا لمحتويات الكهف الرابع، بدأت التساؤلات تشرئب من جديد حول مدى مساسها بالعقيدة اليهودية والمسيحية ثم راحت التساؤلات تتمحور حول سفر أربع مخطوطات إلى الولايات المتحدة الأمريكية وقيام الصهاينة باقتنائها بناء على إعلان صغير ظهر في جريدة «وول ستريت» بواسطة راعي كنيسة من فرچينيا.

ويؤكد هرشل شانكس (Hershel Shanks) في نهاية المقدمة التي وضعها للكتاب الجماعي الذي أشرف عليه، وهو بعنوان «**مغامرة مخطوطات البحر الميت**» يؤكد وجود مخطوطات أخرى مخفية، وأن آخر مدير بريطاني لقسم الآثار بمتحف الأردن، لانكستر هاردنج (Lancaster Hurding) هو الذي أبلغ العالم شتراجنل (Strugnell) بذلك وهو على فراش الموت «وأن أحد البنوك بالأردن هو الذي يمتلكها ويحافظ عليها بأكبر عناية فائقة إذ أنها تمثل مجال استثمار أعلى بكثير من البورصة الإسرائيلية أو بورصة نيويورك».

أما الأب موريس بابيه (Maurice Baillet)، فقد أورد في كتاب «**اكتشافات في الصحراء اليهودية**» قائلاً: «من قبل الحرب (١٩٦٧) تصور بعض «المتخصصين» الإنجليز والأمريكان أنه يمكنهم عمل مونتاج نهائي لبعض المخطوطات، لكنهم في الواقع قد أفسدوها. وبالنسبة لبعض الأجزاء الأخرى الكبيرة، فقد كانت الأمور أكثر بساطة: فبعد رحلة رسمية طويلة عبر العالم، لم تعد أبدًا هذه المخطوطات إلى موقعها، ولا يعلم أحد أين هي حتى يومنا هذا».

ونخرج من هذا الاستشهاد الوارد في كتاب جماعي صادر بمناسبة مرور خمسين

عامًا على اكتشاف هذه المخطوطات بعدة ملاحظات، أولا : وضع كلمة «متخصصين» بين شولات يعني أن هؤلاء الإنجليز والأمريكان لم يكونوا من العلماء المسؤولين عن هذه الوثائق أو المتخصصين فيها، ثانيًا : أنهم أتلفوا بعض هذه المخطوطات في محاولة لصقها، ثالثًا : إن هناك بعض المخطوطات قد خرجت من الأسر أو من السيطرة الشديدة المفروضة عليها ولم تعد إلى يومنا هذا.

وإذا ما أضفنا ما قاله هرشل شانكس أنه من ١٩٤٨ حتى ١٩٥٠ اليهود هم الذين كانوا ينقبون وحدهم مع البدو، وأنه من ١٩٥٠ إلى ١٩٦٠ قد تم وصل كل الأجزاء وعمل حصر دقيق لها «عندما انتهت الميزانية وتدخلت عناصر أخرى شخصية وسياسية فتجمدت الأبحاث لمدة عشرين عامًا» (صفحة ٧٠)، وأخذنا في الاعتبار تلك الشهادة الصادرة عن أحد أعضاء اللجنة الرسمية، حقيقة أن هناك مخطوطات قد تم الاستيلاء عليها، وأخرى قد حجبت، وغيرها قد سرق - سواء أثناء الحفائر أو بعدها، إضافة إلى ما قاله أحد الصهاينة حينما أعلن صراحة: «إنكم لن تروها إلى الأبد» لأدركنا أن هناك حقائق أخرى خاصة أن هرشل شانكس يؤكد قصة مختلفة تمامًا عن تلك القصة التي نسجها إيجال يادين، وأنه لم يقم بشراء «مخطوطة المعبد» وإنما قد استولى عليها عنوة بصحبة أحد رجال الجيش بعد حرب الأيام الستة..

وهنا لابد من وقفة نوضح فيها شخصية إيجال يادين والدور الذي قام به في هذا المجال. فهو من خريجي الجامعة العبرية وحاصل على درجة الماجستير عام ١٩٤٥، وعلى درجة الدكتوراه عام ١٩٥٥ وكان موضوعها عن «إحدى مخطوطات قمران». وتتضمن حياته شقين أساسيين، أحدهما سياسي والآخر علمي. فقد كان في الهاجاناة (هيئة الدفاع عن الكيان الصهيوني) منذ ١٩٣٣، وبعد عشر سنوات أصبح رئيسًا لقسم العمليات بها، وفي عام ١٩٤٩ أصبح رئيسًا لأركان الجيش الصهيوني ثم اعتزل الخدمة بعد خلافه مع بن جوريون عام ١٩٥٢. وهو يعد من القيادات التي أسست الحركة الديمقراطية في الكيان الصهيوني المحتل لأرض فلسطين.

أما الجانب العلمي، فهو يعد واحدًا من كبار علماء الآثار اليهود، فبعد حصوله على الماجستير تم تعيينه في القسم العبري بجامعة القدس، وبعد حصوله على الدكتوراه عيّن أستاذًا مشاركًا سنة ١٩٥٩، وفي ١٩٦٣ حصل على درجة أستاذ في علم الآثار.

وقد قام بالحفائر في منطقة هاستور فيما بين ١٩٥٣ و١٩٦٨، وفي منطقة مسادة فيما بين ١٩٦٣ و١٩٦٥ - وهي التواريخ الرسمية المعروفة - كما ترأس العديد من

البعثات للبحث عن مخطوطات أخرى في الكهوف المحيطة بالبحر الميت بينما كان يشغل منصب رئيس قسم الآثار ثم معهد الآثار التابع للجامعة العبرية في القدس.

ومن أهم أبحاثه العلمية نشر مخطوطة «حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام» (١٩٦٢)، و«تفللين» من قمران (١٩٦٩)، و«مخطوطة المعبد» (١٩٨٣) وهي أكمل وأطول مخطوطة في المجموعة، كما كان قد أصدر كتابًا بعنوان «رسالة المخطوطات» (١٩٧٥)، وعدد من الكتب الأخرى للتعريف بمنطقة مسادة وحاستور، والأسفار المكمورة، وباركوخبا.

وقد كان من الأطراف الرئيسية في لعبة شراء المخطوطات المهربة إلى أمريكا. ففي ١٩٥٤/٦/١١ قام اليهود بشرائها في فندق والدورف أستوريا بمبلغ ربع مليون دولار، وفي ١٩٥٤/٧/٢ انتقلت المخطوطات من ذلك الفندق إلى قنصلية إسرائيل في نيويورك، وتم إرسالها إلى الكيان الصهيوني على مراحل. وظلت تفاصيل هذه العملية طي الكتمان إلى أن أعلنت الصحف «شراء إسرائيل للمخطوطات من رئيس الأساقفة صمويل» وارد في كتاب ج. تريفر «J.Trever» «**قصة قمران التي لم تحكى**» (١٩٦٦).

ويقول كل من مايكل بيجنت ورتشاردلي في كتابهما الذي أخفت السلطات الكنسية ترجمته الفرنسية، والغريب أن عنوانه كان: «**الكتاب المقدس المصادر**» فقد تمت مصادرة نفس الكتاب فعلاً! يقول الكاتبان أن الحكومة الأردنية كانت قد اتهمت رسميًا رئيس الأساقفة المدعو صمويل بالتهريب والخيانة وأنه لم يكن من حقه تهريب المخطوطات خارج الأردن. واعتبرت الأمريكان مسؤولين عن نشر نصوص وصلتهم عن طريق التهريب وبالتالي فهم متهمون بالتواطؤ الإجرامي (صفحة ٤٢).

لذلك يوضح الكاتبان أنه منذ ١٩٥٤ كانت هناك مجموعتان متميزتان من النصوص وفريقان من الباحثين يعملان دون أية صلة بينهما. ففي القدس الغربية ينكب اليهود على المخطوطات التي استولى عليها كل من سوكنيك وإيجال يادين، وفي القدس الشرقية، يعمل الفريق الدولي في متحف روكفلر تحت إدارة الأب دي فو. ولم يكن أي فريق منهما يعرف ما يقوم به الفريق الآخر إلا من خلال ما يتم نشره في المجلات المتخصصة.

وبدأت معارك النشر والتعتيم.. وهنا يقول العالم هرشل شانكس: «هناك عُرف متبع بين العلماء، فهو غير مدون في أي قانون، أن الباحث المسؤول عن نشر نص من النصوص تصبح له أحقية كاملة عليه، وبالتالي يمكنه أخذ الوقت الذي يراه لازمًا لعمله، ولا يحق لأي باحث آخر حتى أن يّطلع على النص إلا بإذنه، كما لا يحق لأي أحد سواه أن يقوم بنشره» (صفحة ١٧).

وتمثل عملية نشر المخطوطات متاهة أخرى من الصعب تتبع حقيقتها بالتفاصيل المطلوبة أو على الأقل بالأمانة المرجوة. فاللافت للنظر هو التباطؤ الشديد والتحكم المطلق سواء في عملية النشر أو في إمكانية الإطلاع عليها، وأن أمكن اختصار متاهة عمليات النشر هذه لوجدنا أن محتويات الكهوف من ١ إلى ٣، ومن ٥ إلى ١٠ قد تم نشرها في غضون عام ١٩٦٠، وأن كثيرًا من مخطوطات الكهف رقم ١١ كان يمكن الإطلاع عليها في منتصف عام ١٩٨٠، وأن أغلب محتويات الكهف رقم ٤ وهو يعد من أهم الكهوف نظرًا لما حواه من وثائق، فقد امتد منع تسرب أي معلومة عنها قرابة ثلاثين عامًا! ولم يتم نشر بعض مخطوطاتها إلا سنة ١٩٩٠ وهناك إجماع بين العلماء الذين يعملون في هذا المجال أنه لا يزال هناك العديد من المخطوطات المحظور الإطلاع عليها أو التي لا تزال قابعة تحت «القفل والمفتاح» كما يقولون، حتى يومنا هذا..

ويعد كلا من بيجنت ولي من أهم من كشفا عن غموض مجريات الأمور، واتهما الفاتيكان صراحة بالتعتيم على مخطوطات البحر الميت وحجبها عن الجمهور لأنها تزلزل أركان العقيدة المسيحية الأساسية.

وبخلاف انتقادهما التأخير المبالغ فيه في عملية النشر، فإن الزمرة المتحكمة من الناشرين الذين يسيطرون ويتحكمون في حوالي أربعمائة من النصوص التي لم تنشر من الكهف الرابع، يمنعون أي باحث آخر من الوصول إليها. ثانيًا: أن تلك الزمرة المتحكمة معظمها من الكاثوليك العاملين في المعهد الفرنسي الإنجيلي والآثار، الذي يديره والدومنيكان. ويقع هذا المعهد في القدس الشرقية التي كانت تحت السلطة الأردنية حتى عام ١٩٦٧.

وكان أندريه كاكو (André Caquot) الأستاذ بالكوليج دي فرانس وعضو أكاديمية العلوم والآداب من الذين انتقدوا التأخير الشديد في نشر هذه المخطوطات قائلاً: «أنه موقف بشع من الناحية العلمية إذ أن جيل من الباحثين قد حرم من هذه الوثائق الأساسية ولا يمكن أن يستمر هذا الوضع» (مجلة إكسبريس ٢٥/٤/١٩٩١) وكان قد سبق لكل من إدمون ويلصن وجون الليجرو وجيزافرمس أن انتقدوا الفريق الدولي ورِيائه في تحايله على النشر وفرض احتكار علمي على الوثائق. وكان الليجرو قد انتقد المحاولات المستميتة للفريق لفصل المسيح عن المخطوطات مؤكدًا على الروابط الأكيدة بينهما بل أنها أكثر قربًا مما يمكن لأي أحد أن يتخيله.. أما جيزا ڤرمس فقد أعلن «أن أهم الاكتشافات من مخطوطات عبرية وآرامية في سبيلها إلى أن تكون الفضيحة العلمية القصوة في القرن العشرين».

وفي ١٩٩١/٩/٢٢ تم الإعلان عن «نهاية احتكار المخطوطات ونشرها» وذلك في جريدة **نيويورك تايمز**. «إلا أن مكتب الآثار الإسرائيلي قد احتج وهدد - كما يورد شانكس - بفسخ العقود وبأن ذلك يخالف الأصول العلمية ويعد عمل لا أخلاقي وسرقة لأعمال الباحثين وهدد بإقامة دعوى قضائية» (صفحة ٢٣).

وفي ٢٠٠١/١٢/٢٥ أعلنت جريدة **الموند** الفرنسية تحت عنوان: «لحظة شديدة الأهمية»، تقول: «بعد أربعة وخمسين عامًا من الانتظار، تمت طباعة مخطوطات البحر الميت»! ثم راحت توضح: «وقد تولت طباعتها دار نشر جامعة أوكسفورد، بعد أن استحوذ عليها بضعة علماء طوال هذه المدة. وهي مكونة من ٣٩ مجلدًا. ويقول جيزا ڤرمس، الأستاذ بجامعة أوكسفورد، إن هذا التأخير وكل ذلك التعتيم على فحوى هذه الوثائق يمثل أكبر فضيحة علمية في القرن العشرين».. وتنهي الجريدة مقالها بتساؤل له مغزاه، «فبعد تعتيم احتكاري دام أكثر من خمسين عامًا، تم تنشر المخطوطات، إلا أن سعرها يمثل عقبة جديدة أو محاولة أخرى للتعتيم بمنع الحصول عليها، إذ أنها تعرض للبيع للجمهور كمجموعة متكاملة بمبلغ وقدره ألفان وثلاثمائة يورو تقريبًا». من باب التعجيز والحد من بيعه.

وتمثل نقاط التشابه بين نصوص مخطوطات قمران والكتاب المقدس بعهديه أهم عناصر الخلاف والمعارك الدائرة بين الباحثين. فأهم ما تكشف عنه هذه الوثائق الشبه الشديد الوضوح بين جماعة الأسينيين وجماعة المسيحيين الأوائل، أو المسيحية الوليدة. فقد بات من المسلّم به بين العلماء أن تلك الطائفة كانت معاصرة ليسوع - وهو عكس ما ظلت الكنيسة تفرضه طوال القرون الماضية.

فلا حصر للأجزاء الموجودة بالأناجيل المعتمدة والواردة في نصوص قمران - وأهمها شخصية من هو معروف باسم «سيد العدالة». فقد قام بتنظيم الجماعة، وعانى من اضطهاد «الكاهن الكافر»، ومات ميتة عنيفة، وكان قد ذهب إلى اليهود ليذكرهم بأقوال الأنبياء، إلا أنهم اضطهدوه، وقد خانه واحد منهم، وهناك أيضًا من يطلقون عليه «لسان الحية» و«الرجل الكاذب» وكلها أصداء تذكرنا بيسوع ويهوذا الخائن والكاهن قيافا. وبولس المنافس «سليط اللسان» والذي يعترف بكذبه في رسائله..

لذلك كتب الأب الجزويتي چان دانييلو (Jean Daniélou) قائلاً: «إن الكنيسة البدائية كانت يهودية تمامًا ولعبت دورًا أساسيًا حتى سنة ٧٠ عند سقوط القدس وقيام الرومان بحرق المعبد وتشتيت اليهود. أنها حقائق تاريخية تعتم عليها الوثائق الرسمية ومن المهم إعادتها إلى الأذهان» (**مخطوطات البحر الميت وأصول المسيحية ١٩٥٧**).

ونطالع في كتابه التالي المعنون: «**التاريخ الجديد للكنيسة ١٩٦٢**» «أن لوقا يقدم وجهة نظر بولس، الذي لم يكف عن التصارع مع فريق يعقوب (شقيق عيسى ورئيس كنيسة القدس) ويتهمهم بالرياء (غلاطية ٢:١٢-١٤). وباختفاء جماعة يعقوب سنة ٧٠ محيت ذكراهم. إلا أن هذا المحو يحرّف تاريخ أصول المسيحية (...) وفي النهاية سنصل إلى عملية قلب للأوضاع، إذ أن الكنيسة البدائية ستنهار سنة ٧٠، والوثنية - المسيحية - البولسية ستبدأ طريقها المنتصر»!.

ومن الأمور المؤكدة بين العلماء حاليًا، أن آباء الكنيسة قد سمحوا بنشر حياة مختلفة أو غير حقيقية عن السيد المسيح وقد تم التعتيم على كيفية نسجها بشراسة كاسحة.. ومعروف أن الأب دانييلو قد توصل إلى حقائق أثناء أبحاثه لم يجرؤ على نشرها.

وقد وجد كل من تناول أو شارك في أبحاث هذه المخطوطات علاقات وثيقة لافتة للنظر بين الأفكار والممارسات المكتوبة في هذه الوثائق وتلك التي تسند عادة للمسيحيين الأوائل في العهد الجديد وفي مصادر أخرى - إلا أن هناك من جرؤ وكتب وهناك من آثر القيام بعملية التعتيم والتحريف. فعلى سبيل المثال: العشاء المقدس كان من أهم الممارسات لدى الأسينيين في بعض احتفالاتهم. وهو موصوف في مخطوطة «قانون العدالة» و«قانون الخلاص» حيث يشار فيهما إلى أنه كلما اجتمع عشرة أشخاص من مجلس «الياحاد» للعشاء، يقوم الكاهن بمباركة الخبز والنبيذ قبل تناول الطعام. ونجد في العهد الجديد موقفًا مشابهًا في الأناجيل الثلاثة المعتمدة متى (٢٦: ٢٦-٢٩)، ومرقس (١٤: ٢٢-٢٥) ولوقا (٢٢: ١٩-٢٠) وكذلك في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (١١: ٢٣-٢٦) حيث يقوم يسوع في العشاء الأخير بمباركة الخبز والنبيذ وتقديمها لتلاميذه قائلاً: «اصنعوا هذا لذكري». ولن نتناول هنا الخلافات بين تلك الآيات وخاصة رسالة بولس الذي يقول فيها: «خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم» فالمعروف أن جسد السيد المسيح لم يكسر حتى في عملية الصلب المزعومة.

ووفقًا لأعمال الرسل (٢: ٤٤-٤٥) أن «جميع الذين آمنوا كانوا معًا وكان عندهم كل شيء مشتركًا. والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج». ونفس الشيء كان متبعًا لدى جماعة الأسينيين وفقًا لما هو وارد في مخطوطة «قانون الجماعة».

ونفس التقارب أو التشابه حول أهمية التعميد كعلامة للدخول في الإيمان، ووصف المخلصين في الورع بعبارة «أبناء النور» فهي واردة في بعض المخطوطات وواردة في لوقا (١٦:٨).

لذلك يؤكد نورمان جولب أن التوازنات بين المخطوطات والعهد الجديد تسمح بعمل ملاحظة هامة هي: «أنها تشير وتدل بلا أي لبس أن كثيرًا من العادات والأعراف المتبعة الواردة في العهد الجديد كانت تتجانس مع اليهودية القديمة. وقبل نهاية القرن الأول الميلادي انتقل هذا الإيمان إلى ما وراء المهد الذي نشأ فيه في فلسطين، ليتوغل في العالم اليوناني والروماني. وفي أواخر القرن الميلادي الثاني كانت الكنيسة تتكون من وثنيين أكثر مما بها من يهود، وتحول لاهوتها بالتدريج ليعكس بصورة متزايدة رؤيا وممارسات الوسط غير اليهودي» (**من كتب مخطوطات البحر الميت**، صفحة ٢٨٥) كما أشار الأب إميل بويخ (Emile Puech) إلى ثلاث نقاط لها أهميتها:

١ - وجود أجزاء متشابهة بين المخطوطات وموعظة الجبل ليسوع.

٢ - وجود عبارات في إنجيل برنابا الذي حجبته الكنيسة عن التداول منذ القرن الثاني الميلادي (على الرغم من أن الروح القدس هو الذي كان قد اختاره للتبشير) ومثيلتها في بعض المخطوطات الأمر الذي يؤكد معرفة برنابا بهذه الطائفة أو أنه كان أحد أعضائها.

٣ - وجود جملة في أحد المخطوطات ومثيلتها في أعمال القديس جوستان وهو من آباء الكنيسة من القرن الثاني الميلادي.

وبخلاف ما تقدم توجد عبارة يتحدث فيها لوقا (١: ٣٢-٣٥) عن مجئ يسوع وعن طفل يطلق عليه «ابن العليّ» ويدعى «ابن الله» وهناك جزء من مخطوطة من الكهف ٤ يتحدث أيضًا عن مجئ شخص «سيعرف باسم ابن الله ويطلقون عليه ابن العلّي» وهذا الجز مرقم 4Q246 ووارد في عدد مارس - أبريل من «مجلة الآثار الإنجيلية» (BAR) لسنة ١٩٩٠ صفحة ٢٤. وهي المرة الأولى التي توجد فيها عبارة «ابن الله» في نص آخر غير الأناجيل، وهذا الجزء ضمن المخطوطات التي يسيطر عليها الأب ميليك.

وكان العالم البريطاني جون الليجرو (John Allegro)، العلماني الوحيد في اللجنة الدولية بحكم منصبه في متحف روكفلر، وأول من فضح عملية التباطؤ في النشر، قال معلقًا عليها: «إن حوليات المخطوطات تكشف عن صلب وبعث مسيحهم»! وكانت مجرد هذه الجملة كافية لتؤكد تأثر أو نقل الأناجيل المعتمدة من تراث الأسينيين.. وتوالت التعليقات، ومنها أن المسيح قد قتله سمعان الثوري (لوقا: ٦: ١٥) وإن كانت الترجمة العربية لسنة ١٩٦٦ تضع كلمة «الغيور» بدلاً من «الثوري». وقال آخرون إن المسيح قد صلُب لكنه لم يمت ثم تزوج وأنجب طفلان - وكلها تعد تعليقات تجديفية في نظر الكنيسة، رغم وجود ما يدعمها من وثائق تم العثور عليها في كهوف منطقة اليهودية.

وظل الأمر المؤكد بين العلماء هو أن الكاثوليك كانوا يرفضون نشر وثائقهم، فكلها شهادات معاصرة تقريبًا للحواريين ولا تتفق بأي حال في كثير من معطياتها مع ما كان التراث الكنسي حريصًا على ألا تعبث به الرياح طوال ألفي عام تقريبًا.

لذلك كتب نورمان جولب في مقدمة كتابه الصادر ١٩٨٨: «لقد بدا لي بوضوح أن البحث التقليدي حول المخطوطات قد اتخذ شكل عملية سياسية شديدة الحبكة، تهدف إلى حماية المقولات القديمة وليست عبارة عن عمل علمي جماعي يبحث بحماس عن أفكار جديدة (..) فإن كل ما لدينا من معلومات فهي عبارة عن جزر صغيرة في بحر من الصمت».

أما چون الليجرو فكان أول من تخطى الحذر والممنوعات وبادر بنشر ترجمة كل المخطوطات التي أسندت إليه وعلق عليها ليخرج بأن عيسى لم يوجد مطلقًا في التاريخ بالصورة التي تقدمه بها الكنيسة.. وما هي إلا أيام حتى حث الأب دي فو ثلاثة من أتباعه للكتابة ضد الليجرو ونشروا في الجرائد أبحاثًا تعد بمثابة هدم لكيان ومكانة الليجرو العلمية. الأمر الذي اضطر الليجرو إلى الاستقالة والانعزال في جزيرة مان. إلا أنه قبل وفاته قد أصدر كتابًا آخر يوضوح فيه «أن المسيحية الحالية لا سند تاريخي لها وأنها نتيجة هلوسة».

إلا أن واقعة الليجرو أو تلك الفضيحة - الجريمة التي ارتكبها رجال الكنيسة المسيطرين لم تمنع باقي العلماء من أن يدلوا بدلوهم. وهنا يقول جيمس فاندركام (James Vandercam) «هناك الكثير من عبارات الأناجيل وخاصة إنجيل مرقس، الذي يقال إنه كان قد تمت صياغته في الفترة التي سبقت هدم المعبد مباشرة. بل هناك أجزاء من «أعمال الرسل» و«الرسالة إلى الرومان» و«الرسالة الأولى إلى تيموثاوس» و«رسالة القديس يعقوب» شقيق السيد المسيح، و«الرسالة الثانية للقديس بطرس» موجدة في المخطوطات.

وهو ما أوضحه العالم الچزويتي خوزيه أوكالاغان (José O'callaghan) في السبعينيات. إضافة إلى أن عبارة «تقديم الخد الأيسر» الواردة في متى (٥: ٣٨-٣٩) موجودة في مخطوطة «نظام الجماعة»، وكذلك شخصية يوحنا المعمدان التي أسهب الحواريون في وصفها، ووصف نظام حياته وملبسه وأكله الشديد الشبه بما كان يتبعه البعض في قمران.

ويتساءل جيمس فاندركام في نهاية بحثه، في ضوء كل تلك التشابهات الموجودة بين نصوص قمران والعهد الجديد، والتي باتت واضحة للجميع، «لماذا لا توجد أية إشارة للأسينيين في العهد الجديد؟»!!

وقبل أن ننهي هذه الجزئية الخاصة بالتشابه بين نصوص قمران ونصوص الأناجيل، نتناول اسم «سيد العدالة» بشيء من التوضيح لما له من أهمية.. في الكتاب الذي أصدره لاپروساز عام ١٩٦١ بعنوان «**مخطوطات البحر الميت**» يقول: «لقد ورد اسم سيد العدالة ثلاث مرات في مخطوطة «وثيقة دمشق»، وثلاث مرات أخرى بالكناية ومرتان في التعليق على المزمور ٣٧، ومرة في سفر ميخا، وثمان مرات في سفر حبقوق». ثم يوضح لاپروساز في كتابه الصادر عام ١٩٦١ عدم ورود الاسم في المخطوطات الأخرى لاحتمال أنه هو الذي كتبها شخصيًا فقد «كان عضوًا من رجال الدين، وكان هو المنظم للجماعة التي نجمت عنها مخطوطات قمران، وقد تم اضطهاده ونفيه وتخلى عنه أغلب تلاميذه، واعتبره أتباعه المخلصين بعد وفاته كأنه المسيح المنتظر عند آخر الزمان» (صفحة ٨٢).

أما في الكتاب الصادر سنة ٢٠٠٠ بمناسبة مرور خمسين عامًا على اكتشافات قمران، فيقول نفس إرنست - ماري لاپروساز: «إن اسم «سيد العدالة» غير معروف في النصوص المسيحية باستثناء وروده في الفولجات (Vulgate) التي كتبها القديس چيروم في أواخر القرن الرابع، والتي تعد الصيغة الرسمية للإنجيل بالنسبة للكنيسة اللاتينية، أي الرومية». والمعروف أن هذه الفولجات التي تمثل النص الرسمي للكنيسة كان القديس چيروم قد كونها اعتمادًا على الترجمة السبعينية للعهد القديم واختيارًا من بين الأناجيل المتداولة في عهده ويقال إن عددها كان قد وصل إلى سبعين إنجيلاً.

ثم يورد لاپروساز نصًا من أخبار الأيام الثاني (٣:١٥) يقول: «ولاسرائيل أيام كثيرة بلا إله حق وبلا كاهن معلم وبلا شريعة» ثم يضيف قائلاً: «الفولجات مثلها مثل الترجمة السبعينية، تتضمن آخر مقطع لهذه الآية بسبب المعنى المتشابه سمعًا لكلمة «معلم» و«مطر الخريف» أي أنه راح يبرر التحريف الوارد في الطبعات الحديثة، مشيرًا إلى مقطع من المزامير (٧:٨٤) ويقول النص الفرنسي:

On passant par la plaine du Baumier, ils boivent á la source et même la pluie d'automne donne ses bénédictions

(صفحة ٣٨٦ من نص إنجيل الفاتيكان) وترجمة هذا النص تعني: «عابرين في وادي البلسان، يشربون من الينبوع، وحتى مطر الخريف يعطي بركاته».

والنص العربي في ترجمة الكتاب طبعة ١٩٦٦ يقول: «عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعًا أيضًا ببركات يُغَطّون مورة» والمعني غير مفهوم بوضوح في المقطع

الأخير أما في الطبعة العربية الصادرة سنة ١٦٧١ فنطالع: «في وادي البكاء في المكان الذي وضعته فيه لأن البركات يعطيها واضع الناموس»!

أي أن الطبعة القديمة كانت تتضمن عبارة «واضع الناموس» التي يقابلها «سيد العدالة»، وتم حذفها في الترجمات والطبعات الحديثة لاستبعاد عبارة تكشف ارتباط الأناجيل بجماعة قمران فمحوها ووضعوا عبارة «مطر الخريف» التي تشابهها صوتًا!

والمضحك المؤسف أن نطالع في الطبعة الفرنسية الصادرة عن الفاتيكان عام ١٩٨٦:

Quand ils passent au val du Baumier (b), oú l'on ménage une fontaine, surcroît de bénédiction, la pluie d'automne les enveloppe; (c) 808

ويعني هذا النص الذي ازداد في وضوح الصياغة الجديدة: «عندما يمرون بوادي البلسان، حيث تتم تهيئة ينبوعا، مزيدًا في البركات، فإن مطر الخريف يحويهم» واللهم لا تعليق على كل هذا التغيير والتبديل في العبارات والمعاني في نص ظلت الكنيسة لمدة قرون طويلة تفرض على الأتباع أنه «من تأليف الله» ثم عدّلت المقولة لتصبح «بوحي من الروح القدس» عندما تزايدت الاتهامات العلمية بالتحريف والتلاعب بالنصوص.

وعودة إلى النص الفرنسي الوارد بعاليه نجد أنه يتضمن هامشان: ب وس. ويقول الهامش ب (في طبعة الفاتيكان): «في المخطوطات وترجمتها توجد عبارة «وادي البكاء» وفي السمع الكلمتان متشابهتان» أي أن اختيار كلمات الترجمة تتم وفقًا للتشابه في السمع وليس وفقًا لمضمون النص. ويا له من تبرير! أما الهامش س فيقول: «النص غير واضح، ففي النص اليوناني توجد كلمة «المشّرع» (أي واضع الناموس، أو سيد العدالة» سيعطي بركاته - إلا أن استخدام عبارة «أمطار الخريف» تسمح لنا بتقريب هذا المزمور من عيد الخيام الوارد في سفر الخروج (٢٣:١٤)»!

وإذا ما كانت هذه النصوص مقدسة أو موحاة كما يقولون، هل يجوز التلاعب بها بهذا الاستخفاف؟! والأمر المخجل أنه لا تخلو صفحة من صفحات الطبعة الفرنسية الصادرة عن الفاتيكان رسميًا، من مثل هذا التبديل والتغيير. والمضحك في كل هذا إصرار من يقومون بهذا التلاعب على تبريره باستشهادات إنجيلية من أجزاء أخرى.

ويورد لاپروساز نصًا آخرًا ليؤكد صواب اختيار عبارة «مطر الخريطف» قائلاً:

Et Toi, ô mon Dieu, tu as mis dans ma bouche comme une pluie automnale pour tous

ويضيف: «إن القديس چيروم قد ترجمها كالآتي»:

Quia dedit vobis doctorem justitiae

وترجم معناها بصورة سليمة قائلاً: «لأن قد أعطاكم سيد العدالة» أم أنه يحاول اثبات أن الترجمتين صحيحتان ويمكن استخدام «مطر الخريف» في مكان «سيد العدالة» بلا حرج أو بلا خطأ، أم أنه يشير إلى التلاعب والتحريف والله أعلم!

وفي خاتمة الكتاب الجماعي الذي أشرف عليه وكتب حوالي ثلث مقالاته يقول لاپروساز: «ومنذ هذا الاكتشاف، نرى بعض الإخصائيين في الآداب التلمودية أو حتى اليهودية الوسطى، يرفضون نسب مخطوطات البحر الميت إلى الأسينيين - المنافسون اليهود لأجدادهم الفاريسيين، مدعين استبعاد تواريخ أصل جماعة سيد العدالة وأصل تأليف كل هذه الوثائق، ناسبين الجماعة والوثائق إلى المسيحيين، مسيحيين من مختلف المراحل الزمانية وفقاً لمؤلفيها، بما في ذلك مسيحيين ينتمون إلى الجماعة الأولى من اليهود - المسيحيين. وعلى العكس من ذلك نرى بعض المسيحيين، خاصة الكاثوليك، محاولين استبعاد تاريخ تأليف مخطوطات البحر الميت - ربما كرد فعل متعمد أحياناً، حيال مواقف سابقة، من الوقت الذي تكونت فيه المسيحية، وأرجعوا هذا التأليف بلا سبب علمي جاد بل وعلى عكس المعلومات الدقيقة الناجمة عن علم الآثار والتاريخ، إلى القرن الثاني قبل الميلاد» (صفحة ٤٢٠).

من الواضح جليًا أن التلاعب قائم بين المجموعتين، اليهود والمسيحيين، وأن هناك سلطات عليا تدير خيوط اللعبة. وهنا يؤكد كل من مايكل بيجنت وريتشارد لي أن رئيس اللجنة المسيحية، وأيًا كان من ترأسها بعد وفاة الأب دي ڤو، كان عليه أن يرفع التقارير إلى عميد المعهد الإنجيلي المقدس، الذي كان بدوره يرفعها إلى السلطات المعنية في الفاتيكان.

والمعروف أن رجال الدين يؤدون قسم الولاء للفاتيكان عند تعيينهم، وذلك يعني بالتبعية أن المعهد الإنجيلي كان على صلة مباشرة بالفاتيكان - إن لم يكن بالبابا شخصيًا. وبالتالي، على حد وصف الباحثان: «فإن المعهد الإنجيلي عبارة عن ملحق إضافي لترسانة اللجنة الإنجيلية البابوية - وهي أداة نشر عقيدة الإيمان الكاثوليكي تحت مسمى الأبحاث التاريخية والأثرية».

ثم يوضحان كيف كان الكاردينال راتزنجر، البابا الحالي والمسمى بنيديكت السادس عشر منذ ٢٠٠٥/٤/١٩، مديرًا للجنة، ويدير جهازًا كاثوليكيًا آخر هو لجنة عقيدة الإيمان. وهو المسمى الحالي (منذ ١٩٦٥) لما كان عليه من قبل وكان اسمه المكتب المقدس (منذ ١٩٠٨)، وقبلها كان اسمه الرسمي: محاكم التفتيش.. وكان اسم من يترأس هذه

اللجنة: كبير المحققين أو كبير المفتشين.. وتعد لجنة عقيدة الإيمان أو محاكم التفتيش أقوى لجان الفاتيكان قاطبة من حيث السلطة والتحكم. والقرارات التي يتخذها راتزنجر في لجنة عقيدة الإيمان تحدد مصار قرارات اللجنة الإنجيلية البابوية التي يترأسها هو أيضًا، ومنها تساق القرارات إلى المعهد الإنجيلي وباقي طاقم المنفذين..

ويصف الباحثان الكاردينال چوزيف راتزنجر بأنه «رجل شديد التشاؤم ويرى إن إلغاء أو محو أي شيء مخالف للأعراف المتوارثة يضمن استمرارية حياة الكنيسة كعقيدة واحدة متماسكة. كما أنه يرى أن كل من لا يقاسمونه الرأي عميان أو مساقون إلى الخطأ».. لذلك يؤكدان: «**أن الدور الذي لُعب على مستوى عال في الكنيسة في أبحاث مخطوطات البحر الميت لا يمكن إلا أن يولد الشك والريبة**».

ومن هنا، فإن كل ما لا يتماشى أو لا يمكن أن يتم إخضاعه لقيود الكنيسة ليصبح مطابقًا لتعاليمها، يتم استبعاده. وهو ما يتمشى مع توجيهات البابا پيوس الثاني عشر (١٨٧٦ - ١٩٥٨) الذي كان له دوره في التلاعب بالمخطوطات فقد قال تحديدًا: «إن التفسير الديني تقع عليه مسؤولية تولي المسائل ذات الإنعكاس المورّط للكنيسة» وهو ما يوضح لماذا كان الأب دي ڤو يماطل في الكشف عن ترجمة نصوص المخطوطات لكي لا يورط السلطات المسيحية فيما يمكنه أن يهدمها. ومما لاشك فيه أن بعض معطيات هذه المخطوطات يمكنها القيام بذلك. الأمر الذي دفعه إلى فرض اتجاه معين يسير فيه تفسير هذه المخطوطات وهنا يؤكد الباحثان: «إن أي ابتعاد عن هذه التوجيهات كان يعد بمثابة هرطقة.. ومع الوقت تحول هذا الفرض إلى عقيدة متزايدة التطبيق».

وإذا ما رجعنا إلى الوراء قليلاً عند بداية تكوين اللجنة الدولية وكيف كانت قاصرة على رجال اللاهوت المسيحي وظلت بحالها هذا حتى أواخر الثمانينيات من القرن العشرين، عندما أثار أحد أفراد الكنيست الموضوع وتم فرض بعض اليهود بين أعضائها. وكان من الصعب آنذاك استبعاد فرضية أو حقيقة صلة المخطوطات بأصول العقائد المسيحية واحتمال هدم أركانها.

وأول ما يقدم كدليل على صدق هذه الفرضية الحقيقية أنه من بين أكثر من ٥٠٠ نص تم اكتشافها في الكهف رقم ٤ بقمران، منذ اكتشافه عام ١٩٥٢، لم يتم نشر إلا أقل من مائة نص على مدى خمسين عامًا. بينما تم نشر العديد من نصوص الكهوف الأخرى. وأن الأفراد القلائل الذين سيطروا على باقي نصوص الكهف الرابع يمنعون أي شخص منعًا باتًا من الإطلاع عليها، وهم جميعًا كما رأينا من الكاثوليك.

بل لقد زاد الأب سكيهان (Skehan) الطين بلة عندما أعلن بصراحة قائلاً: «وفي نهاية المطاف، فإن عمل كل باحث متخصص في الكتاب المقدس يجب أن يعمل وفقًا لما تحدده لجنة عقيدة الإيمان من منهج عمل، وأن يخضع دومًا للحق السيادي للكنيسة الأم، المقدسة، التي تحكم وترى ما يتفق فعلاً مع التعاليم التي تلقتها من يسوع» (شانكس، صفحة ٣٣٠).

وما العمل إذن عندما يجد الباحث نفسه أمام معطيات لا تتفق مع ما يفرضه ذلك الخط الكنسي وتعاليمه الصارمة؟ إن الرد واضح من توجيهات الأب سكيهان: «إن كل ما لا يمكن اخضاعه للعقيدة القائمة للكنيسة يجب بالضرورة أن يستبعد».

وهو ما يؤكد مدى التلاعب بهذه المخطوطات كما يؤكد بوضوح لماذا كان الأب دي ڤو، رئيس اللجنة الدولية لدراسة المخطوطات يجاهد بقدر الإمكان لكي لا يسبب أية مضايقات للسلطة الكنسية. ومما لاشك فيه أن بعض هذه الوثائق يمكنها عمل ذلك..الأمر الذي أدى إلى فرض خطوط حمراء في التفسير والترجمة، خطوط لا يمكن الخروج عنها وإلا..

ونطالع في كتاب شانكس أن أخطر ما قامت به اللجنة الدولية من محاولات تعتيم هو التلاعب في نتائج تحليل الكربون ١٤ لترحيل تاريخ المخطوطات إلى الوراء على الأقل مائة عام لفصلها عن بدايات المسيحية تمامًا. وأن أية محاولة لتغيير هذا التلاعب أو كشف الحقائق كان يتم تكميمها فورًا. وما أن يتم ترحيل تاريخها لمدة قرن أو أكثر إلى عصر ما قبل المسيحية، تجهض المخطوطات من مضمونها وتفقد أية فاعلية للمساس بالمسيحية وبذلك فقد قام الفريق الدولي بإبطال مفعول أية إمكانية ناسفة للمسيحية الحالية.

وكان الناقد الأمريكي إدمون ويلصن (Edmon Wilson) أول من أعلن أن هناك شكوكاً حول موقف اللجنة الدولية من نتائج تحليل كاربون ١٤ قائلاً: «ما أن نبدأ في دراسة المنازعات الناجمة عن دراسة المخطوطات نلحظ توترًا غريبًا.. إلا أن هذا التوتر لا ينجم عن مشكلات تحديد التاريخ والتي أثارت معارك ضارية، لكن معارك تحديد التاريخ تخفي اهتمامات أخرى ليست علمية» (**مخطوطات البحر الميت**).

وقال العالم فيليب ديفز (Philip Davies) استاذ الدراسات الإنجيلية بجامعة شفيلد ومؤلف كتابان حول المخطوطات، بتأييد تأكيدات ويلصن مشيرًا إلى أن أغلب العاملين على المخطوطات مسيحيون تكونوا على العهد الجديد وتعاليمه ويذكروننا بالخلط الأزلي بين التاريخ واللاهوت».

أما الأستاذ جودفري درايفر (Godfrey Driver) فقد أعلن بجريدة التايمز في ١٩٤٩/٨/٣٣ أنه يعترض على تحديد تاريخ المخطوطات بقبل عصر المسيحية «لأن الأدلة الظاهرة لذلك واهية جدًا، في حين إن الأدلة الجوهرية القائمة تفند ذلك». لذلك تمسك بعمل تحليل دقيق وأمين للأدلة الجوهرية التي تؤكد انتمائها للقرن الميلادي الأول.

وقد علّق أيزنمان على السخرية الحادة التي وجه بها الباحثان والتي لا تتماشى مع مكانتهما أو مع سمعتهما العلمية «فقد هوجما بوحشية تدفع إلى الدهشة والاستغراب، أما باقي العلماء فقد انقادوا كالخراف ليتبنوا الخط الصارم المفروض. وقد تم تكميم كل الذين كانوا يمثلون تهديداً وذلك منذ الستينيات من القرن العشرين فقد كان الفريق الدولي يمارس سيطرة مطلقة على المخطوطات» (الكتاب المقدس المصادر، صفحة ٩٠).

وما أغرب الأمور التي تمور في خلفيات قمران، فنفس هذا العالم الذي كشف واعترض على عملية الهجوم على من تجاسر وخرج عن حدود السياج المفروضة، وهو العالم روبرت أيزنمان، قام ببحث عنوانه: «**المكابيون، والصدوقيون، والمسيحيون في قمران**» (١٩٨٣)، حيث تبنى هو أيضًا خطًا مغايرًا لتعليمات الفريق الاحتكاري للمخطوطات وتم طبع هذا الكتاب في دار نشر بريل الفاخرة في هولندا. وفي عام ١٩٨٥ تبعه ببحث آخر بعنوان: «**يعقوب العادل في تفسير حبقوق**».. ويالعجائب الأحداث، فقد تمت طباعته في مطابع الفاتيكان!

والغريب هنا أن ايزنمان يهودي، وتحليله للمخطوطات يناقض أو يتخطى تعليمات الفريق المحتكر للنصوص ومع ذلك، فقد طبع الكتاب الأول في هولندا. وهي دولة شديدة التعصب الكنسي، والكتاب الثاني تمت طباعته في عقر دار الفاتيكان؟! والغريب هنا أن الكتاب الثاني عن يعقوب، شقيق السيد المسيح، وعن الدور القيادي الذي لعبه في نشأة جماعة الكنيسة الأولى. وهو ما تحاول الأناجيل المعتمدة التعتيم عليه لإسناد الصدارة إلى بولس والدور الذي لعبه. فما الحكمة في مثل هذا التصرف إن لم تكن هناك سلطة أعلى تدير خيوط السلطة الفاتيكانية وتحركها كما تشاء؟!

لذلك يؤكد عدد كبير من العلماء والباحثين على وجود مؤامرة ترمي إلى حماية السلطة الكنسية فلديها من يمنعون أي شخص غريب من الاقتراب من هذه المخطوطات، وإن هناك تواطؤاً واضحاً من جانب الإسرائيليين الذين يقرون الاحتكار

الكنسي – ولو شكلاً – بعد أن حصلوا على موافقة ضم بعض علماء اليهود إلى الفريق الدولي، إلى ذلك الفريق الذي يجاهد للتعتيم على وثائق معاصرة يقينا للفترة التي من المفترض أن يكون قد عاش فيها يسوع.

وماحدث للعالم چون الليجرو، عضو اللجنة العلماني الوحيد، يوضح إلى أي مدى يصل تحكم الكنيسة. فلقد استطاع الليجرو أن يتخطى الموانع الديناصورية الطابع ونشر أبحاثه التي ما كادت تصدر حتى انهالت عليه حربًا شعواء بدأت بتنفيد أعماله وتكذيبه بأسلوب عبارة عن عملية هدم لمصداقيته كعالم، ومُنع من الأحاديث الإذاعية والتليفزيونية وتم استبعاده من الجامعة ونفى ومات قهرًا لأنه تجرأ وأكد في أبحاثه أوجه الشبه الكثيرة الواردة في المخطوطات وما سمح له بتأكيد «عدم وجود أي سند تاريخي للسيد المسيح كما تقدمه الكنيسة».

ولم يكن الليجرو الوحيد الذي دفع مكانته العلمية وحياته ثمنًا لتمسكه بأمانة البحث العلمي. فما أكثر الذين تمت إدانتهم وفصلهم من وظائفهم أو حرمانهم أو تكميم أفواههم من قِبَلِ لجنة محاكم التفتيش التي كان يترأسها الكاردينال راتزنجر، وكثير منهم كانوا من رجال الدين ومبشرين ومعلمين أو من الباحثين العلمانيين. وتتضمن قائمة أسماء الضحايا عددًا من كبار العلماء من أمثال الأب إدوارد شيلبيكس (E. Schil-lebeeckx) من جامعة نيجمنجن في هولندا. ففي عام ١٩٧٤ أصد كتابًا بعنوان: «**يسوع: تجربة في المسيحية**» يناقش فيه بعض مسلمات العقيدة من خلال الاكتشافات الجديدة، وذلك مثل قيام يسوع أو الميلاد العذري. وفي ديسمبر ١٩٧٩ تم استدعاؤه أمام محكمة عقيدة الإيمان (محكمة التفتيش سابقًا)، ثم أعيدت محاكمته سنة ١٩٨٣ بسبب كتابه عن رجال الدين وتحكمهم..

وهناك عالم اللاهوت السويسري القس الدكتور هانز كونج (Hans Küng) رئيس قسم اللاهوت بجامعة توبنجن بألمانيا. فقد أصدر سنة ١٩٧٠ كتابًا بعنوان: «**معصوم من الخطأ؟**» ينتقد فيه فرض معصومية البابا من الخطأ كعقيدة إيمان – وهو ما لم يكن وارداً في تاريخ الكنيسة حتى فرضه مجمع الفاتيكان المسكوني الأول في أواخر القرن التاسع عشر.. وكان كونج قد أعلن صراحة أنه «ما من إنسان معصوم من الخطأ، والله وحده هو المعصوم، وهذه العقيدة المفروضة من الكنيسة قائمة على غير أساس». وفي ١٨ ديسمبر ١٩٧٩ قام البابا يوحنا بولس الثاني بفصل هانزكونج من منصبه بناء على توصية من لجنة عقيدة الإيمان وحرمانه من تدريس العقيدة الكاثوليكية الرومية ومنع كتبه من النشر.

وفي تعليق له صدر في جريدة **الصن داي تايمز** (٢/١٢/١٩٨٤) قال هانزكونج: «لقد أدانني البابا الذي رفض أبحاثي في اللاهوت دون حتى أن يقرأ حرفًا مما كتبت وظل رافضاً مقابلتي. والحقيقة هي أن روما لا تبحث عن الحوار وإنما عن الخضوع لسلطانها».

وما لا يعرفه العديد من الناس أنه منذ عصر التنوير قد زودت المؤسسة الكنسية نفسها بفريق عمل من «العلماء» الذين يطلق عليهم «فريق المصدات» وكل مهتهم هي التصدي لأعداء الكاثوليكية على نفس أرض مجالهم العلمي. وهكذا بدأت الحركة الكاثوليكية الحديثة. إلا أنه ولخيبة أمل المؤسسة، قد أنقلب هذا الفريق عليها وباء بالفشل. فكلما كانت تبحث عن تزويد هؤلاء القساوسة الشبان بالأسلحة الضرورية لتزج بهم في ساحة الصراع، كلما أيقن نفس هؤلاء الباحثين الحقائق وراحوا يهجرون السبب الذي من أجله قد تم تجنيدهم..

إن التحليل النقدي للكتاب المقدس قد كشف عن عدد لا حصر له من التناقض وعدم التوافق بما يمس أركان العقيدة، وراح العديد من هؤلاء العلماء يتحول إلى مهاجمة ما كان من المفترض أن يدافع عنه. لذلك كان البابا ليون الثالث عشر قد أنشأ اللجنة البابوية لإرشاد ومراقبة عمل تحليل النصوص. وفي نفس ذلك العام قام خليفته، پيوس العاشر بإدانة كل أعمال الأب لوازي وتحويلها إلى لجنة محكمة التفتيش. وقام البابا بإصدار خطابين رسوليين لإدانة أي تفكير أو أي بحث علمي يدين أصول المسيحية وتاريخ الكنيسة الأولى. وكان على كل طالب علم في اللاهوت له ميول تتفق والتيارات المخالفة أن ينسحب أو يتم رفته.

وفي كتابه المعنون: «**القديس**» يقول الأب أنطونيو فوجاتسارو (A.Fogazzaro) «إن الكنيسة الكاثوليكية، التي تطلق على نفسها ينبوع الحقيقة، تعترض اليوم على كل من يقوم بالبحث عن الحقيقة بما أن أساسها وكتبها المقدسة وصياغة عقائدها ومعصوميتها من الخطأ المزعومة كلها أصبحت اليوم تمثل مجال أبحاث نقدية. وذلك يعني أنها لا تثق في نفسها» (**القديس**، صفحة ٢٤٢).

ومنذ ٢٩/١١/١٩٨١ تم ضم اللجنة الإنجيلية البابوية ولجنة عقيدة الإيمان (محاكم التفتيش السابقة) تحت رئاسة الكاردينال راتزنجر. وتحتل اللجنتان نفس المبنى في نفس العنوان، ولا حصر لعدد الذين تم تكميمهم أو طردهم من وظائفهم. ولاشك أن مستوى أو درجة تداخل اللجنتين في أبحاث مخطوطات قمران يثير الكثير من الشكوك

والريبة، ذلك أن أصابع الاتهام كلها تتجه إلى اتهام المسيحية في أخص خصائصها وهي: العقيدة نفسها. لذلك اهتمت اللجنتان بمسألة تأريخ المخطوطات واستبعادها عن نشأة المسيحية بمائة عام على الأقل.

وأيًا كان الأمر من عملية التأريخ هذه، فإن كل من بيجنت ولي يوضحان في كتابهما الفاضح: «تحديد تاريخ المخطوطات لا يمكنه إلا أن يسبب المضايقات بصور متفاوته بالنسبة للكنيسة. فإذا أقروا أنها سابقة على العصر المسيحي الأول فإنها تمس ما تزعمه من تفرد المسيح، بإثبات أن أقواله وتعاليمه ليست من ابتكاره أو من بنات أفكاره وإنما كانت ناجمة عن التيار الفكري والتعاليم السائدة آنذاك. وإذا ما أقروا أنها مواكبة لحياة يسوع ولما بعده، فهي تصبح أكثر حرجًا.. فسيد العدالة الوارد ذكره بوضوح يمكن تشبيهه بيسوع شخصًا. وذلك يثبت أن معاصريه لم يكونوا يعتبرونه كشخصية إلهية. والمخطوطات، على أي حال، تتضمن العديد من البيانات والمعلومات التي تتناقض مع صورة المسيحية الأولى كما هي سائدة» (**الكتاب المقدس المُصادر**، صفحة ١٤٦).

واللافت للنظر في كل هذه المتاهة، أن المساس بأصول المسيحية وعقائدها ليس وحده هو الممنوع أو المحرّم، وإنما المساس بالكيان الصهيوني أيضًا، ولا أدل على ذلك من واقعة جون سُتراجنل (J. Strugnell)، وكان من العاملين الرسميين في الفريق الدولي. ففي ذات يوم أدلى بتصريح صحفي أعرب فيه عن رأيه ضد الصهيونية و«اتهم دولة إسرائيل موضحًا أنها قائمة على أكذوبة كبرى» ووصف الديانة اليهودية بأنها «ديانه بشعة»، و«من أصل عنصري»، و«إنه ما كان يجب لها أن تستمر». ويوضح هرشل شانكس، الذي يورد الحديث في صفحة ٣٢٥ في كتابه، أن مكتب الآثار اليهودي قد أقاله من منصبه بسبب «سوء حالته الصحية والعقلية نتيجة إفراطه في تعاطي الكحول»!..

وينقلنا هذا التعنت المزدوج من الجهتين، المؤسسة الكنسية والمؤسسة الصهيونية، إلى مشهد بعيد، إلى بداية القصة، قصة مخطوطات قمران لنتأمل تاريخًا له مغزاه: ففي التاسع والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٤٧ أعلنت منظمة الأمم المتحدة عن قرارها لتقسيم فلسطين بين اليهود والعرب. وتبارى كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي آنذاك ليكون كل منهما أول من يعترف «بدولة» إسرائيل المقبلة. والطريف أنه لم يرد بذلك القرار الغاشم أنه تقسيم واقتلاع للأرض من أصحابها الشرعيين وإسنادها للكيان الصهيوني المحتل لها على مرأى ومسمع من العالم أجمع...

وفي نفس ذلك اليوم، ولنتأمل التاريخ، في التاسع والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٤٧، قام السيد أ. ل. سوكنيك (E.L. Sukenik)، أخصائي علم قراءة النصوص القديمة، في مدينة القدس، بالإعلان عن القيمة المتفردة لكشف أثرى هو: «مخطوطات البحر الميت» التي تم العثور عليها «صدفة» قبل ذلك بعدة أسابيع..

ولا نملك إلا أن نتساءل عن السبب الحقيقي في تأخير الإعلان عن تلك الاكتشافات رسميًا ودوليًا، عدة أسابيع.. كما لا نملك إلا أن نتساءل عن السبب الحقيقي الذي يكمن في الربط بين الحدثين في يوم واحد رغم الفارق الزمني والموضوعي بينهما حتى بات المشهد يبدو وكأن هناك عملية مقايضة ما: اعط، نعطي.. الأرض، والمخطوطات.. الأرض، أو الفضيحة.. وهو ما سوف نحاول استشفافه فيما بعد.

وقد أشار الصحفيان مايكل بيجنت وريتشاردلي إلى نقطتين لهما أهميتهما. الأولى عندما أكدا «أن الأب دي ڤو وفريق العمل الخاضع له قد استبعدوا ودمروا بعض المخطوطات المورطة للكنيسة»، ويطرحان، هنا، سؤالاً له مغزاه: «ماذا لو اتخذت الحكومة الإسرائيلية إجراءات سلطوية وتأمر بالإفراج الفوري عن وثائق قمران؟».. وسؤال آخر: «كيف يمكن التأكد من أن بعض المعطيات التي يمكنها أن تضع الكنيسة في خطر لن ترى النور حقًا؟».

وأيًا كان المغزى الكامن خلف السؤالين، فالأمر الواضح هو أن هناك ثمة علاقة خبيثة بين الكيان الصهيوني – فهو المتحكم في المخطوطات حاليًا، وبين أمن واستمرارية وجود المؤسسة الكنسية برمتها. فاحتكار النصوص والتعتيم على نشر محتوياتها، وفرض القيادات الكنسية أن تتم الترجمة والتفسير بما يتفق وماتفرضه الكنيسة منذ نشأتها، وقيامها بعمليات ترويع واغتيال ولو أدبي لمن يعارض تعليماتها، مثلما حدث مع الأب دانييلو وچون اليجرو وغيرهما، إضافة إلى خشية أن تقوم الحكومة الإسرائيلية بالإفراج عن الجزء المخفي من الوثائق والذي قد يطيح بالكيان الكنسي برمته.. كلها دلالات تشير بالقطع إلى وجود حقائق أكبر وأخطر مما يتم الإفصاح عنه – وإلا لماذا الإصرار الضاري على إزاحة تاريخ هذه المخطوطات وتحريف نتائج تحليلها بكربون ١٤، ومحاولة فرض أنها سابقة بقرن على الأقل على أيام يسوع وليست مواكبة لحياته ولما بعدها؟

لقد تصرف أعضاء الفريق الدولي المتحكم في المخطوطات، من الجانب الكنسي، وكل من ترأس هذا الفريق، كما لو كان هناك فعلاً ما يمكنه أن يهدم الكيان الكنسي برمته.. والملاحظ بالفعل هو ظهور عدة ترجمات جديدة للكتاب المقدس، بها تعليقات جديدة عن المفسرين الذين درسوا المخطوطات وقاموا بتعديلات منتقاة لكي لا «يقلقوا» إيمان الاتباع ويهزوا أرجاءه.. ذلك الإيمان القائم على أساطير ونصوص منسوجة المعنى والهدف..

ولا نجد ما ننهي به هذه الجزئية التي تتسابق فيها التساؤلات والأجوبة، إلا نكتة جد ساخرة كاسحة.. نكتة اكتشافات مخطوطات قمران. فقد رأينا كيف تم الإعلان سنة ١٩٤٧ عن اكتشاف المخطوطات صدفة، بفضل «عنزة» تائهة.. وهي القصة الرسمية المعلنة والواردة بتكرار غريب بكل حذافيرها في كل المراجع، إلا أنها في الواقع لم تكن أول مرة في التاريخ يتم فيها مثل هذا الاكتشاف.. فمنذ القرن الثالث الميلادي تناقلت الأخبار أن أوريجين (١٨٥ – ٢٥٢)، أحد آباء الكنيسة اليونانية. كان قد عثر على عدة مخطوطات للعهد القديم، ومنها نسخة من المزامير في زلعة يرجع تاريخها إلى حكم الإمبراطور أنطونين ابن سقريوس.

والأكثر دهشة من هذه القصة. الخطاب الذي كتبه البطريرك تيموثاوس حوالي سنة ٨٠٥، موجهًا حديثه إلى رجل دين مثله، قائلاً:

«لقد علمنا عن طريق أحد اليهود الجديرين بالثقة والذين قد نشأوا في عقيدة إيمان المسيح، أنه منذ عشر سنوات تقريبًا قد تم العثور بجوار مدينة أريحا، على كتب في كهف.. ويقال إن «كلبا» لأحد الصيادين العرب قد طارد حيوانًا في كهف ولم يعد.. فذهب الإعرابي للبحث عنه فوجد نفسه في كهف صغير ملئ بالكتب.. فانطلق الإعرابي إلى مدينة القدس ليعلن أمر اكتشافه إلى بعض اليهود الذين توجهوا فورًا لرؤية الموقع؛ فوجدوا العديد من كتب العهد القديم وكتب أخرى بالخط العبري»! – وما أشبه الأمس باليوم.. (**الكتاب المقدس المصادر**، صفحة ٢٤٥).

خلاصة القول:

إن تناول موضوع مخطوطات قمران بالدراسة من خلال عدة مراجع تؤكد وجود أكثر من متاهة متداخلة.. فهناك كيفية اكتشافها وتاريخه الذي لا يتمشى مع المنطق أو مع الواقع. وهناك قضية تجوّل المخطوطات فيما بين حدود مناطق النفوذ الثلاثة أيام كانت القدس تحت الحماية البريطانية، إضافة إلى تحوّل بعضها إلى ما وراء البحار وحول العالم وتحولها إلى سلعة للإتجار والمساومة.. وهناك متاهة عمليات التعتيم المختلفة وارتباطها بتأخر نشر ترجمة هذه النصوص ودراستها، والتلاعب في ترجمتها بأوامر صريحة من رئيس الفريق الدولي المسيحي أو من رؤسائه في الفاتيكان.. وهناك تأكيدات على المخطوطات التي تم العثور عليها أكثر من تلك التي تم تسجيلها، إضافة إلى ما تلف من التخزين، والذي تم إتلافه، والذي تمت سرقته، أو ما هو قابع في إحدى الخزائن المصرفية وغيرها.. ومتاهة إنقسام آراء العلماء قبل وبعد تواريخ بعينها، وفترات الصمت المميزة والمتنوعة من عشرين، وخمسة وعشرين، وثلاثين عامًا، وفقًا لأهمية الكهف وخطورة محتوياته.. وهناك غياهب الدور الذي قام به الصهاينة سواء في التنقيب بمفردهم أو في الاستيلاء على بعض المخطوطات بالقوة بمساعدة رجال المظلات.

وإن كانت أكثر المتاهات وعورة تكميم العلماء منذ ستينيات القرن العشرين، ووضوح وجود سلطة فاتيكانية وسلطة أعلى منها تحرك الخيوط.. خيوط تربط ما بين عملية الإعلان عن تقسيم فلسطين أولاً، ثم الإعلان - في نفس ذلك اليوم - عن اكتشاف مخطوطات قمران وتحرك مصائرها..

على هامش مخطوطات قمران

وعلى هامش متاهة مخطوطات قمران، ظهرت بضعة روايات مبنية على بعض المعطيات العلمية في إطار قصصي، تتفاوت فيها الحبكة الروائية بالأسلوب وربط هذه المعلومات التاريخية. ومنها رواية إيلييت أبيكاسيا (Eliette Abecassia) التي توضح، بعد استعراض الفقرة التقليدية من كيفية العثور عليها: «إن بعض هذه المخطوطات قد ضاعت، أو بمعنى أدق: قد تمت سرقتها.. وخاصة تلك المخطوطة المسماه «مخطوطة المسيح»، التي تعلم أنها تتحدث عن يسوع بصورة واضحة وخطرة بالنسبة للمسيحية(..) لأن كل من يهتم من قريب أو بعيد بمخطوطات البحر الميت عادة ما يتم العثور عليهم مصلوبين».

وهناك جاك داروت (J.Darotte) وروايته عن «**يسوع الناصري**» التي تناولها – وفقاً لقوله بصدق وبلا أية أفكار مسبقة وبطريقة عقلانية موثقة بأقصى درجات ممكنة حول موضوع شائك». وهو يتناول هذا الموضوع المتنازع فيه منذ قرون بعيدة، وكأنه مؤرخ. ويحاول المؤلف التوصل إلى السر المهول الذي يغلف حياة يسوع المسيح، الذي يعده أكثر الشخصيات أسطورية بصورة متناقضة، وأكثرها مجهولية.

وقد اعتمد تمامًا على التحليل الدقيق لمخطوطات البحر الميت، موضحًا بصورة يصعب وصفها، تأثير مخطوطة «قانون العدالة» على رسالة يسوع: «فمن الواضح أن يسوع لم يكن يمكنه أن يصل إلى هذه الدرجة من التشبّع بهذه القوانين، لو لم يكن قد عاشها لمدة سنوات طويلة (...) ولاشك في أن شخصية «يسوع الناصري» قد ازدادت وضوحًا بكل هذه الإيضاحات التي تجلت من المخطوطات».

ولعل أكثر الروايات التي أثارت زوبعة عاصفة هي رواية دان براون (Dan Brown) المعروفة باسم «شفرة دافنشي» التي بيعت منها عدة ملايين من النسخ وتمت ترجمتها إلى خمس وأربعين لغة!. والأدهى من ذلك أن الفاتيكان لم يتمكن من مصادرتها – وهنا ترتفع علامة استفهام حائرة بلهاء!. إلا أنه ألحقها بتكليف كاتبين بتكذيبها وتفنيد ما بها من معلومات، هما: «فك شفرة كود دافنشي»، و«تحقيق حول كود دافنشي». وارتفع عدد الكتب إلى سبعة عشر كتابًا لتكذيبها وكلها من كنسيين أو مدنيين تابعين للمؤسسة الكنسية أو بإيعاز منها.. إضافة إلى محاصرة متفردة في كافة صحف ومجلات العالم، العلمية والدارجة. ولا نذكر على سبيل المثال إلا مجلة «هيستوريا» (Historia) الفرنسية المشهود لها بوقارها وثقلها العلمي.. ولا نقول شيئًا عن كم البرامج التليفزيونية

والإذاعيـة في محـاولة يائسـة للنيل من هذه الرواية. واللافت للنظر في مجلة «هيستوريا» التاريخية العلمية إنها جاهدت للحفاظ على مستواها العلمي لذلك أتى العدد الصادر في مارس ٢٠٠٥ عبارة عن جزئين، ثلاثة أرباع العدد يهاجم الرواية، والربع الأخير يؤيدها، بدليل يصعب دحضه، إذ أنه يستند إلى أنجيل فيليب، الحواري الذي عاصر يسوع، ويقول إنه كان متزوجًا من مريم المجدلية إضافة إلى وثائق أخرى.

والرواية تقع في ٥٧٤ صفحة في الترجمة الفرنسية، والمعلومات التاريخية التي استند إليها في حدود خمسين صفحة على الأكثر، ننقل منه ما يلي:

- انتقاد البابا (ولا يذكر اسمه) الذي أعد المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني وأنه كان «قد شجّع التيار الليبرالي المقلق الذي كاد يعصف بمجمع الكرادلة، معلنا أن مهمته قائمة على إضفاء الشبابية على عقيدة الفاتيكان وتحديث الكاثوليكية عند مدخل الألفية التالية» (...) وهذه العبارات تعني أن سيادة البابا من الوقاحة بحيث يتصور أنه يمكنه إعادة صياغة العقائد الإلهية لإستعادة الأتباع الذين ولّوا من الكاثوليكية التي لم تعد تتواءم والعصر الحديث» (صفحة ١٨٦).
- «إن الحرب الصليبية الفظة التي قادها الفاتيكان لاقتلاع الديانات الوثنية وعبادات الآلهة والتي امتدت ثلاثة قرون استعانت بوسائل مقنّعة بقدر ما هي مرعبة. فمحاكم التفتيش هي التي أدت إلى استصدار الخطاب الرسولي الذي يمكن وصفه بأنه أكثر الخطب إثارة للدماء في تاريخ البشرية. فالخطاب المعنون «مطرقة الساحرات» كان يرمي إلى غرس المسيحية وتجنيد المسيحيين دفاعًا عن أخطار «اللادينيات» بتعليم رجال الدين كيفية التعرف على هذه النساء وكيفية تعذيبهم لتحطيمهن. وكانت الكنيسة تطلق اسم ساحرة على كل من المثقفات والمتدينات والبوهيميات ومحبات الطبيعة وعالمات النبات وكل «من كان يبدو عليها اهتمام ما بالحياة الطبيعة»، وكانت الدايات (القابلات) مضطهدات لدرجة الموت لاستخدامهن «المجنون» لبعض الأعشاب التي تخفف من آلام الوضع. لأن هذه الآلام في رأي الفاتيكان لم تكن إلا العقاب العادل لحواء التي أكلت تفاحة المعرفة بين الخير والشر التي أدت إلى الخطيئة الأولى. وخلال ثلاثمائة عام من التصدي «للساحرات» تم إحراق خمسة ملايين امرأة على المحرقة بأمر من الكنيسة» (صفحة ٢٥٢).
- «إن الكتاب المقدس عمل بشري كتبه العديد من البشر المختلفين، في فترات مختلفة وكثيراً ما كانت مضللة. وتطور باستمرار من خلال العديد من الترجمات، والإضافات والتعديلات. ولم يعرف أبدًا على مدى التاريخ صيغة نهائية» (صفحة ٢٨٩).

- «كان من الممكن أن يضم العهد الجديد أكثر من ثمانين إنجيلاً، لكنه تم الاحتفاظ بأربعة منها فقط: متى ومرقس ولوقا ويوحنا (...) والكتاب المقدس كما نعرفه اليوم تم تجميعه بأمر من أحد الوثنيين، الإمبراطور قسطنطين الأكبر (...) وأيام حكمه كانت الديانة السائدة الرسمية لروما هي عبادة «الشمس التي لا تهزم» وكان الامبراطور هو الكاهن الأعظم (...) وكان المسيحيون والوثنيون يتصارعون إلى درجة كادت تقسم الإمبراطورية فقرر توحيدها تحت لواء المسيحية (...) وتم ذلك بحيلة بارعة في دمج التواريخ، والعادات الطقسية، والرموز الوثنية في التراث المسيحي الذي كان يتكون، ونجح في خلق ديانة هجين، يمكن لكل المواطنين اتباعها». ثم راح يورد العديد من النماذج من الديانات والآلهة الأخرى (صفحة ٢٩٠).
- «كان في غاية الأهمية والحيوية لحسن سير الكنيسة والإمبراطورية أن يتم الاعتراف بيسوع على أنه المسيح الذي أعلن الأنبياء عن قدومه. ويؤكد بعض العلماء أن الكنيسة الرومية قد سرقت بكل بساطة يسوع من المسيحيين الأوائل، وأنها حرّفت تعاليمه ووظفتها لفرض نفوذها» (صفحة ٢٩٢).
- «إن الغالبية العظمى من المسيحيين المثقفين يعرفون تمامًا تاريخ عقيدتهم». (صفحة ٢٩٢).
- «إن ما يضايقنا هو أن يتم تأليه المسيح بعد وفاته بثلاثة قرون. وكانت هناك المئات من النصوص التي تحكي حياته - حياته كإنسان بشري يموت. ولإعادة كتابة تاريخ حياته كان على الإمبراطور أن يقوم بعمل خارق الجرأة. وهنا يتمحور القرار الحاسم لتاريخ المسيحية، فقد أمر قسطنطين وقام بتمويل كتابة عهد جديد يستبعد كافة الأناجيل التي تتناول الجانب الإنساني ليسوع، وأن يميّز الأناجيل الأخرى التي «بتعديلها» تجعله ما يبدو إلهيًا، وكل الأناجيل الأخرى التي تخالف ذلك تم جمعها وحرقها» (صفحة ٢٩٣).
- «ومن حسن الحظ أن بعض هذه الأناجيل الممنوعة قد نجى.. وفي ١٩٤٧ تم اكتشاف مخطوطات البحر الميت في كهف قمران، في صحراء منطقة اليهودية. كما كان قد تم العثور عام ١٩٤٥ على لفائف قبطية في نجع حمادي. وكل هذه النصوص تقص القصة الحقيقية للكأس المقدس الذي استخدمه يسوع في العشاء الأخير، في إطار سرد رسالة يسوع من ناحية إنسانية بحته. كما تشير هذه النصوص إلى الصفة الحقيقية لذلك الكأس المقدس. والفاتيكان وفيا كعهده

للتعتيم قد عانى الأمرين لمنع نشر هذه النصوص ونحن نتفهم بكل بساطة لماذا: لأن هذه النصوص تسلط الضوء على كل التناقض والاختلافات البحتة الواردة في إنجيل قسطنطين، وتؤكد أنها عبارة عن نصوص متراكمة وتمت صياغتها من أجل برنامج سياسي: تعميم عملية تأليه يسوع واستخدام نفوذها لتدعيم السلطة القائمة» (صفحة ٢٩٣ - ٢٩٤).

- «ما أود قوله هو أن جزءًا كبيرًا جدًا مما علّمته لنا الكنيسة - ولا تزال تعلّمه - حول يسوع عبارة عن زيف خاطئ بكل بساطة. وكذلك ما تقوله عن الكأس» (صفحة ٢٩٤).
- «كانت روما تريد إقناع العالم بأن النبي يسوع كان إلهًا. لذلك استبعدت كل القصص التي تثير ملامح إنسانية من حياته وللأسف كان هناك موضوعًا يتواتر في كل الأناجيل، وهو زواج يسوع من مريم المجدلية» (صفحة ٣٠٦).
- «يسوع كان يهوديًا، وفي أيامه كانت العذوبية مدانة في الواقع وكان على كل أب يهودي أن يبحث عن الزوجة الصالحة لابنه، وإذا لم يتزوج يسوع، كان لابد من الإشارة إلى ذلك على الأقل في أحد الأناجيل الأربعة ومعه تبرير لهذا الوضع غير المألوف» (صفحة ٣٠٧).
- «إن البرديات القبطية لنجع حمادي والمخطوطات الأرامية للبحر الميت تتضمن تناقضات مقلقة مع الأناجيل المتواترة التي نعرفها. ولنبدأ بإنجيل فيليب: «والمنقذ كان له رفيقة، مريم المجدلية. وكانت المفضلة لدى المسيح وكان يقبلها على فمها. الأمر الذي كان يحرج مشاعر باقي الحواريين الذين كانوا يعبرون عن عدم رضاهم. ويقولون ليسوع: لماذا تحبها أكثر منا؟» ثم يوضح الكاتب أن كلمة «رفيقة» بالأرامية كانت تعني «زوجة» (صفحة ٣٠٨).

والأية ليست وحدها التي تحمل هذا المعنى، ففي صفحة ٨٩ اللوحة ١٠٧ بند ٣٢ (من إنجيل فيليب) نطالع: «كانوا ثلاثة يمشون دائماً مع الرب: مريم أمه، وأخت أمه، ومريم المجدلية المعروف أنها كانت رفيقته (Koinonos) لأن مريم بالنسبة له كانت أختًا وأمًا وزوجةً (Koinonos).

وفي صفحة ١٠٧ اللوحة ١١١ بند ٥٥ نطالع: «... رفيقة (Koinonos) الإبن هي مريم المجدلية والرب كان يحب مريم أكثر من كل التلاميذ وكثيرًا ما كان يقبلها على فمها» («إنجيل فيليب» ترجمة چان إيف ليلو).

ونواصل الاستشهادات من الرواية:

- «ولقد قامت السلطات الفرنسية بمنع عرض فيلم مارتن سكورسيز: «الإغراء الأخير للمسيح» الذي كان يتناول فيه العلاقات الجنسية بين يسوع ومريم المجدلية. واتهم الحكومة بأنها خضعت لضغوط الأسقفية الفرنسية» التي وصفها بأنها وقحة وتواصل التعتيم بغباء (صفحة ٣٠٨ - ٣٠٩).
- «وأحد أسباب الحروب الصليبية كان البحث عن أية وثائق تتضمن هذه المعلومات لأن مريم المجدلية كانت تمثل خطرًا داهمًا للكنيسة آنذاك. فقد كان يسوع قد أسند إليها هي تكملة الرسالة (وليس إلى بطرس)، بل والأدهى من ذلك كانت تمثل الدليل المادي أن ابن الله الذي اخترعته الكنيسة قد أنجب خلفًا بشريًا! ولكي تحمي نفسها من نفوذ مريم المجدلية قامت الكنيسة بفرض صورتها كعاهرة ومحت أي أثر لزواجها بيسوع (...) وكان من المحال للكنيسة أن تستمر بعد نشر خبر إنجابه طفلاً. ولكي يمكن للمؤسسة الكنيسية إعلان أنها وحدها هي طريق الخلاص والحياة الأبدية، فكان لابد لها من تأكيد ألوهية المسيح» (صفحة ٣١٨).

وإذا ما حاولنا تلخيص تلك النقاط أو تلك الحقائق التاريخية التي أوردها دان براون في روايته، لرأينا أن الفاتيكان يستعين دائماً بمن يستكتبهم ليكذب من يتناول أية حقائق في أبحاثه، وانتقاد الفاتيكان لقيامه بعمل المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني، وهو في الواقع يمثل نقطة فارقة في تاريخ الفاتيكان وخروجه عن المسيحية كما أوضح دان براون أن المسيحية قد انتشرت في القرون الأولى بفضل اقتلاعها للديانات الوثنية القائمة آنذاك، واستخدامها كافة وسائل الترويع وحرق المعارضين أو من يسببون أو يشكلون خطرًا، كما انتقد عقيدة الخطيئة الأولى، وقال إن الكتاب المقدس عمل بشري، وأن الكنيسة قد امتصت الديانات الوثنية ورموزها وعاداتها العبادية وضمتها للمسيحية، وقيام الكنيسة بفرض أن يسوع هو المسيح الذي أعلن الأنبياء عن قدومه وأن الفاتيكان قد استخدم مختلف الوسائل والأساليب للتعتيم على فحوى مخطوطات قمران ونجع حمادي، وأن كل ما تعلّمه الكنيسة عن يسوع عبارة زيف لا علاقة له بالواقع، وأنه كانت هناك حقيقة تتوافر في العديد من الأنجيل وهي: زواج يسوع من مريم المجدلية، وأن اكتشاف الأتباع لهذه الحقيقة كفيل بهدم الكيان الكنسي برمته.

وإذا ما تأملنا كل هذه النقاط لوجدنا أنها حقائق واردة في كافة الأبحاث التي بدأت تظهر منذ عصر التنوير، بشق طريقها بصعوبة فائقة، وتواصلت حتى يومنا هذا، بحيث

باتت مثل هذه المعلومات في الإصدارات التي طبعت في العقود القليلة الماضية وكأنها عبارة عن معلومات دارجة من كثرة ما صاحبها من دراسات تاريخية متعمقة قائمة على الوثائق والتحليلات اللغوية.

أي إن ما قام به دان براون هو إدماج بعض المعلومات أو المعطيات التاريخية في قصة روائية رائعة الحبكة، من خلال حوار مختصر، بسيط، بين أبطالها. ولعل السبب الأساسي في أن هذه الرواية لم تصادر فور ظهورها، مثلما حدث لكتب أخرى ولا يزال، هو عنوانها الذي أفلت من أيدي أعضاء لجان محاكم التفتيش التي تتابع كل الإصدارات الدينية أو المتعلقة بالدين المسيحي من أي زاوية من زواياه، حتى تتخذ الإجراءات المناسبة ضدها وفقاً لمدى خطورتها على ذلك البنيان العتيد.

وفي نبأ صادر عن وكالة الأنباء الفرنسية يوم ١٢ أبريل ٢٠٠٥، بقلم باري جيمس، والموضوع أساسًا عن منظمة «أوپس داي» (Opus Dei) (عمل الرب) التبشرية السياسية الشديدة السلطة والنفوذ، ومقرها إسبانيا وينتهي المقال بعبارة: «إن الفاتيكان قد أسند حديثًا إلى كبير الأساقفة تارتشيزيو برتوني (Tarcisio Bertone) مهمة محاربة الهرطقات الواردة في رواية «دافنشي كود» (شفرة دافنشي) أكثر الروايات تحقيقًا لأرقام قياسية، لدان بروان التي يقول فيها إن أحد الأساقفة من منظمة «أوبس داي» أمر أحد الرهبان من المنظمة بالقيام بعملية اغتيالات.

وفي ١٥ أبريل ٢٠٠٥، وبينما مجمع الكرادلة مجتمعًا لانتخاب البابا الجديد خليفة الراحل يوحنا بولس الثاني، نشرت مجلة «نوڤل أوبسرفاتير» الفرنسية (Nouvel Observateur) مقالاً حول اجتماع المجمع بقلم دانيل وولز يبدأ بالفقرة التالية: «بينما الكرادلة يعدون لاجتماع المجمع في أكبر سرية ممكنة، توجد منظمة كاثوليكية تلعب دورًا ضخمًا في انتخاب البابا الجديد: إنها المنظمة الشديدة التأثير والشديدة التعصب: «أوپس داي»، التي صورها دان براون الكاتب الأمريكي في أحسن الروايات تحقيقاً للمبيعات: «شفرة دافنشي». وبعد أن أوضح دانيل وولز أن اثنان من الكرادلة المجتمعين لاختيار البابا الجديد ينتميان إلى هذه المنظمة، يقول: «إن هذه المنظمة قد وضعت هدفاً لها هو إسناد دور أكثر فعالية للعلمانيين في عملية التبشير، وقد ساندها البابا يوحنا بولس الثاني بشدة طوال مدة بابويته، وقد انعكست هذه المساندة في سرعة إضفاء القدسية على مؤسسها خوزيه ماريا اسكريفادي بلاجير عام ٢٠٠٢، J.E.de Balaguer وبتعيينه أحد أعضائها خواكيم

نڤارو فالس (J.Navarro - Valls) في المنصب الشديد الحساسية كمتحدث رسمي باسم الفاتيكان. فقد كان البابا يرى في هذه المنظمة وسيلة رائعة للتصدي للعلمانية المتزايدة في المجتمع ولتدعيم المواقف العقائدية المحافظة في العديد من المجالات». أما سوزان موتان (Suzanne Moutin) الراهبة بإحدى المجمعات الدينية فقد خرجت عن انتمائها وصمتها بكتاب عنوانه: «**المقاومة في كنيسة اليوم**» (أبريل ٢٠٠٥) لتوضح كيف أن منظمة «عمل الرب» هذه قد تم إنشاؤها رسميًا عام ١٩٢٤ أيام الجمهورية الإسبانية لمحاربة هذه الجمهورية وإعادة ملكية إلهية الحق، أثناء الحرب الأهلية الإسبانية.

وإن مؤسسها دي بلاجير قد هرب أولاً في فرنسا ثم عاد لينضم إلى منظمي الانقلاب في بورجوس وأصبح الرئيس الروحي لفرانكو وزوجته، أي الذي يتولى اعترافهما الديني كل أسبوع، واستقر معهما في مدريد وكانت المكاتب الأولى لهذه المنظمة في البداية بوزارة الداخلية في مدريد وتقول سوزان موتان، «إن طموح المنظمة آنذاك كان يرمي إلى القيام في رجيم فرانكو بنفس الدور الذي لعبته محاكم التفتيش أيام فيليب الثاني في القرن السادس عشر». وهنا لابد من توضيح أن ما فعله فيليب الثاني هذا هو قمع المسلمين في غرناطة فيما بين ١٥٦٨ و١٥٧١ وهزم الأتراك في معركة ليپانت عند مدخل خليج كورنتيا باليونان. وهو ما يكشف عن ملمح أساسي وغير معلن لهذه المنظمة وهو: محاربة الإسلام.

إلا أن معرفة ازدهارها عند اختيار أحد أعضائها في منصب البابا، يوضح الكثير من الأمور المغيبة، وهو كارول ڤويتيلا، أسقف كراكوف، الذي عيّن في منصبه الجديد باسم البابا يوحنا بولس الثاني صاحب الحرب الشعواء على الإسلام والمسلمين بمسماها المهذب: «تنصير العالم» أو كما وصفه أحد صحفييّ جريدة «لوموند ديپلوماتيك» بإنه يسير على الإسلام بوابور زلط!

وتوضح الكاتبة، الراهبة السابقة «أنه عند اختياره بابا آنذاك، لم يكن أحد يعلم أنه ينتمي إلى هذه المنظمة. ولم يتم اكتشاف ذلك إلا عند طباعة أحد كتبه التبشيرية في مطابعها». وابتداء من ذلك الوقت تغير كل شيء بالنسبة لمنظمة «عمل الرب» إذ وضعها يوحنا بولس الثاني تحت إشرافه الوحيد والمباشر، بعيدًا عن سيطرة أي شخص آخر في التدرج الوظيفي للفاتيكان.

وقد استمرت مساندة المنظمة للبابا خاصة في إنشاء حزب تضامن في بولندا وهو ما أدى إلى انهيار الاتحاد السوفيتي إضافة إلى مشاريع فاتيكانية أخرى. ومن أهم ما تكشف عنه الراهبة السابقة تسلل أعضاء منظمة «عمل الرب» التي يُطلق عليها «الأخطبوط» في إسبانيا، لتحتل أماكن حساسة في المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة واليونسكو.

وفي رد مقتضب من حاشية منظمة «أوبس داي» حول موقفها من رواية «شفرة دافنشي» صادر في ٢٢ مارس ٢٠٠٤، نطالع: «كثير من القراء يدفعهم الفضول لمعرفة التأكيدات الواردة عن المسيحية في هذه الرواية وأول ما نبدأ به هو تحديد أنها مجرد رواية ولا يمكن الاعتداد بها كمصدر موثوق به في الموضوعات اللاهوتية! لقد أثار فضول الجمهور حول أصول الكتاب المقدس وبعض العقائد المسيحية الأساسية مثل ألوهية يسوع المسيح، وهي موضوعات لدراسات شيقة ونحن نحث الاتباع على الدراسة لكنهم لن يجدوا هذه المراجع العلمية في أرفف الروايات «الخرافية».. إن أي باحث متعمق في المسيحية سيرى أن فريات «شفرة دافنشي» حول يسوع المسيح ومريم المجدلية وتاريخ الكنيسة لا أساس له من الصحة فمثلاً تقول الرواية إن الإمبراطور قسطنطين قد اختلق عقيدة ألوهية المسيح في القرن الرابع لأغراض سياسية. والتاريخ الواضح يؤكد عكس ذلك فالعهد الجديد وكل الكتابات المسيحية الأولى تؤكد جليًا الإيمان بتأليه المسيح بينما كان لا يزال حيًا. إن الوصف الذي تقدمه الرواية عن منظمة عمل الرب خاطئ سواء في إجماله أو في تفاصيله ولا يمكن تكوين أي فكرة صائبة عن مطالعة هذه الرواية».

ثم يتضمن الرد كشفًا بالمراجع التي يتعيّن على القارئ الباحث أن يلجأ إليها ويستعين بها وكلها من إصدارات الفاتيكان وخطبة الرسولية!

إن مجرد تأمل هذا الرد يوضح كيفية استمرار الأكاذيب والمغالطات رغم كل ما كشفت عنه الأبحاث الحديثة والمعاصرة، فلم يعد أحد يجهل أن تأليه المسيح قد تم في مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥، وأن الأناجيل كانت ولا تزال تتحدث عن يسوع على أنه «نبي مقتدر» و«رجل» و«إنسان»، وأن قصة مريم المجدلية واردة على الأقل في إنجيل فيليب وهو من تلامذة يسوع، مهما استبعدت الكنيسة إنجيله، وأن الكنيسة قد استبعدت من الأناجيل ما لا يتماشى مع ما تفرضه من عقائد ومخططات، ورغمها ها هي تواصل توجيه قراءة الأتباع في نطاق ما أصدره الفاتيكان فحسب، وإن الكتابات المسيحية الأولى – التي استبعدت ما سواها، تكشف ما تم من تلاعب وتحريف بالنصوص.

وبعد عشرين عامًا من البحث والدراسة والتنقيب ها هو رجل اللاهوت والصحفي الألماني بيتر هرتل (Peter Hertel) ينجح في اختراق جدار الصمت الذي يحيط بمؤسسة «أوبس داي»، رغم أنف رؤسائها ليصدر كتابًا بعنوان «المافيا المقدسة» وهو الأسم الشائع لهذه المنظمة في إسبانيا.

ويقدم بيتر هرتل العديد من الوثائق الخاصة التي تضفي أضواء جديدة على كتيبة الصدمات هذه التي تمثل الحاشية الحقيقية للبابا يوحنا بولس الثاني وهذه الوثائق الحديثة تكشف الكثير عن عمليات الرقابة، والجلد الذاتي، وفصل الرجال عن النساء في هذا التنظيم، وكيفية تجنيد الشباب منذ سن الرابعة عشرة كما يكشف المؤلف عن وجود خلايا سياسية واقتصادية ومالية في باريس وطوكيو، وزيورخ ومانيلا، ولندن وبنما. وبفضل العديد من الخدمات الجماعية ومختلف المؤسسات التي تتخفى خلفها، استطاعت «المافيا المقدسة» من اختراق العديد من المنظمات الدولية ومنها الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة.

كما يصف بيتر هرتل بالأدلة والأسانيد كيف استطاعت هذه المنظمة أن تتسلق الدرجات العليا في الفاتيكان حيث أصبحت تحتل العديد من المناصب الحساسة. ولا يخفى على أحد وطأة وتأثيرها على الحكومة المركزية للكنيسة الكاثوليكية ولا الظلال التي تلقيها على اختيار البابا الجديد خليفة يوحنا بولس الثاني الذي جعل منها رأس الحربة الذي يستعين بها منذ انتخابه من عشرين عامًا.

ويبقى رد أحد أساتذة الجامعة العبرية وتعليقه على رواية «شفرة دافنشي» هو أفياد كلاينبرج (Aviad Kleinberg) وما كتبه في جريدة «هاآرتس» اليومية. واللافت للنظر أن هذا المقال منشور، بعد حذف أجزاء منه، في موقع منظمة «أوبس داي» الإلكتروني. والغريب هنا أن تستعين منظمة كاثوليكية متعصبة بيهودي للدفاع عنها أو عن كيانها الكنسي، وعلى الرغم من محاولة كاتب المقال التقليل من قيمة المعلومات التاريخية التي يستشهد بها دان براون في روايته، والاستخفاف بها، ويبدأ بتفنيد قصة مريم المجدلية بأنها «يصعب تصديقها»، رغم وجود إنجيل فيليب في المكتبات وقد استشهدنا به. ويفند الوثائق التي اعتمد عليها دان براون ثم يقول: «إن المكتبة القومية في باريس، مثلها مثل المكتبة الجامعية والقومية اليهودية ومكتبة الكونجرس مليئة بمثل هذه الوثائق وهي ليست مسؤولة عنها»! ويتمادى في محاولة دفاعه الغريب عن هذه المؤسسة أو عن الكنيسة قائلاً: «إن الكنيسة أعربت عن احترام حقيقي للمرأة» والمعروف أن الكنيسة كانت تعتبر المرأة «كائن بلا روح» لأكثر من ألف عام!

واستبعادها للمرأة مازال يثير المعارك. ثم يشير إلى أن «السلطات الكنسية لم تقل أبدًا أن مريم المجدلية كانت عاهرة» وذلك في الوقت الذي تحمل فيه الأناجيل هذه الإهانة إضافة إلى أن يسوع قد استخرج منها «سبعة شياطين» وعادة ما نسمع أو يقال إن المس الشيطاني يكون شيطان واحد - وفقًا لما يقال، إلا أن الأناجيل رفعت عددها إلى سبعة.

وتتمادى مغالطة الأستاذ «المجامل» إلى درجة أن يقول: «إن ألوهية يسوع لم تقرر في مجمع نيقية لأن ذلك كان واردًا في العهد الجديد وتقبله معظم المسيحيين منذ بدايات المسيحية. وإن ما تم إقراره في ذلك المجمع هو استبعاد العقيدة الأريوسية التي كانت تضفي أهمية أكبر على الأب» - والمعروف أن أريوس كان رافضًا لعملية التأليه هذه.

ولا نجد ما نرد به على مثل هذه «المجاملات الرخيصة» إلا الاستشهاد بقرار مجمع نيقية الأول، الذي ينص على الآتي: «إننا نؤمن بإله واحد، الأب القدير، خالق كل الكائنات المرئية واللا مرئية، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله، المولود من الأب، المولود الوحيد، أي من نفس جوهر الأب، إله من إله، نور من نور، إله حقيقي من إله حقيقي، مولود وليس مخلوق، مشارك في الجوهر للأب، الذي عمل كل شيء ما هو في السماء وما هو على الأرض، والذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا قد نزل من السماء وتجسد، وجعل نفسه إنسانًا، وتألم وبعث في اليوم الثالث، وصعد إلى السماوات، وسيعود ليحاكم الأحياء والأموات، ونؤمن بالروح القدس. ومن يقولون: «في زمن ما لم يكن موجودًا» أو «قبل أن يولد لم يكن موجودًا» وأنه صار بدأ مما لم يكن موجودًا أو أنه من أقنوم آخر أو من جوهر آخر، أو أن يؤكد أن ابن الله قابل لأي تغيير أو أي فساد، فهؤلاء أن الكنيسة الكاثوليكية والرسولية تلعنهم» (**المجامع المسكونية المجلد الثاني** صفحة ٣٥) وهي عقيدة الإيمان الأولى.

ونلاحظ في هذا القرار أنه يشير إلى أن المسيح قد تألم ولم ترد عبارة «صُلب» التي ستضاف فيما بعد، في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١، عند تأليه الروح القدس واختلاق بدعة الثالوث وهذا نصه: «إننا نؤمن بإله واحد الأب القدير، خالق السماء والأرض وكل الأشياء المرئية واللامرئية، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله، المولود الوحيد، الذي وُلد من الأب قبل كل القرون، نور من نور، إله حقيقي من إله حقيقي، مولود وليس مخلوق، من نفس جوهر الأب، الذي عمل كل شيء، والذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا قد نزل من السماوات **وتجسد عن طريق الروح القدس والعذراء مريم وجعل نفسه إنسانًا**، وقد صُلب من أجلنا أيام بيلاطس البنطي، وتألم

ودفن، ثم بُعث في اليوم الثالث وفقًا للنصوص وصعد إلى السماوات، ويجلس عن يمين الأب وسيعود ممجدًا ليحكم الأحياء والأموات، ولا نهاية لحكمه، و(نؤمن) بالروح القدس، الذي هو رب ويمنح الحياة، ومنبثق من الأب والذي تتم عبادته مشاركة مع الأب والابن، ويتم تمجيده مشاركة، وقد تحدث عن طريق الأنبياء، و(نؤمن) بكنيسة واحدة، كاثوليكية ورسولية واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وانتظر بعث الأموات وحياة العالم الآتي. أمين» (**المجامع المسكونية**، المجلد الثاني صفحة ٧٣)، وهذه هي عقيدة الإيمان الثانية.

ونخرج من عقيدة الإيمان الأولى سنة ٣٢٥ بأن يسوع المسيح رب واحد وإله من إله، إله حقيقي من إله حقيقي، ونخرج من عقيدة الإيمان الثانية سنة ٣٨١ بأنه تجسد بشرًا عن طريق الروح القدس ومريم العذراء، وفي نفس هذه العقيدة الثانية تمت مساواة الروح القدس، الذي «يمنح الحياة» وعبادته مع الأب والابن - أي تكوين الثالوث المتساوي الأقانيم!

وفي مجمع أفسوس المنعقد سن ٤٣١ نطالع في البند التاسع: «إذا قال أحد أن الرب الوحيد يسوع المسيح قد تم تمجيده بالروح، وكأنه استخدم قوة خارجية تأتيه من الروح وأنه استلم قدرة العمل ضد الأرواح غير النقية وأن يقوم بعلامات إلهية بين الناس، **ولا يقول بالأحرى أن هذا الروح، الذي عمل من خلاله هذه المعجزات الإلهية، هو روحه الحقيقي**، ليكون معلونًا» (**تاريخ المجامع** المجلد الثاني صفحة ١٤٥).

ونخرج من مجمع إفسوس المنعقد سنة ٤٣١ بأن الروح القدس هو روح يسوع. وإذا ما رجعنا إلى عقيدة الإيمان الثانية الصادرة سنة ٣٨١، نجد أن مريم العذراء قد حملت فيه عن طريق الروح القدس، وبما أن الروح القدس هو «الروح الحقيقي» ليسوع بناء على مجمع ٤٣١، فذلك يعني أن مريم العذراء قد حملت في ابنها يسوع عن طريقه، بما أنه الروح الذي حبّلها!.

ونحن لا ندّعي أو نفتري أو نتلاعب بالنصوص بما أن مجمع القسطنطينية الثالث المنعقد سنة ٦٨٠ - ٦٨١م، يؤكد في عرضه لعقيدة الإيمان، التي وصل طولها إلى أكثر من ثلاث صفحات، بدلاً من عدة أسطر كما رأينا، ويعيد تأكيد **«أن يسوع المسيح قد ولده الأب قبل الأزمنة وفقًا للألوهية، وأنه في الآونة الأخيرة، ومن أجلنا ومن أجل خلاصنا، قد ولد عن طريق الروح القدس ومريم العذراء التي هي بكامل حقها حقيقة أم الله وفقًا للإنسانية» (تاريخ المجامع** المجلد الثاني صفحة ٢٨٥).

ولم نتناول هذه النصوص إلا لنوضح كيف نسجت المسيحية عبر المجامع على مر العصور، وكيف أن المتابع لتفاصيلها يرى يقينا كيف تم هذا النسيج بناء على الخلافات العقائدية السائدة وبناء على الأغراض السياسية المتحكمة. وكيف لا تزال المؤسسة الكنسية تجاهد للحفاظ على أساس أقل ما يقال عنه إنه يفتقد المصداقية التي تجاهد لإضفائها على كيانها.. فلولا كل هذا التلاعب الممتد وكل ما تختلقه هذه المؤسسة لتبرر ضرورة وجودها اعتمادًا على الأسرار التي لا يمكن لعقل أن يقبلها لما كان هناك ما يسمح لها بالاستمرار.

لذلك كتب إميل زولا، وهو من أهم من تعمقوا في الكشف عن خبايا ذلك المجتمع الكنسي، قائلاً في القرن التاسع عشر «لن تصل الحضارة إلى درجة كمالها إلا عندما يسقط آخر حجر من آخر كنيسة على رأس آخر قسيس»!

وعودة إلى رواية «شفرة دافنشي»، فقد تم الاتفاق بين شركة سوني - كولومبيا (Sony Columbia) والمؤلف على تحويل الرواية إلى فيلم سينمائي وقد تقرر عرضه على الجمهور في ٦ يونية ٢٠٠٦ في مختلف بلدان العالم. والطريف في الموضوع هو موقف الكنيسة، وخاصة موقف مؤسسة «أويس داي» أو «عمل الرب» التي عهد إليها البابا بالرد على الرواية.

ففي ٢٠٠٦/٢/٤ أصدر المكتب الإعلامي لهذه المؤسسة بيانًا صحافيًا بشأن هذا الفيلم جاء فيه:

«لقد تعرضنا في الآونة الأخيرة إلى العديد من الأسئلة بشأن فيلم شفرة دافنشي، ونحن مصروّن على إعادة ما سبق وأعلناه يوم ١٢ يناير الماضي: نحن لسنا على استعداد للمجادلة، ولن نلجأ إلى المقاطعة أو إلى أي شيء من هذا القبيل، وسوف نواصل التعامل مع هذا الموقف بالشفافية، والسكينة، والروح البناءة.

«إن شفرة دافنشي يقدم الكنيسة الكاثوليكية بصورة محرّفة والدعاية المواكبة لهذا الفيلم ستكون فرصة طيبة للكشف عن الوجه الأصيل للكنيسة(...).

«ولابد من الاستفادة وانتهاز الفرصة للتعريف بالخدمات التي يقوم بها الكاثوليك في إفريقيا منذ عدة قرون، وللتعاون والاستثمار مع العديد من المؤسسات التابعة للكنيسة في تلك القارة التي تمثل إحدى الأولويات الأكثر إلحاحًا في العالم.

«إن كثير من الأتباع مكدورين من عدم احترام «شفرة دافنشي» تجاه عقائد المسيحيين ونحن نود دعوة هؤلاء للتعبير عن عدم رضاهم بهدوء وبصورة بناءة، وذلك:

بالتعريف بأحد مشاريع التعليم أو التعاون التي يديرها الكاثوليك في إفريقيا؛ أو بالمساهمة في تمويلها ولو بقدر بسيط. ونحن نعلم أن مساعدة من هذا النوع ليست سوى مجرد تعبير رمزي، لكن لها أبعاد محددة وإيجابية (...) والتعريف بنشاطات التعاون التي تقوم بها الكنيسة في إفريقيا هي وسيلة لتحويل غضب الجماهير من «شفرة دافنشي» إلى ثمار إيجابية هي: التعريف بجهود الكنيسة الكاثوليكية تعد مساعدة حاسمة وفي نفس الوقت نحن نعتمد على حساسية شركة سوني - كولومبيا للتصرف بصورة بناءة»!

وهذه الصورة البناءة يشرحها الصحفي بيتر جيدييه في مقال صدر في اليوم التالي، يوضح أنه على الشركة أن تكتب صراحة في إعلاناتها: «أن أحداث هذا الفيلم والشخصيات الوارد ذكرها لا علاقة لها بالواقع ولم توجد أبدًا، وهكذا سوف تقوم الشركة بمساهمة فعالة كبرى في الحوار بين الثقافات وتقوم بتشريف الاحترام الواجب لمؤسساتها.

ولا نظن أن التلاعب بالحقائق والأحداث بحاجة إلى تعليق..

مجمع الفاتيكان الثاني ومؤسسة الفاتيكان

يمثل المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني (١٩٦٥) نقطة فارقة في تاريخ المسيحية، فهو أول مجمع هجومي بالمعنى الواضح للكلمة، وأول مجمع يخرج خروجًا سافرًا عن تعاليمه ونصوصه الإنجيلية والكنسية من أجل الأغراض السياسية أو بسبب ضغوطها الكاسحة.. وقد أصدر هذا المجمع ثلاثة أنواع من الوثائق الدينية والاجتماعية والسياسية والتاريخية.. ولا يسع المجال هنا لتناول هذه النصوص لكننا سنكتفي بالإشارة إلى أهم هذه القرارات إجمالاً وخاصة ما يعني منه هذا البحث. ومن هذه القرارات حتى وإن وردت في نصوصه المختلفة:

١ - تبرئة اليهود من دم المسيح:

فبعد حوالي ألفي عام من العداء الصارخ أو غير المعلن في بعض الأحيان، وبعد أن ظلت الكنائس بمختلف فصائلها في جميع أنحاء العالم تلعن اليهود في قداس كل يوم أحد، ورغم ما يوجد من إشارات صارخة في الأناجيل ضد اليهود أو إشارات غير مباشرة، إذ يورد ميشيل أونفراي في كتابه أن هناك حوالي أربعين اتهامًا لليهود في إنجيل مرقس، وحوالي ثمانين في إنجيل متى، ومائة وثلاثين في إنجيل يوحنا، ومائة وأربعين إتهامًا في أعمال الرسل، ومنها آيات شديدة الوضوح وأخرى ترد في أسلوب غير مباشر، بل إن نفس يسوع يقول عنهم أنهم أبناء الشيطان، وتبادلوا التهمة (يوحنا ٨:٤٤-٥٣)، انقلب موقف الكنيسة ١٨٠درجة لتعلن تبرئة اليهود في وثيقة «في زماننا هذا» (Nostra Aetate) التي تم الاحتفال بمرور أربعين عامًا على صدورها في أكتوبر ٢٠٠٥.

٢ - اقتلاع اليسار في عقد الثمانينيات (من القرن العشرين):

وذلك حتى لا تبقى أية أنظمة بديلة للرأسمالية الاستعمارية، وقد تم تنفيذ هذا القرار بالتواطؤ بين الفاتيكان والمخابرات المركزية الأمريكية وجورباتشوف.. وما أكثر ما كتب عن تفاصيل ذلك المخطط باختلاق حزب تضامن في بولندا، والعام المريمي لتأجيج المناخ الديني في الاتحاد السوفيتي، أوعن المبالغ التي أهدرت.

٣ - اقتلاع الإسلام في عقد التسعينيات:

وذلك حتى تبدأ الألفية الثالثة وقد تم تنصير العالم. وقد سبق وأشرنا إلى كيفية صياغة ذلك أولاً في عبارة مضغمة هي «توصيل» الإنجيل لكافة البشر!

٤ - إعادة تنصير العالم:

وكان المقصود بهذه العبارة التصدي للإلحاد المتفشي في الغرب، وتبشير الكتلة الشرقية قبل أن تنجرف للإسلام، وثالثاً: «تنصير العالم الإسلامي. وفي سنة ١٩٨٢ أعلن البابا يوحنا بولس الثاني «ضرورة تنصير العالم» وأن ذلك قرار مجمعي عالمي، أي قرار لا رجعة فيه.

٥ - توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما:

وقد تم إنشاء لجنة خاصة بذلك - رغم الخلافات العقائدية الجذرية بينها، وعندما لم تنصاع كل كنيسة منها، متمسكة بما تعتقد فيه، راح يوحنا بولس الثاني يحثهم على أن هذه هي الوسيلة الوحيدة للتصدي للإسلام وتزايد انتشاره (وهو ما نطالعه في كتاب «الجغرافيا السياسية للفاتيكا»).

٦ - فرض عملية التبشير على كافة المسيحيين:

وهي أول مرة في التاريخ تقوم فيها الكنيسة باتخاذ قرار يخص الكنسيين والمدنيين بهذا الوضوح.

٧ - استخدام الكنائس المحلية في عمليات التبشير:

الأمر الذي يضع الأقليات المسيحية في البلدان التي يعيشون فيها في موقف عدم الأمانة أو الخيانة الوطنية لصالح التعصب الكنسي.

٨ - فرض بدعة الحوار:

كوسيلة للتبشير وكسب الوقت حتى تتم عملية التنصير بلا مقاومة..

٩ - إنشاء لجنة الحوار:

والمفترض في هذا الحوار أنه يدور أو يتم مع الديانات غير المسيحية، وقد ترأس الكاردينال آرنزي هذه اللجنة.

١٠ - إنشاء لجنة خاصة بتنصير العالم:

وكانت برئاسة الكاردينال طومكو وقد قام أعضاء اللجنتين بإصدار وثيقة مشتركة في ١٩٩١/٦/٢٠ بعنوان: «**حوار وبشارة**»، تتضمن التوجيهات اللازمة لعملية التنصير الدائرة منذ ذلك الوقت في تصعيد متواصل.

وإضافة إلى إعلان البابا رسميًا سنة ١٩٨٢، في مدينة شانت يقب بإسبانيا، عن ضرورة تنصير العالم، فقد أصدر في عام ١٩٩٥ خطابًا رسوليًا بعنوان: «**عشية الألف الثالثة**»، هو بمثابة الخطة الخمسية لتنصير العالم قبل حلول الألفية الثالثة. وقد علّقت عليه آنذاك

صحيفة «**لوموند ديلوماتيك**» الفرنسية قائلة: إنه يسير على الإسلام بوابور ظلط لدكه تماما! إضافة إلى ما تلى ذلك المجمع من مؤتمرات دولية للتبشير.

والربط بين المجال الديني والسياسي مفروغ منه لتضافرهما الشديد في سياق الأحداث الراهنة، والهدف الديني الواضح للغرب المسيحي هو: تنصير العالم وأنه قرار لا رجعة فيه، كما أنه يمثل جزءًا لا يتجزأ من نظام العولمة الذي تم فرضه لجعل العالم خاضع لنظام سياسي وديني واقتصادي وفكري واجتماعي واحد تحت مسمى القرية الواحدة حتى تسهل قيادته واستغلال منابع ثرواته. وذلك اعتمادًا على اقتلاع الحضارات الأخرى بعقائدها وخاصة الإسلام الذي أتى شاهدًا على عمليات التحريف التي تمت في رسالة التوحيد وكاشفًا ومصوبًا لها.

ولكي ندرك حقيقة وأبعاد ذلك المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني ومدى رد فعله على نفس أعضاء هيئة الأكليروس بكل درجاته، وربطه بما تم تناوله من موضوعات في هذا البحث، لابد من إلقاء نظرة خاطفة على ما تحمله هذه المؤسسة على كتفيها منذ بدأت مسيرتها.

لقد تعرضت الكنيسة الكاثوليكية الرسولية لكثير من الصراعات عبر مشوارها الممتد حوالي ألفي عام - بل لقد كان بولس يشير إلى وجود انقسامات في كنيسة كورنثوس! وقد اتخذت هذه الصراعات والمعارك، أو «الهرطقات» كما يطلقون عليها، العديد من الأشكال بدءاً من مجرد الاختلاف حول نقاط بعينها إلى الاختلاف حول تأليه المسيح. ويمكن الإشارة إلى هذه الصدامات باختصار، منها:

- **الغنوصية**: التي انتشرت في القرن الثالث وامتدت في معظم حوض البحر الأبيض المتوسط وانقسمت إلى حوالي مائة طائفة.
- **المانيّة**: أو اتباع ماني، وهو مذهب منبثق من الغنوصية في منتصف القرن الثالث إلا أن مؤسسها قد مات معتقلاً في السجن، وامتد مذهبه حتى القرن السابع عشر تقريبًا، خاصة في آسيا الوسطى والصين.



- **الناصريون**: نسبة إلى الناصرة - وإن كانت هذه المدينة لم توجد إلا في القرن الرابع، لذلك قد يكون الأتباع هم أنصار يسوع، أي من نصروه، وكانت هذه الجماعة ترفض تأليهه أو أي نسب إلهي له، وقد يكونون ممن نذروا أنفسهم للعقيدة والدين.
- **الصهاينة**: وكانوا معاصرين للناصريين، ويرون أن يسوع هو «آخر الأنبياء اليهود» وليس ابن الله. وقد اختفت هذه الطائفة في القرن الرابع.

● **المونتانية**: أو اتباع مونتانوس الزاهد، وقد تكونت هذه الجماعة وصمدت من القرن الثالث إلى الخامس إلا أنه قد تم سحقهم.

● **الأريوسية**: نسبة إلى القس أريوس في القرن الرابع والذي أدان الثالوث كما أدان تأليه المسيح. ويعد هذا المذهب من أعنف ما صادف الكنيسة الكاثوليكية من صراعات وقد أدانه مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، كما أدانه مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م. وسيستعين الكثير من الأتباع بآرائه لتكوين جماعات أخرى وأهمها البروتستانتية.

● **النستورية**: نسبة إلى باترياركـ القسطنطينية الذي رفض سنة ٤٢٠ الاعتراف بأن السيدة مريم «أم الله»، مقرًا يسوع المسيح كابن الله لكنه من «طبيعة بشرية» وتمت إدانته ومات منفيًا إلا أن مذهبه استمر حتى القرن الربع عشر.

● **المونوفيزية**: أو اتباع أوطيخي الذي أقر في القرن الخامس إن المسيح ليس له إلا طبيعة إلهية فقط. أي أنه ينكر تجسد الله في المسيح. وتمت إدنته في مجمع خلقيدونيا سنة ٤٥١م، إلا أن بعض الجماعات الأرثوذكسية قد تبنّت مذهبه، وانبثق منهم اليعاقبة ولا تزال بعض فرقتها موجود لليوم.

● **أنصار الإرادة الواحدة أو المونوتيلية**: ويسمونها هرطقة الباترياركـ سيرجيوس في القسطنطينية (٦١٠ – ٦٣٨) الذي حاول إعادة ضم أتباع الطبيعة الواحدة للكنيسة الكاثوليكية فاقترح أن تكون للمسيح إرادة واضحة، إرادة إلهية. وأدانته روما منذ سنة ٦٤٩ ثم أدانه مجمع القسطنطينية سنة ٦٨١م.

● **البلاچيانية**: نسبة إلى القس الإنجليزي الأصل ويدعي پيلاچ واعترض سنة ٤١٦م على عقيدة «الخطيئة الأولى» وتمت محاربته هو وتلميذه سلستيوس، وقد اتهمه القديس أغسطين بالهرطقة.

● **الڤودوَا**: اتباع الراهب بيير ڤالدو (١١٤٠ – ١٢١٧) الذي أنشأ جماعة في فرنسا اعتمادًا على الكتاب المقدس وحده رافضًا كل ما ابتدعته الكنيسة الكاثوليكية من أسرار وطقوس، مناديًا بالتقشف، معترضًا على البذخ الكنسي. وقد أهلكه رجال الكنيسة إلا أن اتباعه قد فرّوا في الجبال وصمدوا للاضطهاد العنيف الذي لاحقهم خاصة في القرن السابع عشر، ولا تزال كنيستهم قائمة ولها اتباع في فرنسا وإيطاليا.

● **الكاتار**: وهي من كبرى «هرطقات» القرون الوسطى، وقد انبثقت من تعاليم ألمانيّة والغنوصية وتيارات أخرى مدينين الأسرار الكنسية وبدع العقائد، وحق الملكية لرجال الدين، وعُرفوا في فرنسا تحت اسم «الألبيچوا»، إلا أنهم قد أبيدو بحملة صليبية سنة

١٢٠٨م تولاها البابا إينوسنت الثالث وقادها على التوالي كل من سيمون دي مونفور ولويس الثامن.

● **اللولار**: أتباع رجل اللاهوت الإنجليزي جون ڤيكليف الذي تصدى فيما بين ١٣٥٠ و١٣٨٤ لتعسف السلطات الكاثوليكية وخاصة ضد سلطة البابا، معترضًا على بدع العقائد وخاصة بدعة الاعتراف، وقد أدانته المحكمة الدينية في لندن. إلا أن مجمع كونستانس قد أدانه بأثر رجعي سنة ١٤١٥م وأخرجوا رفاته من القبر سنة ١٤٢٨م وأحرقوه بتهمة الهرطقة ليكون عبرة لغيره.

● **الهوسيون**: أتباع اللاهوتي الكبير يان هاس الذي تم حرقه حيًا سنة ١٤١٥م لأنه تبنى أفكار جون ڤيكليف. وقد نجت مجموعة من أتباعه ولاتزال تعيش في مدينة براغ. وقد كان يان هاس عميدًا لكلية لاهوت مدينة براغ!

● **الجَنْسينية**: نسبة إلى الأسقف البليجيكي جَنْسينوس (١٥٨٥ - ١٦٣٨)، وهي من المذاهب التي هزت الكاثوليكية الفرنسية في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وقد حاصرتهم السلطة الكنسية والسلطة الملكية، وتم هدم معقلهم في دير «پور روايال دي شان» في ٢٩ أكتوبر ١٧٠٩. كما قام البابا كليمنت التاسع بإدانته الأتباع إلا أنه مازال منهم في هولندا والولايات المتحدة.

● **الطمأنينية**: وهي مذهب الكنيسة البدائية الأولى القائمة على الطمأنينة وعدم العنف، وتحولت إلى نوع من الصوفية من القرن الثالث عشر إلى القرن السابع عشر، وقد أدانها الباب إينوسنت الحادي عشر سنة ١٦٩١م. وانبثق منهم بعض فصائل البروتستانت والكويكرز.

كان هذا السرد الخاطف لأهم بعض الاعتراضات والمعارك التي واجهت الكنيسة الكاثوليكية، وكما يلاحظ فإن جميعها معارك قادها كنسيون ومنهم في أعلى الرتب. وذلك بخلاف المعارك التي أدت إلى انقسامات جذرية ومنها:

● **انقسام الأورثوذكس**: وقد بدأ من أيام المعارك حول التعريف المتضارب «لطبيعة المسيح»، طبيعة إلهية أم طبيعة بشرية، وكان الأباطرة البيزنطيون لا يتقبلون تحكم أو سيادة روما على الكنائس الشرقية. وتنوعت الصراعات الطاحنة التي مات خلالها البابا مارتان الأول سنة ٦٥٥م. وازداد الانقسام بين الكنيستين الشرقية والغربية، بل لقد كان في الواقع أشبه ما يكون بالصراع بين حضارتين تتواجهان سياسيا. وفي منتصف القرن التاسع اندلعت معركة داخل الكنيسة اليونانية تدخلت فيها روما لتسرع

بالانقسام الذي بدأ بالصمت والتجاهل المتبادل في القرن الحادي عشر. وفي منتصف القرن الحادي عشر اندلعت المعارك بشأن عذوبية رجال الدين، التي تصدى لها البابا ليون التاسع متهمًا العقائد الخاصة بالكنيسة الشرقية وأغلق كافة كنائس بيزنطة.

ولا تزال الخلافات قائمة بين الكنيستين وإن كانت هناك محاولات حثيثة لضم كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما بناء على قرار مجمع الفاتيكان الثاني.

● **الانقسام الكبير في الغرب:** امتد هذا الانقسام أربع سنوات من ١٣٧٧ إلى ١٤١٧ نتيجة للصراع بين كنيستي روما وفرنسا، ومن خلافاتهما ضرورة أن يكون البابا إيطاليا. وأسفرت المعارك إلى إيجاد باباوين على رأس الكنيسة الكاثوليكية إضافة إلى انقسام أوروبا من جهة فرنسا ونابولي وسافوا وإسبانيا والبرتغال وصقلية واسكتلندا وجزء من إمارات ألمانيا اختاوا البابا كليمنت السابع، والإمبراطورية وانجلترا - وكانت في قمة حرب المائة عام مع فرنسا، والمجر والبلدان الإسكندينافية وممالك الشمال والوسط وبعض الإمارات الألمانية قد اختاروا أوربان السادس، وقام مجمع بيزا سنة ١٤٠٩ بإقالة الباباوين. إلا أن تداخل الأحداث السياسية مع الأحداث الدينية قد زاد الطين بلة، ولم يرجع الكرسي البابوي إلى التفرد إلا في ١٧ نوفمبر ١٤١٧م.

● **الإصلاح:** ويطلق على حركة الإصلاح هذه الانقسام بمعنى الكلمة. فالانقسام الذي ساد من ١٣٧٧ إلى ١٤١٧ كان قد هز عرش بطرس الرسول ومملكته، وأدت البروتستانتية إلى انقسام المسيحيين الأوروبيين إلى درجة لم تفلح معها بعد محاولات توحيد الكنائس التي تقودها الفاتيكان منذ ١٩٦٥، ويرجع البعض جذور حركة الإصلاح إلى القرن الثالث عشر، إلى أيام چون ڤيكليف ويان هاس الذي تم حرقه حيًا سنة ١٤١٥. ويتساءل البعض في «قاموس الديانات»: «إن لم تكن البروتستانتية قد اندلعت من الأخشاب المتقدة في محرقة الهراطقة التي لم تُطفأ جيدًا بعد؟»..

«ولاشك في أن الحركة التي اندلعت واجتاحت أوروبا الغربية هي نتيجة تعسّف كنيسة فرضت نفوذها وسلطانها في أغلبية البلدان الناجمة عن الإمبراطورية الرومانية القديمة» (يان شاليه «مونسينيور لوفقر»).

فما قاده مارتن لوثر ومناهضته للتسلط الكاثوليكي والسلطة البابوية قد أطاح بعديد من الثوابت وكان كل ما يرمي إليه هي حركة إصلاح. إلا أن التسلط البابوي الذي حرمه وأدانه علنًا قد دفعه إلى حرق خطاب الإدانة علنًا أمام أتباعه. وأكثر ما عاون الحركة التي نادى بها هو اكتشاف المطبعة وإمكانية طباعة إنجيله بعد ترجمته إلى الألمانية

إضافة إلى أعماله الأخرى. وقد تمت طباعة ثلاثمائة ألف نسخة من ذلك الإنجيل، وهو يعد رقمًا قياسيًا بالنسبة لمنتصف القرن السادس عشر تقريبًا.

وفي عام ١٥٣٠ تم إعلان مولد الكنيسة البروتستانتية رسميًا التي ستقوم بدورها بتقسيم أوروبا والفرنسيين عبر مذابح عرفت باسم «الحروب الدينية» في التاريخ والمذابح الدائرة بين الهجنوت والكاثوليك.

وإذا ما استعرضنا التاريخ لرأينا أن التفاصيل التي تكون النظام الشمولي هي نفسها التي واكبت الكنيسة الرومية منذ أولى خطاها.. فاستخدام القهر والاضطهاد والتعذيب وهدم الآثار وحرق المكتبات والأماكن العبادية للآخرين، وعدم تعقب القتلة واستمرار وجود الدعاية بلا توقف والسلطة المطلقة للقادة وإعادة تشكيل المجتمع وفقًا لمبادئ وأيديولوجية الجماعة الحاكمة وإبادة المعارضين واحتكار العنف ووسائل الاتصال والمواصلات وإلغاء الحدود بين الحياة الخاصة والعامة والتسييس العام للمجتمع وفقًا لتطلعات الحاكم الديني المتحكم وتنظيم البروقراطية والتوسع الاستيطاني. وكلها من السمات العامة للنظام الشمولي ذو الحزب الواحد الذي لا يقبل أية معارضة وتسيطر فيه السلطة الحاكمة سيطرة صارمة على جميع مظاهر الأمة وطاقاتها وهو نفس ما يتسم به مشوار الإمبراطورية المسيحية..

ويمثل قانون تيودوز الثاني قمة في الكشف عما تمكنه الطبقة الحاكمة، فمنذ الإئتلاف الذي تم بين الإمبراطور قسطنطين ورجال الدين المسيحي وأنسابت القوانين التي تفرض الإهانة منذ سنة ٣٨٠م على كل من هو ليس مسيحيًا، وإلغاء حقوقهم المدنية والتعليم، وفرض عقوبة الموت على كل من يمس الممتلكات الكنسية أو رجال أو أماكن عبادتهم، بينما قام المسيحيون بهدم كافة المعابد الوثنية ومصادرة أموالهم وسرقة محتوياتهم بكل شرعية بما أن القانون يقر ذلك.

وتتالت القوانين التي تحرّم إقامة الشعائر الوثنية، ومحاربتها بلا رحمة، وإقامة المحارق، ومنع الاجتماعات، وكانت هذه الأحكام تطبق على الوثنيين وعلى اليهود. كما صدرت القوانين التي تمنع الزواج بين ا ليهود والمسيحيين. وتم تشييد الكاتدرائيات مكان المعابد الوثنية واليهودية والغنوصية واستخدام أحجارها في المباني المسيحية. وتمت محاصرة العلماء والفلاسفة في عمليات قمع لا مثيل لها. وفي عام ٣٩١ أعطى أسقف الإسكندرية أوامره لهدم معبد السيرابيوم وطارت معه المكتبة الشهيرة، وفي ٥٢٩ تم إغلاق المدرسة الأفلاطونية الجديدة ومصادرة محتوياتها، وهو ما يطلق عليه ميشيل

أونفراي «ثقافة الموت، ثقافة الكراهية، ثقافة الاحتقار وعدم التسامح منذ أيام قسطنطين».

كما تم حرمان الوثنيين واليهود من الميراث، ومنعهم من الشهادة في المحاكم ضد المسيحيين، ومنذ ٥٢٩ فُرضت عقوبة الموت على كل من لا يقبل المسيحية ويدخل في ركابها، وفرض التعميد أو الطرد ومصادرة الأمول.

إن كلمات الوصايا العشر التي تبنتها الكنيسة كانت كافية لبناء دستور أخلاقي يمنع العنف وينادي بالسلام والمحبة والتسامح واستبعاد الحروب والعنف والجيوش المسلحة التي تفرض العقيدة قهرًا، كما كانت كفيلة بمنع عقوبة الموت والمعارك والحروب الصليبية ومحاكم التفتيش والاستعمار والقنبلة الذرية - التي أقر البابا يوحنا بولس الثاني استخدامها كطريق موصل للسلام!! كانت كفيلة لمنع الاغتيالات وكل ما أقترفته الأيادي العابثة بلا خجل وبلا رحمة باسم الدين.. دين المحبة والتسامح!

ويؤكد ميشيل أونفراي «**لقد تخلى المسيحيون مبكرًا عن تعاليم إنجيلهم وباعوا ضمائرهم للسلطة المدنية، فأحاطوا أنفسهم بالمذهبات من القصور والرياش وغطوا كنائسهم بالرخام والذهب، وباركوا الحروب التوسعية والغزوات العسكرية والعمليات البوليسية، وأصبحوا يجمعون الضرائب ويوقدون نيران المحارق وذلك بدأب عنيد منذ القرن الرابع (...) ويشهد التاريخ بأنهم تسببوا في قتل ملايين وملايين من البشر في كل القارات، لمدة قرون طويلة باسم «الله»، ممسكين الإنجيل بيد وبالسيف باليد الأخرى: وتوالت محاكم التفتيش، والتعذيب، والاستجواب، والحروب الصليبية، والإبادة، وأعمال النهب والسلب، والاغتصابات، والإعدام، وتجارة العبيد، والإهانة والاستغلال والقتل العرقي والقتل الجنسي، والمستعمرين الإسبان (الكونكويستادور) شديدي المسيحية في عمليات الإبادة، وتدخل الكنسيون في أيامنا في رواندا واغتيال مسلمي الهوتسي، والتحالف مع كافة أشكال الفاشية في القرن العشرين**» (صفحة ٢١٨ و٢١٩).

ونطالع في كتاب «مبحث في الإلحاد» كيف قام المسيحيون بتحويل اليهود إلى «قتلة الرب» فمنذ ذلك الاتهام الذي تزخر به الأناجيل، التي تعد بحق المستودع الرسمي لمعاداة السامية، حتى اعتراف البابا يوحنا بولس الثاني بدولة إسرائيل في أواخر ١٩٩٣ مروراً بذلك التاريخ الممتد بين الكنيسة الكاثوليكية الرسولية الرومية وكل ما يندرج تحت بند معاداة السامية في التاريخ من أحداث ووقائع - ولا ندافع هنا عن اليهود ولكننا نسرد التاريخ الكنسي.

ولأن اليهود تمسكوا بشرعهم ورفضوا الدخول في المسيحية فقد سامتهم المؤسسة الكنسية سوء العذاب، ولاحقتهم في كل مكان، وفرضت عليهم أحياء معينة يعيشون فيها وفرضت عليهم ارتداء قبعة صفراء موسومة بالصليب كنوع من الإهانة لرفضهم، كما طردوهم من الأماكن التي يقيمون فيها مثلما حدث في القرن الثاني عشر أيام حرب الاسترداد وطرد المسلمين واليهود من إسبانيا. ولا يسع المجال هنا لسرد كل عمليات القهر المتعمد ويكفي أن نطالع جزءًا مما أورده القس رنيه لورانتان، وكان من الآباء الاستشاريين الذين حضروا مجمع الفاتيكان الثاني. إذ يورد في كتابه عن «**الكنيسة واليهود في مجمع الفاتيكان الثاني**» جزءًا من لائحة محاكم التفتيش الصادرة في ١٥ سبتمبر ١٧٥١ والذي تم تعليقها في كافة الميادين وفي مدارس اليهود.. وهو كشف مكون من ٤٤ بندًا أورد منها ما ينص إجمالاً على:

- يمنع اليهود من شراء أو استلام أية كتب باللغة العبرية أو مترجمة من العبرية إلى أي لغة أخرى.
- ألا يقوموا بأية شعائر أو احتفال جنائزي أو حتى جنازة عند نقل موتاهم وهم في طريقهم إلى المقابر وإلا دفعوا غرامة، وحُرموا من الشمع، ويعاقبوا جسديًا هم وذويهم وأقارب الميت.
- عدم بناء أية معابد يهودية إضافة إلى ما يمتلكونها.
- يمنع أي يهودي أيًا كان أن يأوى في بيته أو دكانه، أن يأوى أي متعاطف أو أي فرد ميال لليهودية أو حتى إطعامه.
- تنفيذًا لما ورد في القرار البابوي لبولس الرابع والذي جدد العمل به البابابيوس الخامس، على اليهود رجالاً ونساءً أن يرتدوا العلامة الصفراء والتي تميّزهم عن باقي البشر، وأن يرتدوها في كل مكان حتى وسط اليهود وفي أي بلد، أي أن يرتديها الرجال على قبعاتهم وتحتها وتثبيتها حياكة وكذلك النساء.
- يمنع منح اليهود تصريح بأي استثناء لعدم ارتداء القبعة الصفراء.
- يمنع اليهود من توزيع أو بيع أي لحوم للمسيحيين يكونوا هم ذبحوها وإلا عوقبوا بالغرامة والسجن.
- يمنع اليهود من شراء ألبان أكثر من حاجتهم أو تصنيعها إلى جبن وبيعها للمسيحيين.
- يمنع اليهود من الاستعانة بمولدة أو داية أو مرضعة مسيحية وإلا عوقبوا بالغرامة والسجن.

- استمرارًا لما ورد في القرار الثالث للبابا بولس الرابع وفي القرار التاسع عشر للبابا كليمنت الثامن يمنع اليهود من اللعب والأكل والشرب أو أن تكون لهم أية علاقات أو محادثات خاصة مع المسيحيين.
- يمنع اليهود أيًا كانت أعمارهم أو نوعهم استخدام عربات الجياد لتنقلاتهم أو في أسفارهم وإلا عوقبوا بالغرامة والسجن.
- لا يمكن ليهودي أن يبيت خارج حيّ اليهود، وعليه أن يلتزم بمواعيد الدخول والخروج وألا يخرج قبل الموعد المحدد وإلا تعرض للسحل إن كان رجلاً وللجلد إن كانت امرأة.
- يمنع اليهود من السكن خارج حي اليهود ويمنعوا من الذهاب إلى أية أماكن ترفيهية أيًا كانت بزعم الترويح عن النفس.
- بما أن التبشير هو الوسيلة الأقوى والأكثر فعالية لتنصير اليهود، كما هو وارد في دستور نيكولا الثالث والدستور رقم ٩٢ لجريجوار الثالث عشر، فإننا نأمر الحاخامات أن يستخدموا كل نفوذهم ليذهب اليهود لحضور دروس التبشير أو المحاضرات التي تعطى يوم السبت أو أي يوم آخر.

توقيع في قصر محاكم التفتيش العالمية الرومية

في ١٥ سبتمبر ١٧٥١

يوسيبيوس أنطوان كالابريني

موثق محكمة التفتيش المقدسة الرومية والعالمية

(وارد بكتاب رنيه لورانتان صفحات ١٦ - ٢٠)

وحينما نطالع في نفس المرجع (في صفحة ١٠٣ و١٠٤) ما صدر في ٢٥ مارس ١٩٢٨ من نفس المكتب المقدس (وقد تغير اسمه وحزفت منه عبارة محاكم التفتيش لارتباطها في الأذهان بذلك السجل الدامي اللاإنساني الممتد عبر التاريخ) نطالع في البيان الذي أصدره الفاتيكان والمكون من اثنتى عشرة نقطة وندرك منه مدى التغيير الذي حدث في موقف الفاتيكان، وتنص هذه البنود على استبعاد عبارة «الشعب قاتل الرب»، واستبعاد ذكر عبارة «قتلة الرب»، وعدم استخدام عبارة تنصير اليهود وإنما أن يقال عودتهم للإيمان، وعدم التحدث عن صعوبة تنصيرهم، وعدم التحدث عن تلك القصص غير المعقولة التي تم نشرها ضد اليهود وخاصة قتلهم لأحد الأطفال المسيحيين في بعض طقوسهم، عدم التحدث عن احتفالاتهم، خاصة بعدم احترام، عدم التحدث معهم بالمبالغة أو التعميم أو بالسخرية، عدم التحدث بصورة معادية للسامية، ويراعى الإشارة

إلى الحب الإلهي تجاه شعب إسرائيل، والتعبير عن ذلك الحب المتمثل في تجسد المسيح ورسالته، وعن استمرارية هذا الحب بل وتزايده بموت المسيح، وعن الشهادة بهذا الحب لدى الحواريين!

وسبحان مغير الأحوال..

إلا أن رنيه لورانتان يكشف عن أن هناك عدة محاولات قد تمت مع مطلع القرن العشرين لتنقية الأجواء بين الكنيسة ومن كانوا ألد أعدائها لمدة حوالي ألفي عام. فالمصاعب التي صادفت بولس في التبشير وكل مالاقاه من تهديد بالموت أو بالرجم، إضافة إلى هدم المعبد في سنة ٧٠م، فقد ساعد ذلك على نقل عمليات التبشير خارج الأراضي الفلسطينية.. وكان اليهود قد حصلوا سنة ٢١٢م أيام حكم كاركالللا على حق المواطنة، إلا أنه قد تم إلغاؤه عند سيادة المسيحية في القرن الرابع، وبدأ الخناق يتزايد حول اليهود. وقد استبعدهم قانون چوستنيان في القرن السادس تماماً من المحافل العامة مع أية ممارسات دينية لهم وأدان التلمود. وكانت كل هذه المساعي من إمبراطور بيزانطي ترمي إلى تحقيق وحدة الإمبراطورية بتوحيد وحدة الإيمان والمعتقد. وهو ما استمر حتى القرن السابع عشر تقريبًا. فكان كل الحكام الكاثوليك والبروتستانت يقومون بكل ما في وسعهم لاستبعاد من ينتمون إلى عقائد أخرى.

وامتد هذا الحال لأكثر من ألف عام وتعد أسْوَد مراحله من بداية الحروب الصليبية حتى أواخر القرن الثامن عشر، الذي تزايدت فيه الاتهامات ضد اليهود بما في ذلك اتهامهم بوباء الطاعون الذي تفشى سنة ١٣٤٨ وتصاعدت قمة معاداة وإبادة ثلاثمائة جماعة يهودية، كما تزايدت الإدانات والإجراءات الكنسية بصورة محبطة، فقد قام مجمع لاتران الرابع بفرض تمييزهم بعلامات على الثياب، وفي ١٥٥٥ أجبر البابا بولس الرابع اليهود على الإقامة في أحياء بعينها وأطلقوا عليها اسم «الجيتّو» بمعنى معزل أو مَنْبِذ، كما أجبرهم البابا جريجوار الثالث عشر على الاستماع إلى التبشير المسيحي، بينما قام البابا بِنْوا الرابع عشر بفرض التعميد الإجباري لأولادهم..

أما هذه العداوة فقد بلغت ذروتها طوال حكم النازي الذي أسفر عن تعاون الفاتيكان معه!. فلا يمكن لمن يتناول هذه النقطة بالدراسة إلا أن يلحظ ذلك الشغف المتبادل بين هاتين السلطتين لإقتلاع اليهود والشيوعيين! (صفحة ٢٢١) – والكلام وارد في كتاب القس رنيه لورنتان، الذي كان يعمل مستشارًا في لجان المجمع الفاتيكاني الثاني وأستاذاً في الجامعة الكاثوليكية بمدينة أنجيه..

فلقد قامت الكنيسة بتوقيع تحالف مع هتلر ما أن وصل إلى الحكم سنة ١٩٣٣.. وصمتت الكنيسة على مقاطعة التجار اليهود، وصمتت عند إعلان الأحكام العنصرية في مدينة نارنبورج سنة ١٩٣٥، وصمتت أيضًا فيما يطلق عليها «ليلة الكريستال»، وهي الليلة التي قام فيها النازي بحرق مائة معبد يهودي وتكسير ونهب سبعة آلاف وخمسمائة محل يهودي. وقد تم إطلاق هذا الاسم سخرية من كثرة ما تم تكسيره من زجاج الفترينات ومحتوياتها في ٩ نوفمبر ١٩٣٨.. كما قامت الكنيسة الكاثوليكية بتقديم أرشيفها للنازي الذين أصبحوا يعرفون من هم مسيحيون ومن هم يهود - لكنها لم تقدم أسماء اليهود الذين اعتنقوا المسيحية أو تزوجوا بمسيحيات بعد اعتناقهم المسيحية. كما ساندت الكنيسة المدعو بالفيتش النازي في كرواتيا، ومنحت مباركتها المطلقة للنظام الفرنسي المتعاون مع الاحتلال الألماني منذ ١٩٤٠، كما أن الكنيسة الكاثوليكية الرسولية التي كانت على دراية تامة بسياسة الإبادة التامة منذ ١٩٤٢ لم تقم بأية إدانة لا سرّية ولا علنية..

بل على العكس من ذلك، أن الذي فعلته عند سقوط النازية هو إقامة قداس على روح أدولف هتلر!.. وبغض الطرف عن أيًا كان عدد ضحايا المحارق الجماعية، فإن الفاتيكان لم يقم بإدانتها وإنما قام بتنظيم مهرب لمجرمي الحرب خارج أوروبا بتقديم يد العون بأوراق ومستندات وتأشيرات بخاتمها.

وبينما شارك الفاتيكان بالصمت في تلك الأحداث فقد اتخذ العديد من التدابير ضد الشيوعية لاقتلاعها كنظام يمنع استغلال الدين لتحقيق مآرب سياسية ويلغي العبودية والاستعباد، وكلها أحداث لم يغلفها النسيان بعد.. فلقد برعت الأيادي العابثة في الكنيسة وبها في هدم الحضارات مثلما برعت في اقتلاع الآخر، ولم ينس التاريخ بعد سنة ١٤٩٢ التي لا تمثل اكتشاف العالم الجديد فحسب، وإنما تمثل في الواقع بداية هدم العوالم الأخرى واقتلاعها.. إن المرء ليقشعر وهو يقرأ مذكرات الأب بارتولوميه دي لاس كازاس، الذي سافر إلى هناك في موكب الاستعمار والتبشير، فانقلب إلى واحد من أوائل المدافعين عن حقوق الإنسان وراح يشكو للملك من كثرة ما رآه من أعمال وحشية ومجازر وتفنُّن في اختلاق وسائل تعذيب للسكان الأصليين!

فمن الواضح أن الميول الكنسية للإبادة الجماعية واقتلاع الآخر، التي تمتد جذورها إلى أولى أيام استتبابها وتتواصل في شتى بقاع العالم، وتكفي الإشارة إلى تسلل رجالها مع جيوش غزو احتلال العراق وتسلل رجالها في حملات تبشيرية متزايدة في العالم

الإسلامي والعربي وغرس إنجيلها بالسلاح بنفس الحيَل التي برعت فيها لفرض التعتيم والظلمات لأكثر من ألف عام على أتباعها في شتى بقاع إمبراطوريتها، وحرّمت التعليم إلا على رجالها، وحرّمت تعليم اللغة وقواعدها لكي لا يفهم أحد ما تلاعبت به في النصوص، بل وحرّمت عليهم قراءة «الكتاب المقدس» الذي ابتدعته كما حرّمت عليهم امتلاك نسخة منه - ولعلها كانت محقة كل الحق في ذلك فما أن بدأ التعليم ينتشر رغمًا عنها وبدأ عصر التنوير حتى بدأ المثقفون يقرأون ويقارنون ويكتشفون ما قامت به من تحريف وتلاعب في النصوص، فبدأت تفقد مصداقيتها بنفس الدأب الذي نسجت به خطاها..

وكل ذلك يتم بمنطق واحد: أي اعتداء تقوم به يعد حقًا بموجب «المحبة»، ومن يكشف فرياتها أو يدافع عن نفسه وكيانه يدان لأن ذلك في نظرها يتم بموجب العداء والإرهاب!..

إن المؤسسة التي تحمل على كاهلها مثل هذا التاريخ الأسود الذي، أقل ما يوصف به أنه جبروت جبّار، لتفرض به استبدادها المدجج بالسلاح والطغيان، ومثل هذا القهر والقمع لفرض نفوذ لا يأبه إلا بأهدافه وأغراضه على مدى ألفي عام، وخاصةً كل ما كالته لليهود من إدانات، لا يعد لافتًا للنظر فحسب وإنما يدفع بإلحاح إلى التساؤل: ما الذي يدفع بمثل هذه المؤسسة إلى تغيير مثل هذا المسار العتيد فجأة وتقوم بتبرئة اليهود؟!

والمتابع للأحداث المواكبة لهذا المؤتمر الفاتيكاني الثاني، بل وما سبقه من إعداد ولقاءات وقرارات ومطالب من قِبَلِ اليهود لابد وأن يدرك أن هناك ثمة أشياء تحرك وتتحكم في الأحداث دون أن تفصَح عن كنهها.

فكلمة «اليهود» تظهر ٧٨ مرة في أعمال الرسل، وهي فرضا أول ما كتب من نصوص، منها ٦٧ مرة في آخر خمسة عشر إصحاحًا، التي تقص تبشير بولس لدى الوثنيين. وهو ما يكشف عن عملية تصعيد الاتهامات. وفي إنجيل يوحنا، وهو من المفترض آخر ما كتب في هذه النصوص، نطالع كلمة «اليهود» ٧٠ مرة، منها ٣٥ إدانة صريحة لليهود الذين يكرهون يسوع ودبروا قتله وقاموا بتنفيذ هذا القتل.

وإن كانت المؤسسة الكنسية قد فرضت منذ قيامها أنها أصبحت هي شعب الله المختار، وليس اليهود، الذين فقدوا ذلك الامتياز بموجب انتقاله إلى الكنيسة بقرار

منها. ونطالع في بداية الفصل الثاني من وثيقة المجمع الفاتيكاني الثاني، المعنونة «شعب الله»، نطالع في بداية البند السادس عشر ما نصه:

«وأخيراً أولئك الذين لم يتلقوا الإنجيل بعد مأمورون بطرق مختلفة أن ينضموا لشعب الله. وأولاً حقيقةً ذلك الشعب الذي أعطيت له العهود والوعود والذي انبثق منه المسيح وفقاً للجسد، فهو شعب محبوب جداً وفقاً للاختيار بسبب آبائه: لأن عطايا الله ونداءه هي بلا ندم. كما أن هدف الخلاص يضم أيضاً أولئك الذين يعترفون بالخالق، ومن بينهم أولاً المسلمون الذين يؤمنون بإبراهيم ويعبدون معنا الإله الواحد، الرحيم، الذي سيحاكم الناس في اليوم الآخر (...) إن كل ما يوجد لديهم من خير وحقيقة تعتبره الكنيسة إعداداً للتبشير وهبة من الذين يلهم كل إنسان أن يحصل على الحياة».

أي أنه وفقاً لوثيقة «شعب الله»، فإن اليهود والمسلمين وباقي شعوب الأرض مأمورون بالدخول في المسيحية. وعلى الرغم من هذا الأمر الصريح، فإن وثيقة «في زماننا هذا» التي برأت اليهود من دم المسيح والتي تم الاعتراف بناء عليها بدولة دينية لليهود، تنافي أو تناقض الأوامر السابقة. إلا أن أهم ما تكشف عنه هو عمليات التحايل والمغالطات التي تم نسجها للتمويه على الأتباع أو لاستغفالهم وتمرير ما تؤتمر به هذه المؤسسة!

وقد كان البابا يوحنا الثالث والعشرين، الذي دعا لعقد ذلك المجمع، كان أول من ألغى سنة ١٩٥٩ ذكر عبارة «غدر اليهود» من القداس. وخاصةً قداس يوم الجمعة المقدس. وقد اعتمد هذا البابا على عبارة «الغدر اليهودي» أو «اليهود الغدّارين» ليبدأ عملية تبرأتهم قائلاً إن كلمة Perfidia اللاتينية لا تعني غدر؟!

وبالرجوع إلى القاموس اللاتيني سومير (Sommer) وهو قاموس لاتيني/فرنسي طبعة سنة ١٩٢١ دار نشر هاشيت بباريس، نطالع أن معنى كلمة perfidia هو:

perfidie, trahison, déloyauté, manque de probité أي على التوالي: غدر، خيانة، خداع، عدم أمانة. وإن كان المقابل المباشر في كل اللغات اللاتينية يحمل نفس المعنى فقط، إلا أن سيادة البابا قد رأى إضافة معنى جديداً لما لا إضافة فيه، وجعل معناها: «غير مؤمن» (incroyant) للتحايل والتبرير.

وفي صيف ١٩٦٠ استقبل هذا البابا المؤرخ يوليوس إسحاق، المعروف بدراساته لتطور أساطير معاداة السامية، وقدّم ملفاً للبابا يحتوي على ثلاثة موضوعات:

١ - برنامج لتصويب التعليم المسيحي المتعلق بإسرائيل.

٢ - نموذج من أسطورة فرضها اللاهوت الكنسي: شتات إسرائيل كعقاب إلهي.

٣ - مختارات من كتاب التعليم الديني الذي أصدره مجمع ترانت، ليثبت أن أتهام اليهود بقتل يسوع ينافي التراث الكنسي.

وفي نفس سنة ١٩٦٠، وفي إطار الإعداد لمجمع الفاتيكان الثاني، تقدم المعهد الإنجيلي بطلب أن يقوم المجمع بمعالجة المسألة اليهودية. وفي نفس العام أيضًا، تقدم القس أوستريخر (Oesterreicher) وهو بدرجة أسقف، ويشغل منصب مدير المعهد العبري - المسيحي في سيتون هول بالولايات المتحدة، بطلب موقع من ١٥ قسيسًا لكي يتم تطهير التعليم الديني المسيحي من العبارات الجارحة ضد اليهود.

وفي نفس ذلك العام أيضًا اجتمع عدد من الكنسيين الدوليين وبعض العلمانيين في مدينة أپلدورن في هولندا لصياغة مذكرة حول دور الشعب اليهودي في تاريخ الخلاص وتم تقديمه للكاردينال بيا المنظّم أو المسؤول عن إعداد الدورات واللجان. وكلها نصوص واردة بكتاب رنيه لورنتان عن «**اليهود والكنيسة في مجمع الفاتيكان**»!

وكل المقصود من هذه الاجتماعات السابقة أو الجانبية والمواكبة هو دراسة كيفية تنفيذ الأوامر الصادرة، المملاه على المؤسسة الكنسية، ودراسة كيفية إدخال هذه التحولات على عقلية الأتباع، في وقت كانت فيه مجرد حضور بعض اليهود كمراقبين لجلسات المجمع تثير الزوابع!

ومن اللافت للنظر أن نجد في الكتاب المعنون «**علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية**» والصادر عن مطبوعات الفاتيكان صفحة ٣١٠، ٣١١ قرارات المؤتمر الذي كان قد انعقد في مدينة سيليزبرج بسويسرا في أواخر عام ١٩٤٧ وحضره ستون كاثوليكيا وبروتستنتيا ويهوديًا من أجل تدارس كيفية التغلب على ما بالأناجيل من نصوص تساعد على احتقار وكراهية الشعب اليهودي. وقد أصدر هذا المؤتمر عشرة قرارات عليها أن توجه عمليات التبشير بالمسيحية والتعليم المسيحي، وهي:

١ - التذكرة بأنه نفس الإله الحي الذي يتحدث إلى الجميع في العهد القديم كما في العهد الجديد.

٢ - التذكرة بأن يسوع قد وُلد من أم يهودية، من نسب داوود من الشعب الإسرائيلي، وأن محبته الدائمة وعفوه يشمل شعبه والعالم بأسره.

٣ - التذكرة بأن التلاميذ الأوائل والحواريين وأوائل الشهداء كانوا يهودًا.

٤ - التذكرة بأن المفهوم الأساسي للمسيحية، وهو المحبة ومحبة القريب، كانت واردة من قبل في العهد القديم، وقد أكدها يسوع ليلزم بها المسيحيين واليهود في كل علاقاتهم الإنسانية بلا استثناء.

٥ - تفادي الإقلال من شأن اليهودية الإنجيلية أو ما بعد الإنجيلية بغية إعلاء شأن المسيحية.

٦ - تفادي استخدام كلمة «يهود» بالمعنى الذي يجعل منهم أعداء يسوع، أو استخدام عبارة «أعداء يسوع» للإشارة إلى الشعب اليهودي بأسره.

٧ - تفادي تقديم «آلام يسوع» بحيث تقع بشاعة قتله على كل اليهود أو على اليهود وحدهم. لأنه لم يكن اليهود جميعًا هم الذين طالبوا بموت يسوع. وليسوا اليهود وحدهم هم المسؤولون لأن الصليب الذي ينقذنا جميعًا من خطايانا هو سبب موت يسوع. (التذكرة لكل الأهالي والمدرسين المسؤولية الجسيمة التي تقع عليهم بتقديم العهد الجديد، خاصة آلام يسوع بصورة غير حقيقية. لأنهم قد يتسببوا بذلك أن يؤججوا العداء في وعي أو لا وعي أطفالهم أو مستمعيهم. فمن الناحية النفسية، ولدى البسطاء الذين تحرك مشاعرهم الحب الجارف ليسوع المصلوب فإن البشاعة التي يشعرون بها ممن قتلوه ستنقلب بسهولة إلى عداء عام ضد اليهود في كل زمان بما في ذلك في أيامنا هذه).

٨ - تفادي ترديد اللعنات الواردة بالأناجيل وخاصة عبارة «ليقع دمه علينا وعلى أبنائنا» دون الإشارة إلى تلك الصرخة التي قالها يسوع: «اغفر لهم يا أبي لأنهم لا يعرفون ما يفعلون».

٩ - تفادي إضفاء أية مصداقية على عبارة أن الشعب اليهودي ملعون ومرفوض ولا ينتظره إلا مصير من الآلام.

١٠ - تفادي الحديث عن اليهود وكأنهم لم يكونوا أول من مثّل الكنيسة.

والقارئ لهذه الشروط العشرة لا يملك إلا أن يتساءل عن مغزى هذا التحكم في خط سير المؤسسة الكنسية إلى درجة يجعلها تخرج عما هو وارد بنصوصها الإنجيلية وتتبنى خطًا مغايرًا تمامًا - خاصة وأن منها قرارات قد صدرت في البيان الختامي للمجمع والخاص بتبرئة اليهود من دم المسيح!

بل والأغرب من ذلك أن يقوم البابا يوحنا بولس الثاني حينما تولى البابوية ليعد اليهود بإعادة النظر في تعديل سبعين آية من آيات الأناجيل لتتمشى مع مطالبهم - وكلها وثائق موجودة ومتداولة - وهو ما يؤكد اعتيادهم على التغيير والتبديل!

بل والمتابع لتحركات الباب الجديد، أو البابا الحالي، بنيديكت السادس عشر، سيلحظ أن هناك موقفًا شديد الوضوح من جانبه تجاه اليهود. فمنذ أول يوم لتوليته منصبه الجديد - بعد أن كان رئيسًا لمحاكم التفتيش، فإن أول ما فعله هو إحاطة كبير الحاخامات باختياره لذلك المنصب! ولا يسع المجال هنا لسرد كل مواقفه الموالية لليهود لمتابعة أحداث المجمع الفاتيكاني الشهير..

ولقد كان هذا القرار الخاص بتبرئة اليهود من دم المسيح هو أكثر نصوص المجمع التي أثارت تعليقات صحفية وانتقادات عامة بل وانقسامات داخلية وصلت إلى درجة الابتعاد أو الاستبعاد عن المؤسسة الكنسية. بل نفس عملية الاقتراع على نص تبرئة اليهود وبعد كل التعديلات التي طالته، فإن ١٧٦٣ أسقفًا وافق عليه، بينما اعترض ٢٥٠! ويقول الأب كوتييه الذي صاغ هذا الجزء من المتابعة في الكتاب الصادر عن الفاتيكان: «**إن عملية تكوين هذا النص كانت شديدة الصعوبة، وأحيانًا مأساوية، إلا أنه نجم من منطلق «المحبة لليهود». وأن الاعتراضات المتصلبة التي أثارها، والتهديدات التي خُشي أن تنعكس على المسيحيين في الشرق قد أدت إلى تعديلات بدت وكأنها نزعت عن النص كل دفئه وحماسه.. إلا أن كلمات البابا بولس السادس التي قدم بها هذا النص قد أعادت إليه ذلك الدفء وأكدت أنه موجود متقداً في قلب الكنيسة**» (صفحة ٧٨)!

ومن الأحداث العامة الجديرة بالملاحظة، أنه منذ سنة ١٩٦٤ - أي قبل انتهاء أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني، أصبح للفاتيكان وضعًا مميزًا في الأمم المتحدة كدولة غير عضوة ومراقب دائم. والمعروف أنه في العشرينيات من القرن العشرين كانت جمعية الأمم المتحدة قد رفضت مثل هذا الوضع الذي يسمح له بالتدخل والتصويت في جلسات الأمم المتحدة وأن يسجل موضوعات في جدول الأعمال للجمعية العمومية وأن يمارس دوره القيادي بالنسبة للدول التي تتفق معه في الرأي. والكرسي الرسولي هي الدولة الوحيدة التي لا تمثل شعبًا وإنما تمثل دينا، ولا يوجد أي معنى لتنعم هذه المؤسسة الدينية أو الكنسية بمثل هذا الدور المتفرد إن لم يكن لتمرير أغراض بعينها.. وهو ما تكشف عنه وقائع الأحداث.

إذا ما تركنا الفاتيكان جانبًا برهة لنتأمل التغيرات والتطورات التي طرأت على الكيان الصهيوني المحتل لأرض فلسطين، لأدركنا يقينًا أن هناك ثمة أمور أخرى تفوق في **جبروتها** ما فُرض على اليهود من جبروت حتى تحدث بعض الصحفيين والمعلقين

في الغرب عن «وقاحة الجبروت»، و«وقاحة العربدة في الساحة الدولية»، و«وقاحة ضرب عرض الحائط بأية قرارات».

ولسنا هنا بصدد تناول القضية الفلسطينية، فالقضية معروفة بكل أبعادها وبكل الأطراف التي اختلقتها، وبكل التنازلات والخيانات التي ساهمت وسمحت باغتصاب تلك الأرض، وبالمحاولات المستميتة لاقتلاع شعبها. لكننا نتأمل جزئية بعينها هي: كيفية انتقال تلك الفئة من الناس ممن فرض عليهم «الشتات» والمهانة والإذلال والملاحقة على مدى قرون، ليصل جبروتها إلى درجة أن تطيح بقرارات كافة المؤسسات الدولية قاطبة، بل ليصل ذلك الجبروت إلى هز كيان تلك المؤسسة الكنسية، وجعلها تخرج عما فرضته من نصوص وتعاليم وتحكم طوال ألفي عام، وتُبدّل نصوصاً فرضتها حيناً على أن «الله هو مؤلفها» وحيناً آخر على «أنه أستعان بالروح القدس ليلهم مؤلفيها» وفي جميع الأحوال خرجت خروجًا لا يمكن لأحد أن يغفله.

فكيف تحولت تلك الفئة اليهودية من القهر إلى قهر أعتى مؤسسات العالم؟ ولا نقول شيئًا عن الجانب السياسي وتحكمها فيه، وتكفي الإشارة إلى تلك المغالطة في المجال النووي، فإن إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي رفضت التوقيع على اتفاقية الخضوع لتفتيش لجنة الطاقة الذرية، وهي الدولة الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط التي تمتلك القنبلة الذرية - ولا نتحدث عن عددها - بل لقد أعلن مردخاي ڤانونو، أحد المهندسين العاملين في مفاعل ديمونا، سنة ١٩٨٦ للصانداي تايمز، عن وجود برنامج عسكري نووي، وقد تم اعتقاله في إيطاليا وحوكم بالسجن ثمانية عشر عامًا، وتم الإفراج عنه في ٢٠٠٥/١١/١٨، بل يتحدثون الآن عن برنامجها الإيدروچيني في الوقت الذي قامت فيه الدنيا ولم تهدأ من مجرد إعلان إيران عن مواصلة العمل في البرنامج الذري في المجال المدني وليس الحربي.

ومن الأبجديات المعروفة مدى مساعدة الدول الغربية المسيحية الكبرى لإسرائيل، ومدى مساندتهم لها والعدوان الثلاثي على مصر ليس ببعيد. ففي هذه الأيام وفي إطار برنامج «الشراكة الاستراتيجية» بين البلدين، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بمنح إسرائيل أموال إضافية لتدعيم ترسانتها الحربية. وقد وافق الكرنجرس في أواخر ديسمبر ٢٠٠٥ على منح إسرائيل منحة ١٣٣ مليون دولار لتطوير مشروع الصواريخ «أرو» (Arrow) إضافة إلى تمويل مبلغ ٦٠٠ مليون دولار إضافية لمشروعات دفاع مشتركة، إضافة إلى ما تتلقاه من معونات مالية سنوية.

وهذه القواعد للصواريخ التي يتم تشييدها على أنها قواعد دفاعية فهي تعد - في واقع الأمر - دفاعية وهجومية، ومدى الصاروخ منها يتراوح فيما بين ٦٠ و ١٠٠ كيلو متر. ولاشك في أن إسرائيل تسهم في إشعال الاعتراضات ضد إيران باتهامها بلا أية أدلة بامتلاك أسلحة نووية مخالفة لاتفاقية الحذر. ومع ذلك فإسرائيل هي الدولة الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط التي تمتلك القنبلة الذرية من غير وجه حق، وبالتالي هي التي أصبحت تهدد أمن المنطقة، وما من أحد يعترض أو يحتج!!

والعالم يرى ويسمع ويصمت صمت القبور - اللهم إلا بعض أصوات الأمناء التي ترتفع هنا وهناك في محاولة دفاع عن الحق أو حتى عن شيء من الحق، لكن ضجيج الغطرسة أقوى وأعتى لإسكاتها..

وإذا ما انتقلنا إلى جانب السخرية المواكب لمرض أرييل شارون وتعليق القس بات روبرتسون الذي كان قد أعلن أن مرض رئيس الوزراء الإسرائيلي عقاب من الله بسبب قراره سحب القوات الإسرائيلية من قطاع غزة! والقس روبرتسون معروف بعدائه الشديد للإسلام والمسلمين وبدفاعه الشديد المتعصب عن إسرائيل وعن اليهودية - المسيحية الجديدة التي تجتاح الولايات المتحدة، ومعروف بجبروت تعصبه المسيحي ومساندته للكيان الإسرائيلي، ومع ذلك قد أرغم على الاعتذار، مثلما أرغم الفاتيكان على الاعتذار، بل وتجدد طلب الاعتذار ثانية وبصورة واضحة عندما تم الاحتفال بمرور أربعين عامًا على وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح المعروفة بعنوان «في زماننا هذا».

بل إذا ما تأملنا الدراسات الحديثة في المجال الديني المسيحي، لرأينا أن كثيرًا منها يبدو وكأنها تنتزع يسوع من المسيحية لتعيده إلى أصله اليهودي، والتأكيد على أنه لم يكن «أول مسيحي» وإنما كان يهوديًا ثوريًا ثائرًا ضد إنحلال وتفرّق اليهود وضد الاحتلال الروماني، وذلك في نظر البعض، أو أنه كان نبيًا مقتدرًا في نظر البعض الآخر، ولا نغفل كل من يدينون الأسطورة برمتها موضحين كيفية تكوينها من رقع متجاورة أو متراكمة حتى طغت الرقع على النسيج الأصلي. إلى جانب المؤتمرات والدراسات الجماعية ومن أشهرها الحلقة الدراسية المعروفة باسم «سمينار يسوع»، أو «ندوة يسوع».

وأهم ما خرج به فريق العلماء المكون من حوالي مائتين باحثًا أكاديميًا ولاهوتيًا، هو أن ٨٢٪ من الأقوال المنسوبة إلى يسوع لم يتفوه بها وإنما صاغها كتبة الأناجيل، وأن موت يسوع وبعثه حدث في المكان وبالكيفية التي أرادها كتبة هذه الأناجيل (صفحة ٢٤ من المقدمة).. وما يأسف له هؤلاء العلماء الجهل الشديد لدى عامة الشعب بكتابهم

المقدس، وخاصة العهد الجديد، وهو مستوى يصل إلى درجة الأميّة! فكثير من الناس لا يعرفون أن عدد الأناجيل المعتمدة أربعة، و كثير من الأمريكان لا يعرفون أسماء مؤلفيها. كما أن الجمهور عادة ما تُحجب عنه الدراسات الأكاديمية الجادة، وفي مثل هذا الفراغ العلمي تعبث أصابع المبشرين في التليفزيون على أوتار جهل مستمعيهم (صفحة ٣٤ من مقدمة كتاب «**الأناجيل الخمسة**»).

وكلها دراسات وأبحاث تنقب النصوص بحثًا عن يسوع خلف الواجهة المسيحية للمسيح.. فقد بات من المسلّم به أن يسوع الإنسان شيء، وأسطورة المسيح شيء آخر، وقد تم جمع الإثنين إلى أساطير أخرى، وكلها أبحاث ما كانت لتظهر لو كان التعصب الكنسي وحده هو المحتل للساحة، أو هو المتحكم فيها وحده.

وإذا ما راجعنا بعض التواريخ والأحداث بصورة خاطفة لأدركنا مدى التغيير الذي طرأ على مؤسسة الفاتيكان في علاقتها مع اليهود. فبخلاف تلك الرسالة التي أرسلها البابا الجديد للإحاطة باستلامه منصبه الجديد، نطالع شكر أسقف فرنسا للجماعة اليهودية لمساندتها للبابا أثناء الحملة التي تعرض لها في الصحافة بسبب اشتراكه في الشبيبة الهتلرية. وذلك أثناء زيارته للنصب التذكاري للمحرقة الذي أقيم في باريس، وقد أجابه رئيس المجلس الممثل للمؤسسات اليهودية في فرنسا، مؤكدًا على «الصداقة الحقيقية» التي تربط الكنيسة باليهود، مضيفًا: «سنساندكم دائمًا لتدعيم الحوار بين الكاثوليك واليهود، وسنساندكم حتى تكون علاقتنا لما يجب أن تكون عليه علاقاتنا مع الديانات الأخرى الممارسة في بلدكم، وسنساندكم حتى يمكن لجهود المؤمنين أن تعطي آفاقًا أسعد للإنسانية، وأخيرًا سنساندكم حتى يمكن فرض كلمة المصالحة على كل شعوب الأرض خاصة في الشرق الأوسط القريب من قلوبنا» (يوم الاثنين ٢ مايو ٢٠٠٥).

وفي الخطاب الذي ألقاه أسقف فرنسا القس فانترُوا، أشاد بالزيارة التاريخية التي قام بها لأول مرة في تاريخ البابوية حين زار يوحنا بولس الثاني المعبد اليهودي في روما وخاطب اليهود قائلاً لأول مرة في التاريخ: «إخواننا الأكبر منا»، وحينما أعلن نفس يوحنا بولس الثاني في ١٩٨٠/١١/١٧ مسؤولية الكاثوليك تجاه اليهود وأنها تتضمن ثلاثة أبعاد: تعليم التراث اليهودي للكاثوليك ، دراسة معاداة السامية وما اقترفه المسيحيون من أعمال على مر التاريخ، زيادة التقارب الروحي والديني بين اليهود والمسيحيين!

وعندما أدان البابا بنديكيت السادس عشر أحداث العنف التي وقعت في لندن في ٢٠٠٥/٧/٧، اتهمت الصحافة الإسرائيلية البابا بأنه «عديم الخبرة» إذ لم يضع اسم إسرائيل بين البلدان التي تعاني من الإرهاب، وتم تصويب الموقف الكنسي!

وفي ٢٠٠٥/١١/١٩ أوردت كل من صحيفة المومند والفيجارو الفرنسيتان الخلاف القائم بين الكاثوليك واليهود، إذ أن الفاتيكان يسعى إلى تثبيت حق وجوده الكنسي وإعفاء التجارة الكنسية من الضرائب على أن يتم ذلك «وفقًا للقانون الإسرائيلي حتى تتميز الكنيسة الكاثوليكية عن باقي الكنائس». ولا تزال المماطلة قائمة من الجانب اليهودي، لكي لا يُعطى الكيان الكنسي حق ملكية أراض في الأراضي المغتصبة أو التي تم اقتلاعها من الفلسطينيين. وهو ما أكده الرئيس كاتساف ثانية أثناء المفاوضات الثنائية وأنه سيبذل جهده لتسوية الموقف.

وفي ٢٠٠٥/١١/٣٠ أعلن البابا في خطاب عام «إن المحرقة سُبة وعار لا يمحى في تاريخ الإنسانية»!

وعند اكتشاف مقبرة جماعية لليهود في أوكرانيا من عام ١٩٤١ والتي سبقت المحارق الكبرى، أثناء اللقاءات الأوروبية بين اليهود والكاثوليك أعلن انزعاجه الشديد من هول هذا الشر الذي وقع على اليهود، مناديهم «شعبنا»! وفي اجتماع نفس هذه اللجان في ٢٠٠٥/١٢/٤ تم الإعلان عن «ضرورة أن يتعاون اليهود والكاثوليك في إفريقيا وأمريكا اللاتينية وأواكرنيا لخدمة المستقبل».

وفي ٢٠٠٦/١/١٧ عند استقبال البابا لكبير حاخامات روما الذي يدخل الفاتيكان لأول مرة في التاريخ، استقبله البابا هو والوفد الذي معه قائلاً: «حضر الحاخام الأكبر الشهير، أعزائي، شالوم»! ثم أعرب عن أسفه عن الكراهية وسوء الفهم السابقين وعن إدانته لمختلف أنواع معادة السامية، ثم قال: «إن الكنيسة الكاثوليكية قريبة منكم وصديقة لكم. نعم، نحن نحبكم، ولا يمكننا ألا نحبكم، بسبب آبائنا، فبالنسبة لهم أنتم أخوتنا الأعزاء والمختارون. فبعد المجمع الفاتيكاني الثاني أن هذه المشاعر لم تكف عن التزايد» ثم أعلن «عن أن الرسالة المشتركة بينهما مزدوجة، فهي رسالة تضامن بين اليهود والكاثوليك ورسالة لتعريف الوصايا العشر للأجيال الشابة»؟! وذلك في ٢٠٠٦/١/١٧ يوم الحوار مع اليهود.

وأجابه كبير الحاخامات ريكاردو دي سنيي قائلاً: إنه لا يمكنه أن ينسى الدور الذي لعبه جوزيف راتزنجر حينما كان رئيسًا للجنة عقيدة الإيمان، من أجل تدعيم الحوار بين اليهود والكاثوليك أيام رئاسة يوحنا بولس الثاني، ولعل ذلك يفسر السرعة المتفردة لانتخابه بابا كما يفسر الدور «الخفي» الذي لعبته السياسة الأمريكية لاختياره..

ترى هل مثل هذه النصوص بحاجة إلى تعليق؟ أن شدة تغيير الموقف الذي تحول من الإبادة والاقتلاع إلى ضرورة تدريس الوصايا العشر - أي تدريس اليهودية للأجيال القادمة تؤكد أن هذه «الصداقة» تخفي وراءها ما لا يمكن إغفاله: تخفي عملية ترويع وابتزاز، أو عملية مساومة أشد وأعتى من تلك المساومة التي بدأت بها المؤسسة الكنسية طريقها في القرن الرابع.

وهو ما يؤكده العديد من الباحثين من أن قسطنطين قد أحدث إنقلابًا مهولاً بمساومته رجال الأكليروس آنذاك من أجل لمّ شمل إمبراطوريته. فقد اعترف بالمسيحية مقابل إدخال المسيحيين الخدمة العسكرية. وأضاف العديد من القوانين الجديدة إرضاء لهم وبما سمح لهم بالإثراء، وبذلك جعله رجال الإكليروس يتصدر مجمع نيقيه الأول سنة ٣٢٥ حيث أعلن نفسه الحواري رقم ثلاثة عشر.

والذي لا يعرفه الكثيرون أن قسطنطين كان يرفض تأليه يسوع ولم يكن يقتنع سوى بالأريوسية التي ترفض تأليه السيد المسيح، وأنه عند وفاته - وكان قد ارجأ تنصيره إلى آخر لحظة في حياته، فإن قسا أريوسيا هو الذي قام بتنصيره وهو على فراش الموت - وهناك من الأبحاث ما تستنكر أنه تنصر.

ولعل ذلك يرجع إلى أنه قد تولى مهام حكمه كإمبراطور إلهي إذ تم تكريسه في مجمع نيقيه على أنه «المسيح الوحيد للإله الوحيد»، وتم إنشاء الكنيسة الكاثوليكية الرسولية الرسمية على هذا الأساس. وبذلك كان هناك تاريخيًا ثلاثة «ممسوحين» مسيح الأناجيل، وقسطنطين وشقيقه ليسينيوس الذي تم اغتياله وكان امبراطور الشرق، بينما كان قسطنطين إمبراطور الغرب ذو الطبيعة البشرية والإلهية. وكان يصك العملة الذهبية للإمبراطورية وعليها صورته وصورة إله الشمس التي لا تقهر والتي كان يتوحد بها تمامًا (Sol Invictus) والصورة موجودة بالملاحق.

ولا أدل على ذلك من النُصب التذكارية التي أقيمت له في مدينته مدينة القسطنطينية وأهمها:

- العمود المرتفع من الطوب الأحمر الذي يعلوه تمثالاً لقسطنطين الإله الشمس الذي يضيء الإمبراطورية بأشعته.
- الضريح الضخم الذي عُرف فيما بعد باسم كنيسة الرسل القديسين، وقد تم دفنه بها في مقبرة مرتفعة وسط اثنى عشر أثرًا تمثل الأبراج الإثنى عشر وقد تبدلت فيما بعد لتحمل أسماء الرسل!

وتواصلت عمليات التحريف لتكوّن طبقات متراكمة من التحريف والتلاعب بالكلمات لتخط مسيرة مؤسسة يعد المسيح بريئاً منها فهو لم يقل عن نفسه أنه مسيحًا، وقد انتهر من كان يقولها عنه (مرقس ٨:٣٠)، ولم يقم ببناء دار عبادة، ولم يكوّن فرقاً من القساوسة لتديرها، ولم يقم بتعليم حوارييه أية طقوس عبادية، ولم يقدم نفسه أبدًا على أنه الإله الأوحد الذي يتعيّن عليهم أن يعبدوه.

وواصلت المؤسسة الفاتيكانية مسيرتها بنفس الخطى التي يحفظها لها التاريخ حتى ذلك المجمع الفاتيكاني الثاني الذي فرض عليها بداية مسيرة أخرى، مسيرة ستتجرع فيها كل ما كالته لغيرها من ذل ومهانة قد تصل بها إلى درجة الاقتلاع!.

ولا أدل على ذلك، أو على أن بداية النهاية لجبروت ممتد قد بدأت فعلاً - لا أدل على ذلك من الخطاب الرسولي الأول للبابا بنديكت السادس عشر، الذي تم الإعلان عنه في ٢٧ يناير ٢٠٠٦؛ والذي يصدر بعد تسعة أشهر من توليه رئاسة الفاتيكان. والخطاب بعنوان: «الله محبة»! ولاشك في أن القارئ سيدرك معنى علامة التعجب، إذ أن من يحمل على كاهله مثل هذا التاريخ الجبار، من الصعب أن يصف نفسه قائلاً بأن رسالته هي «المحبة»!

واللافت للنظر أن الخطاب قد تم توقيعه يوم ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥، أي في يوم عيد ميلاد يسوع فرضًا - إذ طالعنا أنه كان أصلاً عيد ميلاد الإله مثيرًا وقد تم الاستحواذ عليه في القرن الرابع، وأن البابا يوحنا بولس الثاني قد أقر هذه الحقيقة.. والتساؤل هنا هو ما الذي أدى أو فرض فترة شهر ويومين لكي يعلن عن هذا الخطاب الرسولي في ٢٧ يناير؟! والمناسبة الوحيدة التي تتبادر إلى الذهن هي ما قررته الجمعية العامة للأمم المتحدة تخليدًا لذكرى التحرير من معسكرات النازي..

وأول ما يلفت النظر في هذا الخطاب - بخلاف أسلوبه المعتمد على المواربة وتغيير ملامح الأحداث، هو التنازل الغريب من جانب الفاتيكان لليهود، وهو هنا أمر لا يقل في فداحته ووقعه، على من يتابع الأحداث، من تبرئة الفاتيكان لليهود من دم المسيح سنة ١٩٦٥، وذلك رغم عشرات الآيات الشديدة الوضوح في اتهامها.

ولا يسع المجال هنا لتناول هذا الخطاب بالتفصيل - رغم إشارته إلى أن اليهود والمسيحيين وحدهم هم الذين يعبدون الله الحقيقي، ورغم ربطه بين الإسلام والانتقام والكراهية والعنف باسم الله، وأن الكنيسة الكاثوليكية هي التي عليها أن تسود العالم، والإشارة مرتين إلى الإمبراطور جوليان مع تغيير يكشف في عرض أو

قلب الحقائق التاريخية الثابتة، وكلها موضوعات تستحق الردود العلمية المطولة، لكننا سنتوقف عند النقطة التي تعني أو تهم هذه الجزئية من البحث، وهي: تنويعة التنازلات المجوجة التي قدمها لليهود.

نقول تنازلات ممجوجة لأن الخطاب كاد يخلو من الإشارة إلى العهد الجديد، وإنما استند فيه أساسًا إلى العهد القديم، قصصه وآياته وإصحاحاته وأنبياؤه ونشيد الإنشاد و«الأحابا» و«الدوديم» من كلمات المحبة اليهودية! - وهو الأمر المستغرب ممن في مثل مكانته الكنسية. بل من الواضح أن البابا نفسه قد أدرك كثرة استشهاداته اللحوحة التي امتدت حتى البند الثاني عشر بلا توقف، فقال: «وإن كنا حتى هنا قد تحدثنا عن العهد القديم فإن التداخل عميق بين العهدين كنص وحيد للمسيحية» إلخ..

والأكثر استغرابًا هو صمت الصحف الفرنسية وأصحابها عن التعليق على مثل هذا الخطاب، فمن الواضح أن التعليمات قد صدرت بعدم إثارة أية ردود أفعال حتى يمر في صمت، ويبتلعها الأتباع في صمت، ويتواصل الصمت كالمعتاد حينما تكون الرغبة هي التعتيم..

أما الأمر الفاضح في هذا الخطاب، فهو ليس مجرد ذكر اليهود أو الاستشهاد بهم أكثر من ستين مرة فحسب، وبتنويعات متفاوتة، وإنما إسناد البابا رسالة المحبة، التي ظلت المؤسسة الكنسية تردد طوال ألفي عام أن أهم ما أتى به يسوع هو المحبة، وأن الله محبة، وربنا يسوع محبة، وهو الذي ابتدع المحبة، وكانت تبيد كل من يخالف أو يقول عكس ذلك أو يكشف أن هذه الوصية قد وردت في العهد القديم، فها هو البابا في البند رقم واحد، في افتتاحية خطابه، يعلن بكل وضوح وثقة: «إن الإيمان المسيحي قد تلقى ما يمثل نواة الإيمان الإسرائيلي وأضفى إليها عمقًا جديدًا لأن سفر التثنية هو أول من قال تحب قريبك كنفسك» (١٩-١٨)!!

والجزء الأول من الخطاب بعامة عبارة عن مغازلة في غير مكانها لليهود، بل والملاحظ في أسلوب الخطاب عدم استخدام عبارة «يهود» إلا نادرًا، فقد يكون ذكرها مرة أو مرتين، لكن الكلمة المستخدمة هي «إسرائيل» بكل تصريفاتها وتنويعاتها لترسيخها..

والأمر الواضح من هذا الخطاب، أنه يعد بالفعل أول تطبيق عملي لما تحدثت عنه الصحف الفرنسية، في حينه، وما تم الإتفاق عليه، بين نفس هذا البابا، بنديكت السادس عشر، وريكاردو سينيي كبير حاخامات روما من أن الرسالة المشتركة بينهم هي

رسالة تضامن بين اليهود والكاثوليك، ورسالة لتعريف الوصايا العشر للأجيال القادمة!.. وهو نفس ما كان البابا يوحنا بولس الثاني قد وعد به عند زيارته للمعبد اليهودي في روما في ١٧ يناير ١٩٨٠.

ولقد قام البابا بتطبيق الدرس الأول.. ذلك الدرس الذي يطرح سؤالاً أكثر مرارة:

يصر الفاتيكان على أن رسالته هي تنصير العالم، وهو يبذل قصارى جهده لتحقيق ذلك، بل لا يكف عن حث الكنائس الأخرى واستخدامها في عملية التبشير والتنصير، بل لقد تم فرض هذا الموقف على الأتباع وعلى الكنائس المحلية في كل مكان. بزعم أنها الوسيلة الوحيدة للتصدي للمد الإسلامي واستصدار القوانين الأمريكية الترويعية لتنفيذ ذلك.. غير آخذ في الاعتبار أن ذلك تحديدًا هو ما يشعل الفتن ويولد العنف دفاعًا عن الذات وعن الدين وعن الهوية، فما عساه فاعلاً بتلك «الدويلة» الدينية التي ساعد على إنشائها ظلمًا وعدوانًا وانتزاعًا من أهلها لقوم لاحق لهم فيها وفقًا للنصوص؟ بل ما عساه فاعلاً بهذه «الدويلة» التي يمثل إنشاؤها خروجًا سافرًا عن دينه وتعاليمه - فما من إنجيل إلا ويذخر بعشرات الآيات التي تتهم اليهود «قتلة الرب»، بل هناك من الأبحاث اللاهوتية ما يثبت ذلك، ومنها رسالة الأب لاندوزي (Landouzie) بعنوان «هبة أرض فلسطين»..

ولا نسخر حين نتساءل بكل مرارة وألم:

ترى، هل سيقوم البابا بتنصير اليهود، أم أن الفاتيكان هو الذي سيتهود؟!

ويا لها من تنويعات جد مريرة على تنازلات أكثر مرارة..

الخاتمة

أول ما يلفت نظر الدارسين لتاريخ الديانة المسيحية هو ملاحظة أنها تُتهم بالتزوير والتحريف في النصوص والعقائد منذ بداية نشأتها. كما تُتّهم بالمعارك والتحريف في النصوص والعقائد منذ بداية نشأتها. كما تُتّهم بالمعارك الطاحنة والمذابح ضد كل من يتصدى لها سواء أكانوا أفرادًا أو شعوبًا.. وتعد هذه الاتهامات من السمات الأساسية لدى المؤرخين القدامى المعاصرين لهذه البدايات تقريبًا، وتزايدت بصورة واضحة في عصر التنوير، وامتد إيقاعها في القرن العشرين، خاصة بعد اكتشاف مخطوطات نجع حمادي بصعيد مصر، ومخطوطات قمران عند البحر الميت.

إنه خط متواصل اعتمادًا على الوثائق وعلى تقدم البحث العلمي واللغوي، وجزء كبير من هذه الاتهامات والإدانات بأقلام رجال نشأوا وتشربوا تعاليم المسيحية وعملوا في هيئة اكليروسها، ووصل العديد منهم إلى أعلى المناصب الكنسية، ورغمها فقد آثروا الابتعاد عن تلك المؤسسة الظالم أهلها وكشف خباياها.

والإجماع العام، بين العلماء والدارسين في الغرب المسيحي حاليًا، أنه لا توجد أية أصول أصلية للنصوص الإنجيلية، وأنها جميعًا منقولة عن نقل منقول، وأن أول أصول موجودة ترجع للقرن الرابع. وأن الأناجيل المعتمدة الحالية لم تكتبها الأسماء التي هي معروفة بها، إذ تمت صياغتها في أواخر القرن الثاني الميلادي، وأن نصوصها تتبدّل بالإضافة والحذف، من طبعة لأخرى، وفقًا للأغراض والظروف السياسية.

ويرجع السبب في ضياع هذه الأصول إلى أمرين، قيام نفس رجال الكنيسة بإخفاء معالم عمليات التزوير والانتحال من جهة، وما تعرضت له هذه النصوص من حملات إبادة تامة أيام الإمبراطور ديوكلسيان، وعلى مدى عشرين عامًا تقريبًا، في شرق الإمبراطورية وفي غربها. **لذلك يجمع المؤرخون حاليًا - ومنهم كنسيون، على أن كافة النصوص الإنجيلية والكنسية ترجع إلى ما بعد سنة ٣١٠م تقريبًا.**

ومع تزايد الفرق المسيحية وتناحرها، وتزايد عدد الأناجيل، قرر البابا داماز، في القرن الرابع، توحيد هذه الأناجيل - ويتفاوت عددها في المراجع من خمسين إلى سبعين إنجيلاً، وأسند بهذه المهمة القديس چيروم. وقام القديس چيروم بصياغة الأناجيل الأربعة من ذلك الكم السائد آنذاك. **لذلك يرفض العلماء والباحثون إضفاء أية قيمة تاريخية لهذه النصوص أو إضفاء أي صفة إلاهية عليها.**



وقد اعتمد القديس چيروم على الترجمة السبعينية، المصاغة باللغة اليونانية بدلاً من النص العبري المفقود، وذلك لصياغة العهد القديم الوارد بالكتاب المقدس الحالي. وهو ما يرفض اليهود الاعتراف به. وذلك العهد القديم، الذي صاغه القديس چيروم، هو الذي تستند إليه الكنيسة لاستخلاص عقائد من النص اليوناني لا يتضمنها النص العبري!

وما يقوله القديس چيروم في المقدمة التي وضعها للعهد الجديد موجهًا إياها للبابا داماز ويعترف فيها بأنه أخذ وبدل وغيّر في النصوص بناء على أوامره، تثبت بالقطع أن هذا الكتاب المقدس برمته، خاصة العهد الجديد، الذي شمله هذا التزوير لايمت إلى التنزيل الإلهي بأية صلة. ونورد نص هذا الخطاب - المقدمة كاملاً باللغة اللاتينية والعربية في ملاحق هذا البحث. وهذه المقدمة وحدها كافية لنسف أية مصداقية لهذه النصوص وللدين الذي بُني عليها!

وتتلخص الانتقادات الموجهة لتكوين العقائد إلى أنها مأخوذة عن الأساطير السائدة آنذاك في المناطق المحيطة بالمراكز الكنسية على امتداد الإمبراطورية الرومانية، وترسيخها قهرًا اعتمادًا على دمجها بالخطوط العريضة أو الرئيسية للتوجه الكنسي. ومنها فكرة المسيح المنقذ، والبعث والإفخارستيا، وما إلى ذلك من عقائد - وخاصة الحمل بلا دنس التي كانت مجهولة في القرون الأولى وقد فندها القديس توما بشدة. والمعروف حاليًا أن قصة البعث أو بعث يسوع بعد موته غير موجودة في النص الفاتيكاني المعروف باسم «كودكس فاتيكانوس».

وأهم ما يلتف حوله الإجماع حاليًا هو أن يسوع، كما تقدمه الكنيسة، لا سند تاريخي له، وأنه تركيبة تجميعية من عدة أشخاص، أهمها سيد العدالة، الوارد اسمه في النص الذي صاغه القديس چيروم والمعروف بالفولجات، وأپوللونيوس من طوانة، ويوحنا من جمالا (الجولان)، وهذا الشخص التاريخي هو الذي استند إليه القس السابق لويجي كاتشيولي في الدعوة التي رفعها في الكنيسة الإيطالية بتهمة استغلال أو استغفال الأتباع بتقديم شخصية مزيفة، وبفرض عقائد وأكاذيب لا سند تاريخي لها، وهو ما يعاقب عليه القانون الإيطالي - والأمر مرفوع للقضاء. وتعدد المصادر التي تم تجميعها لنسج أسطورة يسوع المسيح هو ما يفسر ذلك الكم الفاضح من التناقض سواء في أقواله أو في كتابة هذه النصوص الإنجيلية.



كما تؤكد الأبحاث أن يسوع لم يُصلب، ولم يُبعث، وأن كل هذه العقائد قد تم نسجها لغرس الوجود السلطوي الكنسي في المجتمع. وأن عملية قيام الكنيسة باختيار الأناجيل وإلصاق صفة الاستبعاد أو الأبوكريفا عليها تؤكد ما يكال لها من اتهامات. فكثير من هذه الأناجيل والعديد من الأصول التي ترجع لمطلع القرن الرابع لا يرد بها عملية الصلب، مثال النص المعروف باسم «الأصل» (Quelle) ويرمز له بحرف Q، وإنجيل توما، وبطرس، وإنجيل برنابا، كما أن هناك أناجيل تشير إلى زواج يسوع من مريم المجدلية.

بل ويؤكد الأب كوتييه، الذي صاغ أعمال مجمع الفاتيكان الثاني ووثيقة علاقاته مع الديانات الأخرى، وتولى هو الوثيقة الخاصة باليهود وتبرأتهم من دم يسوع، **فيقول إن عبارة «الشعب قاتل الرب» التي ألصقتها الكنيسة باليهود «لم تظهر إلا في القرن الرابع ولا وجود لها في العهد الجديد قبل ذلك»** (صفحة ٢٦١ «**المجمع الفاتيكاني الثاني**»).

وحتى أيام الأسقف أطنازيوس (٢٩٥ - ٣٧٣) لم يكن أحد يعترف بأن المسيح هو الله، وأنه في سنة ٣٩٨ قد تم إصدار قرار العقوبة بالموت على كل من يمتلك نصًا من نصوص الأناجيل. وأنه قد تم فرض أسطورة صلب المسيح في أواخر القرن الرابع، والدليل على ذلك أن عملية الصلب لا ترد بعقيدة الإيمان الأولى الصادرة عن مجمع نيفيه سنة ٣٢٥، الذي تم فيه تأليه يسوع، وإنما تم ذكرها في مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١. وعقائد الإيمان واردة بملاحق البحث.

تلك هي الصورة الإجمالية التي يخرج بها الدارس لتاريخ المسيحية ونشأتها والجبروت الذي مارسته المؤسسة الكنسية لتفرض ما اختلقته على الأتباع.

وأول ما يلفت نظر الدارس لمخطوطات قمران سيلحظ في بداية الأمر ضجة واسعة عند بداية اكتشافها، وضجة مختلفة النوعية عند نشرها، تفصل بينهما عملية صمت مطبق لمدة حوالي خمسة وعشرين عامًا وقعت خلالها تلك التغيرات الجذرية للفاتيكان.

وإضافة إلى هذه الملاحظة الأولى، توجد الملاحظات التالية:

- اليهود وحدهم هم الذين كانوا ينقبون في البداية في منطقة قمران ومسادا.
- إن إيجال يادين قد ترأس بعثات حفائر من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٨.
- أنه تم استيلاء اليهود على بعض المخطوطات وحجب البعض الآخر، وسرقة عدد منها وتلف جزء منها أثناء التخزين أيام العدوان الثلاثي على مصر.

أن هناك عدة أقوال لا يمكن إغفالها، ومنها:

- «إن المخطوطات بها معلومات إذا تم نشرها تنسف أركان الكنيسة».

- «إن سيد العدالة هو النموذج الأصلي ليسوع».
- «إنكم لن تروا هذه المخطوطات إلى الأبد».
- «هناك مخطوطات مهربة محفوظة في خزينة بأحد البنوك في الأردن» (العالم لانكستر هاردنج، آخر مدير بريطاني لقسم الآثار بمتحف الأردن وهو على فراش الموت).

ومن أهم ما تم الإعلان عنه:

- إن اسم سيد العدالة وارد في العهد الجديد الذي صاغه القديس چيروم في القرن الرابع.
- إن هناك معطيات في هذه المخطوطات تؤكد أنها معاصرة تمامًا لفترة المسيحية الأولى التي انهارت سنة ٧٠م مع تدمير المعبد لتبدأ المسيحية - الوثنية - البولسية مشوارها.
- إن الكنسية لم تسمح بنشر نتائج تحليل كربون ١٤ إلا بعد ترحيل تاريخها مائة عام إلى الوراء - أي إلى ما قبل الميلاد لاستبعاد أية شبهة بينها وبين المسيحية.

والمتابع للأحداث العالمية في المجال الديني يلحظ تغيرات واضحة المعالم في كلا المجالين المسيحي واليهودي. فالملاحظ في موقف الفاتيكان هو:

- الإصرار على توحيد الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما، ملوّحًا بالمد الإسلامي لتبرير التنازلات العقائدية من الكنائس الأخرى.
- الإصرار على تنصير العالم بفظاظة في مجالات ثلاثة: تنصير الغرب الذي ألحد عند اكتشاف التزوير والتحريف الذي تقوم عليه المسيحية، وإعادة تنصير الكتلة الشرقية حتى لا تتجه للإسلام، والتصدي للديانات الأخرى، خاصة الإسلام وغرس الكنائس قهرًا في أراضيه.
- خروج الفاتيكان عن تعاليم دينه أو الدين الذي نسجه وتبرئة اليهود من دم المسيح.
- تقديم تنازلات جذرية لا «باكتشاف» أنهم أبرياء فحسب وإنما الاعتراف لهم بدولة دينية هي الوحيدة من نوعها بل وتناقض مخطط الفاتيكان في تنصير العالم ولانملك إلا أن نسأل: **فما موقف الفاتيكان من تنصير اليهود؟!**
- صمت الكنيسة حيال الأبحاث الجديدة التي تنتزع يسوع من المسيحية وتعيده إلى أصله اليهودي! ففي الوقت الذي لم يكن فيه من الممكن لأي إنسان أن يشير إلى ذلك مجرد إشارة كان يتم نسفه، أصبحت المراجع في هذه الجزئية تملأ المكتبات.
- الإصرار على تكرار الاعتذار لليهود، ومنها التواريخ التالية:

١٩٦٠ : اعتذر البابا يوحنا الثالث والعشرين عن دور الكنيسة في نشر معاداة السامية.

١٩٦٥ : تبرئة اليهود من دم المسيح رسميًا في المجمع الفاتيكاني الثاني.

١٩٨٥ : أقر الفاتيكان إعادة تأكيد تبرئة اليهود.

١٩٨٦ : زيارة البابا يوحنا بولس الثاني لدولة إسرائيل ومعبدها والصلاة على ما يطلقون عليه زورًا «حائط المبكى»!

١٩٩٣ : اعترف الفاتيكان بالدولة اليهودية بعد تردد طويل، لكنه رضخ للضغوط.

١٩٩٧ : قام الفاتيكان بتنظيم مؤتمر لمناقشة وثيقة بعنوان «جذور اليهودية في الوسط المسيحي». وقد دعا هذا المؤتمر لمراجعة وتعديل بعض النصوص الإنجيلية في العهد الجديد، وتعديل إنجيلي متّى ومرقس بحيث ينصفان اليهود. وهو المؤتمر الذي وعد فيه البابا بولس الثاني بتعديل سبعين آية من آيات العهد الجديد - الأمر الذي يؤكد اعتياد المؤسسة الكنسية على تحريف النصوص. ومما أكد عليه هذا المؤتمر توضيح الأصل اليهودي لكل من يسوع والحواريين، وتنقية الذاكرة المسيحية من الكتابات المعادية لليهود.

١٩٩٨ : إصدار البابا يوحنا بولس الثاني وثيقة اعتذار رسمية لليهود بعنوان: «**نتذكر: تأمّل في المحرقة**».

- تزايد عملية التعبير عن «المحبة» و«الأخوة» بصورة ممجوجة الشكل والإيقاع من جانب الفاتيكان لليهود، خاصة من البابا الجديد بنديكت السادس عشر.
- تزايد النفوذ الصهيوني في المجال السياسي والاقتصادي منذ الإعلان الفاحش الظلم عن قيام «دولة» إسرائيل، حتى بات من الواضح أن اللوبي الصهيوني هو المحرك للأحداث وهو المتحكم فيها.
- استشراء التحالف الديني اليهودي - المسيحي أو ما يطلقون عليه اليهو-مسيحية وتحكم فرقها المختلفة في الولايات المتحدة وانعكاساته على العالم.
- تزايد الكشف عن فضائح رجال الدين المسيحي من شذوذ جنسي إلى اختلاسات مالية وتهريب وغسيل أموال - وكلها فضائح لم يكن لأحد أن يعرف عنها شيئًا قبل سيطرة اليهود على نسبة عالية من وسائل الإعلام في الغرب المسيحي.
- توغل النفوذ اليهودي في المؤسسة الكنسية لدرجة أنه قبل أعياد الميلاد لسنة ٢٠٠٥ أصدرت إحدى المحاكم في الولايات المتحدة أمرًا بمنع تدريس مادة الدين المسيحي في المدارس، وذلك بناء على شكوى تقدم بها والدا أحد الأطفال اليهود من «سوء انعكاس الدروس الدينية المسيحية عليه»؟!



- ظهور المينواره - الشمعدان اليهودي ذو السبعة أفرع بجوار الصليب في الكنائس أيام الأعياد اليهودية.
- قبول البابا الحالي لدعوة كبير حاخامات روما لزيارة إسرائيل رسميًا وتأتي هذه الزيارة بعد عشرين عامًا من زيارة البابا السابق.
- **الملاحظ أن كافة التنازلات تقدم من جانب الفاتيكان، في الوقت الذي لم يقدم فيه اليهود أي اعتذار عن اتهامهم للسيد المسيح أنه ابن زنا ومولود سفاح أو أن أمه قد حملت فيه من جندي روماني - وهو الموجود في نصوصهم! بل لم يعترف اليهود بأن عيسى هو النبي المنتظر أو الذي كانت تعلن عنه نصوص العهد القديم، كما لا يعترفون بعملية تأليهه.**

والأهم والأدهى من ذلك كله التحكم الذي لا مثيل له من جانب اليهود حتى باتت تصرفاتهم تبدو كطفل عربيد، يضرب بكافة القرارات السياسية الدولية عرض الحائط، أيًا كان مصدرها. والأغرب من ذلك كله موقف العالم الغربي المسيحي من هذه «العربدة»، فهو موقف المسلوب الإرادة، موقف من يرى ويسمع ولا يجرؤ على فتح فمه! وأقصى ما يعرب عنه هو الاعتراض الشفهي..

ولا يسع المجال هنا للدخول في تفاصيل التعنت الغربي والكيل بميكالين، والعداء المتزايد الإيقاع بصورة جد مفتعلة ضد الإسلام والمسلمين، ومن جهة أخرى ذلك الصمت الغريب حيال القتل اليومي للشعوب الإسلامية بزعم الإرهاب، والمحاباة غير المبررة لدولة تحمي استعمارها بسور من العار وبترسانة ذرية لا تسمح بها لغيرها..

ومحاولة الربط بين كل هذه الأحداث والوثائق والمعطيات، رغم تنوعها، يكشف حتمًا أن هناك ثمة عملية مساومة كبرى تحرك الكنيسة والقائمين عليها. فالمؤسسة التي تحمل على كاهلها مثل هذا التاريخ الدامي، القائم على التزوير والتحريف ونسف الآخر والتي بدأت مشوارها بالخروج عن تعاليم دينها، أو الدين الذي نسجته بغية الحصول على الإمكانيات السلطوية لطبقة القساوسة - التي لا ضرورة لوجودها في أي مجتمع إلا لاستغلال ذلك الدين لابتزاز الأتباع، مثل هذه المؤسسة الأخطبوطية التركيب لا يمكن أن تتراجع بهذا الشكل الفاضح المهين إلا إن كان هناك ما أو من هو قادر على هدم كيانها.

والشيء الوحيد الذي يمكنه القيام بذلك، في ساحة هذه المعطيات والأحداث، هي وثيقة أو بعض وثائق من مخطوطات قمران.

وحيث إن اللعبة تدور في المجال الديني، فإن التصور الإجمالي الذي يمكنه أن ينجم عن مثل هذه المساومة الكبرى هو: أن اليهود يستغلون الفاتيكان للحصول على تدعيم لهم من ناحية، وفي إضعاف شوكة الإسلام والمسلمين والديانات الأخرى من ناحية أخرى، ثم يهدمون المؤسسة الفاتيكانية بما في أيديهم من وثائق، في محاولة لتهويد العالم لتحقيق بدعة «أورشليم السماوية». فهم لا يكفّون عن ترديد أنهم هم الشعب المختار وأنهم أصحاب الرسالة، والرسالة هي قيادة العالم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يمكن الضحك على الذات، في كلا الطرفين إلى درجة بناء مثل هذا الأمل اعتمادًا على نصوص يعرف الجميع أنها مزورة، لا سند تاريخي لها، وتفتقد إلى المصداقية؟!.. يا له من جبروت جبار، ويا لها من مساومة.

فالنصوص العبرية قد تم احتراقها كاملة عند احتراق المعبد الأول مرة سنة ٥٨٧ قبل الميلاد، وأعاد الراهب عزرا كتابتها من الذاكرة في القرن الأول الميلادي. ولم تصل نصوص العبرية إلى شكلها الحالي التي هي عليه إلا في القرن العاشر الميلادي، ومن صياغة إلى صياغة.

ونصوص العهد الجديد رأينا كيف أنها صيغت في القرن الرابع الميلادي بأيدي القديس چيروم، وأنها لم تكف عن التغيير والتبديل عبر المجامع على مر العصور وحتى يومنا هذا عندما وعد البابا يوحنا بولس الثاني بإعادة النظر في ٧٠ آية تتهم اليهود بأنهم «قتلة الرب»!

وها هو جاك إيلول (J.Ellul) الفيلسوف وأستاذ القانون وعضو المجلس القومي للكنائس البروتستانتية في فرنسا، يقول في الفصل الخاص بالمتناقضات، في كتابه المعنون **«تخريب المسيحية»** (١٩٨٤):

«إن من يهاجمون المسيحية مؤهلون تمامًا لذلك اعتمادًا على ممارستنا التدميرية للمسيحية. إن هجوم فولتير، وهولباخ، وفيورباخ، وماركس، وباكونين أو شاربونو - لكي لا نذكر إلا أكثرهم مباشرة، كانوا على حق تمامًا. فبدلاً من أن ندافع عن أنفسنا بعمليات تبشير محتقرة ولا جدوى منها، علينا أن نستمع إلى انتقاداتهم ونأخذ ما يقولونه مأخذ الجد، لأنهم يهدمون المسيحية، أي أنهم يهدمون بالضبط ما فرضته الممارسات الخاطئة على التنزيل الإلهي (...) إن هجوم المعادون للمسيحية هجوم مشروع تمامًا ولابد من فهمه على هذا النحو، بناء على المسافة الشاسعة بين التطبيق المسيحي والتنزيل الأصلي» (صفحة ١٣ -١٤).

وبعد بضعة صفحات يضيف قائلاً:

«عندما قام المسيحيون بصنع المسيحية، فعلوا ذلك بمنتهي الوعي والإدراك، واختاروا طواعية ذلك الطريق، وابتعدوا بإرادتهم عن التعاليم المنزلة من ربهم واختاروا عبوديات جديدة. لذلك يطرح هذا السؤال الإنساني نفسه بشدة: لماذا قام المسيحيون بعمل عكس التعاليم؟! وما هي القوى والآليات والمجازفات والاستراتيجيات والبنيات التي أدت بهم إلى كل هذا التخريب؟!.. لماذا قامت الكنيسة بتحريف الكلمة أو الرسالة التي أسندت إليها؟» (صفحة ٢٤).

والمشكلة الحقيقية الحالية تكمن في الفارق الشاسع بين ما توصل إليه العلماء والباحثون من جهة، وبين حالة الجهل العامة لدى الشعوب، وهو جهل يصل إلى درجة الأمية - على حد قول روبرت فانك، رئيس «ندوة عيسى»، وذلك بفضل ما تمتلكه المؤسسة الكنسية من سلطان للسيطرة على وسائل الإعلام والتعتيم أو التشويش على ما يتوصل إليه العلماء.

إلا أن سرعة إيقاع الأحداث بحاجة إلى وقفة من كل الأمناء في كل مكان للتصدي لذلك الدمار المحدق بالبشرية، من جراء تعصب أقلية فاقدة البصر والبصيرة: أقلية مسيحية متحكمة في المسيحيين، وأقلية يهودية متحكمة في اليهود وفي العالم الغربي. وكلاهما يصبو إلى السيطرة والتحكم في العالم عن طريق اقتلاع الآخر، بزعم عودة المسيح ليحكم العالم ألف عام - بالنسبة للمسيحيين؛ وإقامة «أورشليم السماء» واستتباب مملكة يهوا للشعب المختار - بالنسبة لليهود.

وكلاهما في واقع الأمر يستند إلى وثائق مختلقة، لا تمت إلى الوحي أو إلى الرسائل التوحيدية الأصلية بأية صلة. وكل مرماهم السيطرة على العالم والتحكم والاستغلال. إلا أن اليهود يعتمدون على المساومة الكبرى إذ أنهم يلوون أيدي المؤسسة الكنسية التي رضخت بالفعل وبدأت سلّم التنازلات، خشية فضح ما نسجته من تحريف منذ بداية مشوارها، إلا أن نفس هذه التنازلات السريعة الإيقاع كافية إلى كشفها، وإن كانت في نفس الوقت تسعى إلى كسب الجولة بمحاولات مستميتة لتنصير العالم.

ومن السذاجة أن تتصور هذه المؤسسة العتيدة أن اللوبي اليهودي سيترك لها المجال دون أن يجبرها على تجرّع كل ما كالته لليهود على مر العصور من محاولات اقتلاع وتحقير أو إبادة...

وإلى هؤلاء وهؤلاء لا يسعنا إلا أن نقول لهم رحمة ورأفة بالعباد وبالشعوب، فما من أحد يأخذ معه أكثر من كفنه! فلنهتم جميعًا بالتصدي للمحن التي تجتاح العالم من جهل وأمراض ومجاعات وكوارث طبيعية أو مفتعلة، بدلاً من تركها تتفاقم، فالطوفان حين يندفع يجرف ولا يختار.

الملاحق

- السلطة البابوية
- عقائد الإيمان لسنة ٣٢٥، و٣٨١، ٦٨١، و١٢١٥
- مرسوم ميلانو لسنة ٣١٣م
- اعتراف القديس چيروم
- الصور

السلطة البابوية

قليلة هي الكلمات التي يمكنها التعبير عن إرادة السلطة البابوية كما سجلها التاريخ، منذ ما قبل القديس امبرواز (أسقف كنيسة ميلانو في القرن الرابع، الذي صارع بدأب وضراوة لاقتلاع الديانات الوثنية والأريوسية المسيحية كما قام بتنصير كافة المؤسسات الإمبراطورية) حتى يومنا هذا، وكيفية احتفاظ الكنيسة بالسلطة الزمانية بحيث تعتبر الوريث الفعلي للإمبراطورية الرومانية في الغرب.

وقد احتاجت الكنيسة إلى قرنين من الصراعات الطاحنة بشتى الوسائل والإمكانيات. ويتمثل عام ٧٥٤ عامًا مزدوج الأهمية فهو من ناحية قد شهد الانفصال التام بين روما والقسطنطينية، ومن ناحية أخرى شهد إنشاء أول دولة باباوية، أو أول دولة تيوقراطية، بفضل كل ما استعانت به القوى الكنسية لسيادة سلطتها فوق سلطة الأباطرة والملوك. ولا تزال هذه الدولة توجد حتى يومنا هذا وإن كان قد تقلص حجمها وتغير اسمها إلى «دولة الفاتيكان».

وعلى الرغم من أن البابا لا يمتلك أية قوى عسكرية إلا أنه يفرض على الأتباع قانون «إلهي» يتم فرض سلطاته على قوانين المجتمعات المدنية. وكأنها امتداد لقوانين أسقف ميلانو، القديس إمبرواز في القرن الرابع، والذي كان السيد الفعلي للإمبراطورية. فقد استطاع في عام ٣٨٢م أن يحصل من الإمبراطور جراسيان التخلي عن لقب الحبر الأعظم ليستأثر به الباباوات وحدهم. وكأنه بذلك قد خلع صفة القداسة عن الإمبراطور.

ويوضح جورج بواسييه في كتابه عن «نهاية الوثنية» (١٩٠٤)، أن لقب «الحبر الأعظم» هو اللقب الذي كان يجب أن يضفي على المسيح منطقيًا. إلا أن إمبراطور بيزنطة، ليون الأول، كان قد استحوذ عليه لصالح أسقف روما الذي كان يحدد مهامه كوريث للأباطرة في مهامهم الدينية. وبذلك استطاع أن يجعل الإمبراطور تيودور الأكبر أن يركع أمامه ليحصل على الغفران بما أنه خليفة المسيح على الأرض. لذلك يعرف تاريخيًا بأنه أول من مثّل سلطة ملك الملوك على الأرض.

ومما يؤسف له أن تُستغل هذه الألقاب لاقتراف أبشع الأحداث، أو ما هو معروف في التاريخ باسم «إرهاب الأزمنة المسيحية» في القرن الرابع خاصة الذي شهد اغتيال أسرة قسطانس الثاني، وحرب التولية الرسولية الرومية بين كل من أورسينوس وداماز - وكان أميان مارسللان قد أفرد لها العديد من الصفحات..

وهي معركة قد خلّفت مئات الموتى على أرضية الكنيسة الكبرى. ولا تقل عنها ضراوة تلك المعارك المعروفة باسم «الرعب الأسود»، وكلها معارك قام بها الرهبان بأوامر من الأساقفة لهدم المعابد الوثنية والاستيلاء على ثرواتها وكذلك نهب مساكن غير المسيحيين. ولا نقول شيئًا عما تم في ذبح وتمثيل بجثة هيباثيا عالمة الرياضيات، ولا عن فضيحة أخرى معروفة باسم «هبة قسطنطين»، وهي الأكذوبة التي لوحت بها الكنسية في القرن الثامن وزعمت بوثائق قامت بتزويرها - وتكشفت فيما بعد، أن قسطنطين قد وهب لها السلطة الزمانية والدينية. ثم تبين أنها وثيقة مزيفة مكتوبة في القرن الثامن وتم الاعتراف رسميًا بزيفها عام ١٤٤٠ (وارد في كتاب جان كاركوبينو المعنون: «**دراسات في تاريخ المسيحية**» (١٩٥٣) الذي يزخر بالكثير من فضائح البابوية.

عقائد الإيمان

ننشر هنا أول أربع عقائد للإيمان حتى يرى القارئ بنفسه كيف نشأت المسيحية وكيف تم تكوينها عبر المجامع على مر العصور، وكيف أن كل جزئية فيها قد تمت صياغتها بناء على المعارك والاعتراضات التي كانت تواجهها.

١ - عقيدة الإيمان وفقًا لمجمع نيقيه الأول سنة ٣٢٥:

«نؤمن باله واحد، الأب القدير، خالق كل الكائنات المرئية واللامرئية؛ **وبرب واحد يسوع - المسيح، ابن الله، المولود من الأب، المولود الوحيد، أي أنه من نفس جوهر الأب، إله من إله، نور من نور، إله حقيقي من إله حقيقي، مولود وليس مخلوق، مشارك لطبيعة الأب**، الذي به قد صُنع كل شيء، ما هو في السماء وما هو على الأرض، والذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا قد نزل وتجسد وجعل نفسه بشرًا، **وتألم وبُعث في اليوم الثالث**، وصعد إلى السماوات، وسيعود لمحاكمة الأحياء والأموات؛ **ونؤمن بالروح القدس**». وملعون من لا يؤمن بذلك.

ونلاحظ

- تأليه المسيح.
- مساواته بالله شكلاً وموضوعًا وقدرةً.
- وفقًا لما هو وارد في نصوص العهد الجديد لم يُبعث في اليوم الثالث!
- والإيمان، مجرد الإيمان، بالروح القدس.

٢ - عقيدة الإيمان وفقًا لمجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١

«نؤمن باله واحد، الأب القدير، خالق السماء والأرض، وكل الأشياء المرئية واللامرئية؛ وبرب واحد يسوع - المسيح، ابن الله، المولود الوحيد، الذي ولده الأب قبل كل القرون، نور من نور، إله حقيقي من إله حقيقي، مولود وليس مخلوق، مشارك لطبيعة الأب، الذي به قد صُنع كل شيء، **والذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا قد نزل من السماوات، وتجسد من الروح القدس ومريم العذراء وجعل نفسه بشرًا؛ وقد صُلب من أجلنا أيام بيلاطس البنطي**، وتألم وتم دفنه، وبعث في اليوم الثالث وفقًا للنصوص وصعد إلى السماوات، ويجلس على يمين الأب وسيعود ممجدًا ليحاكم



الأحياء الأموات؛ ولا نهاية لحكمه؛ **ونؤمن بالروح القدس، الذي هو رب ويمنح الحياة، ومنبثق من الأب، والذي تتم عبادته وتمجيده مشاركة مع الأب والابن، والذي تحدث إلى الأنبياء؛ ونؤمن بكنيسة واحدة فقط، كاثوليكية ورسولية**، وأقر بتعميد واحد لتكفير الخطايا؛ وانتظر بعث الأموات وحياة العالم القادم. آمين».

ونلاحظ:

- تجسد يسوع عن طريق الروح القدس ومريم العذراء.
- أول مرة يذكر فيها صلب يسوع أيام بيلاطس البنطي.
- تأليه الروح القدس.
- وإن الكنيسة هي كنيسة واحدة فقط: الكاثوليكية الرسولية.

٣ - عقيدة الإيمان وفقًا لمجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨١

بعد استعراض الخلافات القائمة بين الكنائس والأساقفة المختلفة نص هذا المجمع قائلاً:

«بناء على المجامع الخمسة، المقدسة والمسكونية، والآباء المعتمدون، **فإن هذا المجمع يحدد ويقر بالإجماع أن ربنا يسوع - المسيح، ربنا الحقيقي** (notre vrai Dieu) **واحد من الثالوث المقدس والمشارك له في الطبيعة وفي منح الحياة، الكامل في الألوهية، والكامل، هو نفسه في الإنسانية، إله حقيقي وإنسان حقيقي، هو نفسه معمول من روح عاقلة ومن جسد، مشارك في طبيعة الأب وفقًا للألوهية، ومشابه لطبيعتنا وفقًا للبشرية، مماثل لنا في كل شيء إلا الخطيئة**، مولود من الأب قبل القرون وفقًا للألوهية، وفي الأيام الأخيرة، من أجلنا ومن أجل خلاصنا، **هو نفسه من الروح القدس ومن مريم العذراء، التي هي بكامل حقها هي حقًا أم الله، وفقًا للإنسانية، والمسيح نفسه هو ابن ورب ومولود وحيد، معروف أنه ذو طبيعتان بلا خلط**، وبلا تغيير، وبلا انفصال، وبلا انقسام؛ والفرق بين الطبيعتين لا يلغى بسبب الاتحاد، إذ أن خاصية كل طبيعة منه محفوظة ومتداخلة لتكون شخص واحد في اقنوم واحد. فهو لا يتجزأ ولا ينقسم في شخصين، وإنما هو نفسه ابن واحد، المولود الوحيد، الإله الكلمة، الرب يسوع - المسيح، وفقًا لما قاله عنه الأنبياء من زمن بعيد، ووفقًا لما علمه لنا يسوع - المسيح وما نقله إلينا الآباء في عقيدة الإيمان».

ونلاحظ:

- التأليه الكامل ليسوع - الله - الكلمة.
- جعل مريم العذراء أم الله.
- الاستناد إلى الأنبياء لفرض الفريات.
- الاستشهاد بعقيدة الإيمان الأولى التي تمت صياغتها على أنها منقولة عن يسوع وعما علّمه لهم. والثابت تاريخيًا، والأناجيل لا تزال بين أيدي القراء، إن يسوع لم يقل أي شيء من هذه الفريات وإنما كان يفرق بينه وبين الله سبحانه وتعالى.

٤ - عقيدة الإيمان وفقًا لمجمع لاتران الرابع سنة ١٢١٥

«نؤمن بإصرار ونعترف ببساطة أنه لا يوجد سوى إله واحد حقيقي، خالد وشاسع، قدير، لا يتغيّر، لا يمكن إدراكه أو قوله، الأب والابن والروح القدس، ثلاثة أشخاص، ولكن في جوهر واحد، كيان أو جوهر في غاية البساطة. **الأب لا ينبثق من أحد، والابن ينبثق من الأب وحده والروح القدس أيضًا ينبثق من هذا وذاك، دومًا، بلا بداية وبلا نهاية. الأب منجبا، والابن مولودًا، والروح القدس منبثقًا، متشاركين في الجوهر ومتماثلين تمامًا، ومقتدرين بالتساوي، وخالدين بالتساوي.** أنهم المبدأ الوحيد لكل الأشياء، خالق كل الأشياء المرئية واللامرئية، الروحية والجسدية، الذي بقوته القديرة قد خلق كل منهما الروحية والجسدية، من لا شيء، منذ بداية الزمان، أي الملائكة والعالم، ثم الخليقة البشرية المكونة من روح وجسد. وبالفعل، الشياطين والعفاريت الأخرى خلقها الله ذات طبيعة طيبة لكنهم هم الذين جعلوا أنفسهم أشرارًا. أما الإنسان، فقد أخطأ بإغراء من الشيطان. **وهذا الثالوث المقدس، الذي لا ينقسم وفقًا لجوهره المشترك والمميّز وفقًا لخصائص أشخاصه، قد أعطى الجنس البشري عقيدة الخلاص عن طريق موسى والأنبياء المقدسين وخدمة الآخرين، وفقًا لترتيب منظم تمامًا للزمان.**

«وأخيرًا، ابن الله الوحيد، يسوع المسيح، المتجسد بعمل مشترك من الثالوث بكامله، **والذي حملت فيه مريم الدائمة العذرية، عن طريق الروح القدس،** وتجسد بشرًا حقيقيًا مكون من روح عاقلة وجسد بشري، إنسان واحد ذو طبيعتان، وقد أوضح طريق الحياة بوضوح أكبر. وفي حين أنه وفقًا لألوهيته فهو خالد ولا يمكن أن يتألم، فقد جعل نفسه وفقًا لإنسانيته قادر على التألم والموت. والأكثر من ذلك، من أجل خلاص الجنس البشري **قد تألم على خشبة الصليب ومات،** ونزل الجحيم، وبُعث من الأموات وصعد إلى السماء

لكنه نزل بروحه وبُعث في جسده وصعد بكل منهما أيضاً، وسوف يعود في آخر الزمان ليحاكم الأحياء والأموات ويعطي لكل واحد وفقًا لعمله، سواء الملعونون أو المختارون. وجميعهم سوف يبعثون بأجسادهم الحالية، ليتلقوا ما يستحقونه بما فعلوا من الخير أو الشر، بعضهم عذاب لا نهائي مع الشيطان، والبعض الآخر مجدًا أبديًا مع المسيح. **وتوجد كنيسة عالمية واحدة فقط للأتباع، وخارجًا عنها لا يمكن لأي شخص أن يُنقذ،** ويعد المسيح بها هو في آن واحد القس والضحية، وهو الذي يعد جسده ودمه في القربان المقدس للمذبح، هما موجودان فعلاً في أعراض الخبز والنبيذ، الخبز بكونه قد تحول إلى الجسد والنبيذ إلى الدم بالقدرة الإلهية، لكي يتم سر الاتحاد، ونتلقى نحن منه ما تلقاه هو منا. **وبكل تأكيد فإن هذا السر لا يمكن لأحد أن يقوم به إلا القسيس نفسه الذي أمر شرعًا وفقًا لسلطة مفاتيح الكنيسة التي أعطاها يسوع المسيح شخصًا للحواريين وخلفائهم.** إن سر التعميد الذي يتم في الماء بذكر الثالوث الذي لا ينقسم، أي الأب والابن والروح القدس، والذي يمنحه أيًا كان وفقًا للشكل الكنسي للأطفال والبالغين، فيفيد الخلاص وإذا وقع شخص في الخطية بعد حصوله على التعميد فيمكنه التخلص منها بتوبة حقيقية. فليس العذارى وحدهن أو المتعففون هم الذين يعجبون الله بإيمانهم المستقيم وأعماله الخيّرة فيستحقون الحياة الأبدية، ولكن المتزوجون أيضًا».

ونلاحظ:

- إن الأب والابن قد أنبثق عنهما الروح القدس (أي أن الأول والثاني أنجبا الثالث).
- وأن الأب منجب والابن مولود، والروح القدس منبثق (وما الفرق بين من ينجب ومن يولد ومن ينبثق؟!).
- عملية المساواة التامة بين الثلاثة.
- فرض عقيدة الخلاص وجعلها زورًا من أيام موسى.
- فرض عذرية مريم الدائمة (قبل وأثناء وبعد الحمل والوضع).
- دمج كلمة الخشبة مع الصليب.
- الإصرار على أن كنيسة روما هي الكنيسة الوحيدة ولا إنقاذ خارجًا عنها.
- انتحال دور افتراضي للقساوسة لاستمرارهم في السيطرة على الأتباع بفضل الإفخارستيا.
- المعروف والثابت في النصوص أن يسوع لم يعط أية مفاتيح ولا كنائس لأي أحد.

مرسوم ميلانو

تنص الوثيقة المعروفة باسم «مرسوم ميلانو» الصادرة عام ٣١٣م بقرار من الإمبراطور قسطنطين أنه يمكن لكل فرد «**أن يعبد بطريقته الإله الكائن في السماء**»، **وقد منح المسيحيين حرية العبادة. وهكذا حصلت المسيحية على نفس الامتيازات كالديانات الشرقية الأخرى**. وبذلك لم يعد مسموحًا بممارسة الطقوس الوثنية التي اختفت تباعًا منذ أواخر القرن الرابع.

كما نص الإمبراطور على أن تستعيد الكنائس المسيحية ما كان قد تمت مصادرته أيام الاضطهاد. وتقول الوثيقة:

«**لقد قررنا نحن، قسطنطين وليسنيوس، أن نمنح المسيحيين وكل الآخرين حرية ممارسة الديانة التي يختارونها، حتى يرضى الإله القائم في السماء ويكون مؤيدًا ومتعاطفًا لنا جميعًا وكل من يقيمون تحت سيطرتنا. فلقد بدا لنا نظام طيب وعاقل ألا نرفض شيئًا لأتباعنا، سواء أكانوا مسيحيين أم يتبعون عبادة أخرى، أن من حقهم اتّباع الديانة التي تناسبهم أكثر**. وبهذه الطريقة، فإن الإله الأعلى، الذي سيمجده كل منا بحرية منذ الآن، سيمكنه أن يمنحنا رضاه وعطفه المألوفان. **لذلك يتعيّن على سيادتكم (والكلام موجه إلى حكّام المقاطعات) أن تعلموا أنه اعتبارًا من الآن، أننا نسمح للمسيحيين بممارسة ديانتهم دون أن تتم مضايقتهم أو إزعاجهم بأي صورة من الصور**. ولقد رغبنا في أن نحيطكم علمًا بأدق طريقة ممكنة، وحتى لا تجهلوا أننا نترك للمسيحيين الحرية الكاملة، والمطلقة، لممارسة عبادتهم. وبما أننا نمنح ذلك للمسيحيين، فإن سيادتكم ستدركون أن الآخرين يجب أن يتاح لهم نفس الحق».

قسطنطين وليسنيوس

مقدمة مرسوم ميلانو، ٣١٣م



وبعد قسطنطين، كان كل الأباطرة الرومان مؤيدون للمسيحية فيما عدا الإمبراطور جوليان المرتد، الذي حكم فيما بين ٣٦١ - ٣٦٣، وجاهد دون جدوى لإعادة الديانة الوثنية.

وفي أواخر القرن الرابع، قام الإمبراطور تيودوز بمنع ذبح الأضاحي للآلهة الوثنية سنة ٣٩١، وألغى الألعاب الأولمبية سنة ٣٩٣. وتم إغلاق معاهد الرهبنة الوثنية، وإغلاق المعابد، ونزع التماثيل ومنعت كافة أنواع العبادات الأخرى إذ إن المسيحية قد أصبحت الديانة الرسمية للدولة الرومانية.

وكان الإمبراطور تيودوز قد قام في سنة ٣٩٢ بتحريم الأضاحي أو عبادة التماثيل المصنوعة بأيدي البشر وعدم تقديم الزهور أو البخور أو إيقاد القناديل أو أي مظهر من طقوس العبادات الوثنية وإلا يتم إعدام من يخالف ذلك.

ونخرج من مرسوم ميلانو الصادر سنة ٣١٣م أن الإمبراطورين قسطنطين وشقيقه ليسنيوس قد منحا المسيحيين حق ممارسة ديانتهم بنفس الامتيازات كالديانات الأخرى. أي أنه حتى ذلك العام ٣١٣م، كانت المسيحية تحارب، ثم سُمح لها بأن تُمارس مثلها مثل الديانات الوثنية الأخرى.

وأن الصراعات ظلت قائمة حتى أيام الإمبراطور چوليان (٣٦١ - ٣٦٣) الذي أعاد الديانات الوثنية فاغتالته المؤسسة الكنسية التي لم يستتب لها الحال إلا أيام الإمبراطور تيودوز في أواخر القرن الرابع. وهي نفس الفترة التي تمت فيها صياغة الأناجيل على أيدي القديس چيروم.

ونطالع في كتاب ألبير باييه المعنون: «**ديانات الخلاص والمسيحية في الدولة الرومانية**» أن قسطنطين كان قد أدرك أهمية استخدامه للمسيحيين واعتماده عليهم في الحروب - وكانوا يمتنعون عنها وعن حمل السلاح. لذلك أصدر قرار ميلانو الشهير عام ٣١١ وتبعه بتأكيد لسريان فاعليته عام ٣١٣ «**عقب مباحثات أجراها في روما مع ملكياد، الأسقف المسيحي المسؤول عنها، وقد تعهد له بالسماح للمسيحيين بممارسة عبادتهم شريطة أن يكفوا عن رفض تجنيدهم في الجيش**».

وما كان من الأسقف ملكياد بعد قبوله هذا الشرط إلا أن التزم بوعده وعقد المجمع المعروف باسم «مجمع آرل» **سنة ٣١٤ الذي أعلن فيه لعن كل من يرفض الخدمة العسكرية «بما أن الدولة لم تعد تضطهدهم»..**

ومنذ ذلك الوقت لعب المسيحيون دورًا متزايد الأهمية في الإمبراطورية الرومانية ولم يكف أساقفتهم عن المطالبة بأن تكون لهم السيادة على أساقفة البلدان الأخرى.

اعتراف القديس چيروم

المجلد الأول من أعمال الراهب چيروم.

بداية المقدمة.

حول مراجعة نصوص الأناجيل الأربعة.

إلى قداسة البابا داماز، من چيروم.

تحثني على أن أقوم بتحويل عمل قديم لأخرج منه بعمل جديد، وتريد مني أن أكون حكمًا على نُسخ كل تلك النصوص الإنجيلية المتناثرة في العالم، وأن اختار منها وأقرر ما هي تلك التي حادت أو تلك التي هي أقرب حقا من النص اليوناني. أنها مهمة ورعة، لكنها مغامرة خطرة إذ سيتعيّن عليّ تغيير أسلوب العالم القديم وأعيده إلى الطفولة. وأن أقوم بالحكم على الآخرين يعني في نفس الوقت أنهم سيحكمون فيه على عملي. فمن من العلماء أو حتى من الجهلاء، حينما سيمسك بكتابي بين يديه ويلحظ التغيير الذي وقع فيه، بالنسبة للنص الذي اعتاد قراءته، لن يصيح بالشتائم ضدي ويتهمني بأنني مزور ومدنس للمقدسات، لأنني تجرأت وأضفت، وغيّرت، وصححت في هذه الكتب القديمة؟

وحيال مثل هذه الفضيحة، هناك شيئان يخففان من روعي، الأمر الأول: أنك أنت الذي أمرتني بذلك؛ والأمر الثاني: إن ما هو ضلال لا يمكن أن يكون حقاً. وهو ما تقره أقذع الألسنة شراسة. وإذا كان علينا أن نضفي بعض المصداقية على مخطوطات الترجمة اللاتينية، ليقل لنا أعداؤنا أيها أصوب، لأن هناك من الأناجيل بعدد الاختلاف بين نصوصها. ولماذا لا يروقهم أن أقوم بالتصويب اعتمادًا على المصادر اليونانية لتصويب الأجزاء التي أساء فهمها المترجمون الجهلاء، أو بدلوها بسوء نية، أو حتى قام بعض الأدعياء بتعديلها.

وإذا كان علينا دمج المخطوطات، فما يمنع أن نرجع ببساطة إلى الأصول اليونانية ونبعد بذلك عن أخطاء الترجمات السيئة أو التعديلات غير الموفقة من جانب الذين تصوروا أنهم علماء، أو الإضافات التي أدخلها الكتبة النعسانين؟ **أنني لا أتحدث هنا عن العهد القديم والترجمة السبعينية باللغة اليونانية التي لم تصلنا إلا بعد ثلاث ترجمات متتالية من العبرية إلى اليونانية ثم إلى اللاتينية.** ولا أود أن أبحث هنا ما الذي سيقوله أكويلاّ أو سيماك، أو لماذا آثر تيودوسيان اختيار موقف الوسط بين المترجمين القدامى والحداث. لذلك سأعتمد على الترجمة التي يمكن أن يكون قد عرفها الحواريون.

وأتحدث الآن عن العهد الجديد، المكتوب بلاشك باللغة اليونانية فيما عدا إنجيل متّى الذي كان قد استعان أولاً بالعبرية لنشره في منطقة اليهودية. **أن هذا الإنجيل يختلف يقينًا عن الذي بلغتنا نظرًا لتعدد المصادر التي استعانوا بها لتكوينه.** وقد آثرت أن أرجع إلى نص أساسي، فلا أود الاستعانة بترجمات المدعوان لوشيانوس أو هزيكيوس التي يدافع عنها البعض بضراوة عن غير وجه حق، واللذان لم يكن من حقهما مراجعة لا العهد القديم بعد ترجمة السبعين، ولا أن يقوما بمراجعة النصوص الجديدة. **فالنصوص الإنجيلية التي وصلتنا بلغات شعوب مختلفة توضح مدى الأخطاء** والإضافات التي بها. وإذا كنت قد قمت بذلك بالنسبة للنسخ المكتوبة بلغتنا فلابد وأن أعترف بأنني لم استفد منها شيئًا.

وهذه المقدمة المتواضعة تقترح أن يكون ترتيب الأناجيل الإسمي على النحو التالي: متى، مرقس، لوقا ويوحنا. **وقد تمت مراجعتها من عدة مخطوطات يونانية قديمة. وهي لا تبتعد كثيرًا عن فحوى النسخ اللاتينية. فلم أقم إلا بتصويب الأجزاء التي بدت بعيدة عن المعنى الحقيقي وتركت الأجزاء الأخرى كما وصلتنا في صياغتها البدائية ووضعت حرف** (ب). أما الترجمات التي قام بها يوسيبيوس من القيصرية، المقسمة إلى عشرة أجزاء، وفقًا لأمونيوس السكندري، فقد ترجمتها إلى لغتنا إلتزامًا بالمعنى اليوناني فحسب. وإن كان هناك أي فضولي يود معرفة الأجزاء المتماثلة أو المتفردة أو التي تختلف تمامًا عن تقسيمة العشرة يمكنه معرفة ذلك. **لأن الأخطاء قد تراكمت مع الوقت في كتبنا، وهو ما يجعل إنجيل ما يتفاوت عن الآخر، وأشرت إليه بحرف (ح).**

لقد وقعت أخطاء عند محاولة التوفيق بينها، لذلك ترى خلطًا شديدًا في الترجمات اللاتينية. فأحد الكتبة قد قال أكثر وفي الآخر قد أضافوا إذا تصوروا أنه أقل. وأن مرقس في أجزاء كثيرة ينقل عن لوقا ومتى، وأن متى ينقل عن يوحنا ومرقس، بينما كان كل إنجيل يحتفظ بما يخصه فحسب. فكل واحد منهم قد نقل عن الإنجيل الذي وقع في يده. لذلك عند قراءة الكشف الذي أقترحه لن يكون هناك أي خلط وسيتم التعرف على المتشابه بينها وعلى ما يخص كل منها بعد أن استبعدت الخلط والأخطاء.



ففي الكشف الأول يوجد توافق بين الأناجيل الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا. وفي الثاني لا يوجد توافق إلا بين متى ومرقس ولوقا، وفي الثالث بين متى ولوقا ويوحنا، وفي الرابع بين متى ومرقس ويوحنا، وفي الخامس بين متى ولوقا، وفي السادس بين

متى ومرقس، وفي السابع بين متى ويوحنا، وفي الثامن بين لوقا ومرقس، وفي التاسع بين لوقا ويوحنا. وفي العاشر ستجد كل ما هو خاص بكل إنجيل ولا يوجد في الأناجيل الأخرى. وفي كل إنجيل على حدة هناك أجزاء متفاوتة الطول كلما ابتعدنا عن التوافق.

الرقم سيكون باللون الأسود، وسيتضمن رقمًا آخر تحته بالأحمر، لكي يدل في أي إنجيل يوجد ذلك الجزء المعني. فعند فتح الكتاب ومحاولة معرفة أي فصل ينتمي لهذه الترجمة أو تلك فإن ذلك سيتضح فورًا من الرقم الذي أضفته من أسفل. وعند الرجوع إلى بداية الطبعة التي توجد فيها القوائم معًا وبفضل اسم الترجمة المحدد في بداية كل إنجيل يتم العثور على رقم كاتبه مع العناوين المختلفة لكل منهم. ويوجد بجوار هذا الأخير أسماء الفقرات المماثلة. وهكذا يمكن الإطلاع على الأرقام الموجودة في نفس الفصل. وما أن تتم معاينة هذه المعلومات يمكن التوصل إلى كل واحد مع مراعاة الأرقام التي تم تحديدها يمكن معرفة الأجزاء المتشابهة أو المتماثلة (ب).

أرجو أن تكون بخير في المسيح وألا تنساني يا قداسة البابا.

نص الخطاب (الاعتراف)

Sancti Hieronymi operum Tomus Primus

Incipit praefatio

Sti Hieronymi Presbyteri in

Quatuor evangelia

Beatissimo Papae Damaso Hieronymus

Novum opus facere me cogis ex veteri : ut post exemplaria Scripturarum toto orbe dispersa, quasi quidam arbiter sedeam : & quia inter se variant, quae sint illa quae quum Graeca consentiant veritate, decernam. Pius labor, sed periculosa praesumtio, judicare de coeteris, ipsum ab omnibus judicandum : senis mutare linguam, & canescentem jam mundum ad initia retrahere parvulorum. Quis enim doctus pariter vel indoctus, cum in manus volumen assumserit, & à saliva quam semel imbitit, viderit discrepare quod lectitat ; non statim erumpat in vocem, me falsarium, me clamans esse sacrilegum, qui audeam aliquid in veteribus libris addere, mutare, corrigere ? Adversus quam invidiam duplex caussa me sonsolatur : quod & tu qui summus sacerdos es, fieri jubes : & verum non esse quod variat, etiam maledicorum testimonio comprobatur. Si enim Latinis exemplaribus fides est adhibenda, respondeant quibus: tot enim sunt exemplaria paene quot codices. Sin autem veritas est quaerenda de pluribus: cur non ad Graecam originem revertentes, ea quae vel à vitiosis interpretibus male edita, vel a praesumtoribus imperitis emendata perversius, vel à librariis dormitantibus aut addita sunt, aut mutata, corrigimus? Neque vero ego de Veteri disputo Testamento, quod à septuaginta quid Aquila, quid Symmachus sapiant, quare Theodotion inter novos & veteres medius incedat. Sit illa vera interpretatio quam Apostoli probaverunt. De novo nunc loquor Testamento : quod Graecum esse non dubium est, excepto Apostolo Mattttheo, qui primus in Judaea Evangelium Christi Hebraïcis litteris edidit. Hoc certe quum in nostro sermone discordat, & (a) diversos rivulorum tramites ducit : uno de fonte quaerundum est. Praetermitto eos codices quos à Luciano & Hesychio nuncupatos, paucorum



hominum asserit perversa contentio: quibus utique nec in veteri Instrumento post septuaginta Interpretes emendare quid licuit, nec in novo profuit emendasse: quum multarum gentium linguis Scriptura ante translata, doceat falsa esse quae addita sunt. Igitur haec praesens praefatiuncula pollicetur quattuor tantum Evangelia, quorum ordo est iste, Matthaeus, Marcus, Lucas, Johannes: codicum Graecorum emendata collatione, sed veterum. Quae ne multum à lectionis Latinae consuetudine discreparant, ita calamo (b)temperavimus, ut his tantum quae sensum videbantur mutare correctis, reliqua manere pateremur ut fuerant. Canones quoque, quos Eusebius Caesariensis Episcopus Alexandrinum sequutus Ammonium, in decem numeros ordinavit, sicut in Graeco habentur, expressimus. Quod si quis de curiosis voluerit nosse, quae in Evangeliis, vel eadem, vel vicina, vel sola sint, eorum distinctione cognoscat. Magnus siquidem hic in nostris codicibus error inolevit, dum quod in eadem re alius Evangelista plus dixit, in alio quia minus putaverint, (c) addiderunt. Vel dum eumdem sensum alius aliter expressit, ille qui unum è quattuor primum legerat, ad ejus exemplum coeteros quoque aestimaverit emendandos. Unde accidit ut apud nos mixta sint omnia, & in Marco plura Lucae atque Matthaei, Rursum in Matthaeo plura Johannis & Marci, & in coeteris reliquorum quae aliis propria sunt, inveniantur. Quum itaque canones legeris qui subjecti sunt, consusionis errore sublato, & similia omnius scies, & singulis sua quaeque restitues. In Canone primo concordant quattuor, Mattheeus, Marcus, Lucas, Johannes. In secundo tres, Matthaeus, Marcus, Lucas. In tertio tres, Matthaeus, Lucas, Johannes. In quarto tres, Matthaeus, Marcus, Johannes. In quinto duo, Matthaeus, Lucas†. In sexto, Matthaeus, Marcus. In septimo duo, Matthaeus, Johannes. In octavo duo, Lucas, Marcus. In nono duo, Lucas, Johannes. In decimo, propria (a) unusquisque quae non habentur in aliis, ediderunt. Singulis vero Evangeliis : ab uno incipiens usque ad sinem librorum, dispar numerus increscit. Hic nigro colore praescriptus, sub se habet alium ex minio numerum discolorem, quid ad decem usque procedens, indicat prior numerus, in quo sit canone requirendus. Quum igitur aperto codice, verbi gracia, illud sive, illud

capitulum scire volueris cujus Canonis sit, statim ex subjecto numero doceberis, & recurrens ad principia, in quibus Canonem est distincta congeries, eodemque statim Canone ex titulo frontis invento, illum quem quaerebas numerum ejusdem Evangelistae, qui & ipse ex inscriptione signatur, invenies ; atque à vicino caeterorum tramitibus inspectis, quos numeros è regione habeant, annotabis : & quum scieris recurres ad volumina singolorum, & sine mora repertis numeris quos ante signaveras, reperies & loca in quibus vel eadem, vel vicina didixerunt (b) . Opto ut in Christo valeas, & mei memineris Papa beatissime.

(a) Ita MSS. omnes antiquiores ac melioris notae. Aliquot recentiores cum editis legunt, in diversos rivulorum tramites : vel, ad diversosos, G c.

(b) Codices MSS. quamplures, imperavimus

(c) Consule quae in Prolegomenis nostris diximus de Latino Matthaei Evangelio usu recepto in Ecclesia ante Hieronymum, ubi exempla proposuimus additamentorum hujusmadi.

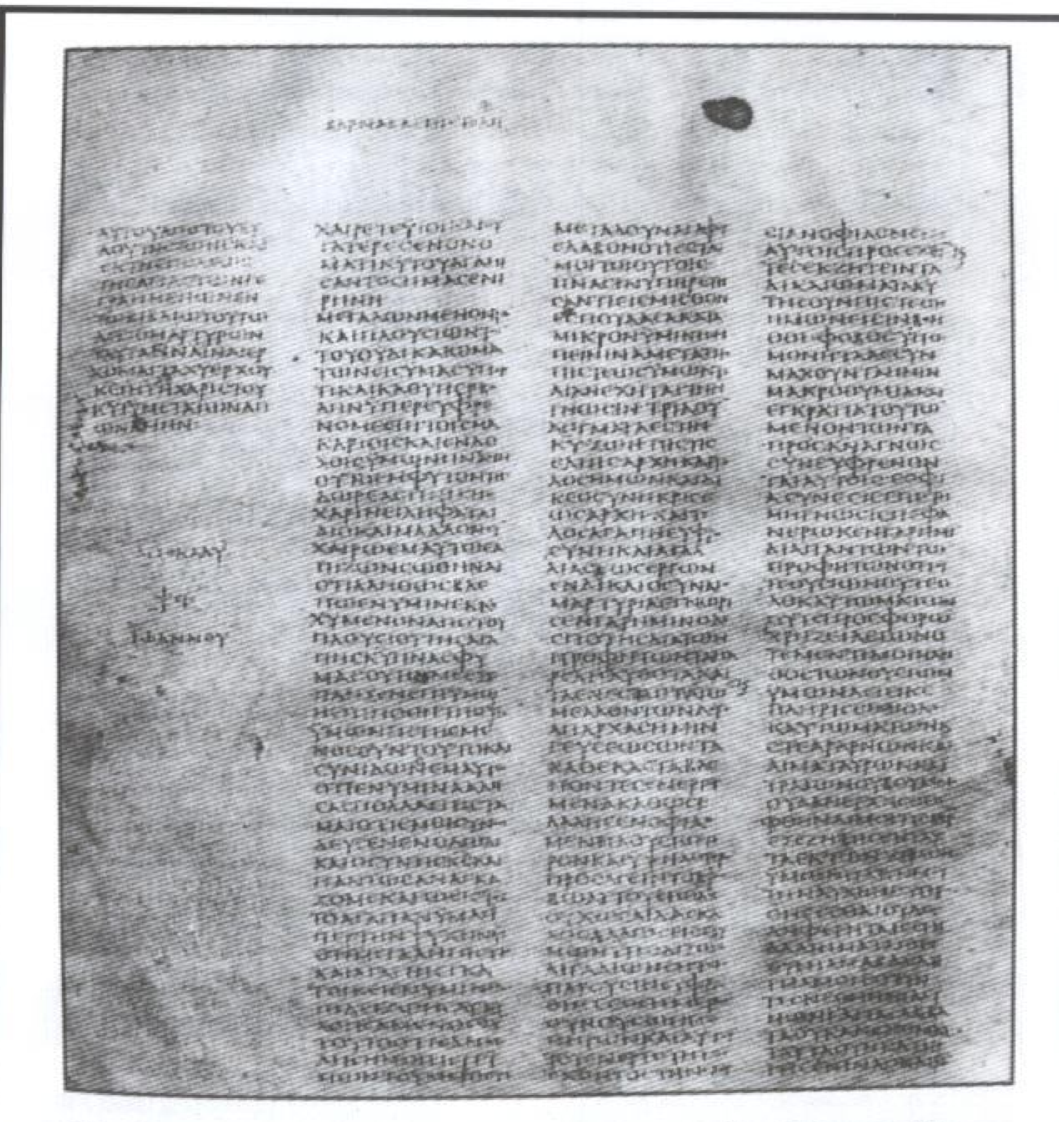


The first chapter of the book of Hebrews in one of the oldest and best surviving manuscripts of the New Testament, Codex Vaticanus (Vatican). Notice the marginal note between the first and second columns. A corrector to the text had erased a word in verse 3 and substituted another word in its place; a second corrector came along, erased the correction, reinserted the original word, and wrote a note in the margin to castigate the first corrector. The note reads, "Fool and knave, leave the old reading, don't change it!"

الإصحاح الأول من الرسالة إلى العبرانيين في النسخة الفاتيكانية. ويلاحظ الملاحظة المكتوبة بين العمودين الأول والثاني من اليسار. وقد قام أحد المصححين بمسح كلمة في الآية الثالثة ووضع كلمة أخرى مكانها. ثم أتى مصحح آخر ومسح التصحيح الأول وأعاد الكلمة الأصلية وكتب في الهامش يقول: (أيها الأحمق الغدار أترك الكلمة الأصلية ولا تبدلها)

The opening of the Coptic Gospel of Thomas, which begins (in the middle of the page) with the words "These are the secret words which the living Jesus spoke, and Didymus Judas Thomas wrote them down."

الصورة توضح بداية الإنجيل القبطي لتوما الذي يبدأ في منتصف الصفحة بعبارة تقول: (هذه هي الكلمات السرية التي قالها يسوع الحي وقد دونها توما يهوذا التوأم)



Codex Sinaiticus, the oldest surviving manuscript of the entire New Testament. This fourth-century manuscript includes The *Shepherd* of Hermas and the Epistle of Barnabas (the first page of which is pictured here), books that were considered part of the New Testament by some Christians for several centuries.

صورة لأقدم نسخة من العهد الجديد وهي النسخة الفاتيكانية من القرن الرابع، وتضم الراعي هرماس ورسالة برنابا التي تظهر صفحاتها الأولى في هذه الصورة. وهي كتب ظلت تمثل جزءًا من العهد الجديد قبل استبعادها في القرن الرابع.

1425 Præf. S. Hier. Presb. in Quattuor Evangelia. 1426

INCIPIT PRÆFATIO
S^TI HIERONYMI PRESBYTERI
IN
QUATTUOR EVANGELIA.

BEATISSIMO PAPÆ DAMASO HIERONYMUS.

NOVUM opus facere me cogis ex veteri: ut post exemplaria Scripturarum toto orbe dispersa, quasi quidam arbiter sedeam: & quia inter se variant, quæ sint illa quæ quum Græca consentiant veritate, decernam. Pius labor, sed periculosa præsumtio, judicare de cæteris, ipsum ab omnibus judicandum: senis mutare linguam, & canescentem jam mundum ad initia retrahere parvulorum. Quis enim doctus pariter vel indoctus, cum in manus volumen assumserit, & à saliva quam semel imbibit, viderit discrepare quod lectitat; non statim erumpat in vocem, me falsarium, me clamans esse sacrilegum, qui audeam aliquid in veteribus libris addere, mutare, corrigere? Adversus quam invidiam duplex caussa me consolatur: quod & tu qui summus sacerdos es, fieri jubes: & verum non esse quod variat, etiam maledicorum testimonio comprobatur. Si enim Latinis exemplaribus fides est adhibenda, respondeant quibus: tot enim sunt exemplaria pæne quot codices. Sin autem veritas est quærenda de pluribus: cur non ad Græcam originem revertentes, ea quæ vel à vitiosis interpretibus male edita, vel à præsumtoribus imperitis emendata perversius, vel à librariis dormitantibus aut addita sunt, aut mutata, corrigimus? Neque vero ego de Veteri disputo Testamento, quod à septuaginta Senioribus in Græcam linguam versum, tertio gradu ad nos usque pervenit. Non quæro quid Aquila, quid Symmachus sapiant, quare Theodotion inter novos & veteres medius incedat. Sit illa vera interpretatio quam Apostoli probaverunt. De novo nunc loquor Testamento: quod Græcum esse non dubium est, excepto Apostolo Matthæo, qui primus in Judæa Evangelium Christi Hebraïcis litteris edidit. Hoc certe quum in nostro sermone discordat, & [a] diversos rivulorum tramites ducit: uno de fonte quærendum est. Prætermitto eos codices quos à Luciano & Hesychio nuncupatos, paucorum hominum asserit perversa contentio: quibus utique nec in veteri Instrumento post septuaginta Interpretes emendare quid licuit, nec in novo profuit emendasse: quum multarum gentium linguis Scriptura ante translata, doceat falsa esse quæ addita sunt. Igitur hæc præsens præfatiuncula pollicetur quattuor tantum Evangelia, quorum ordo est iste, Matthæus, Marcus, Lucas, Johannes: codicum Græcorum emendata collatione, sed veterum. Quæ ne multum à lectionis Latinæ consuetudine discreparent, ita calamo [b] temperavimus, ut his tantum quæ sensum videbantur mutare correctis, reliqua manere pateremur ut fuerant. Canones quoque, quos Eusebius Cæsariensis Episcopus Alexandrinum sequutus Ammonium, in decem numeros ordinavit, sicut in Græco habentur, expressimus. Quod si quis de curiosis voluerit nosse, quæ in Evangeliis, vel eadem, vel vicina, vel sola sint, eorum distinctione cognoscat. Magnus siquidem hic in nostris codicibus error inolevit, dum quod in eadem re alius Evangelista plus dixit, in alio quia minus putaverint, [c] addiderunt. Vel dum eumdem sensum alius aliter expressit, ille qui unum è quattuor primum legerat, ad ejus exemplum cæteros quoque æstimaverit emendandos. Unde accidit ut apud nos mixta sint omnia, & in Marco plura Lucæ atque Matthæi, Rursum in Matthæo plura Johannis & Marci, & in cæteris reliquorum quæ aliis propria sunt, inveniantur. Quum itaque canones legeris qui subjecti sunt, confusionis errore sublato, & similia omnium scies, & singulis sua quæque restitues. In Canone primo concordant quattuor, Matthæus, Marcus, Lucas, Johannes. In secundo tres, Matthæus, Marcus, Lucas. In tertio tres,

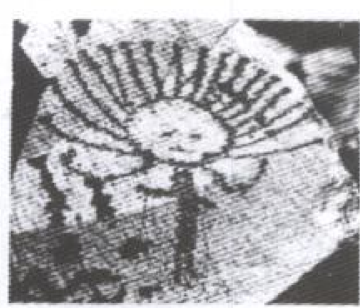
a In MSS. omnes antiquiores ac meliores notæ. Aliquot recentiores cum editis legunt, *in diversos rivulorum tramites*; vel, *ad diversos*, &c.

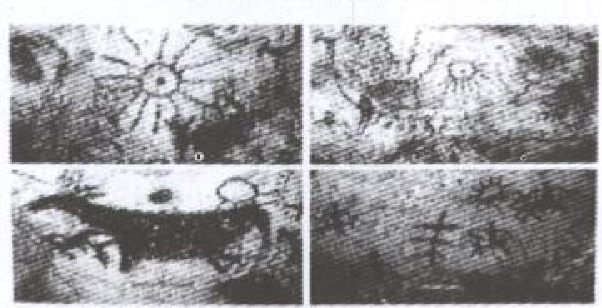
b Codices MSS. quamplures, *imperavimus*.

c Consule quæ in Prolegomenis nostris diximus de Latino Matthæi Evangelio olim recepto in Ecclesia ante Hieronymum, ubi exempla proposuimus additamentorum hujusmodi.

Xxxx

صورة للصفحة الأولى من الخطاب الذي كتبه القديس چيروم للبابا داماز ويعترف له فيه أنه قام بالمهمة التي كلفه بها وهي صياغة الأربعة الأناجيل واختيار الأجزاء المناسبة من الأناجيل الأخرى.. والخطاب يتصدر العهد الجديد في الكتاب المقدس الذي صاغه، والنسخة مطبوعة سنة ١٦٩٣م في باريس، وموجودة بالمكتبة القومية ميتران.


Bronze Age sun god
petroglyph, Kyrzgyzstan


Prehistoric Indonesian solar petroglyphs. (Singh)




مجموعة من الصور والنقوش الصخرية توضح عبادة الأله الشمس في عدة حضارات قديمة وكيفية تحولها وانتقالها من الوثنيات إلى المسيحية.

الصورة العليا من العصر البرونزي في كيجكستان ومن عصر ما قبل التاريخ في أندونسيا.

السفلى إلى اليمين الإله رع ممثلا في قرص الشمس يعلو رأس حوريس وخلفه ايزيس، وهو الأصل المصري للثالوث، وإلى اليسار الملك اخناتون وأسرته يتعبدون لإله الشمس آتون.



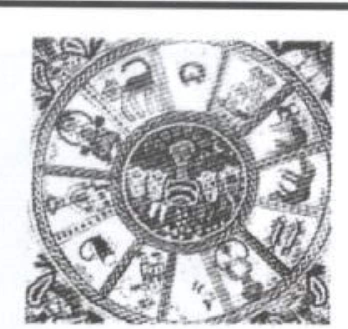
Pharaoh Amenhetep worshipping
Aton the sun. (Budge, *ETL*)



"Irish monks raising hands in ancient Egyptian
manner of paying homage to the sun," St. Peter's
Basilica, Vatican City. (Singh)

الصورة العليا للملك أخناتون - امنوفيس الرابع هو وزوجته نفرتيتي يتعبدان للإله آتون الشمس. والسفلى لراهبان من أيرلندة يتعبدان لإله الشمس على الطريقة المصرية القديمة، موجودة في كنيسة القديس بطرس في مدينة الفاتيكان.





Helios and the zodiac
from a synagogue floor
at Beit Alpha, 6th century CE.



Helios in chariot with rays around his head,
c. 300 BCE. (Singh)



Christian Sun of Righteousness
surrounded by the zodiac,
11th century CE. (Seznec)



"Cristo Sole"—Christ as the sun god Helios in
quadriga chariot, c. 240, found under the altar
in St. Peter's Basilica, Vatican



Christian God Sun in horse-drawn
chariot, 11th century. (Singh)

مجموعة من الصور والنقوش توضح تطور فكرة الإله الشمس وانتقالها من الوثنيات إلى المسيحية وإحلال المسيح بدلاً من إله الشمس. والصورة العليا إلى اليسار من القرن الثالث قبل الميلاد وإلى اليمين أعلى، من القرن السادس الميلادي، وأسفل من القرن الحادي عشر. والصورة السفلى إلى اليسار للمسيح كإله للشمس وهي من الفسيفساء من القرن الثالث الميلادي ووجدت تحت مذبح القديس بطرس بالفاتيكان. وإلى اليمين صورة للمسيح إله الشمس من القرن الحادي عشر الميلادي.



Helios-Serapis, 2nd cent. CE.
(Singh)



Medallion with Emperor Constantine and Sol Invictus, the Roman Sun God, 313 CE. (I. Wilson)



الصورة العليا للإله هليوس / الشمس / سيرابيس من القرن الثاني الميلادي وأشعة الشمس تحيط برأسه. والسفلى إلى اليسار لأحد الآباطرة الرومان متحدًا مع إله الشمس ونقش حول وجهه عبارة: «الذي لا يقهر» وإلى اليمين ميدالية للامبراطور قسطنطين وإله الشمس الروماني «الذي لا يقهر» سنة ٣١٣م. وكان يحتفل بعيد مولده في ٢٥ ديسمبر، وهو التاريخ الذي تم اخذه ليكون تاريخًا لمولد المسيح، وقد اعترف البابا يوحنا بولس الثاني بذلك.



Egyptian God Anubis, "Guardian of the Dead," in cruciform (Lundy)



Ass-headed God crucified, possibly Christ, Set or Anubis



Crucifix of Orpheus, 3rd century CE. (Freke and Gandy)



Irish crucifix with non-Christian headdress and garments. (Lundy)



Irish "Budha" or "Krishna" crucifix (O'Brien)



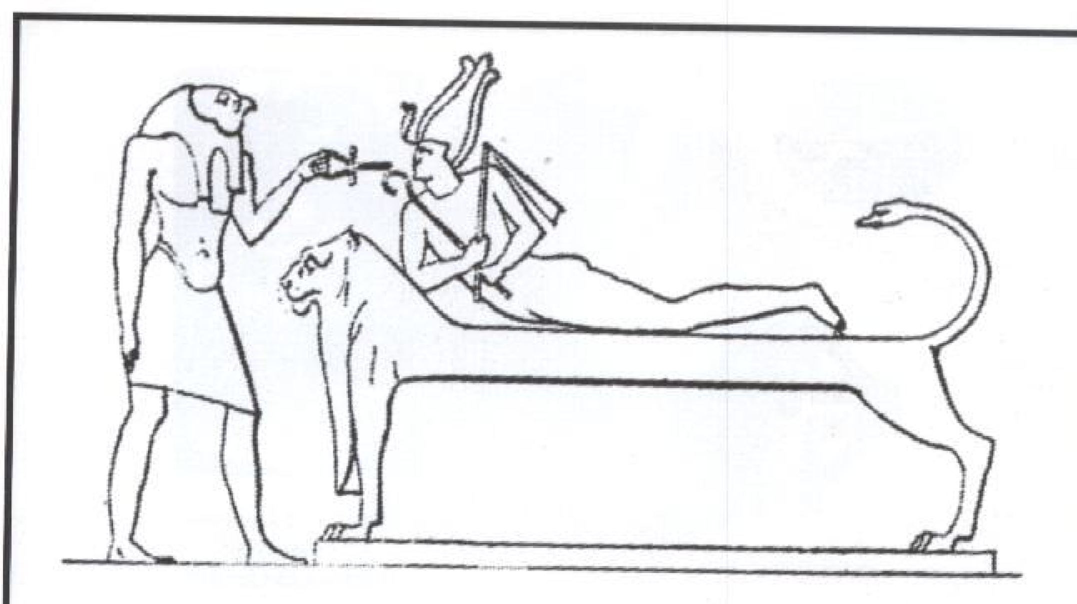
Crucifix of Wittoba/Balaji/Krishna (Moor)



مجموع من الصور توضح وجود فكرة الصلب في الحضارات والعبادات الوثنية قبل نقلها إلى المسيحية الصورة العليا إلى اليمين لصلب الإله أورفيوس من القرن الثالث الميلادي. وإلى اليسار أعلى: الإله انوبيس مصلوبا وبجواره إله ست مصلوبا، وأسفلهما إله من أيرلندة مصلوب. والصورة الوسطى إلى اليسار للإله بوذا مصلوبا، وإلى اليمين للإله كريشنا مصلوبا. وفي الأسفل نقش بارز للمسيح مصلوبا، من العصر الروماني المتأخر.







"Horus, with his Cross, Raising the Dead."
(Lundy)



الصورة العليا رسم على بردي للإله حوريس وهو يحى الإله أوزوريس من الموت. والصورة السفلى تمثل بعث الإله اوزريس. وهي نفس الفكرة التي انتقلت إلى وثنيات أخرى قبل انتقالها إلى المسيحية.





Etruscan Mother Goddess
5th century BCE. (Baring)



Roman Goddess Juno,
"Matrona and Virginalis,"
with Child. (Lundy)



Devaki suckling Krishna



Mary suckling Christ
15th century, Netherlands.
(Baring)





مجموعة من الصور توضح انتقال فكرة العذراء وهي تحمل الطفل يسوع. أعلى إلى اليسار الإله حتحور ترضع حوريس، وإلى اليمين: تمثال من القرن الثالث قبل الميلاد من الفن الاتروسكي، وإلى اليمين الإله چينو، وأسفل إلى اليسار الأم ديڤاكي ترضع كريشنا، وإلى اليمين السيدة/ مريم ترضع المسيح، من القرن الخامس عشر، وأسفل إلى اليمين الإلهة ايزيس تحمل حوريس من العصر الروماني، وإلى اليسار تمثال للسيدة مريم تحمل يسوع طفلاً.





The god Hermes as
the Good Shepherd,
6th century BCE.
(Walker, *WDSSO*)

الصورة العليا ميداليا من القرن الرابع إلى الأول قبل الميلاد، لرفع الإله ديونزيوس إلى السماء على عربة تجرها الجياد، وهي نفس الفكرة التي انتقلت إلى المسيحية. والصورة السفلى للإله هرمس من القرن السادس قبل الميلاد، ويحمل حملاً على كتفيه، وهي نفس الفكرة التي انتقلت للمسيحية باسم الراعي الصالح.



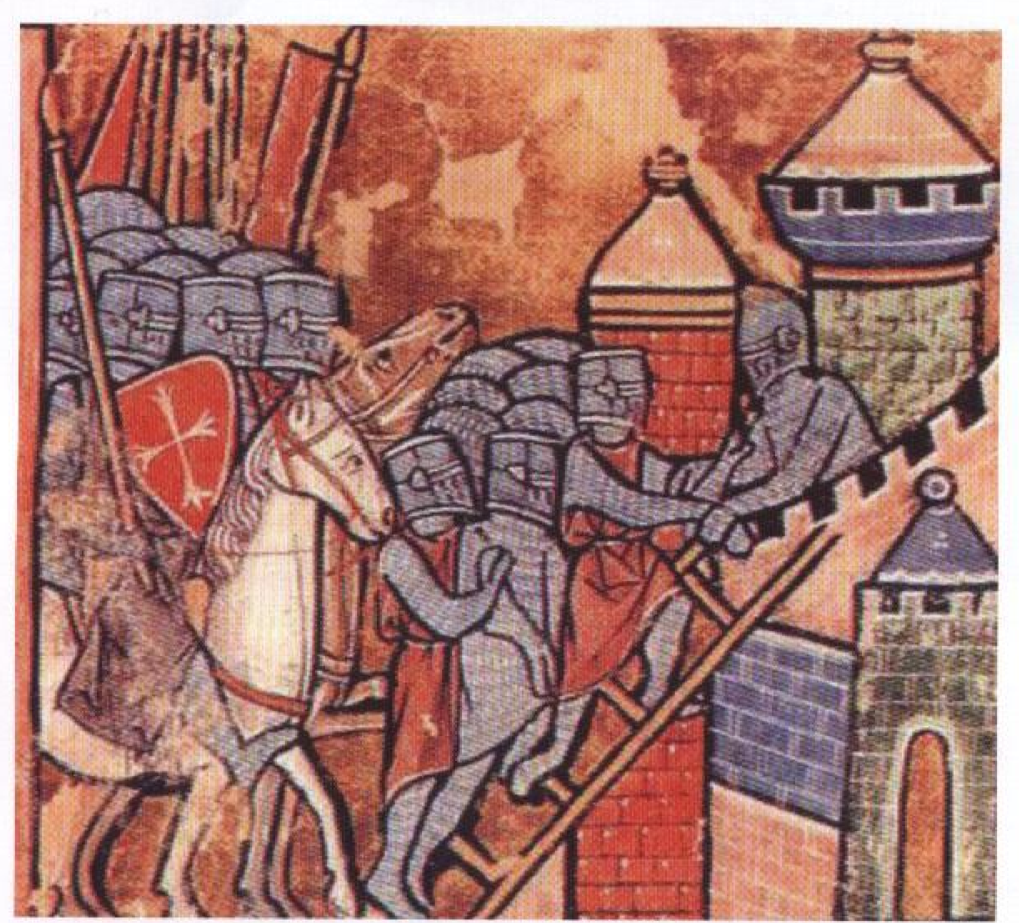




الصورة العليا للإله حوريس يقتل إله الشر، والتمثال من القرن الرابع الميلادي موجود بمتحف اللوفر بباريس وهو ما يثبت استمرار الديانة المصرية القديمة طوال العصر البيزنطي. والصورة السفلى من القرون الوسطى للقديس مارجرجس يقتل إله الشر وهي قطعة نسيج ١٥٥×٢٥٠ سم موجودة بنفس المتحف، وتوضح كيفية انتقال العقائد من الوثنية إلى المسيحية.









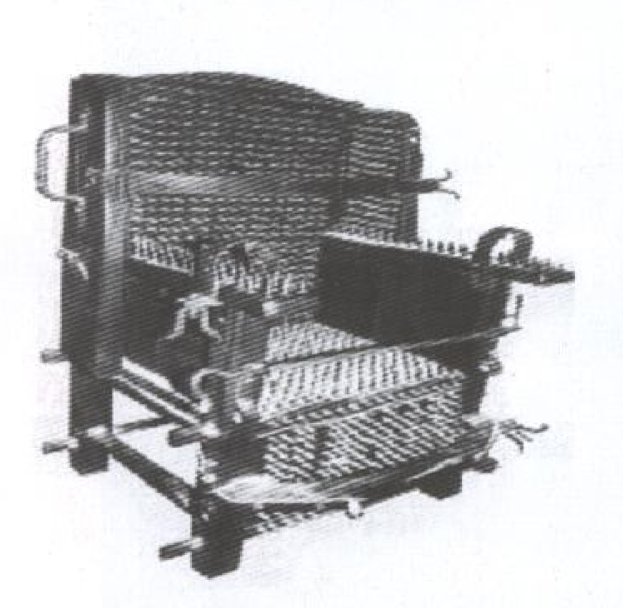


إلى الذين ينكرون الوقائع التاريخية المعاشة:

ثلاث لوحات من الحروب الصليبية ويُرى فيها بوضوح علامة الصليب التي كانوا يحيكونها على الثياب ويرسمونها على كل ما يستخدمونه.



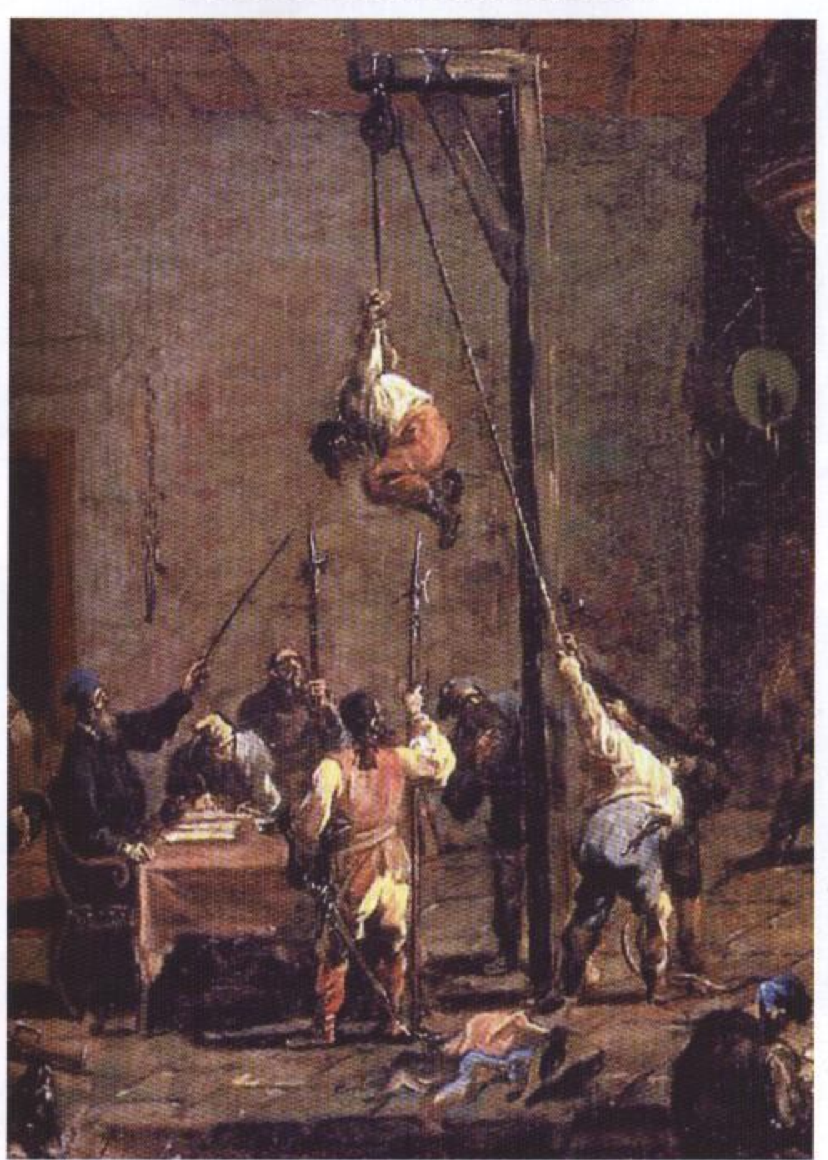
Protestants of Haarlem, Holland, executed in 1573 by Catholic troops. (Haught)





الصورة العليا والسفلى إلى اليمين لوحتان لعمليات القتل والتعذيب التي كانت تقوم بها محاكم التفتيش حفاظا على فرض العقيدة. والسفلى إلى اليسار لكرسي مدجج بالمسامير كانوا يجلسون عليه المتهم لانتزاع اعترافاته.





لوحتان توضحان وسائل التعذيب التي كان يقوم بها الكنسيون في محاكم التفتيش لفرض العقيدة.



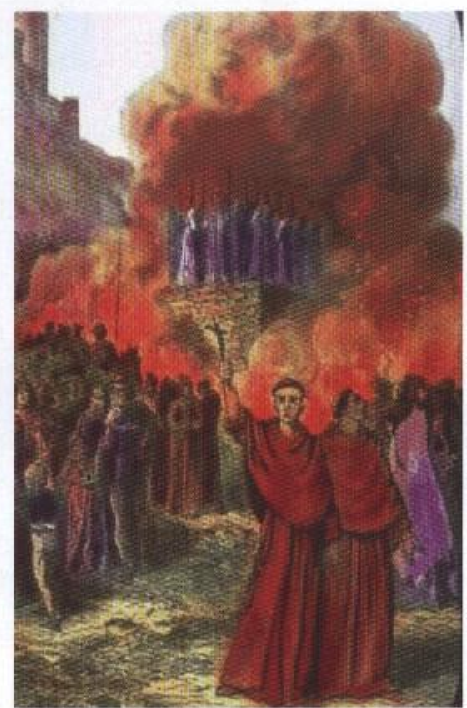






مجموعة من الصور توضح كيف كانت محاكم التفتيش تقوم بحرق الناس أحياء، نساء ورجال، أو قطع رقابهم بالسيف.



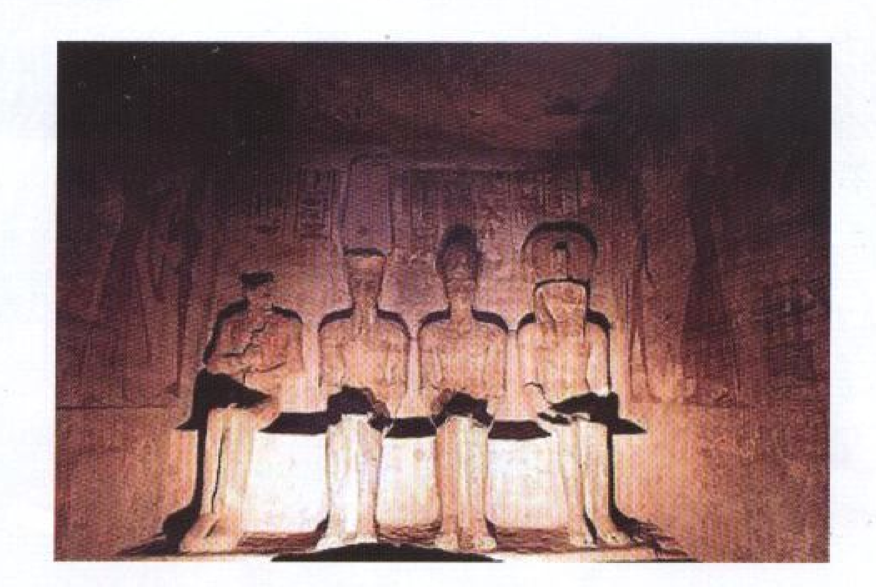




ثلاث لوحات توضح حرق الناس أحياء فرادى أو جماعات من أجل استتباب العقائد الكنسية التي تم نسجها عبر المجامع على مر العصور.



لوحة توضح كيف كانت محاكم التفتيش الكنسية تقوم بحرق الكتب التي تخالف ما تقوم بفرضه من عقائد.



صورة للملك رمسيس الثاني بعد تأليهه وهو جالس بين الآلهه في قدس أقداس معبد أبو سنبل الكبير. وهو ما يثبت أن تأليه الملوك فكرة سائدة قبل تطبيقها على السيد المسيح وتأليهه في مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥م.

كشف المراجع

Alberigo, G. (sous la direction de) Les Conciles Oeucuméniques, éd. du Cerf, Paris, 1994

Allegro, John: **Le champignon sacrée et la croix,** Albin Michel, 1971

Allegro, John: **The Dead Sea Scrolls and the christian Myth,** Prometheus books, N.Y. 1992

Asharya S : **The Christ conspiracy**, Adventures Unlimited, Canada, 1999

Baigent, M. & Leigh,R.: **La Bible confisquée**: enquête sur le détournement des manuscrits de la Mer morte, Plon, Paris, 1991

Bernard, J.L.: **Appollonius de Tyane et Jésus**, Robert Laffond, Paris, 1977

Bernheim, P.-A. : **Jacques, frère de Jésus,** Albin Michel, Paris, 2003

Bioul, B.: **Qumrân et les manuscrits de la Mer morte,** éd. F.-X. de Guibert, Paris, 2004

Bremond, N. de: **La foi de Vatican II,** Karthala, 2004

Brown, D.: **Da Vinci code,** J.C. Lattès, Paris, 2004 (pour l'édition française

Brown, J. A. : **The Maverick of the Dead Sea Scrolls,** B. Eerdmans publication, U.K. , 2005

Campbell, J. : **Deciphering the Dead Sea Scrolls,** Blackwell publishing, 1996

Casanova, A. : **Vatican II et l'évolution de l'église,** Editions Sociales, 1969

Cascioli, L.: **La fable du Christ,** éd. Quatrini, Viterbo, 2001

Castille, D.: **Du paganisme au christianisme,** éd. J.M.G. , Paris, 2004

Cavallera, Ferd: **Saint Jérôme,** Louvain, 1922

Celse: **Discours vrai contre les chrétiens,** introduction et traduction Louis Rougier, éd.Liberté

Cerbelaud, D.: **Marie, un parcours dogmatique,** éd. du Cerf, Paris, 2004

Chalet, J.-A.: **Monseigneur Lefebvre,** Pygmalion, Paris, 1976

Coquet, M.: **La vie de Jésus démystifiée,** Nouvelles Réalités, Paris, 2003

Daniélou, J.: **Les manuscrits de la Mer morte,** éd. de l'Oronte, 1957,1974

Dupuis, P.: **L'énigme de Jésus; Dieu, Homme ou Mythe,** Paris, 2000

Duquesne, J.: **Jésus,** Desclée de Brouwer / Flammarion,Paris, 1994

Duquesne, J: **Marie,** Plon 2004

Edespero: **Les absurdités de la Bible,** éd. Union des athées, Paris, s.d.

Ehrman, B. D. : **Lost Christianities,** Oxford University Press, 2003

Eisenman, R. & Wise, M. : **Les manuscrits de la Mer morte révélés,** Fayard, Paris, 1995

Ellul, Jacques: **La subversion du christianisme,** (Seuil 1984 la Table Ronde, 2001

Evsing, E.: **La grande imposture du Maître de la Justice à Jésus ou l'histoire falsifiée,** éd. Arctus, Paris, 1979

Fau, G.: **Le christianisme sans Jésus,** France Quercy, Paris, 1995

Finkelstein, I. & Silberman, N. A. : **La Bible dévoilée,** Bayard, Parie, 2002

Flint, P.(collectif): **Biblical interpretation at Qumran,** W.B.Eerdmans publication, U.K., 2005

Freke, T. & Gandy, P. : **The Jesus mysteries,** Thorsons, Harper Collins publishers, London,1999

Freke, T.& Gandy, P. : **Jesus and the Goddes,** Thorsons, Harper Collins publishers, London, 2001

Funk, R. : **Honest to Jesus : Jesus for a New Millennium,** Harper, San Francisco 1996

Funk, R : **The Jesus Seminar,** Macmillan Publishihg Co. N.Y., 1993

Golb, N. : **Qui a écrit les manuscrits de la Mer morte,** trad. de l'anglais, Plon, 1998

Gonin, A.-H. : **Jésus, fils de Marie,** éd. Chama, Paris, 2001

Ghislain, G. : **De la guerre des titans à la bataille des manuscrits,** C.E.R., 2003

Guignebert, Ch. : **Jésus,** Albin Michel, 1947

Guignebert, Ch. : **Le Christ,** 1943, 1969

Hick, J. : **The metaphor of God incarnated,** Westminister, J. K. Press, Kentucky, 1993

Hick, J. : **The Myth of God incarnated,** Westminister J. K. Press, Kentucky, 1997

Julien, l"Empereur : **Discours contre les chrétiens,** Ch. Frederic Voss, 1768

Laloux, L.: **Histoire du christianisme au XXe. siècle,** F.-X. de Guidebert, 2004

Laperousaz, E.-M. (collectif : **Qoumrân et les manuscrits de la Mer morte,** un cinquantenaire, éd. du Cerf, Paris, 2000

Las Vergnas, G.: **Jésus a-t-il existé?,** Union des Athées, Paris, s.d.

Laurentin, R.: **L'église et les juifs à Vatican II,** Casterman, 1967

Lefebvre, M.: **J'accuse le Concile!,** éd. Saint-Gabriel, 1976

Lelou, J.-Y.: **L'évangile de Philippe,** Albin Michel, 2003

Loupan, V.: **Enquête sur la mort de Jésus,** Presses de la Renaissance, 2005

Massé, D.: **L'énigme de Jésus-Christ,** éd. du Siècle, Paris, 1926

Massey, G. : **Le Jésus historique et le Christ mythique,**

Massey, G. : **Les origines du christianisme,** Paris, 2003

Meier, J. P. : **Un certain juif, Jésus,** éd. du Cerf, vol. III 2005

Nautin, P.: **L'évangile retrourée,** Beauchesne, Paris 1998

Onfray, M.: **Traité d'athéologie,** Grasset, Paris, 2005

Ory, G. : **Le Christ et Jésus,** éd. Le Pavillon, Paris, 1968

Ory, G. : **Marcion,** éd du C.E.R. Paris, s.d.

Peytrignet, R.: **Jésus-Christ, Mythe ou personnage historique,** éd. Réflexions, paris, 2002

Piccard, J.-C. : **L'énigme de Jésus**

Poupard, P. : **Le Vatican, Parole et Silence,** Paris, 2004

Prieur, J. & Mordillat, G. : **Jésus contre Jésus,** Seuil, 1999

Prieur, J. & Mordillat, G. : **Jésus, illustre et inconnu,** Albin Michel, 2004

Prieur, J. & Mordillat, G. : **Jésus après Jésus,** Seuil, 2004

Quesnel, M. : **Jésus l'homme et le Fils de Dieu,** Flammarion, 2004

Quesnel, M. : **L'histoire des èvangiles,** éd. du Cerf, 1987

Reinach, S. : **Orpheus, histoire générale des religions,** 1904, 1914, 1928

Renan, E. : **Histoire des origines du christianisme** (livre 5e.les évangiles et la seconde génération chrétienne Calman-Lévy, Paris, s.d.

Rougier, L.: **La Genèse des dogmes chrétiens,** Albin Michel, 1972

Rubenstein, R. E.: **Le jour où Jésus devint Dieu,** la Découvert, Paris, 2001

Ruelle, Ch.: **De la vérité dans le christianisme,** éd. Reinwalds, Paris, 1866

Sanders, E. P. : **The historical figure of Jesus,** Pinguin Books, 1993

Sellars, R. W. : **Next step in religion, an essay toward the coming Renaissance,** N. Y. the Macmillan Co. 1918

Shanks, H. : **L'Aventure des manuscrits de la Mer morte,** Seuil, 1996

Vatican II : **Les relations de l'èglise avec les religions non chrétiennes, éd.** du Cerf, 1966

Vermes, G. : **Enquête sur l'identité de Jésus,** Bayard, 2000

Vermes, G. : **L'èvangile des origines,** Bayard, 2004

Vermes, G. : **The Passion,** Clays ltd, St. Yves plc, 2005

Voltaire : **L'èvangile de la raison,** (sans reliure)

Wheless, J. : **Forgery in Christianity,** Health Research, Canada, 1930

Wheless, J. : **Is it God's word ? ,** N. Y. 1926

Wolinski, J. : **Histoire des Dogmes,** Paris, 1994

الفهرس

نبذة عن المؤلفة :

الدكتورة زينب عبد العزيز، أستاذ الحضارة وتاريخ الفن، رئيس قسم اللغة الفرنسية بجامعتي الأزهر (بنين) والمنوفية سابقاً. يتسم إنتاجها بخطين أساسيين :

• **الخط العلمي الأكاديمي** : ولها فيه أكثر من عشرين مؤلفاً بالعربية والفرنسية، تكشف خلالها موقف الغرب من الإسلام. كما أنها أول مسلمة في التاريخ تقوم بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية.

• **الخط الفني** : أقامت خلال مشوارها فيه خمسين معرضاً للوحاتها الزيتية في مصر والخارج. ولها مقتنيات في وزارة الثقافة المصرية، وزارة الخارجية المصرية، متحف الفن الحديث، دار الأوبرا المصرية، مركز القاهرة للمؤتمرات، فندق مريديان القاهرة (٣٥ لوحة)، فندق مريديان هليوبوليس (١٠ لوحات)، فندق الهيلتون (٤٥ لوحة)، وزارة الخارجية الأوغندية (٢٥ لوحة) وفي مجموعات خاصة بمصر والخارج

صدر للمؤلفة

المؤلفات الخاصة بالإسلام:

- «**محاصرة وإبادة.. موقف الغرب من الإسلام**» المؤسسة الجامعية – بيروت ١٩٩٣، دار القدس بالقاهرة ٢٠٠١، ودار الكتاب العربي بالقاهرة ٢٠٠٣.
- «**ترجمات القرآن إلى أين، وجهان لجاك بيرك**» دار الهدى ١٩٩٤ طبعتان، دار النهار ٢٠٠١، ومكتبة وهبة ٢٠٠٥.
- «**الفاتيكان والإسلام**» دار القدس ١٩٩٣ و٢٠٠١، ودار الكتاب العربي ٢٠٠٤.
- «**تنصير العالم**» دار الوفاء ١٩٩٥، ودار الكتاب العربي ٢٠٠٤.
- «**رسالة مفتوحة للملك فهد**» دار القدس ١٩٩٥.
- «**التعايش السلمي بين المسلمين وغير المسلمين**» دار الهدية ١٩٩٥.
- «**مقالات من رنيه جينو**» (الشيخ عبدالواحد يحيى) دار الأنصار ١٩٩٧.
- «**هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة، الأصولية والحداثة**» دار الأنصار ١٩٩٦، ودار الكتاب العربي ٢٠٠٣.
- «**حملة المنافقين الفرنسيس**» دار النهار ١٩٩٨، ومكتبة وهبة ٢٠٠٥.
- «**تيسير متن أبي شجاع**» دار النهار ٢٠٠٠، ودار السلام ٢٠٠٥.
- «**حائط البراق**» دار الحرمين ٢٠٠١، ودار الكتاب العربي ٢٠٠٤.
- «**ترجمة معاني القرآن الكريم**» (بالفرنسية) صادر عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في ليبيا ٢٠٠٢، وهي أول ترجمة في التاريخ تصدر عن باحثة مصرية مسلمة.
- «**تعريف بالإسلام وبالقرآن**» (بالفرنسية) دار قرطبة باريس ٢٠٠٣، ودار القلم، دمشق ٢٠٠٦.
- «**تعريف بالجهاد وبالإرهاب**» (بالفرنسية) دار قرطبة باريس ٢٠٠٣.
- «**حرب صليبية بكل المقاييس**» دار الكتاب العربي ٢٠٠٣.
- «**الإلحاد وأسبابه، الصفحة السوداء للكنيسة**» دار الكتاب العربي ٢٠٠٤.
- «**رسائل روحية، رؤية نقدية لتأليه السيد المسيح**» مكتبة وهبة ٢٠٠٥.

ترجمة إلى العربية : (في مجال الإسلام)

- «**الإسلام وحضارته**» لأندريه ميكيل، المكتبة العصرية بيروت ١٩٨١.
- «**الإسلام الراديكالي**» لإتيين برونو، دار النزنابيلي مالطة.
- «**التعسف في استخدام الحق**» رسالة دكتوراه في القانون الإسلامي بالفرنسية لمحمود فتحي، المؤسسة الجامعية بيروت.

مؤلفات في الحضارة وتاريخ الفن:

- « **يوميات فنان**» دار المعارف ١٩٧١.
- «**فولتير رومانسيا**» (بالفرنسية) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠.
- «**لعبة الفن الحديث**» (بالفرنسية) دار نشر إيبيس ١٩٨٤.
- «**لعبة الفن الحديث، بين الصهيونية وأمريكا**» دار الزهراء ١٩٩٠ والأنجلو المصرية ٢٠٠٢.
- «**النزعة الإنسانية عند فان جوخ**» الهيئة المصرية العامة للكتابة ١٩٩٣.



هذا الكتاب

يتناول الجزء الأول ملامح المسيحية الأولى، من خلال ما قاله عنها المؤرخون القدامى، المعاصرون لفترة يسوع وحتى القرن الرابع. ثم ما قاله عنها مؤرخو عصر التنوير وإثباتهم عمليات التحريف التي تمت عبر طبقات متتالية ومتراكمة من التزوير والتبديل. ثم ما توصل إليه العلماء في العصر الحديث وإثباتهم يقيناً أن المسيح كما تقدمه الكنيسة لا سند تاريخي له..

ويتعرض الجزء الثاني لتاريخ كتابة الأناجيل إعتماداً على الأساطير السائدة والإختيارات المغرضة، ومنها التناقضات الواردة بها وتوضيح كيفية صياغتها بناءً على الأهداف السياسية والدينية، وكيفية نسج العقائد عبر المجامع على مر العصور..

ويعتمد الكتاب على آخر الأبحاث و المراجع الغربية الجديدة التي تتناول محاكمة يسوع وصلبه وبعثه، ثم يكشف عن متاهة مخطوطات قمران وما واكبها من مغامرات وتعتيم، تتواكب وتتضافر، في الخفاء، مع مجمع الفاتيكان المسكوني الثاني (١٩٦٥م) وقراراته التي كان من أهمها ضرورة تنصير العالم واقتلاع الإسلام..

وتربط الخاتمة بين كل هذه الخيوط لتوضح المحرك السياسي الأساسي للأحداث الحالية والسبب وراء كل تلك التنازلات اللافتة للنظر من جانب الفاتيكان لليهود الصهاينة.